شؤون فلسطينية

١٥

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢

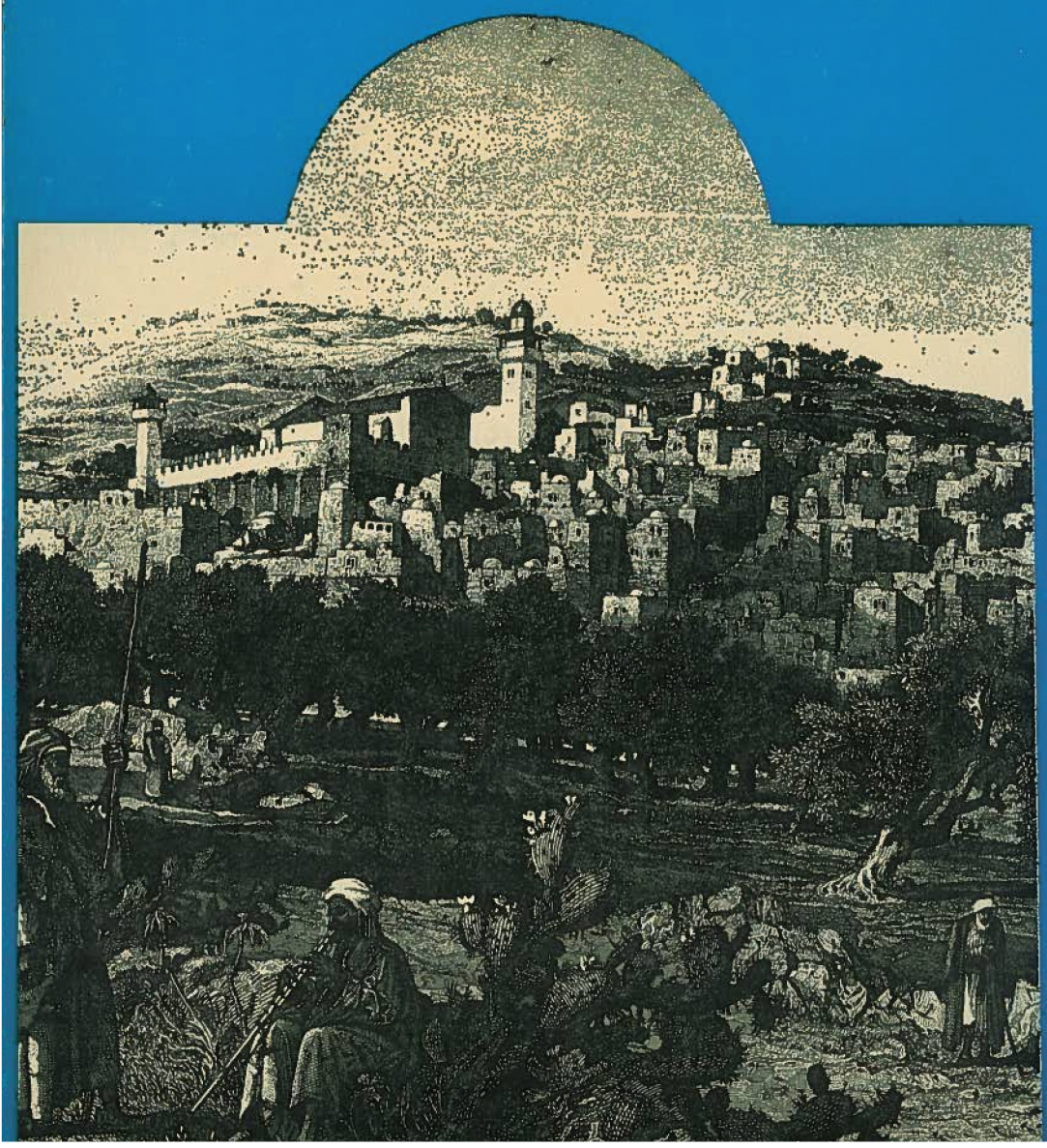

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ١٥ — تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

هيئة التحرير : المقدم الهيثم الايوبي ، بلال الحسن ، د. سعيد حمّود ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، محمود درويش ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، منير شفيق ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل ، هاني الهندي .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٣٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوستراليا .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركين واوستراليا . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : الخليل ، القرن التاسع عشر

المحتويـــات

صفحة ٤ — **شؤون فلسطينية** ، الدكتور انيس صايغ [مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية] .

٥ — **ملاحظات على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢** ، الدكتور فايز صايغ [المفكر الفلسطيني ومؤسس مركز الابحاث] .

١٩ — **تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية** ، عصام سخنيني [رئيس تحرير اليوميات الفلسطينية] .

٣٧ — **الهوة الاجتماعية في اسرائيل** ، عبد الحفيظ محـــارب [باحث في قســـم الدراسات الاسرائيلية في م. ا.] .

٥٨ — **حوار مع مدينة** ، محمود درويش [الشاعر الفلسطيني، مستشار م. ا.].

٦٧ — **عقدة ثيودور هرتزل بين العم توم ودون كيشوت** ، ا. ن. سعد [باحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. ا.] .

٧٩ — **سلاح الطيران الاسرائيلي**، هشام عبدالله [باحث في الشؤون العسكرية].

٩٧ — **سياسة استثمار رؤوس الاموال في القطاع الصناعي في اسرائيل** ، انطوان منصور [باحث اقتصادي فلسطيني في الجزائر] .

١١٣ — **سياسة النظام والازمة الاقتصادية الراهنـــة في الاردن** ، حسن الجعبة [باحث في الشؤون الاقتصادية] .

١٢٧ — **لانسكي وليبسكي واستغلال قانون العودة** ، د. اسعد رزوق [باحث في الشؤون الاسرائيلية ـــ مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية] .

١٥٨ — **القرارات الاميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين** ، مايكل جانسن [الكاتبة الاميركية المختصة في الشؤون العربية] .

١٣٧ — **عصبة مكافحة الصهيونية في العراق** ، عبدالقادر ياسين [كاتب فلسطيني ومحرر في مجلة الطليعة القاهرية] .

١٦٧ **الطبقة العاملة الفلسطينية واليهودية وتنظيماتها (١٩١٨ ــ ١٩٣٩)** ، عمار الطالبي [كاتب مغربي] .

١٧٨ **الادب العبري المعاصر وتكريس التوسع الصهيوني** ، رشاد الشامي [معيد بقسم الدراسات العبرية بجامعة عين شمس] .

١٩١ **مراجعات** : تيارات في السياسة والاجتماع ، د. صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . اسرائيل : تاريخ شخص ، جودفري هـ. جانسن [الكاتب الهندي المختص بشؤون الشرق الاوسط] . شاهد من هذا العصر : يوميات شهيد قتل في مجزرة الاردن ــ ايلول ١٩٧٠ ، هاني حوراني [كاتب أردني] . حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ ، مصطفى كركوتي [كاتب سوري] . السينما والتواجد العربي في المؤتمرات الدولية ، قاسم حول [كاتب سينمائي] .

٢٠٦ **رسالتان** : (١) راي آخر في المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، عبد الرحمن غنيم [الكاتب الفلسطيني] . (٢) وداعا يا فلسطين ، ايرين بيسون [الصحفية البريطانية] .

٢١٦ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية، بلال الحسن [رئيس قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . ملحق : تقرير عن معركة القطاع الاوسط ، منير شفيق [الكاتب الفلسطيني] . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش [الكاتب الفلسطيني] . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، داود تلحمي [رئيس مشروع الدراسات الثورية في م. أ.] . (٤) المناطق المحتلة ، ع.م. (٥) الاقتصاد الاسرائيلي في النصف الاول من العام ١٩٧٢، الدكتور يوسف شبل [استاذ الاقتصاد في الجامعة الاميركية في بيروت] . جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني وآخر بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٩/١٣ ــ ١٩٧٢/١٠/٢، غازي خورشيد [مدير التوزيع في م. أ.] . تقرير خاص حول انتخابات مجلس الاتحاد الوطني الاردني ، أ. م.

٢٤٤ **اسرائيليات** : محمود درويش .

٢٥١ **وائل زعيتر : قديس آخر يموت في روما** ، داود تلحمي .

٢٥٢ **وائل زعيتر : مناضلا وانسانا** ، منير شفيق .

شؤون فلســـطينية

الدكتور انيس صايغ

كان عمله من أجل فلسطين متعدد الجوانب ومتشعب المجالات ، وساترك لزميلين لي ، من رفاقه ، الكلام عنه ، فلسطينيا مناضلا بشجاعة وايمان وهدوء وفكر . ويكفي أن أذكر ، في أسطر ، تجارب مركز الابحاث وشؤون فلسطينية مع هذا المناضل في فترة قصيرة نسبيا لا تتعدى السنتين الاخيرتين . فقد آمن بالمركز ورسالته في خدمة قضية فلسطين ، وبشؤون فلسطينية كمنبر للفكر الحر من أجل فلسطين . وعمل للمركز وللمجلة مراسلا ومندوبا في ايطاليه باخلاص وبدون أي أجر : آمن بأهمية الدراسات العلمية التي تصدر عن المركز فترجم عددا منها الى الايطالية ونشرها في كتاب قيم جيد المادة وانيق المظهر مما ضمن له سعة الانتشار . وآمن بأهمية الوثائق فاعد مشروعا لتزويد مكتبة المركز بمجموعة من الاوراق الاساسية في القضية ، على أن تصور هذه المجموعة الوثائقية ويحتفظ بنسخة عنها في مكتبته بروما لتكون في خدمة الباحثين هناك أيضا . وآمن بلقاء الثورة الفلسطينية مع حركات التحرر ومع أصحاب الفكر التقدمي في العالم . فبدا باعداد مقابلة واسعة لشؤون فلسطينية مع الكاتب الايطالي البرتو مورافيا ، صديقه . وزود المركز بعدة تقارير عن النشاطات السياسية في ايطاليه ، المتعلقة بقضية فلسطين ، الصديقة والمعادية (آخرها معلومات واسعة عن مؤتمر بولونيا العتيد) . وكان على صلة مباشرة مع قسم الاعلام الاسرائيلي في المركز . ولا شك ان بين أوراقه رسالة من المركز أرسلت منذ أيام فقط تطلب رأيه ببعض المنظمات اليسارية في أوروبه الغربية . لكنه لم يقرأ الرسالة لانه سقط قبل أن تصله . فقد سبقتنا اليه رصاصات الغدر الصهيوني .

وائل زعيتر : مناضلا عاش ومناضلا مات . طاقة أخرى من الايمان والجهاد يحولها الارهاب الاسرائيلي الى شعلة تنير للثورة الفلسطينية دروبها . ومثل أجهزة الثورة الفلسطينية الاخرى التي تلملم جراحها وهي تفقد الشهداءها ، تستنير شؤون فلسطينية بهذه الشعلة وتهتدي بسيرة صاحبها وأمثولته الحية أبدا وافرة العبر . فمن قبل أن يصدر العدد الاول من مجلتنا بأسابيع سقط في عمان أول شهيد من اسرة تحريرها ، عيسى ابو الطبول مراسلها في المانيه الغربية . وفي هذا الصيف سقط احد كبار كتابهـا ، غسان كنفاني . وبعد أيام اصيب زميل آخر ، بسام ابو شريف ، رفيقنا الجريح الشجاع الثابت في نضاله وتحديه الآلام . ودخل البريد المفخخ مركز الابحاث وخرب فيه الكثير وأصاب مديره رئيس تحرير شؤون فلسطينية بعاهات وجروح . وها هو وائل زعيتر ينضم الى القافلة ويضحي بحياة حافلة بالعطاء السياسي والفكري والثقافي والانساني .

من بعد ؟ أمحرر ، أم كاتب ، أم مستشار ، أم مراسل ، أم اداري ، أم طابع ، أم من من هذه المجموعة من العاملين لفلسطين من خلال الكتابة لها ؟ يد الغدر طويلة . قد تصيب واحدا من هؤلاء وقد تصيب بعضا منهم وقد تصيبهم كلهم ، اليوم أو غدا أو بعد غد . ولكن هذه اليد ، مهما بلغت سطوتها ، أقصر من ان تنال من ايمان واحد من هؤلاء او من غيرهم من ابناء الثورة . بل هي أعجز من أن تنال من الثورة بمجرد سقوط شهيد أو شهداء . وذلك لان الثورة مصممة على ان تستنير بشعل شهدائها مثلما كانت تستفيد منهم وهم احياء . وعلى هذا الاساس فان وائل زعيتر ، الغائب عنا جسديا ، معنا في المعركة ، وسيبقى معنا ، حتى يوم النصر .

ملاحظات على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ *

الدكتور فايز صايغ

١ ــ نوفمبر ــ شهر التجني :

تقترن ، في الخاطر العربي ، ذكرى شهر نوفمبر (تشرين الثاني) بعمليات التجني الدولي على حقوق الشعب الفلسطيني والعدوان على وجوده وكرامته . ففي ذلك الشهر ، وعلى مدى خمسين عاما ، صدر اخطر ما اتصل بالقضية الفلسطينية من تعهدات وقرارات دولية .

في ٢ نوفمبر ١٩١٧ ولدت القضية الفلسطينية رسميا بصدور وعد بلفور عن الحكومة البريطانية ــ وعدا قطعته بريطانيا على نفسها وتعهدت فيه بان تفعل ما بوسعها من اجل انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين .

وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، أقرت الجمعية العامة التابعة للامم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين واصدرت توصية بتنفيذه .

وبعد انقضاء نصف قرن على ميلاد القضية ، اي في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، اصدر مجلس الامن التابع للامم المتحدة القرار رقم ٢٤٢ ، والذي رمى الى تصفية القضية تصفية كاملة ونهائية ، في مجال ازالة اثار احدث عدوان اسرائيلي .

في اعتقادي ، ان ثالثة هذه الاعتداءات الدولية على فلسطين وشعبها كانت اخطرها واوقحها . اي ان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ فاق ــ في تطاوله على الحقوق القومية والانسانية للشعب الفلسطيني ــ كلا من توصية الجمعية العامة بتقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية على الجزء-الاكبر من ترابها ، وكذلك الوعد البريطاني بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، ذلك الوعد الذي ما لبث ان تسرب الى صك الانتداب الصادر عن عصبة الامم واصبح جزءا منه . اقول ذلك استنادا الى واقع ان قرار مجلس الامن ــ وحده ، وخلافا للوثيقتين الاوليين ــ قضى بما يلي :

اولا : ان قرار مجلس الامن القى على الدول العربية « واجب » القبول باسرائيل كدولة قائمة ذات سيادة كاملة وذات حقوق في الوجود والسلامة الارضية والاستقلال السياسي والامن تساوي حقوق الدول العربية نفسها ، كما انه ربط اداء الدول العربية لهذا الواجب المزعوم بوفائها بالتزاماتها الدولية المنبثقة عن عضويتها في الاسرة الدولية وابرامها ميثاق الامم المتحدة ، وبحقها في المطالبة بانسحاب اسرائيل من اراضيها . ففي حين كان وعد بلفور تعهدا من جانب واحد ، قطعته على نفسها دولة اجنبية ، بانشاء جسم غريب في فلسطين ، وفي حين كان قرار الجمعية العامة توصية ، موجهة الى

---

* ان جميع الآراء والاحكام التي يحتوي عليها هذا المقال لا تعبر سوى عن رأي كاتبه ، وليست معبرة عن رأي او موقف أية هيئة او منظمة او مرجع آخر على الاطلاق .

الفرقاء المعنيين بالامر ، باقتسام فلسطين فيما بينهم واقامة دولة يهودية الى جانب دولة عربية توأم لها ومدينة دولية بينهما — فان قرار مجلس الامن طالب الدول العربية نفسها بأن تقر « بشرعية » الدولة الدخيلة وبأن تتعامل واياها على اساس ذلك الاقرار . مكافئ به والحالة هذه يطالب الدول العربية بأن تجعل نفسها شريكا للحركة الصهيونية وللاسرة الدولية في جريمة السطو والاستيلاء والاغتصاب والتشريد — تلك الجريمة التي تجسدها اسرائيل بالنسبة الى الارض الفلسطينية والشعب الفلسطيني .

ثانيا : ان قرار مجلس الامن قضى بقبول العرب قبولا نهائيا باسرائيل كما هي (اي كما كانت عليه عشية شنها الحرب العدوانية الثالثة عام ١٩٦٧) ، وبالتالي التنازل عن اي مطلب عربي سابق ، بما في ذلك جميع المطالب التي ايدتها الامم المتحدة نفسها، ومجلس الامن نفسه ، في عشرات القرارات ، من مطالب تتعلق بحقوق الفلسطينيين في العودة الى وطنهم وديارهم ، وحقوقهم في التعويض عن ممتلكاتهم المسلوبة او المدمرة ، وبما في ذلك ايضا جميع المطالب المتعلقة باحترام اسرائيل لحقوق العرب المقيمين في الاراضي التي اغتصبتها . اي ان قرار مجلس الامن لم يتجاهل فقط الحقوق القومية والانسانية الثابتة التي يتمتع بها الشعب الفلسطيني بالطبيعة ، بل انه تجاهل ايضا الشروط التي نص عليها كل من وعد بلفور ومشروع التقسيم والتي كانت تقيد اسرائيل وتلزمها امام الاسرة الدولية بالتزامات قانونية معينة ، وتجاهل كذلك قرارات الامم المتحدة المتعاقبة التي اكدت وجوب تقيد اسرائيل بتلك الشروط وطالبتها بالعودة عن انتهاكها لها في الماضي والتوقف عن انتهاكها في المستقبل . فاسرائيل التي طولبت الدول العربية — في قرار مجلس الامن — بالاعتراف بها ككيان كامل الشرعية انما هي دولة طليقة من كل قيد ، مغفورة لها جميع ذنوبها السابقة ، حتى تلك الذنوب التي ما تزال آثارها قائمة ونتائجها مستمرة . ان قرار مجلس الامن شبيه بعفو عام تصدره السلطات في بلد ما لصالح مغتصب ، دون ان تطالبه بارجاع ما اغتصبه الى اصحابه — ثم تطالب ذوي الضحية بالمشاركة في التوقيع عليه !

ثالثا : ولعل اخطر ما في قرار مجلس الامن ليس ما نص عليه بل ما اهمله وصمت عنه . لقد صمت القرار عن الشعب الفلسطيني ومصيره وحقوقه ، بل انه تجاهل وجوده (كما سنرى بعد قليل) ، في حين ان كلا من وعد بلفور ومشروع التقسيم اعترف للشعب الفلسطيني ببعض حقوقه حتى عندما تجنى على البعض الاخر .

لهذه الاسباب كلها ، ولسواها مما يتصل بها او ينبثق عنها ، قلنا ان قرار مجلس الامن كان اوقح من وعد بلفور واشد ايذاء من مشروع التقسيم . **الا انه من المذهل حقا ان الامة العربية ، التي استقبلت كلا من وعد بلفور ومشروع التقسيم بالسخط والمقاومة الفوريين والاجماعيين ، وقفت امام قرار مجلس الامن ، وهو الاشد خطرا وخطورة ، موقف التردد الحائر ، ثم اعلنت غالبية الحكومات العربية قبولها به ، ان لم نقل تلهفها على تنفيذه وسعيها وراء ذلك كانه البلسم لجراحها . فاصبح قبول الحكومات العربية بالقرار اخطر ما في القرار ! ؟**

٢ — مقارنة الجرائم الثلاث :

اولا : ان الخلفية التاريخية لكل من جرائم نوفمبر الثلاث تفسر الى حد بعيد اسباب تفوق قرار مجلس الامن على سلفيه في مدى تطاوله على حقوق الشعب الفلسطيني . وعد بلفور صدر قبل ان يجري اي امتحان فعلي لقوة اي من الفريقين وقدرته على فرض ارادته في فلسطين . لذلك فانه انطوى على غموض مقصود في ما وهبه للحركة الصهيونية ، كما انطوى ايضا على محاولة فاترة لاحداث شيء من التوازن بين تلك الهبة (غير المحددة في طبيعتها وفي مداها الاقليمي) وبين ما احتفظ به للشعب الفلسطيني

واشترط احترامه .

ومشروع التقسيم حظي بموافقة الجمعية العامة كمخرج ـ او حل وسط ـ انعكست فيه حقيقة واضحة ، وهي ان كلا من الفريقين كان قد عجز ، خلال مجابهة دامت ثلاثين عاما ، عن التغلب على الفريق الاخر بصورة حاسمة والفوز بتحقيق كامل اهدافه . فلا الشعب الفلسطيني ، ومن ورائه العالم العربي ، نجح في الحؤول دون دخول طلائع المستوطنين الصهيونيين الى فلسطين او في منع بريطانيا من حمايتهم ونقل ملكية بعض الاراضي الفلسطينية اليهم ـ ولا الصهيونيون، ومن ورائهم اليهودية العالمية وبريطانيا، افلحوا في القضاء على المقاومة الفلسطينية او في الاستيلاء على مساحات وافية من الاراضي التي كان يملكها الفلسطينيون ويستطيعون التحكم بمصيرها . وكما انعكس عجز كل من الفريقين في « الحل الوسط » الذي جسده مشروع التقسيم ، فقد انعكس فيه ايضا واقع حيازة كل من الفريقين على قوة خاصة به . فكان الشعب الفلسطيني قد اثبت صموده وعناده وقدرته على البذل واستعداده للفداء دفاعا عن وجوده وارضه وكرامته ، فيما كان الجانب الصهيوني قد اثبت بدوره قدرته على التنظيم ونفوذه الواسع خارج ميدان المعركة في الاوساط الدولية الفاعلة آنئذ .

اما قرار مجلس الامن فقد صدر في ظرف يختلف اختلافا جذريا عن الظرف السابق لصدور وعد بلفور او الظروف السابقة لصدور مشروع التقسيم . كان الامتحان قد تم . وانتهى الامتحان بانهيار عربي بدا آنذاك وكأنه انهيار كاسح ليس بعده صمود ، او قدرة على الصمود ، او ارادة للصمود . فجاء قرار مجلس الامن يسجل واقع ميزان القوى بين الفريقين . ولا ننسى انه صدر قبل ان تستوعب الاسرة الدولية ـ بل قبل ان يستوعب العالم العربي نفسه ـ المعنى الكامل لظهور المقاومة الفلسطينية وامكاناتها البعيدة ، وبزوغ الارادة الفلسطينية بعد كسوف طويل ، وانبعاث الامل الجماهيري العربي .

اذا ذكرنا ان قرار مجلس الامن كان يسجل واقع الميزان الآني الراهن لقوى الفريقين في المنطقة ـ وليس امكانات المستقبل القريب او البعيد ، ولا ميزان الحقوق في ما يمثله كل منهما او درجة الشرعية في ما يدعيه لنفسه ـ سهل علينا ان نفسر انحياز القرار وما انطوى عليه من تجن . ولكن ذلك كله لا يكفي لتقديم تفسير كامل للتجني والانحياز . بل يجب ان نأخذ بعين الاعتبار الابعاد الدولية لميزان القوى . ومهما كان شأن القوة العسكرية التي كان يتمتع بها كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة عام ١٩٦٧ ، مما كان لا بد للاسرة الدولية من ان تحسب حسابه في أعقاب حرب حزيران وفي مجال معالجتها لآثار تلك الحرب ، فلا مشاحة في ان درجة التزام كل من العملاقين الدوليين بقضية هذا الفريق او ذاك كانت في حد ذاتها عنصرا اساسيا من عناصر المعادلة العامة للقوى الدولية ذات الصلة بما اصطلح على تسميته منذ ذلك الحين « ازمة الشرق الاوسط » .

ان للقوة بمعناها الدولي الفعلي حدين . الحد الاول موضوعي ، مقياسه قدرتها عند المجابهة مع قوة اخرى معادية على التغلب عليها ، او ايقافها عند حدود ، او التأثير فيها . واما الحد الثاني فارادي ذاتي ، مقياسه مدى الرغبة في استعمالها والمطلب الذي في سبيله يصار الى استعمالها ، كليا او جزئيا . ولا تكون نظرتنا الى معادلة القوى صائبة صادقة اذا هي اخذت واحدا من هذين العاملين دون الاخر بعين الاعتبار .

امريكا كانت ، وما تزال ، ملتزمة التزاما كاملا بوجود اسرائيل وبقائها ، في حين ان الاتحاد السوفياتي لم يكن ملتزما آنذاك ، وليس هو بملتزم اليوم ، بالمطلب العربي بتحرير فلسطين وبما يستتبعه ذلك من ازالة الكيان الاسرائيلي ، وانما كان التزامه ،

ولا يزال ، محصورا في تحرير الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، اي في ابطال التوسع الاسرائيلي الذي تم نتيجة لتلك الحرب . واما الدول الاخرى الاعضاء في مجلس الامن عام ١٩٦٧ ، ولا سيما الدول ذات المقاعد الثابتة آنذاك (اي بريطانيا وفرنسا وحكومة فورموزا) فقد كان موقف كل منها في موقع ما بين الموقف السوفياتي والموقف الامريكي . **لذلك فان قرار مجلس الامن ، اذ انعكس فيه من الجهة الواحدة الميزان الآني الراهن لقوى الفريقين ، والذي رجحت فيه كفة اسرائيل بشكل حاسم ، انعكس فيه ايضا ، وفي الوقت نفسه ، ميزان اخر ، هو « ميزان الارادة والقوة » بين الدولتين الكبريين ، فجاء « حلا توفيقيا » لازمة المجابهة بينهما ، وحدد الارض المشتركة بين موقفيهما من النزاع . اي ان قرار مجلس الامن كان في وقت واحد بمثابة حل « لا غالب ولا مغلوب » بالنسبة للاتحاد السوفياتي وامريكا ، وحل « غالب ومغلوب » بالنسبة لاسرائيل والعرب !**

فاذا نظرنا الى قرار مجلس الامن من منظار النزاع العربي الاسرائيلي رأيناه فوزا كبيرا لاسرائيل — التي تحصل بموجبه على تصفية كاملة للقضية الفلسطينية ، واعتراف كامل من الدول العربية ، وانهاء لحالة الحرب والتطويق والمقاطعة ، وانهاء للرفض العربي ، وانعتاق من اي واجب مترتب عليها بنتيجة ما اغتصبته قبل ١٩٦٧ ، كل ذلك لقاء انسحابها من الاراضي التي احتلتها نتيجة لحرب حزيران ، وهي الاراضي التي لم تكن دولة واحدة في العالم آنذاك تعترف لاسرائيل بحق الاحتفاظ بها .

اما اذا نظرنا الى القرار من منظار المجابهة الامريكية السوفياتية ، فاننا نرى فيه توفيقا بين مطالب الفريقين . فالمطلب الامريكي الاساسي كان وما زال تأمين سلامة اسرائيل واستمرار بقائها ، الامر الذي لا يمكن تأمينه بصورة نهائية وقاطعة الا بالحصول على رضى العرب عن وجود اسرائيل وقبولهم بها كدولة شرعية الوجود ، وبقيام حالة من السلام والعلاقات الطبيعية بينها وبين الدول العربية تتيح لاسرائيل — بفضل الدعم الامريكي والديناميكية الصهيونية — بسط سطوتها الاقتصادية والسياسية وخدمة المآرب والمصالح الامريكية في المنطقة العربية . واما المطلب السوفياتي الاساسي عام ١٩٦٧ فقد كان درجة قوات اسرائيل الى الوراء حتى تصل الى الخطوط التي كانت ترابط عليها عشية الحرب . وهذان المطلبان يلتقيان معا على ارض مشتركة في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

ثانيا : لننتقل الآن الى مقارنة الوثائق الثلاث من زاوية اخرى . فمن حيث درجة الزام كل منها للدول العربية في نظر القانون والعرف الدوليين ، تتباين الوثائق الثلاث تباينا شاسعا .

فوعد بلفور كان في الاصل وعدا من طرف واحد ، صادرا عن دولة اجنبية وموجها الى الحركة الصهيونية . ولم يكن للعرب عموما ، او للشعب الفلسطيني بصورة خاصة ، اي دور في مرحلة المشاورات والمفاوضات السرية التي سبقت الاعلان عنه . وقد اعلن العرب والفلسطينيون رفضهم له فور ان بلغهم نبأ صدوره . لذلك فانه لم يكن له ، في نظر القانون الدولي ، اية صفة الزامية بالنسبة للجانب العربي . ثم ان تبني هذا الوعد من قبل بضع دول اخرى ، من الدول الكبرى في عالم ما بعد الحرب العالمية الاولى ، لم يضف عليه اية شرعية دولية ، اذ ظل تعهدا فرديا ولئن كان صادرا عن دول متفرقة . ورغم انه تسرب فيما بعد الى صك الانتداب الصادر عن عصبة الامم ، فانه لم يظفر من جراء ذلك بشرعية تجعله ملزما للعرب والفلسطينيين ، اولا لانهم لم يكونوا ممثلين في عصبة الامم ، وثانيا لان صك الانتداب نفسه كان يكتسب شرعيته من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم ، وهي المادة التي اعترفت مبدئيا باستقلال الشعوب المتحررة حديثا من

الحكم العثماني (وبينها الشعب الفلسطيني) ، ولان اي تعارض بين صك الانتداب ، وهو الفرع ، والمادة ٢٢ من الميثاق ، وهي الاصل ، ينسخ الاول ويبطله في نظر القانون . وكما ان وعد بلفور كان عاريا عن الالزام النابع من الشرعية ، فكذلك كانت توصية الجمعية العامة بتنفيذ مشروع التقسيم : فالتوصية بطبيعة الحال لا تحمل معنى الالزام . ثم ان مناشدة الجمعية العامة لمجلس الامن بأن يتولى تنفيذ مشروع التقسيم بموجب السلطة التي يخوله اياها ميثاق الامم المتحدة لاصدار قرارات نافذة ملزمة لجميع الاعضاء لم تلق اذنا صاغية من مجلس الامن نفسه . واخيرا لا آخرا ، فان الجمعية العامة نفسها عادت فتراجعت ، في قرارها الصادر في ١٤ مايو (ايار) ١٩٤٨ ، عن قرارها بالتوصية بمشروع التقسيم ، الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

اما القرار الذي نحن في صدده — قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ — فان له صفة اخرى . وقد يذهب البعض الى القول بأن جميع قرارات مجلس الامن ملزمة لجميع الدول الاعضاء ، خلافا لقرارات الجمعية العامة التي هي محض توصيات . وقد يكون في هذا القول بعض الصحة ، نظرا للاختلاف بين السلطات التي يخولها الميثاق للجمعية العامة في المواد ١٠ — ١٧ والصلاحيات التي يمنحها لمجلس الامن في المادتين ٢٤ و٢٥ . الا ان المراجعة الدقيقة لهاتين المادتين ، في ضوء احكام الفصلين السادس والسابع من الميثاق ، لتدل على ان الالزام محصور بالقرارات الصادرة عن مجلس الامن بموجب الفصل السابع ، في حين ان القرار رقم ٢٤٢ لا يشير الى الفصل السابع في ديباجته او في نصه ، فضلا عن انه اقرب في مضمونه الى اطار الفصل السادس منه الى اطار الفصل السابع . ولكن ، اذا كان باب الاجتهاد في تعيين درجة الالزام ، التي يتمتع بها القرار رقم ٢٤٢ ، ما زال مفتوحا ، واذا كان الجزم بأنه حقا قرار ملزم ليس قاطعا ، فانه لا بد من ذكر حقيقتين اخريين متصلتين بهذه المسألة :

الحقيقة الاولى : ان الدول العربية التي وقعت اراضيها تحت الاحتلال الاسرائيلي في حرب حزيران ١٩٦٧ ، والتي اعلنت قبولها بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ثم اشتركت بمبادرات سياسية غرضها تنفيذ ذلك القرار ، لا تستطيع — عمليا او نظريا — ان تتحلل من التزامها الارادي بتنفيذ ما نص عليه ذلك القرار من « انهاء لحالة الحرب » واقرار بما دعاه « حق » اسرائيل في « السيادة والاستقلال السياسي والسلامة الارضية ، وفي العيش في مأمن من اللجوء الى القوة او التهديد بذلك » ، لا سيما حين تسعى هي جاهدة الى الحصول على تأييد الاسرة الدولية لحمل اسرائيل على تنفيذ ما يختص بها في القرار ، اي الانسحاب من الاراضي المحتلة .

والحقيقة الثانية : هي ان الدول العربية الاخرى التي اعلنت قبولها بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، حتى وان لم تكن اراضيها محتلة ، قد الزمت نفسها مبدئيا بالموافقة على ما نص عليه القرار بشأن الاعتراف باسرائيل ، مما اوردناه في الفقرة السابقة ، وليس فقط بالموافقة على الدعوة الواردة في القرار الى الانسحاب الاسرائيلي . ذلك ان القرار ربط بين المبدأين — مبدأ الانسحاب ومبدأ الاعتراف — ربطا عضويا محكما ، بحيث لا يمكن التنصل من الالتزام بالموافقة على احد المبدأين بحجة ان الموافقة كانت محصورة في المبدأ الآخر .

ولعله من اللازم ان نقول في هذا الصدد ان الدول العربية التي لم تقع اراضيها تحت الاحتلال الاسرائيلي قد استدرجت الى الموافقة على قرار مجلس الامن رغم انها لم تكن من اعضاء ذلك المجلس عندما اقترع على القرار وكان في وسعها ان تتجنب اعلان الموافقة عليه لو شاءت . ولعل استدراج غالبية الدول العربية الى الاقتراع في الجمعية العامة على قرارين يؤكدان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كان من اكبر الاخطاء

الستراتيجية التي ارتكبتها الدبلوماسية العربية منذ قيام الامم المتحدة ! ولقد جرى ذلك في دورتين متعاقبتين من دورات الجمعية العامة هما الدورة الخامسة والعشرون (١٩٧٠) والسادسة والعشرون (١٩٧١) ، حين سعت الدبلوماسية المصرية لتحريك ضغط دولي على اسرائيل للانسحاب ، وذلك عن طريق استصدار قرار من الجمعية العامة يؤكد قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ولقد ادت أولى هاتين المحاولتين ، في الدورة الخامسة والعشرين ، الى تصدع في جبهة الوفود العربية لدى الامم المتحدة ، فاقترعت سبعة وفود لصالح قرار الجمعية العامة الذي يؤكد قرار مجلس الامن ، واصبحت حكوماتها بالتالي ملزمة ، ادبيا وقانونيا ، باحكامه ، فيما رفضت سبعة وفود اخرى الاشتراك في الاقتراع اطلاقا ، معلنة بلسان مندوب واحد تحدث نيابة عنها جميعا بأن رفضها الاقتراع يرجع الى ان حكوماتها ترفض قرار مجلس الامن . اما في الدورة السادسة والعشرين (وكان عدد الدول العربية الاعضاء قد ارتفع الى ثماني عشرة دولة) فقد تكررت المحاولة ولكن بنتائج مختلفة . فقد اعلن وفد عربي واحد فقط رفضه الاشتراك في الاقتراع ، وامتنعت وفود خمس دول ، بينما اقترعت وفود اثنتي عشرة دولة عربية لصالح القرار . واذا حسبنا الدول العربية التي اقترعت ، اما في الدورة الخامسة والعشرين او في الدورة السادسة والعشرين او في كلتيهما معا ، لصالح قرار من الجمعية العامة يزكي ويؤكد قرار مجلس الامن ، وجدنا مجموعها اربع عشرة دولة : أي ان اكثر من ثلاثة ارباع الدول العربية قد سجلت رسميا موافقتها على قرار مجلس الامن ، رغم انه كان بالامكان تجنب الوقوع في هذا الاشكال لو ان تأكيد قرار مجلس الامن لم يطرح على اعضاء الجمعية العامة في قرار رسمي للتصويت عليه .

وتقضي الامانة بأن نسجل بأن مندوبي ثلاث دول عربية قررت حكوماتها الاقتراع لصالح احد قراري الجمعية العامة المشار اليهما ، او لصالحهما معا ، قد اعلنوا في بياناتهم التفسيرية ، اما قبل الاقتراع او بعده ، انهم يوافقون على قرار الجمعية العامة ككل دون ان يوافقوا على قرار مجلس الامن او يؤيدوا تلك الفقرات في قرار الجمعية العامة التي تؤكد قرار مجلس الامن . ولكن الاثر القانوني لهذه التحفظات والتفسيرات ليس معروفا : اذ انه ليس في فقه الامم المتحدة ما يحدد بصورة قاطعة ما اذا كان التحفظ او التفصل الذي يرد في البيان التفسيري ، بالنسبة لفقرة معينة من قرار ما ، كافيا لابطال الالتزام الذي ينطوي عليه الاقتراع لصالح ذلك القرار ككل .

ثالثا : بمقارنة قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بوعد بلفور ومشروع التقسيم ، من زاوية ثالثة ، يتضح مجددا ما اتضح لنا من المقارنة من الزاويتين الاوليين : ان قرار مجلس الامن قطع في تجنيه على الشعب الفلسطيني اشواطا أبعد مما قطعته اية من الوثيقتين السابقتين .

صحيح ان التجني كان حاصلا في كل من الوثائق الدولية الثلاث ، الا انه في الاوليين كان مشروطا وملطفا بضمانات معينة غرضها تقييد الكيان الصهيوني المتيد في سلوكه تجاه الشعب الفلسطيني ، من جهة ، وصيانة بعض حقوق ذلك الشعب ، من الجهة الأخرى . لكن التجني في قرار مجلس الامن كان مطلقا وغير مشروط .

فوعد بلفور ، الذي تطلع الى اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين ، اشترط ان لا يكون في ذلك مساس او اجحاف ببعض الحقوق — ولا سيما الدينية والمدنية — التي يملكها ابناء فلسطين من غير اليهود . ولو طبق هذا الشرط تطبيقا صادقا ، لانتفى الغرض الاصلي من الوعد ! ثم ان صك الانتداب لم يكتف بتكرير التحفظ الوارد في صلب وعد بلفور ، بل انه اضاف شرطا آخر ، هو الاشتراط بأن لا يسيء انشاء الوطن القومي اليهودي الى « وضع » ابناء فلسطين من غير اليهود ، وهو ايضا شرط ينفي اقامة

الوطن القومي اليهودي اطلاقا .

وذهب مشروع التقسيم الى ابعد من ذلك ، فقد نص على وجوب اعلان « الدولة اليهودية » فور قيامها احترامها للحقوق المدنية والثقافية والدينية والسياسية للعرب المقيمين فيها ، على ان يكون اصدار هذا الاعلان شرطا لقبول الامم المتحدة بها ، وعلى ان يكون الاعلان جزءا من قانون الدولة الاساسي ، او دستورها ، وعلى ان لا يصار الى تعديله الا بموافقة الجمعية العامة . واستنادا الى هذه الضمانات ، كان قرار الجمعية العامة بقبول اسرائيل في عضوية الامم المتحدة قبولا مشروطا ، وكانت القرارات المتعاقبة التي دعت الى عودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم والتعويض عن ممتلكاتهم صريحة واضحة .

اما قرار مجلس الامن فلم يكن فيه اي قيد او شرط ، فيما عدا الدعوة الى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ . فكان في هذا القرار تحرير لاسرائيل من كافة القيود والالتزامات في المستقبل ، وصفح عن كافة اعمال الاغتصاب التي ارتكبتها اسرائيل في الماضي والتي كانت نتائجها ما تزال قائمة . وطالب القرار الدول العربية بالاعتراف باسرائيل كدولة شرعية الوجود كاملة السيادة دون ان يشترط قيام اسرائيل بواجباتها والتزاماتها الماضية وتصحيح ما ارتكبته في الماضي من جرائم والامتناع عن الاستمرار في التمتع بثمارها .

وعد بلفور خلق القضية الفلسطينية بخلق كيان صهيوني محفوف بالقيود . ومشروع التقسيم سعى لان يكون تسوية ، أو حلا وسطا ، للقضية التي خلقها وعد بلفور . اما قرار مجلس الامن فقد كان تحريرا لاسرائيل من القيود السابقة ، ونسخا للضمانات والشروط التي أعطيت للشعب الفلسطيني ، فكان بالتالي تصفيـة نهائية للقضيـة الفلسطينية .

رابعا : يقودنا هذا الى مقارنة الوثائق الثلاث من زاوية رابعة .

كان الشعب الفلسطيني ماثلا في ذهن الذين صاغوا نص وعد بلفور ، ولئن كان ذلك بصورة جانبية . فعلى الرغم من اشارة الوعد الى « الطوائف غير اليهودية » بدلا من تعيين الهوية الفلسطينية للشعب المعني بصراحة ، وعلى الرغم من حصر الضمانات في اطار الحقوق الدينية والمدنية ، فان الشعب الفلسطيني لم يكن غائبا عن البال كليا .

وكان الشعب الفلسطيني ماثلا في الاذهان ايضا عند صدور توصية الجمعية العامة بتنفيذ مشروع التقسيم ـــ فخصص المشروع له جزءا من أرض فلسطين ليقيم عليها دولة خاصة به، وقيد الدولة اليهودية بقيود واضحة فيما يتعلق بمعاملتها للعرب الفلسطينيين المقيمين في الارض التي ستصبح دولة يهودية .

اما قرار مجلس الامن فلقد تجاهل الشعب الفلسطيني تجاهلا تاما . فالقضية التي عالجها دعيت « الحالة في الشرق الأوسط » ، والنزاع الذي تعرض له كان نزاعا بين اسرائيل ـــ كدولة قائمة ، بل ظافرة ـــ والدول العربية . حتى الاراضي الفلسطينية التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران ١٩٦٧ ، بالاضافة الى سيناء والجولان ، (اي الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، والحمه) اعتبرها القرار ضمنا من اراضي الدول العربية المتاخمة لاسرائيل ، اي الاردن ومصر وسوريا ، وليس من الوطن الفلسطيني ، كما انه اعتبر اهالي تلك الاراضي الفلسطينية المحتلة جزءا من شعوب تلك الدول العربية . ان كلمة فلسطين لم ترد في قرار مجلس الامن اطلاقا ، لا كصفة لارض ولا كصفة لشعب ولا كصفة لافراد . وان ما حل بالشعب الفلسطيني وبوطنه قبل عام ١٩٦٧ اعتبر امرا واقعا ، وطولبت الدول العربية بالاعتراف باسرائيل على الرغم منه كله .

رب قائل يقول : ان قرار مجلس الامن طالب باجراء « تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين »،

وبالتالي فهو لم يغفل قضية فلسطين وابنائها اغفالا كاملا . الا ان هذا القول مردود لاسباب عديدة ، أهمها ما يلي :

(١) ان التركيز في القرار ، سواء في ديباجته او في الفقرة التنفيذية الاولى منه ، قد انصب على موضوعي الانسحاب الاسرائيلي والاعتراف العربي الكامل باسرائيل، اللذين ربطهما القرار معا ودعاهما مبدأي السلام في الشرق الاوسط. اما الاشارة الى اللاجئين فقد وردت في اطار « الاجراءات الاضافية » التي راى مجلس الامن ان من الضروري اتخاذها كخطوات لاحقة من اجل تركيز السلام . والواقع ، ان قضية اللاجئين لم تتمتع بالاولوية في جدول « الاجراءات الاضافية » تلك ، بل سبقتها الى المقام الاول قضية حرية الملاحةفي الممرات المائية في المنطقة !

(٢) لم يتحدث قرار مجلس الامن — في الجملة الوحيدة التي اشار فيها الى « مشكلة اللاجئين » — عن « اللاجئين الفلسطينيين » ، بل عن « اللاجئين » بصورة عامة . ولقد أشار أكثر من مسؤول اسرائيلي ، في أكثر من مناسبة ، الى ان اسرائيل تنظر الى عبارة « مشكلة اللاجئين » كعبارة تضم اللاجئين الفلسطينيين و« اللاجئين اليهود » الذين جاؤوا الى اسرائيل من البلدان العربية ، وان « التسوية العادلة » المنشودة هي تسوية لمشكلة الفريقين معا وليست تسوية لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين فقط .

(٣) وعبارة « التسوية العادلة » لمشكلة اللاجئين وردت هكذا — مطاطة ودون تحديد . ففي حين ان كافة القرارات السابقة التي صدرت عن الجمعية العامة وعن مجلس الامن نفسه كانت تشير بوضوح تام الى عودة اللاجئين الذين يختـــارون العودة ، والى التعويض عن ممتلكات اللاجئين الذين لا يختارون العودة وعن الخسائر في ممتلكات اللاجئين العائدين — فان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تجنب الاشارة الى العودة واكتفى بعبارة « التسوية العادلة » . ولا يحتاج المرء الى كثير من سوء الظن ليتكهن بأن التفسير الذي سيقدم في المستقبل لتلك العبارة — اذا ما قدر للقرار ان يسير في طريق التنفيذ — سوف يتجه نحو اجراء « التسوية العادلة » عن طريق التعويض المالي على الممتلكات وليس عن طريق العودة .

(٤) واخيرا ، فان تقليص قضية الشعب الفلسطيني الى مستوى قضية لاجئين هو في حد ذاته تنكر لحقوق الشعب الفلسطيني ولوجوده كشعب . فاللاجئون — اي لاجئين — ليسوا شعبا بل مجموعة افراد ، وتسوية « مشكلتهم » — حتى اذا كانت « تسوية عادلة » ، بل حتى اذا كانت بالعودة — ليست حلا لقضية الشعب في حد ذاتها ولا هي علاج لقضية اغتصاب وطنه وزرع المستوطنين فيه واقامة دولة دخيلة لاولئك المستوطنين على ترابه .

٣ — المواقف العربية من قرار مجلس الامن :

في هذه المقارنة السريعة بين وثائق — او جرائم — نوفمبر الثلاث ، من عدة زوايا ، تبين لنا أن احدثها كان أوقحها ، واكثرها تجنيا ، واشدها خطرا . الا ان المقارنة لا تكون كاملة ان لم تتم من زاوية اخرى — هي زاوية رد الفعل العربي .

فلقد أثار وعد بلفور موجة من السخط العربي الاجماعي في كافة ارجاء العالم العربي . واستثار مشروع التقسيم اجماعا عربيا على رفضه ومقاومته. اما القرار الاخطر والاكثر وقاحة وتجنيا فلقد استقبله العالم العربي — بشعوبه وحكوماته — بانقسام في الصفوف واختلاف على التقويم ، حتى بلغ الامر ببعضهم حد التطلع الى تنفيذ ذلك القرار وكأنه المطلب العربي الاقصى !

فعلى الصعيد الشعبي ، توهـــم البعض — او اوهموا — بانه قرار يقضي بانسحـــاب

اسرائيلي فقط ، وتجاهل الكثيرون — او لعلهم جهلوا — انه يقضي ايضا بتحطيم جدار الرفض العربي لاسرائيل ، وباقامة عهد جديد من القبول العربي بها والاقرار بشرعيتها المزعومة ، كما يقضي بتصفية القضية الفلسطينية تصفية نهائية . وبناء على هذا الوهم (او الايهام) والجهل (او التجهيل) انبرت اصوات تدعو الى تنفيذ قرار مجلس الامن وكأنه بركة على القضية العربية .

عبثا نقول : ان المسؤول عن هذه الفوضى الفكرية في صفوف الامة العربية على الصعيد الشعبي — والمسؤول عن معالجتها وتصحيحها — هي اجهزة الاعلام العربية الرسمية او الموجهة او الخاضعة . لان تعمد اجهزة الاعلام الرسمية في اكثر من بلد عربي حجب صورة قرار مجلس الامن الحقيقية عن الاعين والاذهان ، هو جزء من سياسة الاستسلام المتمثلة في القبول بقرار مجلس الامن بل وفي التلهف على تنفيذه .

خلافا لوعد بلفور ولمشروع التقسيم ، ان قرار مجلس الامن ، الذي لم يثر في الجماهير العربية ما يستحقه من رفض ومقاومة ، قد وجد على صعيد الحكومات العربية تمزقا وتفتتا ، ولقي لدى عدد منها استجابة ايجابية . **وخلافا للعرف ، فان المسؤولين العرب الذين تمسكوا بالحق الفلسطيني وبالكرامة العربية ورفضوا القرار واستنكروه ، ما لبثوا ان وجدوا انفسهم في حرج تجاه الذين قبلوه (بدلا من العكس) ، فاتجه بعض الرافضين نحو القبول مسايرة للقابلين بالقرار ، ولاذ البعض الآخر بالصمت كي لا يحرج الذين قبلوا به . وفي الوقت عينه ، كان في تمسك البعض الاخر بالرفض قسط من المزايدة كما كان في تمسك اخرين بالرفض رغبة في الاحراج . الى ان انتهى الامر بأن أصبح الرفض الصادق الثابت موقف الاقلية الصغيرة في صفوف الحكام العرب .**

٤ — اوهام وذرائع :

يتضح مما مر بنا ذكره ان قرار مجلس الامن يقضي باجراء عملية مقايضة . هكذا ، بكل بساطة ، يتلخص جوهر القرار . انها عملية مقايضة تتخلى اسرائيل بموجبها عن المناطق التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧ ، لقاء تخلي الدول العربية عن موقف الرفض الذي لازم الامة العربية منذ نشأة القضية طوال نصف قرن ، واستبداله بانشاء حالة سلام طبيعية في المنطقة تقوم على الاعتراف بشرعية الوجود الاسرائيلي دون تحفظ ، وتصفى في اطارها القضية الفلسطينية تصفية نهائية .

ان هذه المقايضة تتناقض ، من الجهة الواحدة ، مع فلسفة الامم المتحدة ونصوص ميثاقها ، كما تتناقض من الجهة الاخرى مع الحق والكرامة العربيين .

فبالنسبة لميثاق الامم المتحدة ، ان مثل هذه المقايضة معناها ، بابسط عبارة ، مكافأة المعتدي على عدوانه ، او رشوة المعتدي لحمله على التخلي عما حصل عليه بالعدوان . واقرار مبدأ المقايضة على هذا النحو في قرار رسمي صادر عن مجلس الامن انما هو سابقة خطيرة تهدد اركان صرح المنظمة الدولية ومبدأ سلطان القانون في العلاقات الدولية . وما كانت الامم المتحدة لتتخذ مثل هذا القرار — السابقة ، لولا ان الاسرة الدولية كانت قد وصلت الى طريق مسدود في محاولتها لمعالجة آثار العدوان الاسرائيلي اثناء الدورة الاستثنائية الخاصة التي عقدتها الجمعية العامة بعيد انتهاء الحرب (والتي سقطت فيها جميع مشاريع القرارات المطروحة ، وبينها المشروع السوفياتي ومشروع دول عدم الانحياز والمشروع اللاتيني ، بينما سحبت امريكا مشروعها قبل الاقتراع عليه) ، ولولا ان الاتحاد السوفياتي وامريكا وجدا في المشروع البريطاني (المقدم بعد ذلك الى مجلس الامن) ارضا مشتركة تلتقي عليها مصالحهما ومطالبهما في المنطقة — كما ذكرنا من قبل .

وكذلك ، فان التناقض واضح بين احكام القرار وبين الموقف العربي التقليدي الذي تبلور منذ نشوء القضية . واذا رحنا نتلمس اسباب الموافقة الفورية التي اعلنتها مصر والاردن فور صدور القرار ، والتي جارتها فيها عدة دول عربية بعد ذلك ، وجدنا ان هذه الموافقة سببها اخر الامر عاملان اثنان — هما : « الانانية القطرية » ، و « الواقعية اليائسة » . وكل سبب اخر قدمته اية حكومة او هيئة عربية لتفسير موافقتها على القرار انما كان ذريعة وتمويها .

(١) قرار مجلس الامن كان دغدغة مكشوفة للانانية القطرية . لقاء استرجاع مصر لسيناء ، او استرجاع سوريا للجولان (وهو الوعد الذي يدندله القرار كالطعم في السنارة) يطلب القرار من مصر ومن سوريا الاعتراف لاسرائيل بحق الوجود كدولة سيدة في ما كانت قد احتلته من فلسطين قبل عام ١٩٦٧ ، والاعتراف بذلك « الحق » المزعوم دون شروط او قيود . وحين يعرض القرار على سوريا استرجاع ارض سورية لقاء تنازلها نهائيا لاسرائيل عن اراض فلسطينية ، او حين يعرض على مصر استرجاع ارض مصرية لقاء تنازلها نهائيا لاسرائيل عن اراض فلسطينية ، فهو يعرض على الاردن استرجاعها ارضا فلسطينية (هي الضفة الغربية) لقاء تنازلها نهائيا عن اراض فلسطينية اخرى .

والاستجابة لهذا العرض ، من قبل مصر والاردن ، فور صدور القرار ، انما كانت فوزا لمنطق الانانية القطرية على منطق الولاء القومي والاخاء القومي . ولا يمكن التهرب ، امام التاريخ ، من مسؤولية هذه الحقيقة .

ولا بد لنا من ان نقول ان سلطة التنازل عن اي ارض عربية لا يملكها اي شعب عربي ، او اي جيل من اجيال الامة العربية . بل ان الشعب الفلسطيني لا يملك سلطة التنازل عن ارض فلسطين — ناهيك عن اي شعب عربي اخر ، او اية حكومة عربية اخرى — لان ارض كل قطر في الوطن العربي هي ملك الامة العربية جمعاء على امتداد اجيالها مدى التاريخ . وبالتالي ، فان ادعاء اي قطر من الاقطار العربية بحق مقايضة مصير جزء من الارض العربية بمصير جزء اخر انما هو اعتداء على تراث الامة العربية جمعاء وعلى حقوق اجيالها المتعاقبة في كامل التراب العربي ، فضلا عن كونه اعتداء على حقوق ابناء الجزء المتنازل عنه .

ولو شئنا جدلا ان نجد عذرا للذين قبلوا بمبدأ المقايضة ، في القول بان اغراء استرجاع الارض القريبة كان اقوى من واجب التمسك العنيد بحق الاشقاء ، وحق الامة باسرها ، في الارض المجاورة (لا سيما وانه كان قد مضى على احتلال هذه عشرون عاما) ، لوجب علينا في الوقت عينه ان ننوه الى **ان مثل هذه المقايضة تنم عن قصر نظر بالنسبة للمصلحة القطرية نفسها فضلا عن كونها غير مشروعة من حيث المبدأ** . لان العدو الطامع بالتوسع القليمي في الاراضي المجاورة وبالسيطرة الاقتصادية والسياسية على المنطقة باكملها لن يردعه الرضوخ لمطالبه (في الاعتراف العربي وفي اقامة حالة سلام دائم وعلاقات طبيعية مع الدول العربية) عن المضي في سعيه لفرض سيطرته على ارادة ابناء المنطقة ، **وانما من المحتم ان يزيده الرضوخ العربي طمعا وشهوة في السيطرة وايمانا بقدرته على بلوغها .**

ان قبول مبدأ مقايضة شرم الشيخ بحيفا ، مثلا ، او العريش ببئر السبع ، من قبل من لا يملك حق التصرف بحيفا او ببئر السبع — وقبول مبدأ مقايضة نابلس بالناصرة ، من قبل من لا يملك حق التصرف لا بهذه ولا بتلك — فضلا عما ينطوي عليه من تطاول على حقوق الشعب الفلسطيني صاحب الحق الاصيل في حيفا وبئر السبع والناصرة ونابلس ، ينطوي ايضا على نظرة خاطئة الى ديناميكية شهوة التوسع والسيطرة وطرق مجابهتها .

اذ ان الغامض الغريزي لن يلبث ان يكتشف ان المعتصب الذي تم التنازل له عن حيفا لقاء برم الشيخ سوف تزداد شهوته لاعادة سيطرته على شرم الشيخ حتى لو استجيبت مواته منها !

هذا بالنسبة لمنطق « الانانية القطرية » القصير النظر . واما منطق «الواقعية اليائسة» فأمره واضح . **اذ لولا اليأس من القدرة على تطبيق المبدأ القائل ان « ما اخذ بالقوة لا يستعاد الا بالقوة » لما مال احد الى القبول بالمبدأ القائل ان « ما اخذ بالقوة قد يستعاد بالمفاوضة » .**

ولكن ، لو ان جزءا من الجهد ، الذي صرف طوال السنوات الخمس الماضية على الركض اللاهث وراء اتمام صفقة المفاوضة ــ لو ان جزءا من ذلك الجهد صرف على تعزيز القوة النضالية الذاتية في الامة العربية ، وفي كل قطر من اقطارها ، وعلى بناء المؤسسات الفاعلة (لا التظاهرية) الكفيلة بتعبئة الجماهير وتعزيز استعدادها العفوي للصمود والتضحية والفداء ، ولتحمل الاحتلال الى ان تكتمل القدرة على التحرير ، مهما طال الزمن ــ لو ان ذلك حدث ، او لو انه جرى الشروع فيه ، لما كانت الواقعية المسيطرة على الاذهان الرسمية هي واقعية اليأس ، بل لاصبحت واقعية الثقة المستندة الى الوعي الكامل بطاقات هذه الامة وامكاناتها .

* * *

ان الذين حدا بهم هذان العاملان ــ الانانية القطرية ذات النظر القصير ، والواقعية اليائسة ــ الى الموافقة على قرار مجلس الامن ، كان لا بد لهم من تبرير موافقتهم هذه امام جماهيرهم والجماهير العربية عامة ، ولو بالتضليل !

وقد اتخذ التضليل الرسمي للجماهير العربية عدة اشكال ، اهمها ترويج الادعاءات والحجج الآتي بيانها :

(١) الايحاء بان قرار مجلس الامن يقتصر فقط على دعوة اسرائيل للانسحاب . وقد اشرنا الى هذا الباطل في جزء سابق من هذا المقال .

(٢) القول بان القرار لا ينص على وجوب « اعتراف » الدول العربية باسرائيل ، وان كلمة « اعتراف » ذات المدلول الواضح والدقيق في القانون الدولي وفي العرف الدبلوماسي لم ترد في القرار اطلاقا ، لا في نصه الانكليزي ولا في نصه الافرنسي (وهما النصان الرسميان للقرار) . وهذا القول صحيح من حيث الشكل ، لان عبارة « الاعتراف » لم ترد في نص القرار ، ولكن ما ورد فيه بالنسبة لهذا الامر ، وما جعله القرار شرطا ملازما لشرط الانسحاب وعنصرا مرافقا له ، هو اوسع واكثر شمولا من مجرد الاعتراف الدبلوماسي بالمعنى المتعارف عليه . ففي الفقرة الثانية من الديباجة ، اقترن اعلان مبدأ « عدم جواز حيازة الاراضي عن طريق الحرب » بمبدأ اقامة « **سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة ان تعيش بأمان** » . ونصت الفقرة التنفيذية الأولى على مبدأين قالت ان تحقيق السلام العادل والدائم في الشرق الاوسط « **يجب ان ينطوي على تطبيقهما كليهما** » . وكان اول هذين المبدأين هو المتعلق بالانسحاب الاسرائيلي . اما المبدأ الثاني فهذا نصه الكامل :

« انهاء كل ادعاء بقيام حالة حرب ، وكل حالة حرب . واحترام السيادة ، والسلامة الارضية ، والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة ، والاقرار بها . وكذلك احترام حق كل دولة في ان تعيش بسلام ، ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، وحقها بان تعيش في مأمن من استعمال القوة او التهديد بذلك ــ والاقرار بهذه الحقوق » . فاذا كان القرار لم ينص على وجوب اعتراف الدول العربية بالحكومة الاسرائيلية ، فانه قد نص على

« فما هو اذن وجه التشويه في « السياسة المرحلية » التي ذاع امرها اخيرا ؟

« وجه التشويه ان ثمة نوعين من المرحلية ، وقد اختاروا هم النوع الخاطىء ، وتوهموا انه النوع الصحيح بل والوحيد .

« ان المرحلية التي يتاح لها ان تبلغ غرضها هي **المرحلية التصاعدية** . هي التي تبني في كل مرحلة على ما شيدته في المرحلة السابقة ، وتمهد في كل مرحلة لما ستبنيه في المرحلة اللاحقة .

« واما المرحلية التي نودي بها اخيرا ، **فمرحلية مغلقة** : المرحلة الاولى فيها تنفي المراحل اللاحقة وتبطلها — بدلا من ان تمهد لها الطريق ، وتفسح لها مجال التنفيذ ، وتوفر لها شروط التطبيق . هذه المرحلية المغلقة « تطوق » نفسها تطويقا تاما في سياج المرحلة الاولى ، لانها تكتفي بالخطوة الاولى وتعلن مسبقا انها لن تمضي بعدها في المسير نحو الهدف الاخير .

« انها تقنع بتصغير مساحة الارض التي اغتصبتها اسرائيل ، تصغيرا جزئيا ، لقاء التخلي نهائيا عما تبقى من حقنا كله بفلسطين ، ولقاء الاعتراف باسرائيل ، ولقاء عقد الصلح معها .

« ليس شعار هذه المرحلية الزائفة : « خذ الان ما تستطيع اخذه ، وتهيأ في الوقت عينه لتأخذ غدا ما تبقى » . وانما شعارها : « **اكتف بما تستطيع اخذه بل وبأقل منه ، وتنازل لخصمك منذ الان والى الابد عما تبقى لك !** »

« ليس شعارها : « صارع للحصول دفعة فدفعة على حقك ، الى ان تبلغه اخر الامر كاملا غير منقوص ، وفق خطة محكمة » . وانما شعارها : « **ساوم للحصول على قسط ضئيل من حقك ، وتخل ، لقاء هذا القسط الضئيل ، عن حقك باكمله !** »

« ليست هذه مرحلية التخطيط ، وانما هي مرحلية التفريط .

« ليست هذه مرحلية النمو والتقدم ، وانما هي مرحلية الجمود ، بل الانكفاء .

« ليست هذه مرحلية الامل ، وانما هي مرحلية اليأس .

« ليست هذه مرحلية الصراع ، وانما هي مرحلية الاستسلام .

« ليست هذه سياسة المراحل المتراكمة التصاعدية ، وانما هي سياسة المرحلة الواحدة الوحيدة ، التي تنتهي عندها آفاق الامل كله ، وتتوقف الرؤيا عند حدودها القريبة ، وتنحبس الاحلام في سياجها الضيق الخانق ! » .

تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية

عصام سخنيني

في الثامن والعشرين من شهر أيـــار (مايو) ١٩٦٤ عقد المجلس الوطني الفلسطيني الاول الذي أعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية (م. ت. ف.) بحيث « تكون هذه المنظمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني في نضاله من اجل تحرير وطنه في جميع الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية وسائر ما تتطلبه قضية فلسطين على الصعيدين العربي والدولي » . وبحيث يكون « الفلسطينيون جميعا اعضاء طبيعيين في م.ت.ف... والشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة » كما نصت المادة ٢٦ من الميثاق القومي الفلسطيني والمادة ٤ من النظام الاساسي لـــ م. ت. ف. على التوالي . ومنذ ذلك التاريخ دخلت قضية تمثيل الشعب الفلسطيني مرحلة نزاع جدي ، بعد ان كان هذا الموضوع في حال نسيان تامة على مستوى عربي او تجاهل متعمد ، واذا اثير مرة فهو لا يخرج عن نطاق المعالجة الروتينية في مجالس الجامعة العربية ، كما كان خافت الصوت او غير مبلور في تصورات محددة على صعيد شعبي فلسطيني . وهذا النزاع كان قطبه الاول المنظمة التي تؤكد انها الممثل الوحيد والشرعي لشعب فلسطين والناطقة باسمه والمجسدة لكيانه الوطني ، وقطبه الآخـــر اطراف متعددة ، مختلفة الدوافع ، متناقضتها احيانا ، ترفض دعوى المنظمة وتسعى الى انتزاع حق تمثيل الشعب الفلسطيني من يدها وتجييره الى جهات أخرى . وإذا كان هذا النزاع ظل هذه لا يمثل خطرا جديا على قضية الشعب الفلسطيني فانه بعد مجازر أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، اثر التراجع العسكري الذي منيت به المقاومة في الاردن ، اصبح محوره هذه القضية من الاساس : المحافظة عليها او تصفيتها نهائيا . وقد وصل هذا النزاع الى قمته المرحلية في حادثين هما في التحليل النهائي متكاملان : الاول قيام سلطات الاحتلال الاسرائيلي باجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية المحتلة بقصد خلق ممثلين منتخبين للشعب الفلسطيني يكتسب الحوار معهم صفة شرعية . والحدث الثاني اعلان الملك حسين عن مشروعـــه الرامي الى ما سماه المملكة العربية المتحدة باقليميهـــا الاردني والفلسطيني بهدف تكريس تمثيل النظـــام الهاشمي للفلسطينيـــين وايجاد المفـــاوض الفلسطيني (من بين الفلسطينيين المتعاونين مع الملك) الذي يكون قادرا بحكم تمثيله الرسمي للفلسطينيين على الدخول في ميدان المساومات الدولية ومن ثم تقديم التنازلات المطلوبة على طريق تصفية القضية الفلسطينية . من هنا يكتسب موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني خطورة خاصة يجري في ظلها اعادة التأكيد على شرعية تمثيل م. ت. ف. للشعب الفلسطيني وعلى حقها في النطق باسمه والتعبير عن طموحاته الوطنية ، وفي الوقت نفسه مقاومة كل ادعاء يحاول ان ينتزع من م. ت. ف. هذا الحق . وفي هذه المقالة ، ولمناسبة العودة الى موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني الذي يتخذ الدعوة الى صيغ مختلفة جديدة لتاكيد هذا التمثيل ، سنستعرض كيف توصلت المنظمة الى هذه

الشرعية مطورين البحث بدءا من تمثيل فلسطين في جامعة الدول العربية قبل قيام المنظمة، مرورا بالمحاولات الرامية الى اعادة بناء الكيان الفلسطيني وهو موضوع متلاحم مع قضية تمثيل الشعب الفلسطيني ، ثم قيام المنظمة واكتسابها شرعية التمثيل الفلسطيني .

فلسطين في جامعة الدول العربية

جاء تمثيل فلسطين في جامعة الدول العربية استنادا الى ما نص عليه ميثاق الجامعة في الملحق الخاص بفلسطين على انه « نظرا لظروف فلسطين الخاصة والى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في اعماله » . ولهذا فقد أصدر مجلس الجامعة في ١٩٤٥/١٢/٤ قرارا في هذا الشأن نص على ان تمثل فلسطين بمندوب واحد أو أكثر بحيث لا يزيد عدد أعضاء الوفد عن ثلاثة ويكون مفهوما ان اشتراك الوفد الفلسطيني معناه ان يكون له حق التصويت في قضية فلسطين وفي الامور التي يستطيع ان يلزم فلسطين بتنفيذها ويكون المندوبون ممن ترشحهم الهيئة العربية العليا(١). وقد وافق مجلس الجامعة على اختيار موسى العلمي ثم الحاج امين الحسيني ليكونا مندوبين لفلسطين . وقد تغير هذا الوضع قليلا بعد العام ١٩٤٨ . ففي ١٩٤٨/٩/٣٠ عقد في مدينة غزة مؤتمر فلسطيني دعا اليه بعض الشخصيات الفلسطينية واعلن في ختام جلساته نظاما مؤقتا بتأليف حكومة عموم فلسطين من مجلس وطني ومجلس وزراء ومجلس أعلى . وقد اعترفت الدول العربية المؤسسة للجامعة ـ باستثناء الاردن ـ بهذه الحكومة . وفي ١٩٥٠/٣/٢٧ أصدر مجلس الجامعة قرارا بدعوة حكومة عموم فلسطين لارسال ممثليها لحضور اجتماعات مجلس الجامعة. غير ان الحكومة التي لم تمارس اعمالها قط انصرف وزراؤها الى شؤونهم الخاصة ثم استقالوا فأصدر مجلس الجامعة قرارا في ١٩٥٢/٩/٢٣ ينص على انه « نظرا لتوقف أعمال حكومة عموم فلسطين بسبب الظروف الراهنة يكون رئيس الحكومة ممثلا لفلسطين في جامعة الدول العربية »(٢). وقد استمر أحمد حلمي باشا رئيس الحكومة في تمثيل فلسطين الى ان وافته المنية في العام ١٩٦٣ ، وفي ١٩٦٣/٩/١٥ اتخذ مجلس الجامعة في دور انعقاده الاربعين قرارا بتعيين احمد الشقيري ممثلا لفلسطين خلفا لاحمد حلمي باشا .

كانت تلك مرحلة في موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني ، وقد اتسمت بالملامح التالية :

١ ـ ان قضية التمثيل لم تكن فاعلة مؤثرة ولم تؤخذ على محمل الجد وانما كانت وفاء رمزيا للقطر الذي سلب. وان حصر التصويت للوفد الفلسطيني « في الامور التي يستطيع ان يلزم فلسطين بتنفيذها » تعتبر أكثر من طرفة ما دام القطر الفلسطيني واقعا تحت الانتداب البريطاني في البداية ثم تحت الاحتلال الاسرائيلي فيما بعد .

٢ ـ كانت حكومة عموم فلسطين بحكم عوامل ذاتية تتعلق بأشخاص القائمين عليها ، وبحكم عوامل عربية متعددة تريد لهذه الحكومة ان تبقى ضئيلة الحجم هامشية التأثير ، كانت الحكومة غير قادرة على ان تتجاوز المهمة التي أوكلت اليها في هذا المجال وهي التمثيل الرمزي لفلسطين*.

---

* نستطيع ان نتلمس حجم هذه الحكومة من قراءة مشروع ميزانيتها للسنة المالية من ١٩٦٤/٧/١ الى ١٩٦٥/٦/٣٠ فقد كانت كما يلي (بالجنيهات المصرية في السنة): ٧٨٠ راتب السكرتير العام القائم بأعمال الحكومة، ٦٠٠ راتب المستشار ، ٦٠٠ راتب مدير الجوازات ، ٦٠٠ راتب مدير الشؤون الاجتماعية ، ٣١٢ راتب مساعد مدير المحاسبة ، ٣١٢ راتب مساعد مدير الجوازات ، ٣١٢ راتب كاتب الارشيف والالة الكاتبة ، ٢٧٦ راتب سائق سيارة الحكومة ، ١٤٤ راتب الفراش ، ١٤٤ راتب الحارس ، ١٠٨ راتب المراسل ، ٩٦ تلفونات وبرقيات ، ١٢٠ مطبوعات ونفقات نثرية بما فيه علاوة غلاء المعيشة ، ٣٥٢ اجرة دور الحكومة. والمجموع ٤٨٦٤ جنيها(٣).

٣ ــ ان شعب فلسطين لم يكن مخاطبا بهذا التمثيل . أ ــ حكومة عموم فلسطين لم يكن لها مساس بحركة الشعب الفلسطيني حتى انها كانت حكومة لا علاقة لها بالسياسة . ب ــ لم يكن لدى الفلسطينيين مؤسسات تنظيمية خاصة بهم قادرة على فرز مندوبين يمثلونهم أو على الاقل يطالبون بهذا التمثيل . جـ ــ ان الشعب الفلسطيني لم يكن يعامل كشعب ذي كيان مستقل وانما كانت قضاياه تطرح بصفتها مشاكل لاجئين تحل من خلال حكومات الدول العربية المضيفة او وكالة الغوث الدولية .

٤ ــ مع هذا التمثيل الرمزي كانت الحكومة الاردنية تحارب حكومة عموم فلسطين بهدف الاجهاز على كل دليل مهما كان هذا الدليل هزيلا يشير الى الوجود الفلسطيني المستقل. فالنظام الاردني كان يتمسك بادعاء حق تمثيل الفلسطينيين بعد أن ضم اليه البقية الباقية من فلسطين ــ باستثناء غزة والحمة ــ اثر مؤتمر عقده بعض الوجهاء الفلسطينيين في اريحا في العام ١٩٤٨ برعاية من الهاشميين وبدفع منهم وبعد ان منح النظام المواطنين الفلسطينيين في الاردن الجنسية الاردنية .

الكيان الفلسطيني قبل المنظمة

في الشتات فقد الفلسطينيون كيانهم السياسي الموحد نتيجة فقدان الارض وتمزق الشعب وغياب المؤسسات الفلسطينية القادرة على التنظيم والقيادة . غير انه منذ اواخر الخمسينات بدأ الحديث يرتفع على اكثر من صعيد عن «بعث الكيان الفلسطيني» بتعبير، و« اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني » بتعبير آخر . ونقدم فيما يلي ثلاثة نماذج قدمت على ثلاثة اصعدة مختلفة تتعلق بهذا الموضوع :

١ ــ مجلة « فلسطيننا » والكيان الفلسطيني :

في العام ١٩٥٩ بدأت مجلة « فلسطيننا » في الظهور في بيروت وقد عرف فيما بعد ان حركة فتح هي التي كانت تشرف على سياستها واصدارها . وكانت بعض مقالات هذه النشرة تذيل بتوقيع «فتح» او « ف ت ح » . وقد اهتمت المجلة بالدعوة الى بعث الكيان الفلسطيني « فالكيان مطلب اساسي من مطالبنا نحن عرب فلسطين المشردين ... والكيان حق شرعي لنا »(٤). وقد اعطت المجلة صفات لهذا الكيان فهو ضمان حرية العمل من اجل استرداد الوطن(٥) وهو « نابع من ضمير شعبنا ونكبته وخيمته البالية ، وشعبنا رفض ولا يزال يرفض كافة انواع الوصايات اكانت من الدول العربية او غيرها. ان الشعب الفلسطيني يؤمن ببعث هذا الكيان الحر غير التابع وغير الخاضع وغير الموجه »(٦).

غير ان الاعداد القليلة من المجلة التي تسنى لنا الاطلاع عليها ، تجعلنا نعتقد ان هناك حوارا كان يدور بين المشرفين على سياسة المجلة بحثا عن ماهية هذا الكيان ، وعن الطريق المؤدي الى بعثه . وهو حوار مبرر في تقديرنا ، فالعمل الفلسطيني الذي كان يبحث له عن شخصية مستقلة كان يتلمس طريقه ، ولم يرس له بعد في تلك الفترة من الزمن تقاليد ثابتة ، او يضع تصورات محددة . ففي احد اعداد المجلة نلمح الدعوة الى اقامة الكيان على الجزء الذي لم يغتصب من فلسطين « ان هناك اقساما عربية من فلسطين ، وعلى هذه الاقسام ينبغي ان نشيد صرح حكم وطني فلسطيني ثوري قيادي »(٧). وتكرر المجلة هذا المعنى اكثر من مرة وتطالب « بحكم وطني في ارض فلسطين الباقية »(٨). ويرافق هذه الدعوة مطالبة « بحكومة وطنية ترعى مصالحنا في داخل البلاد العربية حاليا على الاقل ... ولا نطلب من الحكومات العربية الا ... ان تمنحنا الفرصة لكي نشكل حكومة وطنية حرة »(٩). واحيانا ، ومن ضمن الحوار الداخلي ايضا ، تضع المجلة هذه الحكومة موضع تساؤل فتكتب « قد يتساءل انسان لماذا لا نعلن قيام حكومة ثورية باسم فلسطين وتكون باسمها وتشرف هي على انشاء الجهاز

الفدائي ؛ انني لا اؤمن بقيام حكومة قبل وجود واقع لها ، لهذا يجب ان لا يعلن قيام حكومة حرة لفلسطين الا بعد نجاح الحركة الفدائية في اثبات وجودها »(١٠). اما طريقة اخراج هذا الكيان الفلسطيني الى حيز الوجود فـ « فلسطيننا » طرحت الثورة طريقا لذلك « الثورة لتحقيق كيان ثوري على غرار الكيان الجزائري »(١١)، بيد اننا نقرأ في موضع آخر ان « الكيان [المتمثل في حكم وطني في الاقسام العربية في فلسطين] سيحقق انطلاقة الثورة »(١٢). وباجمال ، فان المجلة كانت تعمق خط بعث الكيان الفلسطيني ، وتبحث عن ماهيته وطريقة اخراجه .

٢ ــ مشروع حكومي عراقي :

مقابل هذا الحوار الداخلي على صعيد فلسطيني شعبي نشرت الحكومة العراقية في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٦٣ مشروعا « لابراز الكيان الفلسطيني » ويقوم هذا المشروع على التصورات التالية (١٣): ١ ــ يقسم الفلسطينيون المقيمون في كل من قطاع غزة والضفة الغربية وسوريه ولبنان والعراق وحيثما توفر عدد كاف من الفلسطينيين الى دوائر انتخابية تنتخب كل منها ممثلا عنها . ٢ ــ يجتمع الممثلون الفلسطينيون في مجلس وطني فلسطيني وينتخبون حكومة فلسطين . ٣ ــ تقيم حكومة فلسطين علاقات سياسية مع كافة الاقطار العربية التي ستعترف بها وتكون مهمة ممثليات هذه الحكومة تنسيق العمل مع الحكومات العربية من اجل تحرير فلسطين . ٤ ــ توضع خطة عربية لاستعادة فلسطين تشارك فيها الحكومة الفلسطينية وكافة الدول العربية المهتمة بتحرير فلسطين . ٥ ــ تتولى حكومة فلسطين وممثلوها خارج الوطن العربي الدعوة لقضية فلسطين وتمثيل شعبها في كافة المؤتمرات والمحافل والمناسبات الدولية . ٦ ــ تقوم حكومة فلسطين بتأليف جيش التحرير الفلسطيني الذي تتعهد الحكومات العربية بمسؤولية تدريبه وتسليحه ضمن خطة تعبوية موحدة تستهدف استعادة فلسطين وتحريرها . ٧ ــ يكون مقر حكومة فلسطين في اي قطر عربي تراه مناسبا وبموافقة حكومة ذلك القطر .

٣ ــ الجامعة العربية وتنظيم الشعب الفلسطيني :

بدأ اهتمام الجامعة العربية بموضوع اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني يبرز منذ العام ١٩٥٩ وسنذكر فيما يلي اهم القرارات المتعلقة بهذا الشأن :

بناء على توصية من وفد ج. ع. م. اصدر مجلس الجامعة في دورة آذار (مارس) ١٩٥٩ التوصية التالية « اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وابراز كيانه شعبا موحدا يسمع العالم صوته في المجال القومي وعلى الصعيد الدولي وبواسطة ممثلين يختارهم الشعب الفلسطيني » غير ان مجلس الجامعة في دورة ايلول (سبتمبر) ١٩٥٩ والذي انعقد في الدار البيضاء على مستوى وزراء الخارجية لم يبحث امر تنظيم الشعب الفلسطيني بصورة جدية لمعارضة الوفد الاردني الذي كان برئاسة هزاع المجالي ، وقد استمرت معارضة الاردن لتنظيم الشعب الفلسطيني اثناء اجتماع اللجنة السياسية للجامعة التي انعقدت في شباط (فبراير) ١٩٦٠ . وفي آب (اغسطس) ١٩٦٠ اجتمع مجلس الجامعة في شتوره في لبنان وعاد الى بحث القضية الفلسطينية فقرر اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وابراز كيانه شعبا موحدا وانشاء جيش فلسطيني في الدول العربية المضيفة . وفي حزيران (يونيو) ١٩٦١ اجتمعت لجنة خبراء كان قد شكلها الامين العام للجامعة من ممثلين عن ج. ع. م. ولبنان والاردن والسعودية ، اجتمعت في مقر الجامعة ورأت بدلا من ان تنشىء كيانا فلسطينيا جديدا ان توصي بدعم حكومة عموم فلسطين ماديا وسياسيا(١٤). وفي ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٣ عقدت الدورة الاربعون لمجلس الجامعة واختير احمد الشقيري ممثلا لفلسطين وعهد اليه بمهمة القيام باستشارات مع

ممثلي شعب فلسطين لتشكيل حكومة عموم فلسطين جديدة وطلب منه كذلك زيارة العواصم العربية المختلفة لدراسة الوسائل التي ستضعها الدول العربية تحت تصرفه من اجل انجاز هذا الواجب(١٥).

مؤتمرا القمة الاول والثاني وقيام م. ت. ف.

في الفترة من ١٣ — ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤ عقد مؤتمر القمة العربية الاول وحضر الشقيري المؤتمر بصفته ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية . وفي ختام المؤتمر صدر بيان تضمن ما يلي « ان مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية . . . قياما بواجب الدفاع المشترك وايمانا بحق الشعب العربي الفلسطيني المقدس في تقرير مصيره والتحرر من الاستعمار الصهيوني لوطنه . . . قد اتخذ القرارات العملية اللازمة لاتقاء الخطر الصهيوني الماثل سواء في الميدان الدفاعي او الميدان الفني او ميدان تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره »(١٦). وقد كان القرار المتعلق بتنظيم الشعب الفلسطيني يقضي في « ان يستمر السيد احمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الاعضاء والشعب الفلسطيني بغية الوصول الى اقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره »(١٧). وفي ١٩٦٤/٢/١١ بدأ الشقيري اتصالاته فاجتمع في القاهرة بالدكتور محمود فوزي ، وزير خارجية ج. ع. م. ، وعرض عليه الخطوط العريضة لمشروع الكيان الفلسطيني وما يتعلق بجوانبه السياسية والعسكرية والمالية(١٨). وفي ١٩٦٤/٢/١٩ بدأ جولته في الدول العربية ليناقش مع شعب فلسطين والحكومات العربية مسودة ميثاق قومي فلسطيني وتأسيس منظمة تحرير يقوم عليها الكيان الفلسطيني(١٩). وقد اذاع الشقيري في القدس في ١٩٦٤/٢/٢٤ مشروعا من ٢٩ مادة لميثاق قومي فلسطيني تقوم عليه المبادىء الاساسية لتحرير فلسطين وقال انه سيدعو الى عقد مؤتمر وطني فلسطيني يوم ١٤ ايار (مايو) المقبل في القدس لطرحه عليه(٢٠). وقد زار الشقيري في جولته الاردن وسوريه والبحرين وقطر والعراق والكويت ولبنان والسودان وانتهت الجولة في ١٩٦٤/٥/٤ . ولدى وصوله الى القاهرة اعلن انه عقد نحو ٣٠ مؤتمرا مع الشعب الفلسطيني التقى خلالها مع آلاف منهم وشرح لهم الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الاساسي لمنظمة التحرير(٢١). وفي ١٩٦٤/٤/١٥ قدم الشقيري تقريرا مفصلا عن مباحثاته مع الحكومات العربية وشعب فلسطين الى لجنة المتابعة (التي انبثقت عن مؤتمر القمة وتضم ممثلين عن الملوك والرؤساء العرب) في جلستها الثانية التي عقدت في القاهرة . وقد اثبت التقرير ان شعب فلسطين هو الاساس الذي يقوم عليه الميثاق القومي ومنظمة التحرير ، ودور الحكومات العربية سيكون محدودا في مساعدة شعب فلسطين في خلق هذا الكيان . وبعد ذلك فان الكيان الفلسطيني سيملك استقلاله بنفسه وسوف يتعاون مع الدول العربية الاخرى داخل الجامعة وخارجها(٢٢). واعلن الشقيري في ختام تقريره ان المؤتمر الفلسطيني سوف ينعقد في القدس في ١٩٦٤/٥/٢٨ « كائنة ما تكون الظروف والمصاعب »(٢٣). وفي المؤتمر المذكور افتتح في القدس المؤتمر الفلسطيني الاول الذي حضره ٣٨٨ ممثلا منهم ٢٤٢ من الاردن و١٤٦ من سوريه ولبنان وغزة والخليج العربي والعراق اختارتهم لجان تحضيرية من الفلسطينيين في هذه الاقطار(٢٤) وفي جلسة العمل الاولى انتخب الشقيري رئيسا للمؤتمر بالاجماع فأعلن ولادة م. ت. ف. مجسدة للشخصية الفلسطينية وتحول المؤتمر الى مجلس وطني للمنظمة واختتم اعماله في ١٩٦٤/٦/٢ بعد ان اقر الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الاساسي للمنظمة والنظام الاساسي للصندوق القومي .

وفي ١٩٦٤/٩/٥ عقد الملوك والرؤساء العرب مؤتمر قمتهم الثاني في الاسكندرية ، وفي

سادس أيام المؤتمر تركزت المناقشات حول الكيان الفلسطيني وم. ت. ف. وجيش التحرير الفلسطيني(٢٥). وفي ١٩٦٤/٩/١١ صدر بيان ختامي عن المؤتمر ورد فيه ان المجلس « رحب بقيام م.ت.ف. دعما للكيان الفلسطيني وطليعة للنضال العربي الجماعي لتحرير فلسطين واعتمد قرار المنظمة بانشاء جيش التحرير الفلسطيني »(٢٦). وبذلك تم الاعتراف العربي الرسمي بالمنظمة ممثلة للكيان الفلسطيني والشعب الفلسطيني .

. . .

هل كان قيام م. ت. ف. بقرار من جامعة الدول العربية ومؤتمر قمتها ؟ ان هناك رايا شاع طويلا يقول ان المنظمة كانت نتاجا لسياسة القمة وواحدة من مؤسسات الجامعة. بل يذهب هذا الرأي الى ابعد من ذلك فيدعي ان قيام المنظمة كان حركة التفافية على الجماهير الفلسطينية قامت بها الانظمة العربية قاصدة تطويق الجماهير واجهاض حركتها الثورية بتقديم بديل رسمي تتجمد به او من خلاله هذه الحركة وتتلهى عن تنمية ذاتها . ويتطرف بعض هذا الرأي ويتجاهل احيانا وقائع التاريخ فيقول « ان هذه المنظمة انشئت في مرحلة بداية العمل الفدائي في اواخر العام ١٩٦٤ ، وذلك لمنع التفاف الجماهير حول ذلك العمل التاريخي وتحويله الى ثورة تحريرية عارمة ... وكان المطلوب من المنظمة التي تفتقت عنها عبقرية الانظمة العربية ان تقف بوجه العمل الفدائي»(٢٧). ان ما نريد ان نثبته هنا ، من خلال ما توفر لدينا من معطيات ، موضوعة ذات شقين الاول ان المنظمة لم تنشأ بقرار من جامعة الدول العربية والشق الثاني ان **فكرة** المنظمة كمجسدة للكيان الفلسطيني وجدت لدى طرحها استجابة واسعة في صفوف الفلسطينيين وتقبلا منهم . لكن ذلك لا ينفي ان ضعف التنظيمات السياسية الشعبية الفلسطينية في ذلك الوقت قد افقد المنظمة قدرا كبيرا من الفعالية وحرية الحركة .

لقد لاحظت ليلى القاضي بحق ان ما جاء في بيان القمة الاولى حول تنظيم الشعب الفلسطيني انما كان موافقة على قرار سابق كان قد اتخذه مجلس الجامعة في دور انعقاده الاربعين ١٩٦٣/٩/١٥ الذي أوكل الى الشقيري مهمة الاتصال مع الشعب الفلسطيني والحكومات العربية لاعادة تنظيم الشعب الفلسطيني(٢٨) ويتأكد هذا الامر في صيغة القرار الذي اتخذته القمة الاولى في هذا الشأن فهو يطلب من الشقيري « الاستمرار » في مهمته : وكما اشرنا في موضع سابق ابتدأت الجامعة العربية في بحث تنظيم الشعب الفلسطيني في العام ١٩٥٩ ، غير ان اية من قرارات الجامعة لم ينفذ منذ ذلك . فيحق لنا ان نستنتج اذن ان قرار القمة العربية بتنظيم الشعب الفلسطيني كان لا بد ان يلاقي المصير نفسه الذي لاقته القرارات السابقة المماثلة التي اتخذتها الجامعة العربية لولا عوامل سنتعرض لها بعد قليل . ويقوى هذا الاستنتاج ان موضوع الكيان الفلسطيني وتنظيم شعب فلسطين لم يكن مطروحا بشكل جدي أمام مؤتمر القمة ونستطيع أن ندعي ان هذا الامر ظل هامشيا في ذلك المؤتمر :

١ — ان الدعوة التي وجهها الرئيس الراحل جمال عبدالناصر الى عقد مؤتمر للقمة العربية في خطاب القناه في بورسعيد في ٦٣/١٢/٢٣ قصدت الى بحث تحويل اسرائيل لمجرى نهر الاردن ومواجهة التحويل . فقد اكد عبدالناصر انه « حتى نجابه اسرائيل اللي تحدتنا الجمعة اللي فاتت واللي رئيس اركان حربها وقف وقال ان احنا حنحول المية غصب عن العرب ، باقول لا بد ان يتم اجتماع للملوك والرؤساء العرب في اسرع وقت »(٢٩). وقد تأكد هذا القصد في المذكرة التي قدمتها وزارة خارجية ج.ع.م. الى الدول الاعضاء في الجامعة العربية ، فقد جاء في هذه المذكرة « ان الجزء الاخير من هذا الخطاب [خطاب عبدالناصر المشار اليه] قد حوى الدعوة الى اجتماع رؤساء الدول العربية لبحث الموقف الذي ينبغي ان تواجه به المؤامرة الاسرائيلية لتحويل مجرى الاردن »(٣٠). وقد اعطيت الافضلية في جدول اعمال مؤتمر القمة للوسائل التي ينبغي

اللجوء اليها لمنع اسرائيل من تحويل مياه الاردن لصلحتها(٢١).

٢ ــ اذن فان قضية فلسطين او شعب فلسطين لم تكن هم المؤتمر الاول ، ووفقا للشقيري نستطيع ان نستخلص ان بحث موضوع الكيان الفلسطيني لم يكن مقصودا لذاته في اجتماعات القمة فالجلسة التي بحث فيها هذا الموضوع كانت جلسة العمل الاولى في وقت لم تكن قد نضجت فيه المحادثات او تم فيه اي اتفاق . يقول الشقيري « في هذه الجلسة لم يكن عند الملوك والرؤساء ما يبحثونه . . . وازاء ذلك لم يجد الرئيس العراقي المشير عبد السلام عارف (الذي كان رئيسا للمؤتمر) بدا من ان يقول اذن نبحث قضية فلسطين ولنستمع الى ممثل فلسطين »(٢٢).

٣ ــ ومع هذا البحث ، فان الملوك والرؤساء العرب لم يكونوا متفقين على ماهية الكيان الفلسطيني وطبيعته واهدافه . فمن خلال النقاش الذي دار في المؤتمر ظهر ان بعض المجتمعين كان يرفض الكيان فقد اصر الملك حسين على الا تظهر في القرار كلمة الكيان الفلسطيني ، والبعض الاخر لا يرى فائدة للكيان بدون ارض وانه يجب اعطاء الضفة الغربية وقطاع غزة الى الكيان الفلسطيني (الرئيس السوري امين الحافظ) وآخر يريد انشاء حكومة لفلسطين (الملك سعود)(٢٣) كما ان الرئيسين الحبيب بورقيبة واحمد بن بيللا تقدما بمشروع لانشاء جبهة تحرير وطنية(٢٤) اما ج.ع.م. فقد كانت تريد ان يكون الكيان منبرا اعلاميا فقط(٢٥).

وقد تكرست هذه المواقف فيما بعد عندما بدا الشقيري اتصالاته لانشاء المنظمة ثم بعد قيامها مباشرة . فعشية انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني صرح فيصل بن عبد العزيز ، رئيس وزراء السعودية آنذاك ، لصحيفة « البلاد » في جدة بأن « كل عربي ومسلم يريد الكيان الفلسطيني ولكن على ان لا يفرض واحد على هذا الكيان . ليجتمع الفلسطينيون في كل قطر يكونون فيه ولينتخبوا ممثلين منهم وتشكل من الممثلين هيئة تنتخب من بينها هيئة تنفيذية وهذه تدعى الكيان الفلسطيني »(٢٦). وصبيحة المؤتمر المذكور كتبت صحيفة « البعث » السورية تقول « اننا ونحن نرحب بكل لقاء يتم بين ابناء فلسطين نود ان ننبه الى خطورة النتائج التي تنجم عن كل محاولة تستهدف تحويل لقاء القدس الى مجلس وطني او صيغة نهائية للكيان . لقد قرر الرؤساء والملوك العرب تكليف السيد الشقيري بمهمة استطلاع الاراء المختلفة لابناء فلسطين والحكومات العربية حول افضل الوسائل لابراز الكيان الفلسطيني ليقوم برفعها الى مؤتمر القمة العربي في شهر آب القادم ، ولذلك فاننا نرحب بلقاء القدس كفرصة تتيح للسيد الشقيري ان يعرض آراء عدد من الفلسطينيين يجب ان تعرض على مؤتمر القمة المقبل »(٢٧). وفي اجتماع لجنة متابعة مقررات القمة في ١٩٦٤/٦/١٥ ، اي بعد قيام المنظمة ، عارض طاهر رضوان ، المندوب السعودي في اللجنة المذكورة ، مقررات المؤتمر الفلسطيني في القدس وانشاء كيان فلسطين ، كذلك عارض منصور الاطرش ، المندوب السوري في اللجنة ، مقررات مؤتمر القدس واتهم الشقيري بتجاوز السلطات التي خولته اياها مؤتمر القمة العربي(٢٨). وفي اثناء مؤتمر القمة الثاني استمرت المعارضة السورية ففي مذكرة الوفد السوري الى المؤتمر والمؤرخة في ١٩٦٤/٩/١٠ نقرأ « لا بد لحركة التحرير النضالية ان تقوم على حيز مكاني معين لا تشغله الا الاستعدادات الفعلية لمعركة التحرير وان يكون لهذه الحركة سلطة مدنية قائمة وقوة عسكرية منظمة للعمل في اللحظة الحاسمة. ان الارض والجيش والسلطة اسس ثلاثة لظهور حركة التحرير كمنظمة جديدة من لحم ودم وارادة نضال »(٢٩) ولقد تعمدنا اختيار موقف العربية السعودية وموقف سوريه من جملة مواقف الدول العربية لانهما كانا يمثلان سياسيا طرفي نقيض ، فاولاهما موغلة في مواقفها السلبية العربية والثانية متصلبة في تصديها للقضايا العربية .

٤ ــ نتيجة لهذه المواقف المتناقضة فان مؤتمر القمة لم يكلف الشقيري بانشاء كيان

فلسطيني او اقامة منظمة فلسطينية ويلاحظ ان قرار المؤتمر وبيانه لم يتضمنا تعبير الكيان الفلسطيني . والشقيري نفسه يقر بأنه « تجاوز » المهمة التي أوكلت اليه فيقول « قرار الملوك لم يخولني انشاء الكيان الفلسطيني اطلاقا ... وكانت مهمتي في الواقع الاتصال والدرس ومن ثم تقديم تقرير الى مؤتمر القمة الثاني المزمع عقده في الاسكندرية في شهر آب ١٩٦٤ ، ولكني خشيت ان انفذ هذا القرار فقد كانت آراء الدول العربية متباينة بشأن كيفية تشكيل الكيان الفلسطيني واختصاصاته وكانت آراء التجمعات الفلسطينية متباينة كذلك ... وكان المفروض ان ابرز هذه التناقضات في تقرير اقدمه الى الملوك والرؤساء في اجتماعهم في الاسكندرية وانا اعلم ان مصير هذا التقرير هو احالة الموضوع الى الحكومات العربية مرة اخرى لمزيد من الدرس كما كان الحال لسنين عديدة مضت ... ولهذا فقد عزمت ان اضع الحكومات العربية والشعب الفلسطيني أمام الامر الواقع فأدعو الى مجلس وطني ... لينظر في الميثاق والنظام الاساسي ويعلن قيام م. ت. ف. وتشترك بعد ذلك في مؤتمر الملوك والرؤساء باسم م. ت. ف. لا تحت اسم ممثل فلسطين في الجامعة العربية »(٤٠).

وهناك حدث أعقب قيام المنظمة ببضعة عشر يوما يعضد ما ذهبنا اليه من أن المنظمة لم تنشأ بقرار من مؤتمر القمة وانما كان اعتراف القمة الثانية بها تكريسا لواقع اصبح موجودا . فقد وجهت الجامعة العربية دعوة رسمية الى م. ت. ف. للاشتراك في الاجتماع الذي عقد يوم ١٩٦٤/٦/١٧ في دمشق داخل نطاق الجامعة لبحث شؤون اقامة اللاجئين في الدول العربية وقد رئس هذا الاجتماع سيد نوفل ، الامين العام المساعد للجامعة ، وحضره بالاضافة الى المنظمة ممثلون عن مصر وسوريه ولبنان والاردن(٤١) وقد كان حضور المنظمة ذلك الاجتماع اول اعتراف رسمي بها من قبل الجامعة العربية .

واذا كانت جامعة الدول العربية لم تنشىء هي المنظمة فمن الذي انشأها اذن ؟ ان الشيء الثابت لدينا ان فكرة بعث الكيان الفلسطيني في اوائل الستينات لم تكن غريبة عن الاوساط الفلسطينية بل كانت تتفاعل بينهم وان كانت ليست عالية النبرة . وقد سبق وعرضنا ما طرحته مجلة « فلسطيننا » من دعوة حثيثة لابراز الكيان الفلسطيني . وفي الفترة التي نتحدث عنها كانت ترتصف على الساحة الفلسطينية سبع وثلاثون منظمة فلسطينية ، سرية وعلنية ، صغيرة وكبيرة ، عاطفية وعلمية ، منظمة وفوضوية تتوزع في البلاد العربية كلها(٤٢). وان كان لهذا الامر من معنى فهو علامة واضحة على ان الفلسطينيين كانوا يبحثون عن ذاتهم ، عن شخصيتهم المستقلة ، عن ابراز كيان وطني فاعل مؤثر في الاحداث . ويتأكد هذا الامر في أن مسألة تنظيم الشعب الفلسطيني التي ابتدأ الشقيري البحث فيها اثر مؤتمر القمة الأول وجدت استجابة عريضة في صفوف الفلسطينيين واعتبرت بادرة ايجابية . فقد اعتبر الاتحاد العام لطلبة فلسطين في بيان سياسي اصدره في غزة في ١٩٦٤/٢/٢٧ « ان التزام الدول العربية في مؤتمر الذروة بتحقيق فكرة الكيان نقطة بداية يجدر بالثوريين الفلسطينيين ان ينطلقوا منها » . كما أصدر المكتب السياسي للقوى الثورية الفلسطينية للعمل الموحد [يضم جبهة التحرير الفلسطينية « ج. ت. ف. » ، الجبهة الثورية لتحرير فلسطين ، جبهة التحرير الوطني الفلسطينية ، تكتل الفدائيين الفلسطينيين ، جبهة التحرير العربية لفلسطين ، المنظمة القومية للتحرير] اصدر بيانا في ١٩٦٤/٥/٢٤ اكد فيه انه « لا بد من وجود كيان فلسطيني ثوري يكون طريق التحرير ويتولى قيادة العمل الفلسطيني نحو التحرير »(٤٤). وفي ٦٤/٣/١٥ صدر بيان مشترك في بيروت عن حركة القوميين العرب واتحاد طلاب فلسطين وجبهة التحرير الفلسطينية — طريق العودة شرح تصور هذه المنظمات للكيان الفلسطيني واكد أن تنظيم الشعب الفلسطيني لتأدية دوره امر تحتمه طبيعة المعركة

القادمة(٤٥). واعتبرت حركة القوميين العرب أن « مقررات مؤتمر الذروة المختصة بالكيان الفلسطيني تفتح الباب امام فرصة جديدة للنضال في سبيل العودة ولترفع مستوى هذا النضال الى مرحلة جديدة وكان موقف العناصر والقوى الثورية الفلسطينية موقفا ايجابيا رمى بثقله نحو العمل على انجاح مشروع الكيان والخروج به الى صيغة ثورية تستطيع ان تكون في مستوى المطامح الفلسطينية »(٤٦). واعتبر الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني قرارات القمة العربية « فرصة تاريخية متاحة لشعب فلسطين لتنظيم كيانه »(٤٧). وكانت جبهة التحرير الفلسطينية قد اصدرت في ١٩٦٤/١/١٠ بيانا في مناسبة انعقاد القمة الاولى طالبت فيه بالاعتراف بالشخصية الفلسطينية وبحق الشعب الفلسطيني بأن يكون طليعة العمل الثوري المسلح لاسترداد الوطن السليب(٤٨).

تعمدنا ذكر هذه الامثلة المطولة بقصد اظهار هذا التيار الذي اخذ يتصاعد منذ أوائل الستينات ويدعو الى ابراز الشخصية الفلسطينية . وقد كان خلف ذلك التيار عدة روافد ابرزها في تقديرنا خيبة الامل العظيمة التي حملها معه الانفصال بين اقليمي ج.ع.م. في العام ١٩٦١ للفلسطينيين . فقد كانت وحدة الاقليمين ، كحد ادنى ، والوحدة العربية الشاملة كهدف منشود ، وما ينتج عن ذلك من اقامة جيش قوي موجد، اساسا بنى عليه الفلسطينيون آمالهم واحلامهم في تحرير وطنهم . وبالانفصال انتاب الشك الجماهير الفلسطينية في جدوى انتظار الوحدة . وهكذا بدأ البحث عن عمل فلسطيني ذي شخصية مستقلة يتعامل من خلاله الشعب الفلسطيني مع قضيته مباشرة ودون توسط . وقد عزز هذا الاتجاه نحو « الفلسطينية » الخلافات التي كانت تستحكم في العالم العربي ، ففي نهاية العام ١٩٦٣ كانت جميع الدول الاعضاء في الجامعة العربية ــ باستثناء لبنان والكويت والسودان وليبيه ــ يمسك بعضها بخناق البعض الاخر(٤٩) وقد زاد هذا الخلاف الفلسطينيين اقتناعا بأن اعتمادهم على هذه الدول المتصارعة لن يخدم قضيتهم. وجاء انتصار ثورة الجزائر في العام ١٩٦٢ ونيلها استقلالها من فرنسه قولا فصلا في هذا الموضوع برهن عمليا على ان شعبا ممسكا بزمام قضيته بيديه قادر على تحقيق مطامحه الوطنية .

ورغم ان هذا التيار الرامي الى بعث الكيان الفلسطيني وتأكيد الشخصية الفلسطينية في العمل الوطني كان اخذا في التصاعد ، الا انه لم يكن مبلورا في مفاهيم واضحة وتصورات محددة ، وان اي استعراض للنقاش* الذي دار حول الكيان الفلسطيني الذي ابتدأ مع

---

* كان ذلك النقاش يجري من خلال البيانات التي اصدرتها القوى السياسة والاتحادات الفلسطينية .وقد اشرنا قبل قليل الى نماذج منها ونذكر ايضا بيان جبهة التحرير الفلسطينية (نشرته الحوادث في ١٩٦٤/٥/٨) وبيان حركة الشباب العربي الفلسطيني في لبنان في ١٩٦٤/٣/٢٤ (الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤) وبيان الهيئة العربية العليا حول الكيان الفلسطيني في ١٩٦٤/٢/٢٤ (المصدر نفسه) ومشروع القيادة القومية لحزب البعث في سورية حول الكيان الفلسطيني في ١٩٦٤/٥/٢٠ (الوقائع العربية ، نيسان ــ حزيران ١٩٦٤ ــ الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١) . كما اتخذ هذا النقاش صياغة الاجتماعات والاتصالات التي كان يقيمها الشقيري ، وقد كتب غسان كنفاني في المحرر (٦٤/٤/٦) ان « الشقيري بدأ في بيروت اتصالاته على صعيدين : الصعيد الاول هو صعيد الخلية الاجتماعية حيث كان يصرف ساعات كثيرة في الاتصال المباشر بوفود الفلسطينيين القادمين من مختلف المخيمات والطبقات، يستمع اليهم ويخطب فيهم ويحدد مفهوم الكيان الذي يريد ويستمع منهم الى مفهوم الكيان الذي يريدون . اما الصعيد الثاني فكان صعيد المناقشات والمباحثات مع ما صار يعرف بأنه القوى الثورية ، التي اتصل بها الشقيري ... انها مجموعات المنظمات السرية والعلنية والمنظمات النقابية ومجموعة من المثقفين المستقلين المختصين بالقضية الفلسطينية » . وقد اكد الشقيري (في مقابلة خاصة في ٧٢/٥/١١) أن هذه القوى التي اشار اليها كنفاني هي في الاساس فتح وحركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية .

جولة الشقيري في العالم العربي يظهر لنا انه بمقدار ما كان هناك تأكيد على ضرورة بعث الكيان الفلسطيني كان هناك في المقابل غموض في كيفية ابرازه وفي التعرف على شكله العتيد . لقد كان جوهر النقاش هو التساؤل والبحث عن كيفية انشاء المؤسسات المعبرة عن الكيان وعن كيفية اداء هذه المؤسسات لمهماتها — بختلف ابعادها — .

وما نلاحظه هنا ان الشقيري كان قد طرح تصورات معينة لكيفية انشاء هذه المؤسسات المعبرة عن الكيان قبل أن يصبح ممثلا لفلسطين في الجامعة العربية . فهو قد عرض على لجنة الخبراء في الجامعة في تموز ١٩٦٢ مشروعا للكيان الفلسطيني يقوم على اساس الدعوة لمجلس وطني يمثل التجمعات الفلسطينية ، تنبثق عنه جبهة وطنية لقيادة الشعب الفلسطيني تكون لها اختصاصات عسكرية وسياسية وتنظيمية واعلامية ومالية وتحدد صلتها بالجامعة العربية(٥٠) . ولدى تعيينه ممثلا لفلسطين في الجامعة اوضح تصوره للكيان فخاطب الدورة الاربعين لمجلس الجامعة بقوله « لقد قيل ان الكيان الفلسطيني يهدف الى غرضين أولهما سلخ الضفة الغربية واقامة حكومة فلسطينية ، وثانيهما ان تتخلى الدول العربية عن قضية فلسطين ، وكلا الامرين باطل من اساسه ... الكيان الفلسطيني يهدف الى ان يصبح اهل فلسطين قوة وطنية عاملة تسهم في تحرير فلسطين »(٥١) . وبعد ان كلفه مؤتمر القمة الاول مهمة الاتصال بالشعب الفلسطيني أوضح الشقيري « بصورة قاطعة ان تنظيم الشعب الفلسطيني لا بد ان يعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني وان تنضوي تحت لوائه كل المنظمات والهيئات الفلسطينية وان يكون مفتوحا امام المواطنين جميعا »(٥٢) . وكان الهيكل العام للكيان كما فكر فيه الشقيري هو « مجلس وطني يمثل الجمعيات الفلسطينية ، تنبثق عنه لجنة تنفيذية تقود النضال الفلسطيني وكتائب فلسطينية تجسد النشاط العسكري الفلسطيني وصندوق قومي لتمويل الحركة الفلسطينية ومكاتب في العواصم العربية وجهاز اعلامي للدعوة للقضية الفلسطينية »(٥٣) . وهو هيكل تحقق تفصيلا في م . ت . ف .

بهذا التصور المعين للمؤسسات المعبرة عن الكيان ، قام الشقيري بدور مباشر في اخراجه الى حيز الوجود . ولسنا هنا في صدد تقييم شخصية الشقيري فان الحكم له او عليه يخرج عن نطاق بحثنا ، ولكن بحكم ما توفر لدينا من معطيات وبحكم التجارب السابقة التي مرت بها الجامعة العربية متخذة قرارات كادت ان تكون دورية تدعو الى تنظيم الشعب الفلسطيني ، يحق للباحث أن يستنتج ان قرار الملوك والرؤساء العرب بهذا الشأن كان لا بد ان يواجه ما واجهته القرارات المماثلة السابقة من حفظ في الملفات لو لم يستطع الشقيري ان « يستغل » الرخصة التي اعطيها من القمة الاولى ويجسد فكرته عن الكيان ، متجاوزا الصلاحيات التي عهد بها اليه الملوك والرؤساء واضعا هؤلاء في قمتهم الثانية امام امر واقع جديد سلموا به . وقد سهل مهمة الشقيري في خلق المؤسسة المعبرة عن الكيان ودفع بها الى الامام ذلك التيار الذي اشرنا اليه والذي كان ينقبل فكرة انبعاث الكيان الفلسطيني ويدعو اليه بحيث خلق ارادة فلسطينية عامة تجسمت تنظيميا في قيام م.ت.ف. كما ان القاهرة التي كانت حينذاك تمسك بيديها زمام العمل القومي العربي هيأت السبل أمام انبثاق الكيان « فقد كانت ج.ع.م. راغبة في انشاء الكيان اليوم قبل الغد » كما يقول الشقيري نفسه في كتابه من القمة الى الهزيمة (ص ٦٢) . وربما بسبب هذا التصور المعين للمؤسسات المعبرة عن الكيان الفلسطيني عانت المنظمة في فترة تأسيسها من افتقاد العلاقة التنظيمية بالجماهير الفلسطينية .

شرعية تمثيل م.ت.ف. للشعب الفلسطيني

محوران يقودان الى اقرار شرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني الاول الاعتراف

الرسمي بها والثاني اعتراف الشعب الفلسطيني بانها ممثلة وحيدة لارادته وناطقة باسمه .

اما الاعتراف الرسمي بها فقد جاء عربيا بعد قيام المنظمة مباشرة عندما تمثلت م.ت.ف (كما اشرنا في موضع سابق) في الاجتماع الذي عقد في دمشق لبحث شؤون اقامة اللاجئين الفلسطينيين في اطار الجامعة العربية بتاريخ ١٩٦٤/٦/١٧ . وقد تكرس هذا الاعتراف بترحيب مؤتمر القمة الثاني بقيام المنظمة . ومنذ ذلك التاريخ (ايلول ١٩٦٤) بدأت المنظمة تشارك في اعمال الجامعة العربية على مختلف مستوياتها بما فيها مؤتمرات القمة بصفتها ممثلة للشعب الفلسطيني .

ان هذا الاعتراف من قبل الجامعة العربية يضع المنظمة على قدم المساواة مع اي كيان عربي اخر ويعطيها على صعيد عربي حق النطق باسم الشعب الفلسطيني ويخولها مسؤولية الاشراف على حركته ما دام الاعتراف بالمنظمة يتضمن الاعتراف بميثاقها ، الذي هو بمثابة الدستور في الدولة ، والذي ينص على ان المنظمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني . وقد كان الاعتراف العربي بمسؤولية المنظمة عن حركة الشعب الفلسطيني يتوطد اثر كل ازمة كانت تمر بالمنظمة نفسها او بالمقاومة الفلسطينية . والازمات التي نعني هي التي كانت نتيجة نزاع بين المنظمة والمقاومة من جهة وبعض الانظمة العربية من جهة اخرى . وابرز مثلين على هذا الموضوع الازمات التي مرت بها المنظمة او المقاومة في كل من الاردن ولبنان وسنشير فيما يلي الى بعضها مهتمين بشكل خاص بجانب واحد هو قضية الاعتراف هذه .

لقد وقف الاردن منذ البداية موقفا معارضا لابراز الكيان الفلسطيني واحياء الشخصية الفلسطينية المستقلة . لذلك فقد كان امرا منسجما مع سياسة النظام الاردني العامة ان يضع العراقيل امام عجلة المنظمة ويعيق نشاطها في الساحة الاردنية . وقد وصل الامر في اوائل العام ١٩٦٦ الى شل كل نشاط فعلي للمنظمة بين الجماهير الفلسطينية في الاردن مما استتبع تفجر صراع سياسي واعلامي بين المنظمة والحكم الاردني . وقد كان نتيجة ذلك الصراع ان توصلت المنظمة الى عقد اتفاق مع الحكومة الاردنية اقر للمنظمة بحقها في الاشراف على حركة الشعب الفلسطيني في الاردن . وقد وقع هذا الاتفاق في القاهرة في الاول من اذار ١٩٦٦ في نهاية مباحثات بدأت في ١٩٦٦/٢/٢١ بين وفد من المنظمة برئاسة احمد الشقيري ووفد حكومي اردني برئاسة عبد الوهاب المجالي . وقد اقر هذا الاتفاق بأن « الموضوعات المتعلقة بمهمات المنظمة هي التجنيد الاجباري وكتائب جيش التحرير ومعسكرات التدريب الشعبي ومعسكرات الشباب والخطوط الامامية والتنظيم الشعبي والانتخابات وحرية الانتقال والسفر والتوجيه والاعلام والجباية الشعبية وضريبة التحرير »(٥٤) .

ونموذج اخر من تكريس مسؤولية المنظمة عن حركة الشعب الفلسطيني ذلك الذي تضمنه اتفاق عمان في ١٩٧٠/١٠/١٣ في اعقاب مجازر ايلول . فقد نص هذا الاتفاق على ان « الشعب الفلسطيني وحده متمثلا في الثورة الفلسطينية هو صاحب الحق في تقرير مصيره (وان) اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية هي المسيطرة والملتزمة والمسؤولة عن الثورة الفلسطينية سياسيا وعسكريا وفي كل الميادين الاخرى »(٥٥) واذا كان النظام الاردني قد مزق فيما بعد اتفاقية عمان بالاضافة الى اتفاقية القاهرة فان الذي يعنينا في هذه الاتفاقية انها اول وثيقة عربية تعتمد رسميا تربط بين الموضوعات التالية : الشعب الفلسطيني ــ الثورة الفلسطينية ــ منظمة التحرير الفلسطينية ــ حق تقرير المصير . ونرى ان هذا الربط ليس مخاطبا به الاردن فحسب وان كانت اتفاقية عمان قد عقدت في الاساس لتنظيم العلاقة بين المقاومة والنظام الاردني ، وانما يمتد اثره

عربيا ليشكل اساسا جديدا يحق للمنظمة ان تنطلق منه في التمسك بحقها في تمثيل الشعب الفلسطيني والنطق باسمه وبانها الجهة الوحيدة التي لها حق تقرير مصيره .

وهذا الافق العربي لاتفاقية عمان نستخلصه من الحيثيات التالية : ان هذه الاتفاقية عقدت استنادا الى اتفاقية القاهرة في ١٩٧٠/٩/٢٧ والاتفاقيتان تقرءان معا بحيث تعتبر اتفاقية عمان وثيقة تفصيلية لاتفاقية القاهرة التي هي في حقيقتها وبحسب المؤتمر الذي كانت الاتفاقية نتاجا له والتوقيعات التي حملتها ، اتفاقية بين عدد من رؤساء الدول العربية بالاضافة الى رئيس م. ت. ف. والملك حسين . ومن هنا فان اي نص في هذه الاتفاقية يلزم موقعيها بقدر متساو من المسؤولية تجاه جميع الموضوعات التي وردت فيها وكذلك الامر بالنسبة لاتفاقية عمان التي هي تكملة تفصيلية ، كما اشرنا لاتفاقية القاهرة . ويؤكد هذا الامر الاخير ان اتفاقية عمان جرى التوقيع عليها من قبل الباهي الادغم رئيس اللجنة العربية العليا للمتابعة التي تشكلت بقرار من رؤساء الدول العربية حسب اتفاقية القاهرة (المواد من ٦ — ١١ من الاتفاقية تبين كيفية تشكيل اللجنة ومهماتها وتسمية اعضائها)(٥٦) وقد طلبت اتفاقية القاهرة (المادة ٨) ان تقوم لجنة المتابعة باعداد وابرام اتفاق اسفر عن اتفاقية عمان . وقد جرى في اكثر من مناسبة تأكيد الدول العربية لالتزامها باتفاقيتي القاهرة وعمان (ما يهمنا هنا الربط بين الموضوعات الاربع التي اشرنا اليها) . فاثناء مفاوضات جدة بين م. ت. ف. والحكومة الاردنية كانت لجنة الوساطة السعودية — المصرية تنطلق في مساعيها من ورقة عمل مصرية — سعودية اقرت في ١٩٧١/٨/٨ في اجتماع عقد في القاهرة بين الرئيس انور السادات والسيد عمر السقاف،وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية. وكان اساس ورقة العمل هذه الالتزام باتفاقيتي القاهرة وعمان(٥٧) كما ان مؤتمر القمة العربي الطارىء الذي انهى اجتماعاته في ليبية في ١٩٧١/٧/٣١ اكد في بيانه الختامي تمسكه بالاتفاقيتين ودعمه لكل عمل من شأنه تنفيذهما(٥٨) .

واذا تأكد مثل هذا الاعتراف العربي بالمنظمة من خلال علاقاتها مع الاردن فسوف نمر بنموذج اخر من خلال علاقات العمل الفلسطيني بلبنان . لقد كان اعتراف الحكومة اللبنانية رسميا بالمنظمة استنادا الى جلسة عقدها مجلس الوزراء في تشرين الثاني ١٩٦٤ عندما وافق على فتح مكتب للمنظمة في لبنان « ومعاملة مديره المسؤول معاملة الممثلين الدبلوماسيين ومنحه الاعفاءات والحصانات التي يتمتع بها اعضاء السلك الدبلوماسي الاجنبي في لبنان » وجاء في حيثيات هذه الموافقة « ان مجلس رؤساء الدول العربية قد قرر في اجتماعه الاول المنعقد في القاهرة في شهر كانون الثاني ١٩٦٤ الاعتراف بالسيد احمد الشقيري ممثلا لفلسطين لدى جامعة الدول العربية وقرر في اجتماعه الثاني المنعقد في الاسكندرية في شهر ايلول ١٩٦٤ الاعتراف بـ م. ت. ف. واعتمادها ممثلة لشعب فلسطين »(٥٩) غير ان هذا التمثيل الدبلوماسي قد توطد فعلا واتخذ له مدلولا اكثر شمولا في اتفاقية القاهرة التي عقدت بين م. ت.ف. والحكومة اللبنانية في ١٩٦٩/١١/٣(٦٠) فقراءة نصوص هذه الاتفاقية تؤكد ان المنظمة ليست مسؤولة فقط عن ثورة الشعب الفلسطيني وانما هي ايضا تمثل مصالحه الحياتية وتكتسب حق رعاية هذه المصالح . فبالاضافة الى الامور العسكرية « تم الاتفاق على اعادة تنظيم الوجود الفلسطيني على اساس : ١ — حق العمل والاقامة والتنقل للفلسطينيين حاليا في لبنان ٢ — انشاء لجان محلية من الفلسطينيين في المخيمات لرعاية مصالح الفلسطينيين المقيمين فيها ... » .

هذا الاعتراف الرسمي العربي (الذي اكتسبته المنظمة) بحقها في تمثيل الشعب الفلسطيني ورعاية مصالحه كان يماشيه اعتراف عالمي ظهرت بوادره في مؤتمر دول عدم الانحياز الذي افتتح في القاهرة في ١٩٦٤/١٠/٥ . فقد كانت لجنة سفراء دول عدم

الانحياز قد قررت في ١٩٦٤/٩/٢٠ ان تكون م. ت. ف. ممثلة كمراقب في اجتماعات المؤتمر على ان تتولى ج. ع. م. بوصفها الدولة الداعية للمؤتمر توجيه الدعوة . وكان حضور المنظمة لذلك المؤتمر اول اعتراف عالمي بها(٦١).

وقد تكرر هذا الاعتراف بصيغ اخرى ابرزها على صعيد عالمي تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني في المؤتمر الرابع لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية ــ الاسيوية الذي عقد في ويلبا في غانا في الفترة من ٩ ــ ١٦ ايار (مايو) ١٩٦٥ حيث اعتبر المؤتمر م. ت. ف. ممثلة للشعب الفلسطيني في منظمة التضامن . وقد شغلت المنظمة عضوية سكرتارية منظمة التضامن اعتبارا من ١٩٧٠/١١/٩ بقرار من المجلس التاسع لمنظمة التضامن الذي عقد في طرابلس في التاريخ المذكور . وعلى صعيد اخر قرر مجلس السلم العالمي في رسالة وجهها الى المنظمة في ١٩٦٦/٢/١٥ اعتبار فلسطين عضوا فيه ومنذ ذلك التاريخ تمثل المنظمة الشعب الفلسطيني في جميع مؤتمرات هذا المجلس واجتماعاته(٦٢).

غير ان هذا الاعتراف الرسمي بشرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني ، على صعيد عربي واخر عالمي ، يظل غير ذي اهمية ان لم يكن الاساس فيه ان الشعب الفلسطيني هو الذي يمنح المنظمة حق تمثيله والنطق باسمه . وبدون هذا الشرط ــ الاساس تظل أية جهة قادرة على منازعة المنظمة هذا الحق واقتناصه منها . فالى اي مدى اقر الشعب الفلسطيني للمنظمة بحق تمثيله ؟

نشير في البداية الى ان الاسس التي قامت عليها المنظمة كما حددها ميثاقها هي « ان فلسطين وطن الشعب العربي الفلسطيني ... وان هذا الشعب هو صاحب الحق الشرعي في وطنه ... وان تحرير فلسطين يعيد الى الانسان الفلسطيني كرامته وعزته وحريته ... وان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ... وان الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الاول والاصيل في تحرير واسترداد وطنه » كما جاء في المواد ١ ، ٣ ، ١٧ ، ٩ ، ٢٩ من الميثاق الوطني الفلسطيني . وان اي نظرة شمولية الى تاريخ نضال الشعب الفلسطيني تثبت ان هذه المبادىء الاساسية هي تجسيد للامماني الوطنية لهذا الشعب وتعبير عن ارادته وبلورة لمسار حركته الوطنية .

وكون هذه المبادىء التي طرحتها المنظمة تعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني استتبع ان تقر جماهير الشعب للمنظمة بحق تمثيلها والنطق باسمها . غير ان علينا هنا ان نستدرك ونوضح مفهومنا لكلمة جماهير . فاننا نعني بهذا التعبير القوى المنظمة الفاعلة المنبثقة عن الجماهير نفسها والقادرة على التعبير عن مصالحها وطموحاتها وتجسيد حركتها نحو اهدافها . وان كل حديث يتناول الجماهير بتجريد ويسقط من حسابه هذه القوى المنظمة يظل حديثا غير مبني على اساس . فالجماهير العريضة غير المنظمة تبقى من ناحية عملية ، خاصة في ظل التشتت الفلسطيني ، غير قادرة على التعبير عن ارادتها عن غير طريق قواها المنظمة . وبسبب خضوع الفلسطينيين في شتاتهم وفي مواقعهم تحت الاحتلال ، لارادات غريبة عنهم مختلفة متناقضة وقاهرة في الاغلب ، فان تزوير ارادة هذه الجماهير العريضة ، اذا عزلت عن قواها المنظمة ، وتصويرها على غير حقيقتها ، ليس بالامر العسير حتى ولو كان التعرف على هذه الارادة عن طريق استفتاء «شعبي». ومن هنا نؤكد ان اعتراف الجماهير الفلسطينية بتمثيل المنظمة لها يتأتى من خلال اعتراف قوى الجماهير المنظمة الفاعلة بهذا التمثيل . وبطبيعة الحال ، فان هذا لا ينفي مطلقا ان تكون الجماهير العريضة قد اقرت بشكل او بآخر بمثل هذا الاعتراف غير ان مقاييسنا لدى الحديث عن القوى المنظمة تكون واضحة اكثر كما ان التعرف على آرائها

واتجاهاتها يكون اقرب الى الدقة*. وقوى الشعب الفلسطيني المنظمة التي نعنيها هنا هي : (١) الاتحادات الشعبية التي تمثل القطاعات الفئوية والمهنية من الشعب والتي هي مراكز تجمع استقطابي للعناصر النشطة الفاعلة من قطاعات العمال والطلاب والمراة والمعلمين والكتاب والصحفيين وذوي المهن الطبية والحقوقيين والفنانين والرياضيين ، و (٢) منظمات المقاومة التي تجسد حركة الشعب السياسية والقتالية .

لقد اعتبرت الاتحادات الشعبية م. ت. ف. ممثلة للكيان الفلسطيني ، والانظمة الداخلية للاتحادات تنص على انها قاعدة من قواعد المنظمة بتعبير ومن قواعد الثورة بتعبير اخر او الصيغتان تؤديان الى المعنى الواحد طالما فصائل الثورة تعتبر م. ت. ف. الاطار الذي يضم القوى الثورية) . وسنذكر فيما يلي امثلة على مواقف الاتحادات من المنظمة اخترناها في ازمنة متفاوتة بقصد اظهار ان هذه الاتحادات وتحت مختلف الظروف ظلت متمسكة باعتبار م. ت. ف. ممثلة للشعب الفلسطيني .

في ١٩٦٤/١١/٦ اصدر مؤتمر الاتحاد العام لطلبة فلسطين المنعقد في غزة قرارات اعلن فيها تأييده لقيام م. ت. ف. ودعا ابناء فلسطين الى الانضمام اليها كما قرر الاتحاد اعتبار نفسه جزءا من المنظمة . وجاء في قرارات المؤتمر الوطني الخامس للاتحاد نفسه الذي عقد في عمان بين ١٩٦٩/٧/٣١ — ١٩٦٩/٨/٦ ان المؤتمر يقرر التأييد الكامل لـ م. ت. ف. في وضعها الجديد على اعتبار انها تمثل جبهة وطنية لكافة المقاتلين والوطنيين من ابناء الشعب الفلسطيني،والالتزام بالميثاق الوطني الفلسطيني لـ م.ت.ف. وفي المؤتمر الاول للاتحاد العام لعمال فلسطين الذي عقد في غزة في ٦٥/٤/١٤ اكد الاتحاد في قراراته ان م. ت. ف. هي الممثلة الوحيدة لشعب فلسطين والقاعدة لنضاله. كما ايد المؤتمر قرار الهيئة التنفيذية السابقة للاتحاد الذي نص على ان الاتحاد قاعدة من قواعد المنظمة . وفي ٦٧/٤/٢١ صدرت قرارات المؤتمر الثاني للاتحاد الذي عقد في القاهرة واكدت القرارات ان م. ت. ف. هي رمز للكيان الفلسطيني وقائدة النضال نحو التحرير . وفي ١٩٦٦/١٢/٢ صدر النظام الاساسي لاتحاد الكتاب الفلسطينيين وقد نصت المادة الاولى منه على ان الاتحاد جزء لا يتجزأ من م.ت.ف. وفي ١٩٦٧/٩/٩ صدر بيان عن الاتحاد العام لعمال فلسطين والاتحاد العام لطلبة فلسطين والاتحاد النسائي الفلسطيني اعتبر وجود المنظمة انتصارا على التشريد والضياع والمزايدة وانتصارا لحق الشعب الفلسطيني في الوحدة والعمل من اجل الحياة على ترابنا الغالي.

اما بالنسبة لفصائل المقاومة والقوى السياسية والقتالية المنظمة للشعب الفلسطيني فقد بدأت مشاركتها رسميا في اعمال المنظمة في المجلس الوطني الفلسطيني الرابع الذي عقد في القاهرة في الفترة من ١٠ — ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ، غير انه اذا كان هذا التاريخ يمثل اسهام هذه الفصائل في المنظمة رسميا فاننا نستطيع ان نقول انها شاركت في اعمال

---

* نشير الى واحد من المقاييس التي تدل على موقف الجماهير العريضة من م. ت. ف. وهو مقياس رقمي محدد : لقد ذكر التقرير المالي السابع للصندوق القومي الفلسطيني المقدم الى المجلس الوطني الفلسطيني في تموز (يوليو) ١٩٧١ ان ايرادات م. ت. ف. قد بلغت خلال الفترة من ١٩٧٠/٧/١ الى ١٩٧١/٢/٢٨ مبلغ ١،٢٢٦،٥٧٧ دينارا اردنيا بالاضافة الى فوائد مقبوضة على اموال المنظمة من البنوك . وقد كان ٩٤٠٦٧٢ دينارا من اصل هذا المبلغ حصيلة ضريبة التحرير (وهي ضريبة يدفعها المواطن الفلسطيني الى المنظمة بنسبة تتراوح بين ٣ و ٦ بالمئة من دخله) ويضاف الى هذا المبلغ ٤٩٠٣ دنانير من حسميات موظفي المنظمة . ونستنتج من هذا ان نسبة ٧٣ بالمئة من ايرادات المنظمة قد تحققت من المواطنين الفلسطينيين ويضاف الى هذه النسبة جزء كبير من بابين اخرين للايرادات اوردهما التقرير وهما الجباية الموحدة في الاردن وفي الكويت التي كانت حصيلتها ٨٨٤٨٧ دينارا فجزء كبير من هذه الجباية يتاتى من المواطنين الفلسطينيين في هذين القطرين. وبذلك نستطيع ان نستخلص ان نحو ٨٠ بالمئة من ايرادات م. ت. ف. يتاتى من الفلسطينيين انفسهم .

النظمة منذ قيامها . فقد تكرت مذكرة لحركة فتح موجهة الى المؤتمر الثالث للرؤساء العرب في الدار البيضاء في اغلول (سبتمبر) ١٩٦٥ ما يلي « ان اتفاقنا مع حركة القوميين العرب ان تكون ايجابيين مع المنظمة واشتركنا في اجهزتها كما اشتركت سائر المواطنين الفلسطينيين »(٦٣) . وفي محاضرة القاها صالح شبل ، احد اعضاء حركة القوميين العرب ، في بيروت بتاريخ ٦٥/٥/٢١ قال « لم يعد سرا البادرة الايجابية التي قام بها الجهاز الفلسطيني في حركة القوميين العرب حين انخرط في صفوف المنظمة وانضوى تحت لوائها »(٦٤) . ويذكر الشقيري ان فتح وحركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية (ج . ت . ف) تمثلت في المجالس الوطنية التي عقدت قبل حزيران ١٩٦٧(٦٥) . غير ان هذا التمثيل للقوى الفلسطينية الذي كان الشقيري يصر على ان يكون شخصيا اكثر منه تمثيلا لقوى منظمة ، اتخذ له شكلا ارقى واكثر فعالية في المجلس الرابع ، الذي اشرنا اليه ، وهو اول مجلس وطني يعقد بعد حرب ١٩٦٧ . ولقد كانت اهمية ذلك المجلس في تقديرنا، بالاضافة الى اشياء اخرى ، ان قوى الشعب الفلسطيني المنظمة اصبحت هي التي تمثل الشعب داخل الاطر التشريعية والتنفيذية لـ م . ت . ف . واذا كان بعض فصائل المقاومة قد تحفظ في الاشتراك ببعض المجالس الوطنية التي اعقبت المجلس الرابع (الشعبية في المجلس الخامس والسادس ، الديمقراطية في الخامس ، التحرير العربية في السابع — هي نشأت بعد المجلس السادس) فان المجلس السابع الذي عقد في القاهرة في ايار (مايو) ١٩٧٠ ضم جميع الفصائل (الشعبية شاركت رمزيا) باستثناء جبهة التحرير العربية ، وقد تمثلت في المجلس التاسع (تموز ١٩٧١) جميع الفصائل ، الامر الذي استتبع انبثاق لجنة تنفيذية لـ م . ت . ف . تمثلت فيها جميع الفصائل الرئيسية (فتح ، الشعبية ، الديمقراطية ، الطلائع ، التحرير العربية) .

ان اشتراك فصائل المقاومة في الاجهزة التشريعية والتنفيذية لـ م . ت . ف . وموافقتها على ميثاقها (هي عدلته في المجلس الرابع لينسجم مع متطلبات المرحلة) يكسب المنظمة قوة تمثيلية لجماهير الشعب الفلسطيني تستمدها من اقرار مبدأ التمثيل وممارسته فعلا من جانب القوى المنظمة لهذه الجماهير . وقد اكدت هذه الفصائل هذا التصور في شكل واضح وصريح في البرنامج السياسي والتنظيمي للثورة الفلسطينية الذي وضعه المجلس الوطني الثامن في ٢/٢٨ — ١٩٧١/٣/٥ وتبناه المجلس التاسع (في تموز ١٩٧١) والذي جاء فيه « ان م . ت . ف . هي الممثل الوحيد لجماهير الشعب الفلسطيني بمختلف منظماته المقاتلة والسياسية وبجميع هيئاته وجمعياته مهما تكن اتجاهاتها وافكارها شريطة التزامها التام بمبادىء الميثاق الوطني الفلسطيني وقرارات الاجهزة التشريعية والتنفيذية لـ م . ت . ف . وبالبرنامج السياسي والعسكري واللائحة الداخلية للمنظمة »(٦٦) . وقد جاءت قرارات المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي عقد في القاهرة في الفترة من ٦ — ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٧٢ لتعضد تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني . وقد شارك في اعمال هذا المؤتمر ٥٣٤ عضوا — بالاضافة الى ١٥٤ عضوا هم اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني — يتوزعون على ١٦ قطرا عربيا و ٨ اقطار اجنبية ويضمون بين اعدادهم ممثلين عن ١٢ اتحادا ومؤسسة ومركزا بالاضافة الى ممثلي فصائل المقاومة . وقد كان من قرارات هذا المؤتمر « تظل م . ت . ف . هي القيادة السياسية العليا للشعب الفلسطيني وهي وحدها الناطقة باسمه في كل القضايا المصيرية وهي وحدها ومن خلال اجهزتها النضالية مسؤولة عن كل ما يتعلق بحق تقرير المصير بالنسبة للشعب الفلسطيني » و « ان م . ت . ف . هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، المعبر عن امانيه وارادته ، وانه لا يحق لاي كان ان يقرر بشأن فلسطين ، ارضا وشعبا غير ما يقرره الشعب الفلسطيني نفسه ممثلا في م . ت . ف . ووفقا لميثاقها والتزاما بتحرير كامل التراب الفلسطيني . وان اي اجراء او ترتيب او اتفاق يصدر عن اي مصدر آخر

انما هو حال من الشرعية كليا ويظل كذلك دوما »(٦٧).

هذه الشرعية التي اكتسبتها م. ت. ف. في تمثيل الشعب الفلسطيني تقودنا الى ابراز حقيقة **وحدة الشعب الفلسطيني** . فهو رغم تمزقه نتيجة احتلال اراضيه الى **تجمعات** متباعدة اضطرت الى الاقامة في أطر جغرافية سياسية منفصلة ، الا انه **موجود كشعب واحد** ذي هوية وطنية ومطامح قومية واحدة . وهذه الحقيقة نستخلصها من تمسك الفلسطينيين — في مختلف تجمعاتهم وتحت تباين الظروف السياسية والاجتماعية التي تخضع لها هذه التجمعات — بشخصيتهم الفلسطينية ورفضهم الاذابة في غيرهم من المجتمعات واستجابتهم السريعة لعملية بعث الكيان الفلسطيني التي عبروا عنها بخلقهم المؤسسات التي تجسد هذا الكيان ذا الشخصية المتميزة ، كما نستخلصها من هذا الامتداد التنظيمي الواسع لفصائل حركة المقاومة الفلسطينية الذي يغطي جميع الساحات التي يوجد فوقها فلسطينيون . وقد اكدت الامم المتحدة في عدد من قراراتها هذا الوجود الوطني للشعب الفلسطيني ونشير في هذا الصدد الى القرار رقم ٢٥٣٥ بتاريخ ١٩٦٩/١٢/١٠ والقرار رقم ٢٦٧٢ بتاريخ ١٩٧١/١٢/٨ الصادرين عن الجمعية العامة للامم المتحدة اللذين اعترفا بحق تقرير المصير لشعب فلسطين كما نشير الى القرار رقم ٢٧٨٧ بتاريخ ١٩٧١/١٢/٦ الذي اقر بحق شعب فلسطين — بجانب شعوب اخرى ذكرها القرار — في النضال من اجل تقرير المصير والتحرر من السيطرة الاجنبية والاستعمارية بجميع الوسائل المنسجمة مع ميثاق الامم المتحدة(٦٨). وان مثل هذه القرارات تؤكد على ان الشعب الفلسطيني له وجود واحد وان قضيته هي **قضية واحدة** وان اضطراره الى الاقامة في اماكن متباعدة لا ينفي وحدة وجوده وقضيته .

ومن هنا نعتبر وحدة الشعب الفلسطيني ووحدة قضيته مدخلا رئيسيا الى رفض ادعاء اية جهة (في ذهننا الملك حسين والانتخابات البلدية في الضفة الغربية المحتلة) حق تمثيل الشعب الفلسطيني طالما ان هذه الجهة لا تعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني باجمعه وهي في الوقت نفسه تفتت قضيته الواحدة . وحتى لو استطاعت هذه الجهة ، بأي وسيلة من الوسائل ، انتزاع تفويض من اي تجمع فلسطيني — ضمن اطار جغرافي سياسي معين — بتمثيل هذا التجمع فان مثل هذا الامر لا يخول هذه الجهة حق النطق باسم الشعب الفلسطيني لان التجمعات الفلسطينية الاخرى وبالتالي الشعب الفلسطيني من حيث هو وجود وطني واحد لم يكن معنيا بهذا التفويض .

خلاصة : (١) اذا كانت م. ت. ف. قد ولدت في « احضان مؤتمر القمة » ، كما يحلو التعبير للبعض ، فان هذا لا ينفي على الاطلاق ان المنظمة ، فكرة قبل ان تولد وحقيقة بعد قيامها ، جسدت طموحا فلسطينيا مشروعا لبعث كيانه الوطني المستقل . (٢) ان المنظمة تكتسب شرعية تمثيلها للشعب الفلسطيني ليس من واقع اعتراف الحكومات العربية ، وبعض الدول الاجنبية ، بها فحسب ، وانما تستمد هذه الشرعية ، في المرحلة الراهنة على الاخص ، من كونها ملتقى لارادات الشعب الفلسطيني المجسدة بقواه المنظمة الفاعلة . (٣) ليس لجهة منازعة المنظمة حق تمثيل الشعب الفلسطيني ، لان ما من جهة بقادرة (في ظل التوزع الجغرافي — السياسي الراهن) على ادعاء النطق باسم الشعب الفلسطيني ، الذي هو وحدة وطنية واحدة ، في مختلف تجمعاته .

---

١ — عدلي جشاد ، **شعب فلسطين في طريق العودة** ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤، ص ١٠٣ .

٢ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٤ .

٣ — صحيفة **اخبار الاسبوع** الاردنية ، ٢٢/٥/ ١٩٦٤ .

٤ — **فلسطيننا** ، العدد ١١ ، تشرين الثاني ١٩٦٠ .

٥ — **المصدر نفسه** ، العدد ١٣ ، كانون الثاني ١٩٦١ ، مقال بتوقيع « فتح » .

٧ ــ **المصدر نفسه** ، العدد ١١ ، تشرين الثاني ١٩٦٠ ، مقال بتوقيع « ف ت ح » .

٨ ــ **المصدر نفسه** ، العدد ١٥ ، اذار ١٩٦١ .

٩ ــ **المصدر نفسه** ، العدد ١٣ ، كانون الثاني ١٩٦١ .

١٠ ــ **المصدر نفسه** ، العدد ١٥ ، اذار ١٩٦١ .

١١ ــ **المصدر نفسه** ، العدد ١١ ، تشرين الثاني ١٩٦٠ .

١٢ ــ **المصدر نفسه** ، مقال بتوقيع « ف ت ح » .

١٣ ــ **الوثائق العربية للعام ١٩٦٣** ، الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ٦٨٨ نقلا عن صحيفة الجماهير ١٩٦٣/٩/١١ .

١٤ ــ انظر احمد الشقيري ، **من القمة الى الهزيمة** ، دار العودة ، بيروت ١٩٧١ ، الصفحات ٥٧ ــ ٦٠ .

١٥ ــ Leila S. Kadi, *Basic Political Documents of the Armed Palestinian Resistence Movement*, P. L. O. Research Center, Beirut, 1969, p. 19.

١٦ ــ وزارة الارشاد القومي في ج. ع. م. **ملف وثائق فلسطين** ، الجزء الثاني ص ١٢٧٣ .

١٧ ــ احمد الشقيري، **المصدر السابق**، ص ٥٠ .

١٨ ــ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤** ، ص ٧٢ .

١٩ ــ Leila S. Kadi, *Arab Summit Conferences and the Palestine Problem*, P. L. O. Research Center, 1966, p. 102.

٢٠ ــ الكتاب السنوي ، **المصدر السابق** ، ص ٧٣ .

٢١ ــ ليلى القاضي ، **مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية** ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٣ .

٢٢ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٠٤ .

٢٣ ــ احمد الشقيري، **المصدر السابق**، ص ٩١ .

٢٤ ــ صحيفة « **العرب** » العراقية (٦٤/٥/١٧) نشرت اسماء اللجنة التحضيرية في العراق ، « **المحرر** » اللبنانية (٦٤/٥/٩) نشر اسماء اللجنة في سوريه ، « **المحرر** »(٦٤/٥/١٦) نشرت اسماء اللجنة في قطر والخليج العربي ، « **الحوادث** » اللبنانية (٦٤/٥/٨) نشرت اسماء اللجنة في لبنان .

٢٥ ــ الكتاب السنوي ، **المصدر السابق** ، ص ٢١ .

٢٦ ــ ملف وثائق فلسطين ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٨٣ .

٢٧ ــ نشرة « **الثائر العربي** » الناطقة باسم جبهة التحرير العربية ١٩٦٩/٩/٣ .

٢٨ ــ مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٢ .

٢٩ ــ **الوثائق العربية للعام ١٩٦٣** ، الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ٨٢٩ .

٣٠ ــ ملف وثائق فلسطين ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٦٧ .

٣١ ــ الملك حسين ، **حربنا مع اسرائيل** (بتحرير فيك فانس وبيار لوير) ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٢ .

٣٢ ــ احمد الشقيري ، **المصدر السابق** ، ص ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ .

٣٣ ــ **المصدر نفسه** ، ص ص ٤٦ ــ ٥٠ .

٣٤ ــ مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، **المصدر السابق** ، ص ٩٩ .

٣٥ ــ مقابلة خاصة مع احمد الشقيري ، كانون ١٩٧٢/٥/١١ .

٣٦ ــ نقلته صحيفة « **النهار** » البيروتية ١٩٦٤/٥/٢٧ .

٣٧ ــ صحيفة « **البعث** » السورية ، ١٩٦٤/٥/٢٨ .

٣٨ ــ **الوقائع العربية** (نيسان ــ حزيران ١٩٦٤) الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ١٦٩ .

٣٩ ــ **الوثائق العربية للعام ١٩٦٤** ، الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ٤٥٧ .

٤٠ ــ احمد الشقيري ، **المصدر السابق** ، ص ٦١ ، ٦٢ .

٤١ ــ صحيفة « **الجهاد** » الاردنية ، ١٩٦٤/٦/١٨ .

٤٢ ــ غسان كنفاني ، صحيفة « **المحرر** » اللبنانية ، ١٩٦٤/٤/٦ .

٤٣ ــ نشرته « **المحرر** » ١٩٦٤/٣/٢٥ .

٤٤ ــ **الوثائق العربية للعام ١٩٦٤** ، الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ٢٥٣ .

٤٥ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٠٦ .

٤٦ ــ بيان لحركة القوميين العرب في ١٩٦٤/١/١٤ منشور في **المصدر نفسه** ، ص ٢٩٥ .

٤٧ ــ بيان للاتحاد صادر في ١٩٦٤/٣/١٧ .

منشور في الوثائق العربية ، **المصدر السابق** ، ص ١١٠ .

٤٨ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤** ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ص ٩٢ .

٤٩ — مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، **المصدر السابق** ، ص ٨٩ .

٥٠ — احمد الشقيري ، **المصدر السابق** ، ص ٥٩ .

٥١ — **المصدر نفسه** ، ص ١٦ .

٥٢ — مؤتمر صحفي عقده في القاهرة في ٢٠/١/ ١٩٦٤ ، الكتاب السنوي ، **المصدر السابق** ، ص ٧٠ ، ٧١ .

٥٣ — احمد الشقيري ، **المصدر السابق** ، ص ٦١ .

٥٤ — مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، **الوثائق العربية الفلسطينية للعام ١٩٦٦** ، ص ٨٩ .

٥٥ — المادة الرابعة من قواعد عامة والمادة الخامسة من شؤون العمل الفدائي ، من اتفاقية عمان ، نشرت في كتاب **المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني** الصادر عن مركز الابحاث في م. ت. ف. بيروت ١٩٧٠ ، ص ص ٤٤١ — ٤٤٧ .

٥٦ — نص اتفاقية القاهرة مذكور في **المصدر نفسه** ، ص ص ٤٣٥ — ٤٣٧ .

٥٧ — مركز التخطيط في م. ت. ف. ، **لائحة الاتهام ضد وصفي التل** ، ص ٩٦ .

٥٨ — اذاعت البيان اذاعة القاهرة ونشرته الصحف العربية في ١٩٧١/٨/٢ .

٥٩ — من محضر جلسة مجلس الوزراء اللبناني في ٦٤/١١/٢٦ . محفوظات مكتب م. ت. ف. في بيروت .

٦٠ — نشرتها صحيفة « **النهار** » اللبنانية في ١٩٧٠/٤/٢٠ .

٦١ — الكتاب السنوي للعام ١٩٦٤ ، **المصدر السابق** ، ص ٨٧ .

٦٢ — المعلومات مستقاة من مقابلة خاصة في دمشق ، آذار ١٩٧٢ ، مع السيد عبد الكريم الكرمي الذي مثل المنظمة في مؤتمرات منظمة التضامن ومجلس السلم العالمي .

٦٣ — منشورة في كتاب ناجي علوش ، **مناقشات حول الثورة الفلسطينية** ، دار الطليعة بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٢٣ .

٦٤ — نشرتها صحيفة « **المحرر** » اللبنانية ، ٦٥/٥/٢٤ .

٦٥ — مقابلة خاصة مع الشقيري ٧٢/٥/١١ .

٦٦ — نص البرنامج نشرته صحيفة « **فتح** » في ملحق خاص .

٦٧ — كراس اصدرته م.ت.ف. عن اعمال المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الفلسطينيين.

٦٨ — قرارات الامم المتحدة المتعلقة بهذا الموضوع موجودة ضمن محفوظات مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت .

الهوة الاجتماعية في اسرائيل

عبد الحفيظ محارب

على رأس المشاكل الاساسية التي يعاني منها مجتمع المهاجرين والمستوطنين في اسرائيل ، مشكلة الهوة الاجتماعية الناجمة عن التناقضات الكامنة في المجتمع الاسرائيلي . وقبل التطرق الى كنه الهوة الاجتماعية وماهيتها وحجمها لا بد لنا من الوقوف قليلا عند توقيت تفجر التناقضات ، والاسباب الكامنة وراءها . ترتبط مسألة توقيت تفجر التناقضات الاجتماعية في اسرائيل ، الى حد بعيد بحالة الاستقرار الامني ، كما ترتبط ارتباطا وثيقا بالقناعة الذهنية للجماهير الاسرائيلية باستقرار الاوضاع الامنية وبقوة الجيش الاسرائيلي، بمعنى آخر ان التناقضات الاجتماعية، وهي موجودة منذ قيام الدولة وحتى قبل قيام الدولة في فترة ما يعرف باليشوف ، تبرز على سطح الاحداث في الساحة الاسرائيلية ، تتفجر في حالة الاستقرار الامني، وتطمس او تحبس في حالة التوتر الامني . وعلى سبيل المثال فان التناقضات الاجتماعية لم تصل الى درجة من التفجر ، مع انها كانت قوية خلال الاعوام التي سبقت العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ذلك لان هذه الفترة شهدت توترا امنيا ناجما عن الاصطدامات على امتداد الحدود مع الجبهات العربية وخاصة المصرية ، كما وشهدت موجة من النشاط الفدائي وخاصة من قطاع غزة . الا ان التناقضات الاجتماعية وصلت الى درجة التفجر في فترة الهدوء الامني التي نعمت بها اسرائيل نتيجة توقف الاشتباكات على الحدود ، ووقف النشاط الفدائي ، ووضع قوات طوارىء دولية في قطاع غزة وسيناء ، وخير مثال على ذلك حوادث « وادي الصليب » في حيفا في صيف عام ١٩٥٩ ، حيث قامت الفئات المسحوقة المميزة في تلك الضاحية بانتفاضة اخذت شكل التظاهرات المشفوعة بالعنف ، وامتدت لتشمل معظم المناطق الاسرائيلية التي توجد فيها الفئات المسحوقة من اليهود الشرقيين ، ومع ذلك فان التناقضات اخذت تضبط بشكل او بآخر ، ولم تصل عند مطلع الستينات وحتى ١٩٦٧ الى درجة التفجر بسبب القناعة الذهنية للجمهور الاسرائيلي بأن حالة الامن ليست على ما يرام ، وبأن « النصر الذي احرزه الجيش الاسرائيلي » قد ساهمت فيه دولتان كبريان . اما بعد حرب حزيران ، وما نجم عن ذلك من قناعة ذهنية في اوساط الجمهور الاسرائيلي ، بأن الجيش الاسرائيلي يتمتع بقوة كبيرة بامكانها التصدي لاي خطر خارجي ، فقد بدأت التناقضات الداخلية تطغى على السطح وبشكل قوي ، تجعل الكثيرين وخاصة المسؤولين منهم يتخوفون على مصير الدولة ويخشون من اقتراب حرب الهيكل الثالث ! وقد عبرت عن هذه التناقضات وبشكل لم يسبق له مثيل من حيث حدة التفجر حركة الفهود السود عند مطلع عام ١٩٧١ .

وهنا لا بد من الاشارة الى ان التناقضات الاجتماعية لا تتفجر مباشرة على اثر انتصار عسكري بل العكس هو الصحيح ، فهذه التناقضات تحبس تماما في فترة الهدوء التي تعقب نصرا عسكريا ، كما تحبس تماما في حالة التوتر العسكري ، وتفسير ذلك ان مرحلة الهدوء التي تعقب نصرا عسكريا تكون بمثابة مرحلة « نشوة الانتصار » على عدو

درجت وسائل الاعلام الاسرائيلية على التهويل من خطره . الا انه بعد ان تتلاشى مرحلة « نشوة » الانتصار فان التناقضات الاجتماعية تبدأ بالظهور ، ومن هنا يمكن القول ان مسألة تفجر التناقضات الاجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحالة الذهنية التي تسود الجمهور الاسرائيلي حول مدى قوة الجيش الاسرائيلي ومدى وهن خصمه .

يدرك السلطات الاسرائيلية مدى الترابط الوثيق بين الاستقرار الامني وتفجر التناقضات الداخلية في المجتمع الاسرائيلي ، ولذا تراها لا تكف عن التهويل « بالخطر الخارجي » المحدق باسرائيل من جميع الجوانب سواء أكان الخطر حقيقيا ام خياليا بغرض طمس التناقضات الاجتماعية المتفجرة وكبتها ، الا ان هذا الدأب على التلويح والتهويل بالخطر الخارجي الذي ترفعه أوساط عسكرية وسياسية حاكمة ، بسبب عجزها عن حل التناقضات الداخلية ، ينطوي على خطر بالنسبة لطرفين اساسيين : الجانب العربي الذي يمثل « الخطر الخارجي » والخطورة تتمثل هنا في احتمال تعرضه لضربات تعتبر بمثابة حبوب منومة للتناقضات الداخلية في اسرائيل ، والجانب الاخر هو مجموعة الفئات المتضررة من التناقضات الاجتماعية ، والخطورة تتمثل هنا في استدامة هذه التناقضات دون ايجاد حلول جذرية لها . ومما هو جدير بالملاحظة أن سلاح التلويح بالخطر الخارجي قد فقد لمعانه ومفعوله لدى الجمهور الاسرائيلي وخاصة لدى الفئات المسحوقة منه ، فعلى اثر النصر العسكري الخيالي الذي احرزه الجيش الاسرائيلي في حرب حزيران ، امحت الصورة المضخمة والمبالغ بها للخطر الخارجي من اذهان الجمهور الاسرائيلي ، وارتسمت مكانها صورة أخرى تجعل من سياسة التلويح به ، موضع نقد وتهكم فئات واسعة في اسرائيل .

من المعروف ان هنالك اوساطا عسكرية ومدنية من بين مبلوري السياسة الاسرائيلية ومنفذيها كانت ولا تزال تعتقد بأنه لا يمكن رفع علم الامن وعلم المساواة الاجتماعية دفعة واحدة لان ذلك من شأنه ان يمس ميزانية الدفاع وان الواجب يتطلب رفع علم الامن فوق الاعلام الاخرى كافة . ويقف على رأس هؤلاء وزير الدفاع موشيه ديان . لقد فقد هذا الشعار بريقه بعد حرب حزيران لدى قسم كبير من الجمهور الاسرائيلي ، وحتى لدى بعض المقربين الى ديان نفسه ، والى الاوساط المتربعة على جهاز الامن في اسرائيل ، فقد خالفت « ياعيل ديان » ابنة وزير الدفاع اباها الراي وطالبت بضرورة رفع العلمين معا ، قائلة : « لقد فشلنا في عملية دمج يهود الشتات . . . يوجد في البلاد تمييز طائفي وانه لامر فظيع التفكير بأن هنالك فقرا في البلاد وان ثمة عائلات لا تتمكن من شراء اللحم حتى ليوم السبت . . . يوجد في البلاد مواطنون من الدرجة الثانية »(١) .

اما رئيس هيئة الاركان السابق للجيش الاسرائيلي البروفيسور يجآل يدين الذي يحظى باحترام الاوساط العسكرية والمدنية الحاكمة في اسرائيل ، فقد رفض ادعاء ديان والتلويح بخطر الحرب ، لانه يرى ان الخطر بحد ذاته يكمن في التغاضي عن حل القضايا الداخلية : « سيكون ذلك بالنسبة لنا امرا ينطوي على جانب كبير من الخطورة اذا تخلينا عن ايجاد حلول للمشاكل الكبيرة التي تواجهنا بحجة تهديدات الحرب ، هذه التهديدات التي يمكن ان تبقى تحوم فوق رؤوسنا اعواما عدة . . . ان العامل السلبي المتمخض عن المشاكل الاجتماعية قد يشكل في يوم من الايام خطرا جديا حتى من الناحية الامنية ، ولذا لا استطيع بأي حال من الاحوال قبول الادعاء القائل باستحالة رفع العلمين دفعة واحدة ، وكأننا اذا رفعنا علم الامن لا بد لنا من ان نطوي علم الاصلاح الاجتماعي . ينبغي علينا رفع العلمين معا »(٢) .

الى جانب ارتباط التفجرات الاجتماعية بحالة الامن ، هنالك عامل آخر اخذ ، بعد ولادته وتضوجه ، يزيد من حدة تفجر التناقضات الاجتماعية الناجمة عن التمييز الاثني ، واعني به عامل الجيل الثاني من ابناء الطوائف الشرقية . فالجيل الاول من ابناء هذه الطوائف

والذي يعرف بجيل الآباء كان في الخمسينات والستينات هو الذي يتصدى لواقعه البائس في مجتمع المهاجرين والمستوطنين الذي يسيره ويتحكم به ابناء الطبقة الفوقية من الطوائف الغربية ، وقد كان هذا الجيل ولا يزال يشعر ويحس بالضعة تجاه ابناء الطوائف الغربية ، ولذا فان تململاته وتحركاته من اجل تحسين اوضاعه لم تتعد المطالب اليومية الحياتية ، انه جيل يطلب ولا يأخذ ، اما جيل الابناء فانه يختلف اختلافا كليا عن الجيل السابق من حيث عدم السكوت على الغبن الواقع عليه . وهذا الامر واضح في مجتمعات المهاجرين ، فالمجموعات الاثنية المهاجرة حديثا الى مجتمع جديد تحاول بكل هدوء العيش ضمن المجتمع الجديد ، وتكيف نفسها بقدر الامكان اذا ما واجهت واقعا تمييزيا ، الا ان جيل الابناء من تلك المجموعات يتمرد على الواقع التمييزي ، خاصة اذا كانت قوانين ذلك المجتمع تدعو الى المساواة . وهذا الامر ينطبق تماما على الجيل الثاني من ابناء الطوائف الشرقية الذي نضج ، عند مطلع السبعينات ، وقام في عام ١٩٧١ بحركة تمردية على الواقع التمييزي ، يسعى الى الاخذ بالعنف وليس المطالبة باستعطاف ، يسعى الى استئصال اسباب مظاهر التمييز ولا يكتفي بتلبية حاجات آنية وذاتية . هذا العامل الجيلي له اثر كبير في زيادة حدة التفجرات الاجتماعية في اسرائيل . يمكن تلخيص ما سبق بالقول بأن مسألة تفجر التناقضات الاجتماعية مرتهنة بعاملين اساسيين ، الاستقرار الامني ، وظهور الجيل الثاني كقوة مختلفة عن الجيل السابق وان مشكلة كبت تلك التناقضات وحبسها مرتهنة بتصعيد التوتر الامني .

نعود الان الى القاء ضوء على التركيب البنيوي للمجتمع الاسرائيلي ، لكي نتسنى لنا معرفة التناقضات القائمة فيه وبالتالي معرفة هوية ما يعرف في اسرائيل بالهوة الاجتماعية .

يتشكل المجتمع الاسرائيلي كسائر المجتمعات الاخرى من طبقات ، فهنالك طبقة برجوازية كبيرة وطبقة برجوازية متوسطة واخرى صغيرة، وفي المقابل طبقة عمالية وفلاحية وفئات « هامشية » او ما يسمى بالبروليتاريا الرثة ، وهي التي اخرجت من جوفها حركة الفهود السود عند مطلع ١٩٧١ ، الا ان هذا المجتمع يتميز عن المجتمعات الاخرى بكونه مجتمع مهاجرين ومستوطنين ، كان ولا يزال يعتمد على الهجرة والاستيطان الى ان تكتمل عملية جمع «يهود الشتات» في «دولة اليهود» . والامر الذي يسترعي الانتباه والاهتمام معا هو ان حدة التناقضات القائمة في المجتمع الاسرائيلي لا تكمن في عامل الصراع الطبقي بقدر ما هي كامنة في عامل الصراع الاثني الطائفي، ذلك ان التقسيم الطبقي يقابله تقسيم اثني طائفي رئيسي ، يهود البلدان الغربية (اكثريتهم الساحقة من يهود شرق اوروبا - اشكناز) ويهود بلدان آسيا وافريقيا اكثريتهم الساحقة من البلدان العربية (اسفارادیم). وتتوزع الاكثرية الساحقة من ابناء الطائفة الاولى على مجموعة من الطبقات العليا في المجتمع ، بينما يتوزع سواد ابناء الطائفة الثانية على مجموعة الطبقات الدنيا . اي انه اذا القينا نظرة على الهرم الاجتماعي القائم في اسرائيل نرى ان الطبقة الفوقية منه قد استقطبت الاكثرية الساحقة من ابناء الطوائف الغربية ، وان الطبقة التحتية منه قد استقطبت الاكثرية الساحقة من ابناء الطوائف الشرقية . من الجائز القول ان الهوة الاجتماعية القائمة في اسرائيل ناجمة بالاساس عن عملية الصراع الطبقي ، ولكن من الصحيح والمؤكد ان عملية استقطاب وتجسيد الطبقات قد جرت على اساس طائفي اثني ، لعب فيها العامل الاثني دورا اساسيا ، ولذا فان الهوة الاجتماعية القائمة هي بين ابناء الاشكناز كطبقة فوقية وبين ابناء الطوائف الشرقية كطبقة تحتية .

على انه ينبغي ان لا يغيب عن بالنا وجود هوات اجتماعية اخرى الى جانب الهوة الرئيسية التي نحن في صدد الحديث عنها ، فالمجتمع الاسرائيلي الذين يحتضن مهاجرين قدموا من ١٠٢ بلد ويتكلمون ٨٢ لغة(٢) يعاني من الهوة بين المهاجرين الجدد والمهاجرين

القدامى . وكذلك دولة اسرائيل التي يفترض ان تكون وفق المبادىء الصهيونية « دولة اليهود » وليس دولة يهودية ، تعاني من الهوة القائمة بين الفئات المتدينة والفئات اللادينية ، ولعل هذه الهوة من ابرز القضايا التي عايشت مجتمع اليشوف قبل قيام الدولة ولا زالت تعايش المجتمع الاسرائيلي حتى الان . فالمتدينون وهم يشكلون نسبة تقارب الـ ٣٠ ٪ من مجموع السكان اليهود في اسرائيل (نحو ١٥ ٪ من المقترعين صوتوا الى احزاب دينية في الانتخابات الاخيرة) يدعون الى التمشي وفق الشريعة اليهودية في جميع المجالات ، كما يطالبون بالحفاظ على الطابع الديني للدولة . بينما يدعو اللادينيون الى فصل الدين عن الدولة وهذا امر بعيد المنال في اسرائيل على الرغم من ان موجهي سياستها لا دينيون . والامر اللافت للنظر هو ان هذه الهوة كان لها مفعول قوي في سير عملية التوزيع السكاني في اسرائيل ، فالمتدينون وخاصة المتطرفين منهم يعيشون ويتجمعون في كيبوتسات او موشافات او ضواحي خاصة بهم ولا يسمحون لغير المتدين بالعيش بين ظهرانيهم . ومن الجدير بالذكر ان عملية الاستقطاب هنا تسير ايضا في مسار اثني طائفي . فالمتدينون الاشكناز (وهم متدينون غلاة) يستقطبون في اماكن معينة ، بينما المتدينون الاسفاراديم (وهم متدينون معتدلون) يستقطبون في اماكن اخرى . ان الهوة القائمة بين المتدينين واللادينيين على قدمها واستدامتها في اسرائيل ، تعبر عن الصراع القائم بين الفكر المتزمت وبين الفكر المتقدم ، بين التمسك بأهداب الشريعة اليهودية ، وبين الافكار العلمانية ، ولا تعبر من قريب او بعيد عن استغلال طبقة لطبقة أو استعباد فئة لفئة كما هو الحال في الهوة الاجتماعية بين ابناء الطوائف الغربية وابناء الطوائف الشرقية .

تعود الان الى العوامل التي جعلت من اليهود الغربيين (الاشكناز) يشكلون الطبقة الفوقية من البنية الهرمية للمجتمع الاسرائيلي ، واهم هذه العوامل هي :

١ ــ ظهور المسألة اليهودية في اوروبا وولادة الحركة الصهيونية بين صفوف ابناء الاشكناز وتأصلها في نفوسهم كردة فعل لسياسة الاضطهاد والتمييز التي كان يعاني منها هؤلاء في معظم الاقطار الاوروبية ، دون ان تكون هنالك مسألة يهودية لدى الطوائف الشرقية ، وبالتالي لم تكن الحركة الصهيونية قوية جياشة بين صفوفهم ، بل اكتسبتها طائفة الاشكناز اكتسابا ، مما تأتى عن ذلك تزعم ابناء الطوائف الغربية وشغلهم لمؤسسات الحركة الصهيونية كافة ، دون ان يكون لابناء الطوائف الشرقية دور يذكر في هذه المؤسسات . ٢ ــ التفوق العددي لابناء الطوائف الغربية عشية قيام الدولة ، فقد كان هؤلاء يمثلون نسبة ٩٠ ٪ من مجموع السكان اليهود وبالتالي سيطروا على مرافق الدولة كافة . ٣ ــ الاحساس بالتفوق الحضاري لدى ابناء الطوائف الغربية ، مما ولد لديهم نظرة استعلاء تجاه الطوائف الشرقية ، تتحول في كثير من الاحيان الى نظرة احتقار . ٤ ــ التعويضات الالمانية التي تلقتها اسرائيل في بداية الخمسينات والتي كانت من نصيب خزينة الدولة وجيوب فئات واسعة من ابناء الاشكناز بحجة تضررهم من ويلات الحرب العالمية الثانية ، الامر الذي كان له الاثر في توسيع الهوة الاقتصادية بين ابناء الطائفتين . ٥ ــ سعي الاشكناز الحثيث الى جعل الدولة ذات طابع اوروبي محض ، وهذا امر طبيعي بالنسبة لهم لكونهم مهاجرين منحدرين من اصول حضارية اوروبية ، وتخوفهم من أن يؤدي ولوج ابناء الطوائف الشرقية الى مراكز القوى ومرافق الدولة ومؤسساتها الفعالة الى تغيير شكل الدولة وطابعها من طابع اوروبي يسعون اليه ، الى طابع شرق اوسطي لا يريدونه . ٦ ــ واخيرا ، كان من نتيجة سياسة الاستعمار الخالص في فلسطين ، وما تأتى عنها من انتهاج سياسة العمل العبري في فترة اليشوف (أي اقتصار العمل في جميع مرافق اليشوف على الايدي العاملة اليهودية ، والاستغناء عن الايدي العاملة العربية) ان بدأ التفكير لدى قادة الحركة الصهيونية

وزعمائها باحلال اليهود الشرقيين محل الايدي العاملة العربية .

كان من نتيجة هذه العوامل مجتمعة ، وعلى الرغم من تزايد عـــدد اليهود الشرقيين في الخمسينات ، اذ اصبحوا يشكلون نصف السكان اليهود ، وتزايد عددهم في الستينات حتى غدوا يشكلون نحو ٦٥ ٪ من السكان اليهود ، ان خلق في المجتمع الاسرائيلي وضع خاص قائم على التمييز ، تشغل فيه الاقلية (فئة الاشكناز) الشرائح الاجتماعية العليا من الهرم ، وتحتل الاكثرية (الطوائف الشرقية) الشرائح الاجتماعية الدنيا منه .

فلو القينا نظرة على الواقع الاسرائيلي بعد مرور ٢٤ عاما على قيام الدولة لتبدت لنا صورة مذهلة عن التمييز القائم هناك ، فالحكومة الاسرائيلية كانت ولا تزال تتشكل من ابناء الاشكناز مع المحافظة على تخصيص حقيبة او حقيبتين وزاريتين (الشرطة وفي بعض الاحيان الشؤون الاجتماعية) لابناء الطوائف الشرقية ، اما الوكالة اليهودية وتعتبر في اسرائيل بمثابة الحكومة الثانية ولها دور كبير في تجسيد مجتمع اليشوف وبلورته ، ومن ثم المجتمع الاسرائيلي ، فانها تكاد تخلو تماما من ابناء الطوائف الشرقية ، وفيما يتعلق بالحكومة الثالثة (الهستدروت) التي من المفروض ان تحافظ على مصالح الطبقة العاملة التي يتشكل سوادها الاعظم من ابناء الطوائف الشرقية ، نجد ان المتربعين على زمام الامور فيها من ابناء الاشكناز . وهنا لا بد لنا من التوقف قليلا عند النسبة التي يمثلها ابناء الطوائف الشرقية في الوظائف الكبيرة في الدولة . يقول عضو الكنيست بن فورات ان بين مجموع ٣٠٠ موظف كبير يشغلون الوظائف العليا في الدولة هنالك فقط ثمانية او تسعة من ابناء الطوائف الشرقية اي انهم يحتلون نسبة ٣ ٪ مـــن الوظائف العليا(٤) . وفيما يتعلق بالاحزاب الممثلة في الكنيست نجد ان جميع رؤسائها دون استثناء ابتداء بالاحزاب اليمينية والدينية ومرورا بالاحزاب العمالية وانتهاء بالحزب الشيوعي بجناحيه مبنية على « طهارة الاشكناز » . وفيما يتعلق بعدد ابناء الطوائف الشرقية في البرلمان الاسرائيلي فانه يناهز خمس عدد النواب ، وحتى هذا الخمس لا يجرؤ على المطالبة بازالة اسباب التمييز الذي يعاني منه ابناء الطوائف الشرقية الا بالقدر الذي تسمح به الاحزاب التي ينتمون اليها . وكما يقول الدكتور يوحنان بيرس : « ان الاشكناز هم الذين يقررون من يمثل الطوائف الشرقية في الكنيست والهستدروت واللجنة التنفيذية الصهيونية ، انها عملية اشراك وليست عملية تمثيل فاذا ما تجرأ احدهم وشق عصا الطاعة ، فمن الممكن تغييره بسهولة » الامر الذي حدا باعضاء المؤتمر العالمي لمهاجري مراكش الذي عقد في اواخر شهر آذار الماضي في اسرائيل الى توجيه مذكرة الى رئيسة الحكومة غولدا مئير ، لرفع عدد النواب في الكنيست من ١٢٠ الى ١٥٠ بغرض تمكين اليهود الشرقيين من تمثيل انفسهم « بشكل ملموس »(٥) . وبالنسبة لمرافق الدولـــة الاقتصادية وادارة الشركات والمصانع فانها تكاد تكون حكرا على ابناء الاقلية .

لا بد هنا من الاشارة الى ان هنالك شريحة اجتماعية واهية خرجت من بين صفوف ابناء الطوائف الشرقية واستطاعت التسلل والتسلق الى القاعدة الفوقية في الهرم ، وهذا امر طبيعي في مجتمع قائم على التمييز الاثني . وقد بدأ المتمردون من ابناء الطوائف الشرقيه يشعرون بخطورة تملق ابناء هذه الشريحة ، وينعتون البعض منهم بالخيانـــة ، ففي المؤتمر العالمي لمهاجري مراكش الاخير ، تصدى احد اعضاء المؤتمر ويدعى « لاسري » لسكرتير مجلس عمال اسدود « عمرام دوورون » حين قال : « اردت ان اقول لكم انه بالامكان النجاح في اسرائيل اذا كانت هنالك رغبة في ذلك » تصدى له قائلا : « انك لخائن ، انت كاولئك الزنوج في الولايات المتحدة الذين يستلمون وظيفة ويصبحون الى جانب المؤسسة ، انهم يسمون هناك « زنوجا بيضا » اما انت فانك بمثابة « اسود ابيض » يداهن المؤسسة »(٦) .

ذكرنا سابقا ان عملية الاستقطاب الاجتماعي قد سارت في مسار اثني ، وقد انعكس

هذا الواقع على عملية سير التوزيع السكاني ، مما نأتى عنه ، بشكل تدريجي بروز ضواحي في كل مدينة ذات طابع اثني مميز ، وظهور مستوطنات منتشرة هنا وهناك تخص هذه الفئة او تلك . بمعنى آخر ظهور ضواحي « راقية » في المدن استقطبت ابناء الطوائف الاشكنازية وضواحي « فقيرة » استقطبت ابناء الطوائف الشرقية ، وكذلك الحال بالنسبة للمستوطنات فهنالك مستوطنات غنية استقطبت ابناء الطبقة الفوقية ، ومستوطنات متخلفة وفقيرة استقطبت ابناء الطبقة التحتية . الى جانب ذلك هنالك ضواح وقرى مختلطة ، شادتها السلطات الاسرائيلية في محاولة تجريبية منها لدمج «يهود الشتات» تمشيا مع سياسة الدمج المعلنة ، بيد ان تجربة الدمج قد باءت بالفشل ولم تؤت بالثمار المرجوة منها ، بل أساءت الى حركة التطوير وخاصة في المستوطنات .

يقول الكاتب الاسرائيلي موشيه شاريت في دراسة قيمة له حول مشاكل دمج يهود الشتات في اسرائيل : « ماذا اتضح لنا بالفعل ؟ لقد اتضح ان مسألة دمج يهود الشتات ليست تحت متناول اليد ، وان اسلوب خلط العناصر كان بمثابة حجر عثرة امام الاستيطان ، ان الجهد الطلائعي للاستيطان والتكيف والقرية والفلاحة يتطلب روحا جماعية ، وهذا الامر لا يتطور بين اناس ينتمون الى حضارات مختلفة ، ويتحدثون لغات مختلفة ، ولهم عادات مختلفة . انهم لا يشكلون وحدة اجتماعية ، وليسوا أهلا للجهد المشترك والمساعدات المتبادلة ... ان القرية المختلطة منقسمة على نفسها وتعاني من التوترات الطائفية ، وتمتص نزاعاتها جهودا غالية بدل ان تكرس هذه الجهود في ميادين البناء .. ان الحياة الاجتماعية : الحفلات والاعياد والمناسبات العائلية لا تشكل عاملا موحدا بل تبرز الفوارق والتناقضات ، وفي الانتخابات يحل الولاء الطائفي محل اعتبارات قدرة المرشح او استقالته مما يضر بمصالح البلدة ... »(٧).

هذا فيما يتعلق بالقرى الزراعية المختلطة ، اما الضواحي المختلطة في المدن فان تجربة الدمج قد فشلت هي الاخرى ، فالعلاقات الاجتماعية في هذه الضواحي لا تزال سطحية وتقتصر على المجالات الفنية ، انها نابعة عن الاتصال الناجم عن اللقاءات العرضية على المدرج وفي باحة المنزل والحانوت ، او نتيجة المفاوضات المشتركة باسم الضاحية مع عناصر خارجية مختلفة ، وتندر في هذه الضواحي الزيارات المتبادلة والرحلات المشتركة لابناء مختلف الطوائف ، اما مقاهي الضواحي ونواديها المختلطة فانها تستقطب السكان هناك حسب انتمائهم الاثني(٨). ويؤثر هذا الوضع تأثيرا كبيرا من الناحية الاجتماعية على الاقلية الاثنية في الضاحية خاصة اذا كانت تشعر بأنها محاطة بكثرة ساحقة من ابناء الطوائف الاخرى ، ففي حي وادي الصليب مثلا هنالك بضع عائلات اشكنازية بقيت هناك بعد أن عجزت عملية الاستقطاب الاثني عن جذبها ، وبالرغم من مرور ٢٢ عاما فان هذه العائلات بقيت منطوية على نفسها ولا تتفاعل مطلقا مع حياة الحي . يصف « مئير شتايمتس » علاقاته مع سكان الحي في ضوء تجربة ٢٢ عاما « لا شأن لي مع أي واحد هنا ، ان هؤلاء ليسوا أصدقائي ، وانني لا ابحث عن صداقتهم »(٩).

ان الشعور بالانتماء الاثني هو وليد التناقضات الكامنة في مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، ولم يرافق هذا الشعور آباء اليهود الاسرائيليين الذين لم يقدر لهم المجيء الى اسرائيل ، بل يمكن القول انه يكاد يكون معدوما لدى اليهود الموجودين في بقاع الارض ، اذ ان شعورا آخر كان يستحوذ على تفكير معظمهم ، وهو الشعور بالانتماء اليهودي . اما في حالة قدوم الانسان اليهودي الى اسرائيل فان الشعور بالانتماء الاثني يبدأ يعتمل بين جوانحه ، وهذا الامر يعتبر بمثابة انقلاب في حياته . فاليهود الرومانيون كانوا يعتبرون انفسهم « يهودا » اولا ، وكذلك الامر يقال بالنسبة لسائر الجاليات اليهودية في البلدان المختلفة ، اما في حالة المجيء الى اسرائيل (مجتمع المهاجرين) فان اليهودي يتحول الى « روماني » او « عراقي » او « مراكشي » .. الا انه ينبغي التنبه

الى ان هذا الانقلاب يختلف من حيث الشدة بين الفئات المختلفة ، فالفئات المسحوقة هي اكثر الفئات بالاحساس الوليد .

وقد مس الدكتور اليكس فينجورد هذا الموضوع في دراسة له حول «التغيير والاستمرارية في مستوطنة لمهاجري شمال افريقيا » بقوله : « مع ان الهوية اليهودية هي واقع اجتماعي ينطوي على مركزية في اسرائيل ، الا اننا نجد الى جانبها انواعا من الهويات الاخرى ، ونلاحظ ان الهوية اليهودية ، وهي بمثابة امر بديهي ، تبدأ تأخذ وزنا ثانويا فقط . ففي دول الهجرة يغدو الاصل او الحضارة وحتى المظهر ذا معنى اجتماعي كبير . وحسب هذه الحقائق تتحدد الفوارق بين شخص وآخر . وهكذا يحدث ان اليهود في مراكش يعتبرون « يهودا » بينما في اسرائيل يتحولون الى «مراكشيين» . ان المستوطنين يرون انفسهم من خلال هذا المنظور ، وكذلك الاخرون ينظرون اليهم بالمنظور نفسه . ومن الناحية الفعلية استبدل هؤلاء هوية بهوية اخرى » .

ويشير الدكتور اليكس الى دور الطبقة العليا من الهرم الاجتماعي في اثارة الاحساس بالانتماء الطائفي لدى الفئات المستغلة قائلا : « ان واقع كون مراكز القوى كافة بأيدي الاشكناز يتساعد على تأكيد هذا الوضع »(١٠) .

الى جانب ذلك كان للاحزاب الاسرائيلية دور في « تأكيد هذا الوضع » فقد درجت تلك الاحزاب في مواسم الانتخابات البلدية والمحلية في قرى التطوير (اغلبيتها من ابناء الطوائف الشرقية) على استغلال العامل الاثني من اجل الفوز بأصوات سكان القرى وللحيلولة دون ولادة قيادة مستقلة من بين صفوف هؤلاء السكان . « فالعائلات الكثيرة الاولاد » وهو اصطلاح يحمل عادة بين ثناياه روحا نقدية وسلبية في اسرائيل ، تغدو في برامج الاحزاب عشية الانتخابات « العائلات المباركة بالاولاد » ، كما ويصبح « اخواننا المهاجرون من شمال افريقيا » موضع منافسة بين تلك الاحزاب . ومن الجدير بالذكر ان بعض الاحزاب كانت تركز في منشوراتها — كما يقول شلومو دشان من جامعة تل ابيب في بحث له حول هذا الموضوع — على اصل مرشحيها ومسقط راسهم مع ذكر تفاصيل حياة كل منهم ، وتقوم بتوزيع تلك المنشورات بين صفوف الطائفة التي ينتمي اليها المرشح ، فاذا كان المرشح « عوباديا » فان المنشور يركز على نشأته في تونس ويسرد تاريخ حياته محترما اياه بقوله : « انه ملائم ومحبوب ... انه شاب ويتحلى بنظرة شابة تجاه قضايا المدينة ، انه يريد ويقدر على مساعدتك ومساعدة اصدقائك ، صوت الى جانبه »(١١) . اما اذا كان المرشح من مواليد اوروبا فان المنشور يصاغ بشكل آخر بما يتناسب ومخاطبة عقلية ابناء الطوائف الغربية ويقتصر توزيعه على ابناء تلك الطوائف .

بعد انتهاء موسم الانتخابات ، يغدو مسقط راس الانسان وخاصة ابناء الطوائف الشرقية ، موضع سخرية من قبل الفئات الاخرى . فعندما يتوجه يهودي من اصل مراكشي لقضاء حاجة له في مكتب حكومي ، ويصرخ في وجه الموظفين الاشكناز في حالة عدم تلبية طلبه ، فان التقليد الدارج هناك الذي يتفوه به الموظفون الاشكناز : « لماذا يصرخ هذا المراكشي »(١٢) .

بيد ان « المراكشي » بشكل خاص والشرقي بشكل عام ، اخذ بعد ظهور حركة الفهود السود لا يرى في مسقط رأسه او مسقط راس آبائه شيئا معيبا ، بل غدا في بعض الاحيان يؤكد عليه ويرفعه الى مرتبة الاعتزاز المشفوعة بالتحدي . ففي افتتاح مؤتمر مهاجري شمال افريقيا الاخير ، وفي اعقاب تطرق رئيسة الحكومة غولدا مئير في كلمة لها الى الهوة الاجتماعية والى ذكر احصائيات حول ما تعتزم الحكومة عمله من اجل تقليص الهوة الاجتماعية ، قاطعها ادي ملكا احد قادة الفهود بصوت عال : « هل

ستحققين ذلك في مستوطنة مرجليوت او شلوميت ؟ الا تخجلين على نفسك من الظهور في مؤتمر مهاجري **مراكش** ؟ انا **مراكشي** ؟ »

رئيسة الحكومة : « انا يهودية .. »

ملكا : « انا يهودي **ومراكشي** »

رئيسة الحكومة : وماذا ايضا ؟

ملكا : انا « فهد اسود »

رئيسة الحكومة : « هذا هو بالضبط »(١٣) .

ان الاحساس المتزايد بالانتماء الاثني ، نتيجة اتساع الهوة الاجتماعية ، جعل الكثيرين في اسرائيل وخاصة من ابناء الطوائف الشرقية يعتقدون بأن المجتمع الاسرائيلي يسير في اتجاه خلق شعبين في داخله لا شعب واحد : « ماذا سيتكون النهاية ؟ سنصبح هنا شعبين ، شعب الاسياد وشعب الخدم »(١٤) . اما رفائيل مرتسيانو احد قادة الفهود السود فيعتقد بوجود شعبين داخل المجتمع الاسرائيلي ، شعب اشكنازي وآخر سفارادي ، ويدعو مفكري اليهود ومثقفيهم الاسفازاديم الموجودين خارج اسرائيل الى المجيء للدولة « لقيادة الشعب الاسفارادي الذي يشكل الاكثرية في اسرائيل»(١٥) . ولعل الشعور بالاغتراب هو الحافز الكامن وراء هذه الدعوة ، ذلك ان حركة الفهود السود وليدة الهوة الاجتماعية ، قد ساعدت على تنمية الشعور بالاغتراب تجاه الدولة وتطويره ، خاصة وان اليهود الشرقيين لا يشعرون بانهم شركاء في قيادة الدولة او في البت في القرارات الهامة ، مما خلق نوعا من الشعور بالاغتراب .

قبل التطرق الى نظرة الاسرائيليين وخاصة المسؤولين او المهتمين منهم تجاه الهوة الاجتماعية وماهيتها لا بد من التطرق قليلا الى نظرة اليهود المهاجرين حديثا الى اسرائيل تجاه الهوة لكي يتسنى لنا الوقوف على الهوة بين التصور والواقع ، بين الصورة المرتسمة في ذهنية اليهود خارج اسرائيل تجاه المجتمع الاسرائيلي ، وبين الصورة الحقيقية لهذا المجتمع . ونورد هنا مثلين على الهوة بين التصور والواقع : تطرق طلبة يهود هاجروا حديثا الى اسرائيل من الاتحاد السوفييتي في اثناء ندوة عقدوها مع طلبة من اليهود المغاربة في الجامعة العبرية الى الموضوع : « في الاتحاد السوفييتي لم نكن نعرف مطلقا انه يوجد في اسرائيل قضية طائفية وانه يوجد « سود » و« بيض » لقد كانت الصحف السوفييتية تنشر وتؤكد على وجود هذه القضايا ، بيد اننا لم نصدقها . انه لامر سيىء ان تكون هذه الامور قائمة ، اننا جميعا شعب واحد وليس طوائف طوائف »(١٦) . وتتحدث المحامية « لاره فايسبلات » وهي مهاجرة جديدة من الاتحاد السوفييتي عن تصورها والواقع الذي واجهته بقولها : « لم أؤمن في حينه للصحافة السوفييتية التي كتبت حول الصراعات في اسرائيل بين الطوائف ، بين البيض والسود ، بين المهاجرين القدامى والمهاجرين الجدد ، انه لامر مؤسف ان اقرر بأن الصحافة الروسية لم تكذب »(١٧) .

لا يختلف اثنان في اسرائيل على ان المجتمع الاسرائيلي يعاني من هوات اجتماعية متعددة وعلى راسها الهوة الاجتماعية بين الطوائف الغربية والطوائف الشرقية التي نحن بصدد الحديث عنها ، الا ان الاختلاف يكمن في مسبباتها وعواملها كما وهنالك شبه اجماع على ان التمييز قائم في المجتمع الاسرائيلي ، بيد ان وجهات النظر متضاربة ومختلفة حول التمييز ، هل هو تمييز مقصود او غير مقصود ؟ ويرى البروفيسور يوحنان بيرس استاذ علم الاجتماع في جامعة تل ابيب ، ومن اشهر الباحثين الاجتماعيين في العلاقات الاثنية بين الطوائف في اسرائيل ، ان الهوة بين الطوائف الشرقية والغربية في اسرائيل شبيهة

الى حد ما بالهوة القائمة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة ، بين الولايات المتحدة مثلا ومصر ، بين فرنسا والهند ، بين المانيا والهند الصينية ، وانه لا امل بسد هذه الهوة القائمة بين تلك الدول بل العكس هو الصحيح ، فالهوة دائما تتوسع لان البلدان الاكثر تطورا تعرف كيف تسخر الظروف التكنلوجيه لمصلحتها ، « وكذلك هي الحال داخل الدولة ، ففي المنافسة الحرة تتقدم الطوائف المكبوتة تقدما نسبيا بسيطا ، بينما تتقدم الطوائف القوية تقدما كبيرا ، ان المنافسة الحرة تقضي على الضعفاء بالتخلف ، وتؤدي بالاقوياء الى التقدم »(١٨) .

لا ينكر المسؤولون الاسرائيليون وجود الهوة الاجتماعية الا انهم يفسرون اسبابها وعواملها تفسيرات مختلفة ، فيرى البعض فيها ، من بينهم رئيسة الحكومة غولدا مئير ، انها « مستوردة من الخارج » . والحقيقة ان هذه الرؤية لا تستند الى الواقع ، وان دلت على شيء فانها تدل على عجز السلطات الاسرائيلية عن حل هذه القضية بسبب التركيبة الاجتماعية الفريدة من نوعها لمجتمع المهاجرين والمستوطنين . هذا مع العلم بأن القائلين بوجهة النظر هذه يقفون مع وجهة نظر الفئة العسكرية التي ترى استحالة رفع الرايتين الامنية والاجتماعية في آن واحد ، ومن المعروف ان الراية الامنية تنال حصة الاسد من الخزينة الاسرائيلية . ومع ذلك فهنالك مسؤولون يرون ان الهوة ناجمة عن « العيوب الاقتصادية والاجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة » ولا يعتبرونها مستوردة مثل سكرتير الهستدروت يتسحاق بن اهارون : «ان المجتمع الاسرائيلي يكشف اليوم عن نقاط ضعف خطرة للغاية ، وانحرافات خطيرة عن الاهداف الاساسية للدولة ، التي من شأنها — لا سمح الله — ان تعرضها للخطر وتدمرها . . ان المسؤول عن المكاسب والانتصارات والاحتلال ينبغي عليه ان يكون مسؤولا عن الفشل الاجتماعي . صحيح ان معظم المتضررين من الفقر والاستقطاب الاجتماعي هم من ابناء الطوائف الشرقية ، بيد ان ذلك ليس ناجما عن تمييز بل عن عيوب اقتصادية واجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة . . . منذ حرب الايام الستة تفجرت هوة اجتماعية مؤشراتها الاساسية تتمثل في توزيع غير عادل للكعكة القومية »(١٩) .

لقد مس سكرتير الهستدروت جانب الحقيقة باقراره بأن الهوة من صنع محلي ، بيد انه لم يجرؤ او على الاقل تهرب من التطرق الى اسباب وعوامل « العيوب الاقتصادية والاجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة » وكيف يمكن ازالتها . لم يتطرق بن اهارون الى التمييز التمثيلي الذي يعاني منه ابناء الطوائف الشرقية في الهستدروت ، هذا التمييز الذي يعتبره البروفسور يوحنان بيرس من العوامل الرئيسية في بروز الهوة الاجتماعية واتساعها « ان ممثلي الطوائف الشرقية في الهستدروت اقلية ضئيلة على الرغم من كون الطوائف الشرقية تشكل السواد الاعظم من الطبقة العاملة »(٢٠) وهذا يعني ان الهستدروت تمثل مصالح فئة معينة على حساب فئة اخرى ، ولم يبتعد راؤي مرتسيانو احد قادة الفهود السود عن الحقيقة عندما ذكر « ان الهستدروت لا تمثل العمال بل ارباب العمل » وغني عن القول ان طبقة ارباب العمل تتشكل اكثريتها الساحقة من ابناء الاشكناز .

هنالك فئة من الكتاب الاسرائيليين ، وخاصة من بين اوساط الاشكناز مثل « اوري دان » من يرى ان الهوة الاجتماعية امر طبيعي ، وهي ناجمة بالاصل عن التفاوت الحضاري بين المهاجرين . وبما ان طائفة الاشكناز تتفوق حضاريا على ابناء الطوائف الشرقية فمن الطبيعي ان يتربع « المتحضرون » على مقاليد الامور في البلاد ، ومن الطبيعي ايضا ان يحتل المتخلفون المراكز الدنيا . ويذهب الى ابعد من ذلك اذ يقول « لو ان دولة اسرائيل اقيمت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر لكان يهود اوروبا يشكلون الفئات الدنيا في المجتمع »(٢١) . ان اوري دان وكثيرين غيره من الكتاب الاسرائيليين يعتقدون بأن

التمييز والهوة الاجتماعية ناجمان عن التفاوت الحضاري ويعتبرون ذلك بمثابة امر طبيعي ، وهم يلتقون بذلك مع القائلين بأن الهوة الاجتماعية « مستوردة » متغاضين عن الواقع التمييزي القائم في اسرائيل .

ان الواقع التمييزي هو الذي يوسع شقة التفاوت الحضاري ويدل على ان الهوة ليست مستورده بل من انتاج محلي . ويدرك ابناء الطوائف الشرقية هذا الواقع ويتساءلون : « لماذا ينبت الكتاب والعلماء والاطباء والمحامون والمهندسون بين صفوف الطوائف الشرقية في خارج اسرائيل ، بينما يندر عددهم في البلاد ؟ الا يعني ذلك شيئا ؟ »(٢٢) .

ويحمل امنون معلم (من اصل عراقي) المجتمع الاسرائيلي ما يسمى «التخلف الحضاري» لابناء الطوائف الشرقية ، مدركا ان الهوة الاجتماعية هي من انتاج محلي بقوله : لماذا يتغاضى هؤلاء الاختصاصيون عن واقع واحد : في اعوام الثلاثينات والاربعينات نجح العراق في تخريج ثانويين واكاديميين يهود اكثر بكثير مما خرجت اسرائيل خلال فترة ١٩٥١ — ١٩٧١ . ويضيف ان الكثيرين من هؤلاء اليهود خريجي المعاهد العراقية قد واصلوا دراساتهم في الجامعات المشهورة في بريطانيا وانهوا دراساتهم بامتياز ويقوم الكثيرون منهم بشغل وظائف علمية واقتصادية محترمة على الرغم من « التخلف التاريخي »(٢٣) . ويعتقد امنون معلم ان الواقع التمييزي الذي واجهه اليهود الشرقيون منذ مجيئهم الى اسرائيل ، بالاضافة الى الصورة السلبية التي خلقتها وسائل الاعلام الاسرائيلية والصقتها بأبناء الطوائف من « مهاجري البلدان المتخلفة » بالاضافة الى « فيروس » العنصرية الذي لا يزال يعتري فئات كثيرة في مجتمعنا مستشهدا بأولاد اشكناز ظهروا في برنامج تلفزيون واوضحوا ان آباءهم يحذرونهم من اللعب مع اولاد الاسفارادیم ، يعتقد امنون ان هذه العوامل هي السبب في الهوة واتساعها . اما سمحون بن شاؤول ، رئيس رابطة مهاجري شمال افريقيا ، فينسف وجهة النظر القائلة بأن الهوة « مستوردة » من الخارج ، مشيرا باصبع الاتهام الى المجتمع الاسرائيلي ، في مقارنة له بين خريجي الجامعات في اسرائيل من اليهود المغاربة وبين خريجي جامعة فاس من بين صفوف الجالية التي بقيت هناك « يوجد في اسرائيل ٤٥٠ شخصا من مهاجري شمال افريقيا انهوا دراساتهم الجامعية خلال الثلاثة والعشرين عاما لقيام الدولة . هذه مهزلة . سأطرح امامك مثالا : انني هاجرت من مدينة فاس في المغرب ، حيث بقي هناك نحو ثلاثة آلاف يهودي ، لقد تخرج من وسط هذه الجالية خلال الثلاثة والعشرين عاما الاخيرة اكاديميون اكثر بكثير ممن تخرجوا خلال سنني قيام الدولة من وسط جمهور يزيد تعداده على ٤٠٠ الف نسمة من مهاجري المغرب في اسرائيل »(٢٤) .

هذا بالنسبة للاوضاع التعليمية والثقافية ، اما فيما يتعلق بالظواهر السلبية التي يشار اليها بأنها « مستوردة » فقد كشف وفد يمثل طلبة الطوائف الشرقية اثناء اجتماعه برئيسة الحكومة زيف هذا الادعاء بقوله : « ان ظاهرة الاجرام والزنى لم تكن معروفة بين صفوف الشبيبة اليهودية في شمال افريقيا مثلما هي عليه في البلاد » . ولم تنبس غولدا مئير ببنت شفة عند سماعها ذلك على الرغم من انها من القائلين بـ «الاستيراد» . اما رئيس المجلس المحلي في أور يهودا ، يحزقيل قزار (من اصل عراقي) ، فقد اشار باصبع الاتهام الى المجتمع الاسرائيلي بقوله : « يتهمون مهاجري البلدان الاسلامية بأننا بؤرة اجرام وزنى ، ويتناسون ان اليهود في هذه البلدان لم يعرفوا البتة معنى الاجرام والزنى . ان المجرمين والزانيات من مهاجري البلدان الاسلامية هم اولئك الذين ولدوا في البلاد »(٢٥) .

ان سبب تخلف اليهود الشرقيين في اسرائيل وعدم مواكبتهم سير التطور الحضاري اسوة باخوانهم الموجودين في الخارج ، نابع عن التمييز الواقعي الذي يعانون منه في المجتمع الاسرائيلي . والحقيقة ان ابناء الطوائف الشرقية يبدأون يشعرون برائحة التمييز عندما

بينما أقدامهم اسرائيل ، حيث يبدأ الصراع بين التصور والواقع ، بين ما سمعوه من وعود ورديه من قبل دعاة الصهيونيه في الخارج وبين صخره الواقع التي ترتطم عليها هذه الوعود . يقول احد نشيطي الطائفه العراقيه حول التمييز في المعاملة :

« ... في ذلك الوقت قدمت هجرة من رومانيا ، ويتمثل الظلم الصارخ في كيفية استيعاب الطائفتين بشكلين مختلفين ، لقد نقلوا اولئك بسيارات الاوتوبيس واستقبلوهم استقبالا حارا مع الشرح والتوضيح ، بينما نقلونا في سيارات شحن بدون كلمة طيبه — وهكذا بدأنا نشعر بالغبن »(٢٦) . ومن الجدير بالذكر ان التمييز الذي يواجهه ابناء الطوائف الشرقية هو تمييز واقعي غير مكتوب ولا يمكن للباحث ان يعثر على اي نص في القوانين الاسرائيلية يشير الى التمييز (بين الطائفتين) ، الا انه موجود في جميع المجالات ، فاليهودي الشرقي حتى ولو نجح في منافسة بينه وبين يهودي غربي ، فان الوظيفة لن تكون من نصيبه ، مع ان القانون لا يقول بذلك ، بيد ان الواقع يشير الى ذلك ، كما يقول « يئير عوزاري » في ندوة حول موضوع الهوة الاجتماعية نظمتها مجلة شدموت الناطقة بلسان الحركة الكيبوتسية « فلنتحدث بصراحة . ان الذي يتحدث حول امكانية منافسة حرة ما هو الا بمثابة من يذر الرماد بالعيون . ليس هنالك منافسة حرة ، فحتى ولو أبدى مهاجرو البلدان الاسلامية تفوقا في مقدرتهم على شباب مهاجري اوروبا فانهم لن يحظوا بالوظيفة »(٢٧) .

ولكي ندرك التمييز الواقعي غير المكتوب الناجم عن البنية الهرمية الفريدة من نوعها للمجتمع الاسرائيلي لا بد من طرح صور للاستشهاد وللتدليل على التمييز، صورة المهاجر الروسي الذي ينال بيتا ومنزلا وفي بعض الاحيان توفر له « حانوت » بواسطة سلطات الاستيعاب من اجل العيش ، وعلى الرغم من ذلك فانه يحتج ... على ان الحكومة لا توفر له الزبائن ... وفي المقابل صورة اولئك المسحوقين الذين يقولون « لقد اعطونا بصعوبة بالغة سريرين ، ولكن اذا كنت روسيا فانهم سيعطونك كل شيء ، انهم يستلمون شقتين ، شقة لهم ، والاخرى للكلب » ، صورة مجموعة من الازواج الشباب يعانون من الضائقة السكنية ويقومون بعملية « غزو » للبيوت المعدة للمهاجرين الجدد ويحتلونها لفترة بسيطة قبل طردهم على ايدي قوات الامن ، وصورة المهاجرة الروسية الجديدة التي صدف وان جاءت لرؤية الشقة التي خصصتها لها الحكومة دون ان تعلم هوية « المحتلين » ، وبعد تفقدها الشقة قالت بتأفف ان الشقة غير صالحة لها ، « وعندما قلنا لها من نحن لم ترد ان تصدق بأنهم لا يعطوننا اي شيء »(٢٨) .

ذكرنا سابقا ان التمييز قائم في اسرائيل ولكنه غير مكتوب او محدد بقانون ، ومع ذلك فهنالك قوانين تسن وتشرع او تعدل ، تبدو وكأنها لمصلحة طبقة وليس لمصلحة طائفة مع ان الحافز لذلك هو حافز اثني . فمن المعروف ان اسرائيل تشجع النسل ، ومن اجل ذلك سنت قوانين لمساعدة العائلات الكبيرة محدودة الدخل من اجل تشجيعها على زيادة النسل ، وفي ١٩٦٨/٤/١ عدل قانون مؤسسة التأمين القومي الخاص بمنح مخصصات للعائلات الكثيرة الاولاد ، بحيث اصبحت العائلة التي يقدر دخلها بـ ٣٠٠ ليرة تنال على الولد الخامس ٢٦،٢٥ ليرة ، اما العائلة التي يقدر دخلها بـ ١٠٠٠ ليرة شهريا فانها تنال على الولد الخامس ١١٨،١٣ ليرة بينما كانت تنال في السابق ٣٦،٢٩ ليرة(٢٩) . ان التعديل الذي طرأ على القانون يبدو للوهلة الاولى انه يجيء لمصلحة الطبقة الموسرة التي تستطيع تربية اطفالها ، بيد ان الدافع الحقيقي له عدم تشجيع ابناء الطوائف الشرقية على التناسل ، وفي مقابل ذلك تشجيع فئة الالف ليرة ومعظمهم من ابناء الطوائف الغربية على زيادة النسل .

ان التمييز في اسرائيل ، كما يقول الدكتور افنير شاكي نائب وزير التربية والتعليم ، « قائم في جميع المجالات : في الثقافة والتعليم والسكن والعمل » .

قبل التطرق الى المجالات الاساسية التي تبرز فيها الهوة الاجتماعية لا بد من الوقوف قليلا عند التزاوج بين ابناء الطائفتين ليتسنى لنا معرفة الهوة القائمة بين وجهتي النظر في موضوع يعتبر من المسلمات من اجل « صهر يهود الشتات » في بوتقة واحدة . فعلى الرغم من ان الزواج المختلط يعتبر عاملا اساسيا في عملية الصهر الا اننا نجد ان الزواج المختلط يسير ببطء ، ويتعثر في كثير من الاحيان ، لا بسبب الدين لان الشرع اليهودي لا يحول دون ذلك ، بل بسبب الهوة الاجتماعية والنظرة العنصرية لابناء الاشكناز . فقد احتل الزواج المختلط في عام ١٩٦٩ نسبة ١٧،٥ ٪ من الزيجات فقط : شرقي وغربية ٩،٤ ٪ ، غربي وشرقية ٨،١ ٪ . وقد اورد الدكتور يوحنان بيرس في دراسة له عن « العلاقات الاثنية في اسرائيل » نتائج بحث جرى تحت اشرافه حول وجهة نظر طلبة ثانويين من ابناء الطوائف الغربية والشرقية تجاه الزيجات المختلطة ، واظهر البحث مدى الاستعلاء العنصري لدى الاشكناز ، فقد اتضح ان ٣٩ ٪ منهم يؤيدون الزواج المختلط والنسبة الباقية تبدي تحفظا ازاءه او تعارضه معارضة تامة ، بينما وقف ٨١ ٪ من الطلبة من مهاجري آسيا وافريقيا مع الزواج المختلط(٢٠). واذا كانت الاكثرية من شباب الاشكناز تعارض الزواج المختلط فكيف الحال لدى الاباء والشيوخ الاشكناز (للاستزادة حول هذا الموضوع انظر : ظاهرة الفهود السود ، اسبابها واصولها . شؤون فلسطينية العدد الرابع ، ص ١٥٢) .

ان السؤال الذي يتبادر الى الاذهان هو ما هو الانتماء الاثني لابناء الزيجات المختلطة ؟ ان الاجابة على ذلك تأتي من خلال مكتب الاحصاء المركزي الذي درج على تصنيف السكان اليهود في اسرائيل حسب الوطن الاصلي ، وابناء البلاد حسب الوطن الاصلي لآبائهم ، اما بالنسبة لاولاد الزيجات المختلطة فانهم يصنفون حسب الوطن الاصلي للأب .

نعود الان الى الحديث عن المجالات الرئيسية التي تعبر عن الهوة الاجتماعية ، لكي يتسنى لنا الوقوف على حجم هذه الهوة وكنهها .

الهوة الاقتصادية

تعتبر الهوة الاقتصادية من العوامل الرئيسية الكامنة وراء الهوات الاخرى الثقافية والعلمية والسكنية والوظيفية .

تفصح الهوة الاقتصادية عن نفسها من خلال النسبة المئوية لتوزيع مداخيل العائلات المدينية في اسرائيل حسب مجموعة الاعشار(٢١). ففي العام ١٩٥٤ كانت النسبة المئوية لمداخيل هذه العائلات موزعة كالتالي : العشر الاول ٢،٥ ، الثاني ٤،٥ ، الثالث ٦،٣ ، الرابع ٧،٦ ، الخامس ٨،٧ ، السادس ٩،٥ ، السابع ١٠،٤ ، الثامن ١٢،٥ ، التاسع ١٥،٣ ، الاعلى ٢٢،٧ . وفي العام ١٩٦٣/١٩٦٤ كانت النسبة المئوية موزعة (حسب الاعشار) كالتالي : ١،٦ ، ٣،٥ ، ٥ ، ٦،٥ ، ٧،٨ ، ٩،١ ، ١٠،٧ ، ١٢،٩ ، ١٦ ، ٢٦،٩ . وفي العام ١٩٦٨/٦٩ كان التوزيع كما يلي : ١،٥ ، ٣،٢ ، ٤،٩ ، ٦،٤ ، ٧،٨ ، ٩،٢ ، ١٠،٨ ، ١٣ ، ١٦،٤ ، ٢٦،٩ .

يلاحظ من هذا التوزع ان نسبة نصيب العائلات من الدخل العام ، ابتداء من العشر الاول وحتى العشر السادس آخذة في الهبوط ، بينما نسبة نصيب العائلات ابتداء من العشر السابع وحتى العشر الاعلى آخذة بالارتفاع . بمعنى آخر ان نصيب مداخيل ٦٠ ٪ من مجموع العائلات المدينية في اسرائيل من الدخل الاجمالي للعائلات المدينية قد هبط خلال الفترة المذكورة بينما ارتفع نصيب ٤٠ ٪ من العائلات من الدخل الاجمالي . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان « العلامات المميزة لعملية الاستقطاب الطبقي في اسرائيل تشير الى ان الطوائف الشرقية تتركز في المراتب الدنيا في جميع المجالات » كما يقول

دارسا علم الاجتماع في اسرائيل ر. بار وده. بادين غانه يتاتى لنا معرفة الفئات المتضررة من الهوة الاقتصادية القائمة والآخذة بالاتساع .

وقد نتج عن اتساع هذه الهوة مشكلة الفقر التي اصبحت تشمل ربع السكان . يقول الدكتور موشيه سنيه : « هنالك ١١ ٪ من مجموع ٦١٤ الف عائلة مدينية تحت حافة الفقر ، وهنالك ١٠،٣ ٪ على حافة الفقر ، وتشكل النسبتان ٢١،٣ ٪ ، اي ان كل عائلة خامسة في اسرائيل يسودها الفقر ، ولكن بما ان العائلات الفقيرة هي ايضا عائلات كبيرة نجد ان ٢٤ ٪ من مجمل النفوس تحت طائلة الفقر . وهذا يعني ان كل شخص رابع يعيش في حالة فقر . ومن بين العائلات التي لديها ستة اولاد فما فوق هنالك ٣٩ ٪ تعيش في حالة فقر »(٣٢).

ولايضاح الهوة بين متوسط مدخول العائلة الشرقية والعائلة الغربية نورد هنا احصائية وردت في دراسة للدكتور يوحنان بيرس ، قارن فيها متوسط الدخل للعائلة الشرقية بالنسبة الى متوسط الدخل للعائلات الغربية خلال سنوات مختلفة ، وتشير هذه الاحصائية الى الاتساع البطيء بين متوسط الدخل للفئتين .

في عام ١٩٥٦ كان متوسط دخل العائلة الشرقية ٧٣ ٪ من متوسط دخل العائلة الغربية وفي العام ١٩٥٩ كان ٧٣ ٪ ، وبلغ متوسط دخل العام ١٩٦٣ ٧١ ٪ ، ٧٢ ٪ في العام ١٩٦٥ ، و٦٨ ٪ في العام ١٩٦٦ ، و٦١ ٪ في العام ١٩٦٧ ، و٧٠ ٪ في العام ١٩٦٨ ، و٦٩ ٪ في العام ١٩٦٩(٣٣).

ان النسب الآنفة الذكر لا توضح الهوة في متوسط مستوى المعيشة بين الافراد بل بين العائلات ، ومن المعروف ان عدد افراد العائلة الشرقية يفوق عدد افراد العائلة الغربية ، ولذا اعتمدنا على الاحصائية لتوضيح الهوة بين متوسط مصاريف الفرد في العائلة الغربية وبين متوسط مصاريف الفرد في العائلة الشرقية(٣٤). ففي العام ١٩٥٩ بلغ متوسط المصروف الشهري للفرد في العائلة الاشكنازية ١٣٠ ليرة ، وفي العام ١٩٦٣/٦٤ ١٧٠ ليرة ، وفي العام ١٩٦٨/١٩٦٩ ٣٥٠ ليرة مقابل ٨٠ ليرة ، ١٠٠ ليرة ، و١٩٠ ليرة للفرد في العائلة الاسفاردية . وبهذا يكون الفرق ٦٠ ٪ للعام ١٩٥٩ ، ٧٠ ٪ للعام ١٩٦٣/١٩٦٤ ، و٨٥ ٪ للعام ١٩٦٩/٦٨ .

ان الاستنتاج الذي يخرج منه المرء من هذا التوزع واضح : ازدياد الهوة في مستوى المعيشة بين العائلات الشرقية والعائلات الغربية خلال اعوام الستينات على الرغم من الارتفاع العام في مستوى المعيشة خلال هذه الفترة .

الى جانب ذلك يمكن لنا توضيح الهوة بين ابناء الطائفتين من خلال نسبة العائلات من كلا الجانبين التي تملك سيارة خاصة .

ففي العام ١٩٦٢ كانت ٦،١ ٪ من العائلات الاشكنازية تمتلك سيارة مقابل ١ ٪ من العائلات الاسفاردية ، وفي العام ١٩٦٤ كانت النسبة ١٠ ٪ مقابل ١،٧ ٪ ، وفي العام ١٩٦٩ كانت النسبة ١٧،٦ ٪ مقابل ٥،٦ ٪ ، وبذلك تكون الفجوة ٥،١ ٪ للعام ١٩٦٢ ، و٨،٣ ٪ للعام ١٩٦٤ ، و١٢ ٪ للعام ١٩٦٩(٣٥).

من هنا يتضح لنا ان الهوة الاقتصادية بين الطوائف الغربية والشرقية آخذة بالاتساع .

الهوة السكنية

لكي ندرك الهوة السكنية لا بد من الرجوع الى مراحل استيعاب المهاجرين التي تت عقب قيام اسرائيل . لقد مرت عملية الاستيعاب بمراحل عدة ، مرحلة المخيمات ومرحلة المعابر ، وهاتان المرحلتان كانتا من اقسى مراحل الاستيعاب، ثم اعقبتهما مرحلة اقيمت بالافتقار الى التخطيط ، اقيمت فيها ضواح سكنية بسيطة بالقرب من المدن بواسطة

شركة « عميدار » الاسرائيلية . وتلت هذه المراحل الثلاث التي أملتها الظروف لمواجهة سيل الهجرة الجماعية في مطلع الخمسينات ، مرحلة جديدة للاستيعاب بدأت في النصف الثاني من الخمسينات ولا تزال حتى اليوم ، مرحلة الاستيعاب المخطط ، تعتمد على التخطيط المدروس في اقامة الضواحي والمستوطنات الدائمة .

وخلال المراحل الاولى الثلاث سكن المهاجرون من اليهود الشرقيين والغربيين على حد سواء في المخيمات وفي المدن العربية المهجورة والمعابر والضواحي البسيطة التي اقامتها شركة عميدار . ولم يكن هنالك تمييز يذكر في عملية اقتسام هذه البيوت لان واقعها التعيس لا يسمح بقيام تمييز . بيد ان التمييز بدأ يظهر جليا عند البدء في المرحلة الجديدة التي اتسمت بالتخطيط المدروس والتي كان القصد منها نقل المهاجرين من مراحل الانتقال الثلاث السابقة الى مرحلة استيعاب جديدة، وقد سارت هذه المرحلة في اتجاهين : الاول بناء ضواحي سكنية جميلة قرب المدن الاسرائيلية وفي المناطق الجميلة ، والاخرى اقامة « قرى تطوير » في المناطق النائية بالاضافة الى اقامة مستوطنات على مختلف انماطها. ومن هنا بدأت عملية الفرز والاستقطاب الاثني المبنية على التمييز . اذ اخذ اليهود من ابناء الطوائف الغربية يوجهون الى الضواحي الجميلة بمنحهم قروضا حكومية ، واخذ اليهود من ابناء الطوائف الشرقية يوجهون بشكل عام الى ما يعرف بقرى التطوير والقرى الزراعية النائية . وبذلك ولدت الهوة السكنية عند منتصف الخمسينات واخذت تتسع الى ان بلغت حجمها الراهن في مطلع السبعينات ، وكان لها دور في عملية الاستقطاب الطبقي الاثني ، وفي زيادة حجم الهوة الثقافية والاقتصادية .

سارت عملية استقطاب ابناء الطوائف الغربية في الضواحي الجميلة وفي المدن سيرا حثيثا وتخطت عمليات الاستيعاب المرحلية ، بينما تعثرت عملية نقل أبناء الطوائف الشرقية الى مرحلة الاستيعاب الجديدة ، حيث بقي قسم منهم في المعابر وفي البيوت العربية المهجورة وفي المساكن البسيطة كشركة عميدار . ومن هنا بدأت تظهر ما يعرف بالاحياء الفقيرة في المدن ، ووجه قسم آخر الى القرى الزراعية ، وخاصة الى قرى التطوير .

كان في اسرائيل (حتى نهاية عام ١٩٦٨) نحو ٣٠٠ موقع سكني فقير (احياء فقيرة ومعابر ومساكن عميدار) ويبلغ تعداد سكانها نحو ٤٥٠ الف نسمة (قرابة مئة الف عائلة) . وفيما يتعلق بالمدينتين الرئيسيتين في اسرائيل ، القدس وتل ابيب ، فقد اظهر بحث لكلية الشؤون الاجتماعية التابعة للجامعة العبرية حول قضايا الفقر في القدس ان ١٨،١٢٤ عائلة يبلغ تعداد افرادها ٦٨،٨١٧ نسمة (اي ربع سكان القدس اليهودية) تسكن في مساكن غير صالحة للسكن ، كما وأوضح البحث ان هنالك عشرة آلاف مسكن آخر على حافة الخلل والتحول الى الاحياء الفقيرة(٢٦). اما في تل ابيب كبرى المدن الاسرائيلية ، فقد ذكر نائب رئيس البلدية استنادا الى دراسة اجرتها بلدية تل ابيب ان كل شخص ثالث في هذه المدينة يعيش بظروف فقر وان ٢٨ الف عائلة يبلغ تعدادها ١٣٠ الف نسمة تسكن في مباني غير صالحة شبيهة بالاكواخ . اما البروفيسور يتسحاق هلبرخت ، رئيس الجمعية الاسرائيلية لتخطيط العائلة ، فقد ذكر انه يوجد في تل ابيب ١٢٠ الف نسمة (٢٨ الف عائلة) يعيشون تحت حافة الفقر او بالقرب منها(٢٧).

يمن المعروف ان عملية الفرز الطبقي او الاستقطاب الاجتماعي القائمة على التمييز في المجتمع الحديث قد جعلت هذه الاحياء من نصيب ابناء الطوائف الشرقية ، الامر الذي ادى الى خلق ظواهر سلبية . ذلك ان الظروف السكنية الصعبة في الاحياء الفقيرة تعتبر اساسا لجميع الظواهر السلبية : هروب آباء وابناء من البيت ، تفكك الاسرة ، انتعاش وار المسموم والزنى ، وقيام عصابات شوارع تنهمك في اعمال السطو والنهب . ومن المعروف انه يوجد في تل ابيب قرابة ٢٠٠ عصابة ، تضم كل واحدة منها ما بين ٢٠ الى

٦٠ فقط (٣٨) من ابناء الاحياء الفقيرة ، ويقوم هؤلاء في بعض الاحيان بمهاجمة الضواحي الغنية في شمال تل ابيب ويصطدمون مع الفتية الاشكنار .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الاحياء الفقيرة في المدن هي بمثابة بؤر اشعاع لغضب ابناء الطوائف الشرقية وسخطهم وانتفاضاتهم على اوضاعهم اكثر مما هو الحال عليه في قرى التطوير او المستوطنات الزراعية ، ذلك ان هذه الاحياء تقع بالقرب من الضواحي الغنية والجميلة التي تستوعب المهاجرين الجدد ، احيـاء تكاد تكون معتمة يسكنهـا اليهود الشرقيون واحياء تعج بالاضواء من نصيب اليهود الغربيين .

الى جانب الاحياء الفقيرة في المدن ، هنالك امكنة تجمع لليهود الشرقيين في قرى التطوير التي بنتها سلطات الاستيعاب في الاماكن النائية في النصف الثاني من الخمسينات . وقد بلغ عدد هذه القرى نحو ٣٠ قرية وصل تعداد سكانها في نهاية عام ١٩٦٨ قرابة ٤٣٢ نسمة من مجموع ٢،٥ مليون يهودي في ذلك الوقت . وتزيد نسبة ابناء الطوائف الشرقية في هذه القرى على ٨٠٪ (٣٩) من مجموع مستوطنيها .

تعاني قرى التطوير من اوضاع اقتصادية صعبة ، ولذا فان ظاهرة الهجرة المعاكسة منها الى المدن والمستوطنات غدت قويـة ، الامر الذي يزيد مـن حدة تازم الاوضاع الاقتصادية . ويصف البروفيسور نتان ليتسفيلد هذه الظاهرة بقوله : « وبما ان اصحاب الكفاءات والمهن الحرة يهجرون قرى التطوير فان المستوى الاجتماعي الاقتصادي يهبط باستمرار ، ولو لم يكن هنالك نزوح في اعوام الستينات فان الزيادة في عدد سكان قرى التطوير ستصل الى ثلاثة اضعاف الزيادة الحقيقية . ان هذه القرى تتدهور الى وحدة طائفية ووظيفية ووحدة في الدخل بمستوى اجتماعي اقتصادي منخفض »(٤٠). امـا الاوضاع الثقافية والتعليمية فانها لا تقل عن الاوضاع الاقتصادية المتدهورة ، ففي هذه القرى نجد ان ثلث السكان لم يحصل على ثقافة ابتدائية مطلقا او تعلم ٤ اعوام فقط ، بينما تصل هذه النسبة بين صفوف السكان اليهود كافة في اسرائيل الى السدس(٤١). وعلى الرغم من الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتردية في قرى التطوير ، فلا نجد فيها مظاهر عنف واحتجاج على هذه الاوضاع بالمقدار نفسه الموجود في الاحياء الفقيرة في المدن بسبب بعدها عن الضواحي الجميلة المعدة للمهاجرين الجدد من ابنـاء الطوائف الغربية . ولذا فان مظاهر الغضب والتمرد على اوضاعها تكون عادة انعكاسا لمظاهر التمرد التي يقوم بها سكان المدن من ابناء الطوائف الشرقية .

ويمكن ايضاح الهوة السكنية بين ابناء الطائفتين ــ اذا استثنينا عامل جمال المنطقة ــ بواسطة الاحصائية التالية حول النسبة المئوية للعائلات التي تسكن بحالة اكتظاظ (عدد الاشخاص في الغرفة يزيد على ثلاثة اشخاص)(٤٢):

في العام ١٩٦٤ كان ٤٨ ٪ من العائلات الاسفاردية يسكنون في بيوت مكتظة مقابل ١٢ ٪ من العائلات الاشكنازية . وفي العام ١٩٦٥ كانت النسبـة ٣٠ ٪ للاسفارديين و٦ ٪ للاشكنازيين ، وفي العام ١٩٦٩ كانت النسبة ٢٠ ٪ و٢ ٪ بالتالي . وبهذا تكون الهوة اربعة اضعاف في العام ١٩٦٤ ، وارتفعت الى خمسة اضعاف في العام ١٩٦٥ ، والى عشرة اضعاف في العام ١٩٦٩ .

يتضح من ذلك انه على الرغم من ارتفاع مستوى السكن خلال الستينات فان الهوة السكنية اتسعت بشكل مضطرد بين الطائفتين .

الهوة الثقافية

كان من نتيجة التمييز الواقعي في المجتمع الاسرائيلي وظهور الهوتين الاقتصادية والسكنية ان ظهرت على السطح هوة اخرى وتعززت بهما، يندر وجودها في اي مجتمع من المنظومة العالمية تكون فيه الهوة سحيقة الى هذا الحد بين مجموعة اثنية تشكل اكثرية السكان

لا تنال من التعلم الا النذر اليسير ، وبين مجموعة الاقلية التي تشكل الشريحة المتعلمة للمجتمع ككل ، الا وهي الهوة الثقافية .

هنالك اسباب عدة وراء هذه الهوة :

١ ــ التمييز الواقعي الذي يلف بين جناحيه جميع المجالات في اسرائيل وخاصة الاقتصادية والسكنية والوظيفية .

٢ ــ رغبة السلطات العليا في توجيه تلاميذ ابناء الطوائف الشرقية لدراسة الموضوعات المهنية في المدارس الصناعية والزراعية .

٣ ــ غياب عامل تكافؤ الفرص في الحصول على الوظيفة ، حيث يفضل الغربي في شغل الوظيفة حتى ولو كان الشرقي متفوقا عليه في حالة المنافسة الحرة على شغل وظيفة او منصب حكومي ، الامر الذي يدفع الطالب الشرقي الى البحث عن مجال عيش آخر غير مجال التعليم .

٤ ــ التباين بين المدارس ، فمدارس الاحياء « الراقية » التي يتلقى العلم فيها ابناء الاشكناز تمتاز بمبانيها الجميلة وباستكمالها مستلزمات المدرسة الحديثة كافة . اما مدارس الاحياء الفقيرة وقرى التطوير فانها تختلف عن الاولى من ناحية المباني ، وتفتقر الى متطلبات المدرسة العصرية على الرغم من ان هذه المدارس تتبع مباشرة وزارة التعليم .

٥ ــ التباين في كفاءة المعلمين ، فقد درجت وزارة المعارف على ارسال المعلمين ذوي الكفاءات الى مدارس الضواحي الراقية ، اما المعلمون الاقل كفاءة او الذين يفتقرون الى كفاءات تدريسية فيستقطبون في الضواحي الفقيرة وقرى التطوير .

٦ ــ واخيرا طبيعة البرامج الدراسية ، حيث تشتمل هذه البرامج على تاريخ الطوائف الغربية وحضارتها وآدابها وتمر مر الكرام على تاريخ ابناء الطوائف الشرقية وحضارتهم وآدابهم ، هذا مع العلم ان ابناء الطوائف الشرقية كانوا حتى القرن الثالث عشر مركزا مضيئا للحضارة اليهودية « انهم لا يعرفون ولا يتعلمون في البلاد تاريخ يهود البلدان الاسلامية» كما يقول مردخاي الجري رئيس حركة « عوديد » الامر الذي يجعل الطالب الشرقي يمر في مرحلة شبيهة بمرحلة عملية غسل الدماغ ، لا يعرف شيئا عن تاريخ آبائه واجداده حتى ليخيل اليه أن لا اصول حضارية له ، الا الاصول الحضارية لابناء الاشكناز . هذا فضلا عن ان تاريخ ابناء الطوائف الغربية مملّ ويتسم بطابع الاسى والحزن ، والقاسم المشترك لتراث ابناء هذه الفئة وأدبهم وتاريخهم يتلخص في كلمة واحدة : الاضطهاد ، بينما تراث ابناء الطوائف الشرقية وأدبها شبيه بالتراث الانساني ويخلو من عقدة الاضطهاد .

تفصح الهوة الثقافية في المجال التعليمي عن نفسها في التدني المضطرد في نسبة تمثيل اليهود الشرقيين في المراحل الدراسية الثلاث : الابتدائية من الصف الاول حتى الثامن (الزامية ومجانية) والثانوية من التاسع حتى الثاني عشر (مقابل اقساط) والمرحلة الجامعية (مقابل اقساط) . ففي الصف الاول الابتدائي نجد ان نسبة الطلبة الشرقيين قريبة من نسبتهم العامة في اسرائيل ، اذ يحتلون نسبة تزيد على ٦٢ ٪ بيد ان هذه النسبة تأخذ في التدني الى ان تصل في الصف الثامن الى ٤٥ ٪ (٤٣) . اما النسبة في المدارس الثانوية فانها تأخذ بالتدني الشديد لتصل الى ١٧،٧ ٪ . وتمثل هذه النسبة المدارس الثانوية والمهنية والزراعية كافة . ويتوزع ابناء الطوائف الشرقية على الفروع الثلاثة بالنسبة التالية(٤٤):

	الصف التاسع	الصف العاشر	الحادي عشر	الثاني عشر	مجموع الصفوف الاربع
في المدارس الثانوية (النظرية)	١٥٫٨	١٣٫٨	٩٫٨	٧٫٨	١٢٫٦
في المدارس الصناعية	٢٩٫٧	٢٥٫٥	٢٠٫٤	١١٫٨	٢٥٫١
في المدارس الزراعية	٣٣٫٩	٢٦٫٤	٢٢٫٣	١١٫٦	٢٦٫٧
في المدارس كافة	٢٢٫١	١٨٫٥	١٤٫٤	٨٫٨	١٧٫٧

هناك عدة ملاحظات على الجدول المذكور :

١ ــ ليس هنالك شك بأن التدني المضطرد في نسبة تمثيل اليهود الشرقيين في المرحلة الثانوية ناجم عن اوضاعهم الاقتصادية المتردية ، فالداخيل المنخفضة لا تؤدي بشكل عام الى ثقافة عالية خاصة في بلد يفرض اقساطا شهرية مرتفعة على تلاميذ المدارس الثانوية ، كما ان الثقافة المتدنية (وهذا الامر ناجم عن طبيعة المجتمع) تعرقل امكانية الحصول على مداخيل عالية ، وهذه هي الدائرة المفرغة المفروضة على ابناء الطوائف الشرقية . ٢ ــ من الملاحظ ان نسبة الطلبة الشرقيين في المدارس الصناعية والزراعية اعلى منها في المدارس الثانوية النظرية ، ويعود ذلك الى تشجيع السلطات وقيامها ببناء مدارس من هذين الفرعين بين صفوف الطوائف الشرقية على حساب المدارس الثانوية النظرية . ٣ ــ وفيما يتعلق بالمدارس الثانوية فاننا نرى ان نسبة الطلبة الشرقيين فيها متدنية بشكل كبير حيث تصل الى نصف النسبة في كل المدارس الصناعية والزراعية ، وكان يمكن لهذه النسبة ان تكون ادنى بكثير من ١٢٫٥ ٪ لولا استيعاب هذه المدارس لاعداد من المهاجرين الشرقيين وخاصة من ابناء شمال افريقيا الذين انهوا جزءا من دراساتهم الثانوية في فرنسا ، ذلك ان هذا النوع من المدارس غير متوفر بشكل كاف في المناطق التي يسكنها الشرقيون ، بل في الضواحي التي تخص ابناء الطوائف الغربية ، الامر الذي يضطر الطالب الشرقي على الانتقال من ضاحية الى ضاحية اخرى في الفترة التي يبلغ فيها سن البلوغ والمراهقة ، وهذان الامران يؤثران تأثيرا حاسما على مسلكه وتصرفه . فهو من ناحية يشعر بأنه اصبح في محيط جديد ، ويحاول التأقلم فيه ، فيبدأ بالتشبه بأبناء الاشكناز من حيث المأكل والملبس والخروج مع الفتيات ، الا انه من ناحية ثانية لا يستطيع لاسباب مادية ، بالاضافة الى الخجل والحساسية ، الحصول على مبتغاه . وبين الرغبة في الحصول على ما يريد والعراقيل التي تقف أمامه ، يتعثر الطالب الشرقي في مدرسته الجديدة ويبدأ بالتفكير في الخروج منها . وهذا ما يفسر لنا التدني في نسبة تمثيلهم في هذا النوع من المدارس(٤٥) ، التي تعتبر البوابة الرئيسية ان لم تكن الوحيدة لدخول الجامعات الاسرائيلية . هذا مع العلم ان نسبة من يتلقون دراساتهم في الصف الثاني عشر في المدارس الثانوية من ابناء الطوائف الشرقية تصل الى ٧٫٨ ٪ فقط .

وفيما يتعلق بتمثيل ابناء الطوائف الشرقية في المعاهد الاسرائيلية فانه يأخذ ايضا بالتدني ، حيث ان نسبة الحاصلين على الدرجة الجامعية الاولى تصل الى ٧ ٪ اما نسبة الحاصلين على الدكتوراه فتصل الى ٣ ٪ فقط .

هذا فيما يتعلق بالتعليم خلال المراحل الدراسية الثلاث ، والسؤال الذي يتبادر الى الاذهان ، ما هي نسبة تمثيلهم في الهيئة الاكاديمية ؟ لا تتوفر حتى الان احصائية رسمية حول هذا الموضوع ، الا ان نائب وزير التربية والتعليم الدكتور افنير شاكي اجرى دراسة بمساعدة الجامعات الاسرائيلية تشير الى وجود هوية كبيرة في التمثيل في الهيئة الاكاديمية(٤٦) . ففي معهد الهندسة التطبيقية في حيفا هنالك ٨٠ محاضرا (من اصل

اسيوي افريقي) من مجموع ٨٠٠ محاضر واستاذ اي ١٠ ٪ وفي جامعة تل ابيب يوجد ٣٥ محاضرا من مجموع ١٠٠٠ محاضر واستاذ اي ٣٥ ٪ ، اما في معهد وايزمان فهنالك ثلاثة علماء فقط (واحد من مراكش ، وآخر من تونس والثالث من العراق) من مجموع ٣٧٠ عالما ، اي ان النسبة تقل عن ١ ٪ . ولم تتوفر احصائيات عن بقية الجامعات والمعاهد .

من الملاحظ ان الهوة الثقافية بين ابناء الطائفتين واسعة ، وتأخذ بالاتساع الشديد في المراحل العليا من الدراسة ، ويعتقد الدكتور يوحنان بيرس ان المساواة في التعليم بين ابناء الطائفتين ستستغرق مدة طويلة ، ويقدر هذه المدة بـ ٨٠ عاما !

الهوة في المؤسسة العسكرية

يخطىء من يتصور ان الهوة لم تمتد الى الجيش الاسرائيلي . فالهوة التي شملت المجالات الاقتصادية والسكنية والثقافية امتدت ايضا الى المؤسسة العسكرية في اسرائيل وشملتها . وتعكس الهوة نفسها في سلم الرتب العسكرية وهي شبيهة الى حد بعيد بسلم المراحل التعليمية ، الا انها تتفوق عليها في كون المرتبة العليا ـ هيئة الاركان ـ تخلو تماما من ابناء الطوائف الشرقية . وتسير عملية الاستقطاب في سلم الرتب العسكرية نتيجة للهوة الاجتماعية ، في مسار اثني ، « فعدد العسكريين (الشرقيين) يأخذ دائما بالهبوط كلما تسلقنا الرتب العسكرية » بينما يأخذ عددهم بالازدياد في حالة الهبوط في سلم الرتب ، وتبلغ النسبة اوجها في المرتبة الدنيا . يقول عوفير يسرائيل من كفار فيتكين ، ٣٢ عاما ، احد اعضاء لجنة عينتها رئيسة الحكومة لمعالجة القضايا الاجتماعية « ينبغي ان لا تعتقد بأن الوضع في الجيش هو على ما يرام . ليتك تعرف كيف تتوزع الرتب في الجيش من الناحية الطائفية . الا ان الجيش الاسرائيلي ينجح في الحفاظ على التكتل ، ويا ويلنا اذا ما انتهك هذا التكتل بشكل خطير خارج الاطار العسكري . ومن الواضح لي ان ذلك سينعكس بشكل خطر على الجيش ايضا »(٤٧).

ويعود نجاح الجيش الاسرائيلي « في الحفاظ على التكتل » لاسباب عدة منها : ١ ـ ان الجيش الاسرائيلي ـ كأي جيش آخر ـ يخضع لاوامر وتعليمات عسكرية تحول دون زج افراده في نقاشات سياسية حول مواضيع حساسة مثل التمييز كما وتحول دون التيارات السياسية المختلفة في اسرائيل من القيام بنشاطات سياسية بين صفوفه .

٢ ـ ان الهوة الاقتصادية في الجيش ليست كالهوة الاقتصادية خارج اطار الجيش .

٣ ـ ان العلاقة بين فئة الجنود وبين فئة الضباط تخلو بقدر الامكان من الشوائب البيروقراطية والعسكرية .

ومع ذلك فان الهوة قائمة ، ويشعر ابناء الطوائف الشرقية بالغبن اللاحق بهم نتيجة احتكار فئة الاشكناز لمناصب هيئة الاركان ويشكون من عدم تمثيلهم في المناصب العليا . ويفسر البعض منهم ذلك بشك الاشكناز في ولائهم : « سمعت ذات مرة ان شخصية كبيرة اجابت عندما سئلت عن عدم وجود ضباط كبار في الطوائف الشرقية ، بأن السبب يعود الى انهم لا يثقون فيهم حتى النهاية ... الى ان جاء يسرائيل بار ويسرائيل كستر ، واثبتا انه يوجد ايضا خونة اشكناز »(٤٨).

وعلى الرغم من نجاح الجيش الاسرائيلي في الحفاظ على التكتل فان التناقضات الاجتماعية الاثنية تعكس نفسها على الفئتين الرئيسيتين وتؤدي في بعض الاحيان الى التصادم والاشتباك بالايدي بين صفوفه « فكثيرا ما يحدث » كما يقول عمران بن كوهين الذي خدم في الجيش في سلاح المظليين : « ان تقع اشتباكات بين الاشكناز والاسفارديم » « ... في فبراير ١٩٦٧ تطوعت في سلاح المظليين ولم انجح في ازالة الفوارق التي

أثارها الآخرون حول ابناء طائفتي ، وقد حدثت اكثر من مرة اشتباكات بين الاشكنازيم والاشفارديم . . . كانوا ينعتوننا بالمجرمين او « مراكشي مسكين » كل ذلك ضمن اطار الجيش ، ولم يكن ذلك دائما بروح طيبة ، وحينذاك نصل الى الاشتباك . لم يكن لنا اي شيء مشترك مع ابناء الكيبوتس والاشكناز الاخرين »(٤٩) . وهذه هي المرة الاولى التي تتكشف فيها الصراعات داخل الجيش على اساس اجتماعي اثني ، ولعل هذه الصراعات كانت من بين الاسباب التي دعت بعض المسؤولين للتحذير من « خراب الهيكل الثالث » .

الا أن ما هو أخطر من هذه الاشتباكات ، توصل البعض من ابناء الطوائف الشرقية الى التمرد على الخدمة العسكرية وذلك بواسطة ارجاع الهويات العسكرية الى الجيش ادراكا منهم بأن الجيش هو المكان الوحيد الذي تحتاجهم فيه السلطات العليا ، حيث يشكل ابناء الطوائف الشرقية لبنة اساسية في حجمه ، مطلقين صرخة المسحوقين الذين يساقون الى الحروب لمصلحة الاسياد : « نقاتل من اجل من ؟ » أو كما يقول حانوخا مزراحي احد المتمردين على الخدمة العسكرية « انهم يرسلوننا الى الجيش للمحافظة على المتحف الخاص بموشيه ديان ، في الوقت الذي لا نملك فيه مكانا للنوم — لماذا ينبغي علينا أن نذهب للجيش ؟ » او كما يقول زميله « جيورا » : « عندما روى زميلان لنا بأنهما تلقيا أمرا بالانخراط في سلك الاحتياط ، فكرنا : نقاتل من اجل من ؟ ولماذا نقاتل ؟ عندما كنا ابناء ١٨ عاما ذهبنا الى الجيش بقلب مفعم بالحب . . . واعتقدنا ان ذلك بمثابة فخر لنا ، ولكن اتضح بمرور الزمن ان الجيش هو بمثابة المكان الوحيد الذي تستخدمنا فيه الدولة . . ليس من المعقول ان يطلبوا منا ان نقدم ارواحنا لدولة لا توفر لنا ادنى الشروط للعيش كبشر » . ولعل ما هو أخطر من ارجاع الهويات العسكرية ، ظاهرة التهديد باستخدام العنف من قبل المتمردين على الخدمة العسكرية ، الذين لا يرون في ارجاع الهويات آخر المطاف في نضالهم ، بل حلقة تؤدي الى حلقة العنف كما يقول حانوخا مزراحي « اننا نأمل في ان يستمعوا الينا الان ، **وان لا يعطونا فرصة لاستخدام ما تعلمناه في الجيش** . . . ولكن في المكان الذي يسيطر فيه قانون الغاب — مثل هذه البلاد — في المكان الذي لا يمكن فيه الحصول على شيء الا عن طريق العنف ، فاننا لن نتردد ايضا نحن عن التصرف كالآخرين . لن نأكل الطين ونقول بأنه عسل »(٥٠) .

الى جانب هؤلاء المتمردين الذين يحذرون من « ان لا يعطونا فرصة لاستخدام ما تعلمناه في الجيش » هنالك كاتب اسرائيلي يدعى يهودا نيني (من أصل يمني استطاع بعصاميته أن يثقف نفسه بنفسه ويحصل على الدرجة الجامعية العليا) لم يتوجه الى السلاح مهددا ، بل توجه الى من ماتوا تحت السلاح عام ١٩٤٨ من بين اليهود الشرقيين وخاصة اليمنيين منهم ، توجه اليهم ليخبرهم بأنهم ماتوا ميتة رخيصة ، ماتوا نتيجة الكذب والخداع والتضليل من قبل تجار الحروب « وانني اعرف كيف سقطوا ، واعرف اعمالهم حتى ساعتهم الاخيرة ، الا انهم لا يعرفون اعمالنا ، انهم لا يعرفون الى اي حد خانهم المجتمع الاسرائيلي ، الى اي حد هانت المثل التي قاتلوا من اجلها ، انهم لا يعرفون بأن تجار الحروب اولئك الذين يعتقدون بأن دماءهم أكثر احمرارا من دمائهم ، هم المسيطرون اليوم »(٥١) .

ويبلغ يهودا نيني الذروة في مرثيته بقوله : « لقد قلت — انني لست ذاهبا الى قبورهم ، ولكن يبدو لي انه يتوجب علي أن أذهب لاقول لهم انهم خدعوهم وضللوهم وغرروا بهم ، لاقول لهم بأن موتهم كان رخيصا وتضحيتهم ذهبت سدى ، لاقول لهم ان آباءهم يسكنون الجحور والكهوف بينما تقاسم الآخرون فيما بينهم الاماكن الجميلة في البلاد ، ويبدو لي انه ينبغي علي ان أزورهم لاقول لهم « ان الذروة في حياتكم هي لحظة مماتكم . . . » لاقول لهم أن الشعلة المضيئة من قبورهم قد أخمدتها أنهار الكذب وأن رماد الشعلة قد جرفته أنهار الفساد . . . »(٥٢) .

كان من نتيجة الهوة الاجتماعية ، ان برزت اشكال متعددة للصراع ضد الواقع التمييزي لابناء الطوائف الشرقية ، وقد تحددت هذه الصراعات في قوالب معينة ومتفاوتة ، تتفاوت في العنف والمسيرة ، في الطلب باستعطاف او الاخذ بالقوة ، في الهبة المنظمة من خلال تنظيم ، او الهبة العفوية الشعبية . واشهر الحركات التي برزت نتيجة الواقع التمييزي:

١ ــ حركة الفهود السود (انظر ظاهرة الفهود السود ، اسبابها واصولها . شؤون فلسطينية ، العدد الرابع ، ص ١٤٢) . ٢ ــ ظاهرة الازواج الشباب (انظر شؤون فلسطينية ، العدد العاشر ، ص ٦٥) . ٣ ــ حركة عوديد : تمتاز هذه الحركة التي أنشئت في أوائل الستينات على أيدي مثقفين من أبناء مراكش بعدم ثوريتها وبمسايرتها للسلطة ، وتقوم بنشاطات تثقيفية بين أوساط مهاجرين يهود شمالي افريقيا ، وتعمل من أجل زيادة تمثيل اليهود الشرقيين في المراحل التدريسية المختلفة . ومن الجدير بالذكر ان المؤسسة الحاكمة تغمر حركة « عوديد » بعطفها ، بينما تصب جام غضبها على حركة الفهود السود والازواج الشباب .

اما على الصعيد الشعبي فقد تباينت اشكال النضال واتخذت قوالب مختلفة مثل الاضرابات والتظاهرات والتهديد بالتنصر ومغادرة البلاد . على ان أخطر سلاح نضالي اتخذ حتى الان هو سلاح النزوح من المستوطنة او القرية واخلائها من سكانها حتى تتحقق مطاليبهم . ففي ٧٢/٣/٢٦ قام سكان قرية « زرعيت » في الجليل الاعلى (يهود شرقيون) باخلاء قريتهم لمدة اسبوع احتجاجا على أوضاعهم الصعبة وعلى الواقع التمييزي الذي يعانون منه ، وتمت عملية النزوح على الرغم من المحاولات الكبيرة التي بذلتها السلطات الاسرائيلية لمنع الاهالي من الاقدام على استخدام مثل هذا السلاح . وقد بقيت القرية طوال اسبوع خالية من سكانها . وتعتبر عملية النزوح هذه ظاهرة جديدة في اسرائيل ، ولم يسبق لها ان حدثت في فترة اليشوف او فترة قيام الدولة .

. . .

لا بد لنا في نهاية حديثنا من التطرق الى ظاهرة الكراهية التي ولدت نتيجة التركيبة الفريدة للمجتمع الاسرائيلي ، وتلفعت في أحضان الهوة الاجتماعية ، ونمت وترعرعت تحت ظلال التمييز . ان كراهية ابناء الطوائف الشرقية للغربيين ناجمة بالاصل عن الواقع الاستغلالي الذي يرزحون تحته ، اما كراهية الجانب الآخر فهي نابعة بالاصل عن النظرة الاستعلائية المشفوعة بالعنصرية . وقد عبرت يهودية روسية ذات ثقافة اكاديمية عن مشاعر كثير من الاشكناز عند تطرقها لموضوع الكراهية بقولها : « ... صحيح اننا نكرههم . وصحيح انهم يكرهوننا . اننا اسرائيليون وهم اسرائيليون بيد ان سورا كبيرا يفصل بيننا . اننا نعيش في مستويات مختلفة ومفاهيم مختلفة . اننا نتحدث بشكل آخر ونفكر بشكل آخر وينظر الواحد منا الى الثاني بشكل آخر ... ان هذا لاكثر من طائفتين مختلفتين ... هذا بمثابة شعبين مختلفين ... صدقني هذه ليست عنصرية ، ان ذلك ليس مسألة لون جلد وكذلك ليس مسألة البلد الاصلي . ان هذا الذي يحدث ناجم عن الكراهية الثقافية ، هذا اذا كان لكراهية أن تشمل ضمن اطار مفهوم الثقافة . انني اكرههم لانني أتخوف من الانتقال ليلا في تلك الشوارع التي يتجولون فيها ، انني اكرههم بسبب نظراتهم ، بسبب كلماتهم البذيئة التي يطلقونها خلفنا ، بسبب جميع الاعمال الخسيسة التي يحاولون القيام بها ضدنا ... انني اكرههم لانهم يلوثون الحيطان والدرجات ويقومون بتدمير الممتلكات العامة ، ويمقتون الجمال ، ويستحسنون القباحة والوساخة . انني اكرههم لانهم يكرهوننا لكوننا انظف وأجمل ، فبدل ان يحاولوا ان يكونوا مثلنا ، يحاولون ان نكون نحن مثلهم »(٥٢) .

الحواشي:

١ ــ يديعوت احرونوت ٧١/١٢/١٥ .
٢ ــ معاريف ٧١/١٢/١٠ .
٣ ــ مجلة بمعرخاه ــ للاسفار اديم والطوائف الشرقية ــ حزيران ١٩٧١ ، ص ٢٢ .
٤ ــ ملحق هآرتس ٧١/٩/٢٤ .
٥ ــ دافار ٧١/٤/١١ .
٦ ــ يديعوت احرونوت ٧٢/٣/٣١ .
٧ ــ موشيه ليسك وآخرون (محررون) **مهاجرون في اسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية القدس ١٩٦٩ ، ص ٢٨ .
٨ ــ ايزنشتات وآخرون (محررون) . **البنية الاجتماعية لاسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٦٩ ، ص ٣٠٦ .
٩ ــ ملحق معاريف ٧١/٨/١٣ .
١٠ ــ موشيه ليسك واخرون (محررون) **المصدر السابق** ، ص ١٥٢ .
١١ ــ مجلة مولاد عدد ٩ ــ ٢٠ (٢١٩ ــ ٢٣٠) ص ٦٩ .
١٢ ــ ملحق هآرتس ٧١/٩/٢٤ .
١٣ ــ معاريف ٧١/٣/٢٩ .
١٤ ــ ملحق هآرتس ٧١/٩/٢٤ .
١٥ ــ معاريف ٧٢/٣/٣١ .
١٦ ــ معاريف ٧١/١١/١١ .
١٧ ــ معاريف ٧٢/٣/٢٩ .
١٨ ــ مجلة شدموت (لحركة الكيبوتسات) عدد ٤٣ ، ١٩٧١ ، ص ٢٢ .
١٩ ــ معاريف ٧١/٣/٣١ .
٢٠ ــ يديعوت احرونوت ٧١/٩/١٣ .
٢١ ــ يديعوت احرونوت ٧١/٦/٧ .
٢٢ ــ بمعرخاه عدد ١٣٢ ، ص ٦ ، آذار ١٩٧٢ .
٢٣ ــ يديعوت احرونوت ٧١/٦/٧ .
٢٤ ــ معاريف ٧١/٥/٢٨ .
٢٥ ــ ملحق دافار ٧١/٥/١٤ .
٢٦ ــ ايزنشتات ، **المصدر السابق** ، ص ٣١٤ .
٢٧ ــ شدموت، عدد ٤٣، ١٩٧١ ، ص ٢٢ــ٢٣ .
٢٨ ــ ملحق عل همشمار (حوتام) ٧١/٧/٩ .
٢٩ ــ للاستزادة انظر كتاب ابراهام درون وآخرون (محررون) **سياسة الرخاء في اسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٦٩ ، ص ٢١٣ .
٣٠ ــ مجلة اوت ٧١/٩/٩ ، ص ٨ .
٣١ ــ مجلة بشاعر مايو/يونيو ١٩٧١ ، ص ١٧٤ .
٣٢ ــ يديعوت احرونوت ٧١/٤/٩ .
٣٣ ــ شدموت ، عدد ٤٣ ، ١٩٧١ ، ص ٢٠ .
٣٤ ــ ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٢ .
٣٥ ــ ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٢ .
٣٦ ــ دافار ٧٢/٤/١٦ .
٣٧ ــ معاريف ٧٢/٤/٢٧ .
٣٨ ــ ملحق هآرتس ٧٢/٤/٢١ .
٣٩ ــ عفوداه ، مجلة شهرية تصدر عن وزارة العمل ، ١٥ يناير ١٩٧١ ، ص ٤ .
٤٠ ــ ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٩ .
٤١ ــ مجلة عفوداه ، ١٥ يناير ١٩٧١ ، ص ٤ .
٤٢ ــ ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٢ .
٤٣ ــ مجلة اوت ٧١/٦/١٧ ، ص ١٨ .
٤٤ ــ ايزنشتات وآخرون (محررون) **الثقافة والمجتمع في اسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ١٩٦٨ ، ص ١٤٠ .
٤٥ ــ مجلة اوت ٧١/٦/١٣ ، ص ٨ .
٤٦ ــ مجلة اوت ٧١/٥/٢٧ ، ص ١٦ .
٤٧ ــ ملحق عل همشمار ٧٢/٤/٢٨ .
٤٨ ــ معاريف ٧١/٩/١٠ .
٤٩ ــ ملحق عل همشمار ٧١/١٠/٨ .
٥٠ ــ هعولام هزيه ٧٢/٣/١٥ .
٥١ ــ شدموت ، عدد ٤١ ، ص ٥٥ .
٥٢ ــ شدموت ، عدد ٤١ ، ص ٥٧ .
٥٣ ــ معاريف ٧١/١/٨ .

حوار مع مدينة

محمود درويش

يحمل الحلمُ سيفاً
ويقطع أعناق من يحلمون
بما سيكون –

هكذا أخبرتني المدينةُ حين غفوتُ على ركبتيها
لم أكن حاضراً
لم أكن غائباً
كنتُ بين الحضور وبين الغياب
حجراً .. أو سحابه

– تشبهين الكآبة
قلتُ لها باختصار شديد
تشبهين الكآبه
ولكنّ صدركِ صار مظاهرة العائدين من الموت ..
ما كنتُ جنديَّ هذا المكان
وثوريَّ هذا الزمان
لأحمل لافتة ، أو عصا ، في الشوارع .
كان لقائي قصيراً
وكان وداعي سريعاً

وكانت تصيرُ الى امرأة عاطفيه
فالتحمتُ بها
وحلمت بها
وصارت تفاصيلُها ورقاً في الخريف ،
فلملمها عسكريُّ المرور ،
ورتّبها في ملفّ الحكومه
– تشبهين المدينةَ حين أكون غريباً –
قلتُ لها باختصار شديد :
تشبهين المدينه
هل رآكِ الجنودُ على حافة الأرضِ
هل هربوا منكِ
أم رجموك بقنبلةٍ يدويه ؟.
قالت المرأةُ العاطفيه :
كلّ شيء يلامس جسمي
يتحوّلُ
أو يتشكلُ
حتى الحجارةُ تغدو عصافير ..
قلتُ لها باكياً :
ولماذا أنا
أتشرّدُ
أو أتبدّدُ
بين الرياح وبين الشعوب ؟.
فأجابت :
في الخريف تعود العصافير من حالة البحر
– هذا هو الوقت ؟
– لا وقت
وابتدأتْ أُغنيه :
في الخريف ، تعود العصافير من حالة البحر ،
هذا هو الوقت ، لا وقت

– ماذا تكون البقيّة ؟
– أنتَ تصنعها
– أذهبُ الآن ؟
– لا تذهب الآن . إنّ الرياح على خطأ دائماً
والمدينةُ أقربْ .
– أنتِ المدينةُ
– لستُ مدينه
أنا امرأةٌ عاطفيه
هكذا قلتَ قبل قليل
واكتشفتَ الدليل ،
وأنتَ البقيّـه
– آه ، كنتُ الضحيه
فهل سأكون الدليل .

وكنتُ أُعانقها ، كنت أسألها نازفاً :
– أأنتِ بعيده ؟
– على بُعد حلم من الآن
والحلمُ يحمل سيفاً
ويقطع أعناق من يحلمون
بما سيكون .
– كيف أُكمل أُغنيتي
والتفاصيل ضاعت ، وضاع الدليل ؟
– إنتهتْ صورتي ..
والمياهُ عبودية السمكِ ، البرُّ حريةٌ ،
فابتدىءْ من ضياعك .

إنّ ثلاثة أشياء لا تنتهي :
أنتِ – والحبُّ – والموتُ ،
قبّلتُ خنجرك الحلوَ
ثمّ احتميتُ بكفّيكِ ..
أنْ تقتليني ،
وأن توقفيني عن الموت –
هذا هو الحبُّ
إني أحبُّكِ حين أموت
وحين أُحبك
أشعرُ أني أموت
فكوني امرأه
وكوني مدينه
ولكن ، لماذا سقطت .. لماذا احترقت
بلا سببٍ ؟
ولماذا ترهّلتِ في خيمةٍ عربيه ؟
– لأنكَ كنتَ تمارس موتاً بدون شهيّـه
وأضافت ، كأن القدرْ
يتكسّرُ في صوتها :
هل رأيتَ المدينة تسقطُ
أم كنتَ أنت الذي يتدحرج من شرفة الله
قافلةً من سبايا ؟
هل رأيتَ المدينة تهربُ
أم كنت أنت الذي يحتمي بالزوايا ؟.
المدينةُ لا تسقطُ . الناس تسقطْ !.

ورويداً .. رويداً تفتّتَ وجهُ المدينه
لم نحوّل حصاها الى لُغةٍ
لم نسجّل شوارعها
لم ندافع عن البابِ
لم ينضج الموتُ فينـا .
كانت الذكريات مقرّاً لحكّام ثورتها السابقه..
ومرّ ثلاثون عاماً
وألفُ خريف
وخمسُ حروب
وجئتُ المدينةَ منهزماً من جديد
كان سورُ المدينة يُشبهني
وقلت لهـا :
سأحاول حبّكِ ...

أنا لا أذكر ، الآن ، شكل المدينه ،
لا أذكر اسمي
ينادونني حسب الطقس .. والأمزجه ،
لقد سقط اسمي بين تفاصيل تلك المدينه
لملمه عسكريّ المرور
ورتّبه في ملفّ الحكومه
– تشبهين الهوية حين أكون غريباً
تشبهين الهويّـه
وتساءلتُ :
– هل تكون الهزيمةُ أصلا
أم تكون الهزيمةُ ظـلّا
فأجابت :

ليس جسمي حقلاً .
— ما تكونين ؟
هل أنت أحلى النساء وأحلى المدنْ ؟
— للذي يتناسل فوق سطوح السفنْ
وأضافت :
بين شوك الجبال
وبين أماسيّ الهزائم
كان ماضي عسيراً
— ذاك من قَدَر العاشقات اللواتي
ينازلن ظُلمَ الزمنْ ،
فلماذا تكونين سيّدةَ الليلة القادمه
— لأني سيدةُ الذكريات
— وهل عذّبوكِ لأجلي ؟
— عذّبوكَ لأجلي !.
— هل عرفتِ الندمْ
— ألنساءُ — المدنْ
قادراتٌ على الحب ، هل أنتَ قادر ؟
— أحاول حبّك
لكنّ كل السلاسل
تلتفّ حول ذراعيّ حين أحاولْ .
هل تحونينني ؟
— حين تأتي اليّ !.
— هل تموتين قبلي
سألتكِ : مُوتي !.
— أيُجديكَ مَوْتي ؟
— أصيرُ طليقاً
لأنّ نوافذ حبّي عبوديّة

والمقابرُ ليست تثير اهتمام أحدْ .
وحين تموتين
أكملُ موتي .
– توقّفْ عن الحب .. يقترب الموتُ منك ، فحاول !.

– أموتُ – أحبك
إن ثلاثة أشياء لا تنتهي :
أنتِ – والحبُ – والموتُ .
أن تقتليني ،
وأن توقفيني عن الموت –
هذا هو الحب .

– في الخريف ، أناديك .
أحملُ خاصرةَ الله ،
حنجرةَ الأنبياء ،
وأحذيةَ الشهداء ،
وأكتافَ كل العبيد ..

أناديك : هذا هو البحرُ
هذا هو البرُّ
لا مركبي ينتهي
ولا شاطئي يبتدىء

وهذا هو الوقت — ألا يكون لشكلك وقت
لم تكوني مدينـه
الشوارعُ كانت قبَلْ
وكان الحوار نزيفاً
وكان الجبـلْ
عسكرياً . وكان الصنوبر خنجرْ .
ولا امرأةً كنتِ
كانت ذراعاك نهرين من جثّث وسنابلْ
وكان جبينك بيدرْ
وعيناك نار القبائل .
وكنتُ أنا من مواليد عام الرحيل
ونسل السلاسل !

يحمل الحـلمُ سيفاً
ويقطع أعناق من يحلمون
بما سيكون —
هكذا أخبرتني المدينةُ حين غفوتُ على ركبتيها
لم أكن غائبـاً
لم أكن حاضراً
كنتُ مختفياً بالقصيده
[إذا انفجرتْ من دمائي قصيده
تصيرُ المدينة وردا]
كنت أمتشقُ الحلمَ من ضلعها
وأُحاربُ نفسي
كنتُ أُعلن يأسي
على صدرها ، فتصير امرأه
كنتُ أعلن حبّي

على صدرها ، فتصير مدينه .
كنت أعلن أن رحيلي قريب
وأنّ الرياح ، وأن الشعوب
تتعاطى جراحي حبوباً لمنع الحروب .

وانتهتْ رحلتي –
فابتَدأتْ
كما يبدأ الذاهبون الى المقبره
كما يبدأ العائدون من المجزره
– تَشَكّلْ
تحوّلْ
فإن المدينة أجملْ .

تغرّبْ
تشعبْ
فإن المدينة أقربْ

وحاولْ
وقاتلْ
فإن المدينة حاملْ .

وصرتُ تفاصيل تلك المدينة ،
صرتُ العلاقة بين الولادة والمشنقه .
عرفت مواعيد موتي وجبي
وأكملتُ دائرة الجرح والزنبقة

وانتهتْ رحلتي –
فابتدأت ...

عقدة ثيودور هرتزل :
بين العم توم ودون كيشوت

أ. ن. سعد

ان كاتبي سيرة ثيودور هرتزل يتغافلون عن معالجة او حتى ذكر بعض العناصر التي تشكلت منها نفسية مؤسس الصهيونية وساهمت ، وربما أدت بشكل حاسم ، الى توصله الى الصهيونية التي صاغ مخططا لها على طريقته الخاصة . فحرصهم على استنباط الصفات التي ارتأوا انها ايجابية في شخصية هرتزل ، مثل تمسكه بالقضية التي تبناها واندفاعه وراءها ، جعلتهم يتجاهلون الصفات الاخرى التي قد لا تكون ايجابية ولكنها ذات مغزى هام في تفهم العوامل النفسية التي حددت هوية شخصيته ومسارها الى الصهيونية . وكما هي حال كل ما يتعلق بالمشكلة الصهيونية في فلسطين ، قد يبدو ضروريا الخوض في مناقشة هؤلاء الكتاب وجميعهم من الصهيونيين او المؤيدين للصهيونية . ولكن اهتمامنا هنا لا يقع في مثل هذا المنهج المتبع تقليديا الى حد ما ، بل سنقتصر معالجتنا على طرح وتحليل بعض الوقائع التي يمكن ايجادها بكثرة في كتابات هرتزل نفسه وخاصة في مذكراته الشخصية التي نشرت مؤخرا بكاملها في اربعة مجلدات كبيرة(١) ، والتي تحتوي على اشمل الدلالات والاشارات وادقها الى نوعية تفكير هرتزل وبنيان شخصيته . وسيجد القارىء في مجال هذه المقالة القصيرة ، ان استعمالنا لكلمة « عقدة » في العنوان أعلاه ليس من باب الاحكام المسبقة والشتائم التي قد يرسلها كاتب متحيز ضد الحركة التي يقال ان ثيودور هرتزل تزعمها . وان بدا ان البعض يمتنع عن النظر في حكم التعقيد على مؤسس حركة اثبتت تاريخيا قدرتها على تحقيق اهدافها بوجه جميع الصعوبات ، فعلينا التأكيد والتذكير بأن الانطباعات الحالية لا تحدد ، ولا ينبغي أن تحدد ، منظورنا لوقائع موضوعية تعود الى فترة ما قبل ثلاثة ارباع قرن من الزمن ، خاصة وان لدينا المصادر الوثائقية المباشرة والمتمثلة في اقوال هرتزل نفسه في مذكراته والتي هي بحد ذاتها ووحدها ، أدت بنا الى الاستنتاج بأن توصل هرتزل الى الصهيونية مثل آخرين من الصهيونيين ، كان تجسيدا وانعكاسا للتخبط النفسي .

العم توم اليهودي

ان شخصية العم توم معروفة جدا في الغرب وخاصة في الولايات المتحدة ، الا انها قد لا تكون معروفة بهذا القدر لدى القارىء العربي . وعبارة العم توم رائجة جدا اليوم اذ تستعمل للاشارة الى السود الذين يجهدون في تأييد النظام القائم والمؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة وتبرير ممارساتها . وتعود هذه الشخصية التي أصبحت شبه ميثولوجية واسطورية الان ، الى رواية « **كوخ العم توم** » التي كتبتها الروائية الاميركية البيضاء ، هارييت بيتشرستو ، في شكل اقاصيص متسلسلة في احدى المجلات الاميركية في عامي ١٨٥١ ــ ١٨٥٢ قبيل الحرب الاهلية التي ادى انتصار الشمال فيها الى الغاء العبودية . وتحكي هذه الرواية قصة توم ، العبد الزنجي العميق الايمان بالمسيحية الذي يتفانى في خدمة سيده الابيض وفي الصلاة من اجله باستمرار الى ان باعه سيده عندما

واجهته صعوبات مالية فانتقل الى خدمة سيد آخر يقال انه كان ذا شخصية متعمقة وطيبة . فتفانى توم في حبه وخدمته وخدمة ابنته الطفلة التي كانت تحبه لانه علمها الالعاب والاغاني واخبرها القصص الى أن توفيت وتوفي والدها فانتقلت ملكية توم الى سيد آخر كان سيىء الخلق فأخذ توم يصلي من أجله الى أن توفي نتيجة الضرب المبرح الذي تلقاه من سيده الجديد .

ثمة جانب آخر من رواية **كوخ العم توم** لا يسعنا تجاهلها نظرا لارتباطها وتشابهها نوعا ما بموضوعنا الحالي . فالى جانب العم توم تحكي الرواية قصة آخرين من العبيد الزنوج اللذين كانوا مستعبدين في المزرعة الاولى التي خدم فيها العم توم: جورج وزوجته وابناؤهما اللذين فضلوا الهرب على ان تتفتت عائلتهم عند بيعهم، فذهبوا الى الشمال الى أن انتهى بهم المطاف في كندا حيث لم يعرفوا ماذا سيحل بهم . وكانت في الولايات المتحدة آنذاك قد قامت حركة ، او بالاحرى ، اقيمت حركة سوداء بتأييد من الحكومة الاميركية ، سعت لتهجير السود المعتقين الى ليبيريا التي قامت البحرية الاميركية باحتلالها واقامة دولة « مستقلة » فيها يحكمها السود الاميركيون المستوطنون في خدمة الدولة الام التي تبنت حركتهم ومكنتها من تحقيق اهدافها . وقد ارتأت مؤلفة الرواية ان تنهيها بقرار جورج وعائلته الاستيطان بليبيريا . وبعدها ختمت روايتها بالشعارات التي اطلقتها عن الحضارة التي سينقلها المستوطنون السود الى افريقيه بمساعدة وتشجيع من الكنائس البروتستانتية الاميركية .

لا بد ان القارىء قد يتحسس من عرضنا للخطوط العريضة لهذه الرواية أوجه تشابهها مع قصة هرتزل والصهيونية . فثيودور هرتزل كان بمثابة التجسيد اليهودي لشخصية العم توم اذ انه كان ينكر لليهودية واليهود . وغالبا ما ردد في مذكراته الاقوال عن اعجابه بغير اليهود وخاصة ابناء الطبقات الرفيعة منهم من الالمان (خاصة البروسيين) والبريطانيين والفرنسيين الذين تطلع اليهم على انهم المثال الاعلى الذي ينبغي ان يحتذى من أجل التنميق والذوق الرفيع والحضارة . وقد قال اكثر من مرة انه لا يلوم اللاساميين من غير اليهود على اضطهادهم لليهود وسجل في مذكراته مرة واحدة على الاقل ان اللاساميين على حق كما ردد مرارا قوله ان اللاساميين سيكونون افضل حلفاء الصهيونية . وعلى نهج حركة ليبيريا كان هرتزل يتكلم عن اعتقاده بأن اليهود في « البلاد الجديدة » سينقلون معهم عناصر الحضارة الاوروبية الى الشرق المتخلف(٢) . ومن يعرف اوضاع دولة ليبيريا اليوم ، بما فيها من تمييز يلقاه الافريقيون السود من السكان الاصليين على أيدي المستوطنين الاميركيين السود الذين يشكلون العنصر الحاكم في البلاد ويديرون دفتها باتفاق دائم مع سياسة الولايات المتحدة الاميركية ، مع ما يقابله ذلك في اسرائيل من تمييز ضد السكان العرب الاصليين واليهود الشرقيين من اصل عربي على أيدي المستوطنين من اليهود الغربيين الذين يحكمون البلاد وفق سياسة تبعية لحكومة الولايات المتحدة ، يمكنه ان يرى وجه الشبه بين « الحل » الذي دعت مؤلفة شخصية العم توم اليه و« الحل » الذي اعتنقه هرتزل للمشكلة اليهودية .

ان المقارنة التي نحن بصددها بين ثيودور هرتزل وشخصية العم توم ، لم تأت تلقائيا او عفويا بل اقتبسناها من اشارة بهذا المعنى وردت في مذكرات هرتزل نفسه . فعند توصله الى الصهيونية في صيف ١٨٩٥ كان هرتزل يقيم في باريس حيث كان يعمل مراسلا صحفيا يكتب الاقاصيص والنوادر عن الاوساط السياسية الفرنسية التي كانت تنشر في صحيفة **نيو فراي برس** في فيينه بالنمسه حيث كانت تقيم عائلته . وقد كان هرتزل يكتب المسرحيات من آن الى آخر ، وهذا ، بالاضافة الى عمله الصحافي وكتابة الاقصوصة ، جعله على اتصال ببعض الكتاب الفرنسيين . ويبدو انه ، من بين هؤلاء ، كان على معرفة واتصال ، وربما صداقة وثيقة ، بالكاتب الصحفي الفرنسي ، الفونس دوداي ،

الذي كان يحرر في صحيفة **الباريل ليبر** الفرنسية والذي عرف هو وصحيفته باللاسامية والتحامل على الاقل . ولا حاجة لان يستغرب القارىء من صداقة هرتزل اليهودي مع هذا اللاسامي المتحيز ضد اليهود اذ ان الكثيرين ممن صادقوا هرتزل ورحبوا بأفكاره وربتوا له على كتفيه كانوا من اللاساميين كما نعلم من المذكرات . ويخبرنا هرتزل في بداية مذكراته اليومية التي باشر كتابتها فور توصله الى الصهيونية انه التقى يوما بدوداي فجرى الحديث بينهما عن اليهود فأخبره دوداي انه لاسامي بالحرف الواحد ودون تردد . عندها يبدو ان هرتزل قال له انه ينوي تأليف كتاب يدور موضوعه حول اليهود . فسأله دوداي : « رواية ؟ » . فأجابه هرتزل : « كلا ... كتاب رجال » . فلم يتحمس دوداي لذلك وقال له : « ان الرواية تصل الى آفاق اوسع ، فكر **بكوخ العم توم** » . وعندها اخذ هرتزل يشرح تفاصيل ما ينوي كتابته مما اثار اهتمام دوداي لدرجة انه قال : « كم هذا جميل ، كم هذا جميل » !

كان هرتزل قد كتب مسرحية بعنوان **الغيتو الجديد** كانت ، من جملة اشياء اخرى ، تعبيرا عن شخصية العم توم اليهودي اذ ان بطلها ، المحامي اليهودي ساموبل ، كان مثاليا يجهد في خدمة موكله الاريستوقراطي الصناعي المسيحي ويدافع عن مصالحه ضد ابتزازات شريكيه اليهوديين اللذين كان احدهما زوج اخت ساموبل . الا ان الرواية التي بطلها دون شك انعكاس لشخصية هرتزل قد حوت كذلك طابع الدون كيشوتية المأساوية خاصة وانها تنتهي باختلاف ساموبل مع موكله الاريستوقراطي حين يشك الاخير في اخلاص المحامي ويتهمه بالتواطؤ مع زوج اخته ويشتمه بكلمات مهينة لليهود فتقوم مبارزة بينهما ويصاب ساموبل بجرح قاتل ويلفظ مع انفاسه الاخيرة الكلمات التالية : « يا ايها اليهود ، اخواني ، لن يسمح لكم بالعيش بعد اليوم ، حتى تخرجوا من الغيتو » .

وهذه الرواية التي فسرت على انها استنكار المحامي اليهودي المنصهر في المجتمع الاوروبي لطريقة العيش اليهودية المنغلقة والتقليدية في الاحياء اليهودية ، كان هرتزل قد كتبها وسط تصاعد قضية الضابط اليهودي الفرنسي درايفوس الذي حوكم بتهمة الخيانة والعمل لالمانيه — اي قبل لقاء هرتزل ودوداي والذي ذكرناه اعلاه ، ببضعة اشهر . اما بعد هذا اللقاء ، فيبدو ان ذاكرة هرتزل عادت الى مسرحية كان قد بدأ بكتابتها منذ عام ١٨٩١ واراد فيها اظهار التفاوت بين جماهير اليهود الفقراء واثرياء اليهود من خلال اقتباس عن قصة شاب يهودي كان يعرفه هرتزل انتحر آنذاك في برلين . وعند عودته من لقاء دوداي راجع هرتزل ، كما يخبرنا باختصار في مذكراته ، الفصل الاخير من مسودة هذه المسرحية حيث يعالج المناخ السابق للانتحار اذ يذهب بطل الرواية ، واسمه ساموبل ايضا ، في جولة مسائية في احد الشوارع ويحس باحساس التعالي على الجميع علما منه بموته القريب ويسخر في ذهنه من ضباط الحرس الذين كان بوسعه ان يأخذ اي واحد منهم معه الى الموت . ورأى نفسه وكأنه قائد ، وراح يمشي بابهة وعجرفة حتى أصبح الجميع يخلون الطريق امامه مما اكسبه الثقة والهدوء النفسي فذهب الى بيته وانتحر بهدوء .

قرر هرتزل بعد قراءته لهذه المسودة ، وربما بتأثير من دوداي ، ان يغير هذه المسرحية بحيث لم يعد ساموبل المنتحر بطل الرواية ، بل مجرد شخصية ثانوية فيها ، ويصبح البطل احد أصدقاء ساموبل الذي توصله حياته الى «اكتشاف او تأسيس ارض الميعاد». ويسمع البطل بانتحار صديقه وهو على الباخرة برفقة مجموعة من الضباط المستكشفين المبحرين معه ، فيمتعض كثيرا الا انه يتطلع بثبات الى الافق باتجاه ارض الميعاد .

سرعان ما تخلى هرتزل عن فكرة كتابة الرواية التي نصحه دوداي بها وباشر كتابة برنامج عملي نشر فيما بعد (في العام المقبل) في كراس الدولة اليهودية . الا ان قراءة

دقيقة لهذا الكراس تكشف ، من خلال كلامه عن تفاصيل رحلة الاسطول الذي سينقل المهاجرين الى البلاد الجديدة لبناء الدولة ، مزيجا غريبا من الجدية الساذجة والروائية الخيالية . اما الرواية عن اكتشاف ارض الميعاد فلم يعد اليها هرتزل حتى عام ١٩٠٢ حين كتب روايته المشهورة **الارض القديمة الجديدة** والتي ضمن فيها رؤيته الخيالية لدولة المستقبل . وتحكي هذه الرواية قصة الشاب اليهودي الفيينى الفقير الذي يتعرف الى مليونير اميركي سئم الحياة يقترح عليه مرافقته في رحلة الى المحيط الهادىء للابتعاد عن العالم الخارجي نهائيا . ولكن بعد ان يبحر اليخت المنمق المترف بقليل يذهبان لسبب ما لتضاء بضعة ايام في فلسطين فيجدانها بلادا يعمها الخراب والقحل والقذارة . فيستأنفان السفر الى المحيط الهادىء حيث يمكثان مدة عشرين سنة ثم يعودان عـــن طريق قناة السويس باتجاه اوروبه فيجدان ، باختصار ، ان فلسطين على ايدي اليهود قد اصبحت بلادا عامرة ، مركز المواصلات فيها المرافىء وخطوط السكك الحديدية . وحتى يهود اوروبه الشرقية الذين سبق واشمأز هرتزل من حياتهم في **الغيتو الجديد** ومسرحيات وكتابات اخرى ، ارتأى هرتزل ان يراهم في البلاد الجديدة في فلسطين متمدنين يجالسون الاريستوقراطيين البريطانيين ويشربون معهم الشاي !

وهكذا عبر هذه المسرحيات ومسودات المسرحيات انتقل بطل هرتزل من الانتحار ، الى خدمة الاريستوقراطي المسيحي في اوروبه ، الى المبارزة معه ، الى الابتعاد عن اوروبه، برفقة الضباط المستكشفين ثم برفقة المليونير الاميركي ، الى مجالسة الاريستوقراطيين . واذا بدا ان عنصر « العم تومية » لدى هرتزل ليس بارزا بروزا تاما من خلال مسحنا لهذه المسرحيات ، فان عودة منا الى ما قبل توصل هرتزل الى الصهيونية من شأنها ان توضح الامور توضيحا اضافيا .

يبدو من قراءة الفقرة الطويلة الاولى التي بدأ هرتزل بها تسجيل مذكراته ان المشكلة اليهودية بالمعنى الشخصي — اي يهودية هرتزل — كانت تشكل بالنسبة له موضوع قلق نفسي منذ أمد بعيد . ويقول انه ربما كانت هناك اوقات فكر خلالهـــا بالابتعاد عن المشكلة النفسية التي عانى منها عن طريق اعتناق المسيحية . ولكن على أي حال فهو يخبرنا انه اثناء اقامته في باريس عام ١٨٩٣ كان قد توصل الى حل للمشكلة اليهودية بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية . فقد استنبط مخططا للتوصل الى لقاء البابا من خلال رؤساء الكنيسة في النمسه كي يقول له : «ساعدونا ضد اللاسامية وانا اتعهد بأن انشىء حركة كبيرة لتحقيق اعتناق اليهود للمسيحية بطريقة حرة ومحترمة » . واعتبر هرتزل ان حركته ستكون « حرة ومحترمة » نظرا لان زعماء الحركة — بمن فيهم هو نفسه — سيبقون على يهوديتهم بحيث يشجعون الاخرين على اعتناق المسيحية — ديانة الاغلبية . وارتأى هرتزل على طريقته الخيالية بأن تتم احتفالات اعتناق المسيحية بفخر في وضح النهار في كاتيدرائية كبيرة ايام الاحد وسط رنين الاجراس . وبهذا فقد اقتنع هرتزل بأن هذا الحل سيؤدي الى اعتناق جميع الاطفال اليهود للديانة المسيحية قبل بلوغهم سن الرشد مما يؤدي الى اختفاء اليهود دون الضرورة الى تنصر جيله الحالي . وما ان اكتشف هرتزل هذا الحل حتى باشر بتدوين تفاصيل تنفيذه وراح يتأمل نفسه ماثلا امام رئيس اساقفة فيينه والبابا يعرض عليهما مشروعه ويرسل الشعارات عن تخالط الاجناس !

يبدو ان هرتزل كان قد اخذ مشروعه هذا بكامل الجد والحماسة وقرر ان يقنع محرري صحيفة **نيو فراي برس** التي كان يعمل لمصلحتها في فيينه على تبني المشروع والترويج له . الا انهم رفضوا مشروعه وقال له احدهم ، موريتز بندكت ، « ان مئات الاجيال بقيت على ديانتها اليهودية وانت تريد ان تجعل من نفسك نقطة النهاية لذلك » . وربما فسر هرتزل هذا الرفض على انه نتيجة نظرة المحررين اليه على انه مجـــرد ثرثار وكاتب

اقاصيص تافهة . الا ان بندكت قال له كذلك : « وعلى كل حال فان البابا لن يستقبلك » . ولا يمكننا البت نهائيا هل تخلى هرتزل عن هذا الحل — اي عن طريق تنصير اليهود — بعد توصله الى الصهيونية ، اذ انه اختتم كراسه **الدولة اليهودية** فيما بعد بالقول بان اليهود في دولة المستقبل سيختفون كليا . كما ردد في مذكراته مرارا اصراره على رفض اللغة العبرية وتفضيله اللغة الالمانية في دولة المستقبل . وعلى اي حال فان العقدة اليهودية ، عقدة احتقار الذات اليهودية هذه ، رافقت هرتزل طوال فترة نشاطه الصهيوني ولازمته حتى وفاته .

كانت طبقة النبلاء الالمان وخاصة البروسيين هي المثال الاعلى لثيودور هرتزل . فهو قد سجل في مذكراته في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ مثلا : « ان كان هناك شيء اصبو اليه فهو ان اكون احد أعضاء طبقة النبلاء البروسية العريقة » . وعندما فكر بامكان اقامة دولة المستقبل تحت حماية المانيه ، سجل هرتزل في مذكراته يوم ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٨ : « ان نعيش تحت حماية دولة المانيه القوية والعظيمة والاخلاقية والرائعة الحكم والوثيقة التنظيم — فهذا ليس من شأنه الا ان تكون له افضل الاثار في الشخصية القومية اليهودية » .

الا ان تطلع هرتزل الى المسيحيين الاوروبيين لم يقتصر على الالمان . فهو اراد — كما سجل في مذكراته يوم ٩ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ — ان تنشأ المبارزات في دولته كي تسبغ « نوعا من التنميق الفرنسي على المجتمع الافضل » . كما سجل في اليوم نفسه ما يلي : « لكي اصبح في مركز احترام وتقدير في البلاطات الاوروبية ينبغي علي ان اؤمن لنفسي الحصول على جميع الاوسمة واسمائها مبتدئا بالاوسمة الانكليزية » .

ومما يشير الى تطلع هرتزل الى طريقة العيش المسيحية الاوروبية المترفعة وتنكره لكل ما هو يهودي ، تسجيله لزيارته للضابط البريطاني من اصل يهودي ، الكولونيل غولدسميد في منزله في كارديف بانكلتره . ويسجل هرتزل عن هذه الزيارة شعوره بانه قد وجد نفسه في عالم آخر في الجو البريطاني المنمق الذي احاط بحياة الكولونيل ومظهره ، وخاصة في الامسية التي دعي فيها عازف البيانو روزنثال الى منزل غولدسميد ، فلاحظ هرتزل ان زوجة الكولونيل وابنته كانتا تصغيان الى العزف بمظهر رشيق ، فراحت تتراءى في ذهنه النسوة اليهوديات الاريستوقراطيات في دولة المستقبل مخلوقات فاتنات ، بلمسة شرقية ، لطيفات وحالمات . « حقا في عالم آخر » ... الى ان وقعت انظاره على قطعة تزيين فيها لفافة مخطوطة من التوراة اعادته الى عالمه الحالي .

في ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٨ حين كان هرتزل في زيارة الى اسطنبول ذهب الى المسرح في الهواء الطلق Les Petits Champs هناك فوجد ان فرقة تمثيل يهودية كانت تقدم احدى المسرحيات باللغة اليديشية فاغتاظ جدا ، وتذكر زيارته السابقة لهذا المسرح منذ ثلاثة اعوام حين كانت فرقة الاوبرا الخفيفة الايطالية La Morisana تؤدي غناءها فاعجبه المناخ الرقيق . اما الفرقة اليهودية اليديشية فقد انقبضت نفسه لدى رؤيتها وسجل في مذكراته لذلك اليوم : « انني احس بانطباع كئيب . فهذا الفن الحقير يشكل اعلى منجزات جماهيرنا التي تتكلم لغتها الهجينة ، ومستواها الحالي يجب تمييزه على انه في حالة هزيلة يرثى لها . فقد اشمأزيت » !

لا مجال لنا هنا لايراد المزيد من الامثلة الكثيرة في المذكرات التي تشير الى كراهية النفس اليهودية التي عانى منها هرتزل . وهذه الامثلة تظهر بوضوح ان هرتزل كان قد تقبل جميع ما قاله اللاساميون غير اليهود عن اليهود من اقوال مهينة لهم حتى انه كان يردد عددا منها في مذكراته . ونذكر فيما يتعلق بكراس الدولة اليهودية الذي اصدره ، انه لم

يتمكن من ايجاد ناشر يهودي يتعهد باصداره مما حدا به الى طبعه لدى اثنين من اللاساميين غير يهوديين في فيينه ممن رحبوا به . وفي لقاء له معهما قال له احدهما : « لقد آن الاوان لان يقف رجل ما بشجاعة ويقول الامور الواجب قولها » .

اما محرر صحيفة **نيو فراي برس** اليهودي، بندكت، فقد حذر هرتزل (في ٤ شباط(فبراير) ١٨٩٦) من نتيجة طرحه « لحله » الصهيوني في كراسه وقال له ان السيل الذي قد يبدأ تحريكه بناء على الاقتراحات التي اوردها هرتزل في كراسه سيؤدي الى الاضرار بالمصالح اليهودية كافة . واضاف : « اننا نتيجة لذلك سنخسر اوطاننا الحالية قبل ان تنال الدولة اليهودية » . الا ان ذلك ، وتحذيرات آخرين من معارف هرتزل الاخرين ، لم تثنه عن عزمه فمضى في اصدار الكراس .

وكان النائب النمساوي سيموناي اول من رحب بالكراس ، وكان هذا مشهورا باللاسامية في الصحيفة التي كان يصدرها ، فراح يكتب المقالات الواحدة تلو الاخرى يمدح فيها هرتزل ويصفه بعبارات الشهامة والحماسة لارائه . ولما التقى هرتزل بهذا الرجل في ٣٠ آذار (مارس) ١٨٩٦ كتب عنه في المذكرات ما يلي : « انه رجل في الستينات متقلب ماكر وثرثار يكن لليهود قدرا من العطف المذهل وحديثه خليط من المعقول والهراء يصدق قصة القتل الطقوسي الكاذبة عن اليهود ، ومع ذلك له ابهى الافكار واحدثها . انه يحبني » !

اما الرجل الاخر الذي تحمس لهرتزل ومكنه فيما بعد من التوصل الى لقاء دوق بادن والقيصر الالماني ، فقد كان القس وليم هشلر الذي سبق ان كان عضوا في « اللجنة اللندنية لنشر المسيحية بين اليهود » ، وجاء بعد سماعه بمشروع هرتزل ليرحب به ويقول له انه تجسيد لنبوة كان قد توقع اقتراب تحقيقها . وفي اللقاءات اللاحقة بين هرتزل وهذا الرجل لم يمتنع الاخير على الاقل في احدى المناسبات المحددة (مذكرات ٢٦ ابريل ١٨٩٦) عن اطلاق العبارات اللاسامية المهينة لليهود على مسمعه . كما يبدو انه كان يسعى لاقناع هرتزل باعتناق المسيحية .

ان اصدار الكراس الذي كان مزيجا من الاقصوصة الروائية والبرنامج العملي قد قابلته الاوساط اليهودية في فيينه بالسخرية . ففي ١٨ شباط (فبراير) سجل هرتزل ان استاذ الجامعة الفيينية اليهودي ، فابليوغن ، جاء لزيارة هرتزل ليسأله ان كان الكراس مقصودا به الجد ام كان مجرد تقديم ساخر لاذع للصهيونية . وسجل هرتزل كذلك انه سمع ان ثمة « اشاعات » تسري بين الناس تقول ان هرتزل قد أصبح مجنونا . اما الصحافي اليهودي لوداسي فقد كتب مقالة سمع بها هرتزل في اول تموز (يوليو) ١٨٩٦ قال فيها مؤلفها « ان الصهيونية جنون يتولد من اليأس » .

الواقع ، رغم وضوح عنصر « العم تومية » في شخصية هرتزل ومشروعه الصهيوني ، فهناك العنصر الاخر الذي لازم عقدته وساهم في تحديد التعبير عنها في توصله الى الصهيونية . وثيودور هرتزل لم يهد توجيه انظار الرأي العام الى مقترحات وآراء له فحسب ، بل شعر بأنه هو الذي سيقوم بتنفيذ هذه المقترحات والاراء ، وغالبا ما تكلم وكأنه هو الذي سيقوم بالعمل لتحقيق المشروع العظيم . ومن هنا نفهم قول جوليوس باور (الذي سجله هرتزل في ٢٣ شباط ــ فبراير) : « لا بأس بالنسبة لي ان ذهبنا الى فلسطين ولكن اريد جمهورية يرئسها هرتزل الاكبر » !

دون كيشوت اليهودي

كان هرتزل ، لكونه كاتب اقاصيص تافهة ، يأمل دوما بأن يرتقي الى مكانة لها تأثيرها في السياسة الدولية . ولذلك فقد كان يستنبط المشاريع الواحد تلو الاخر والتي كان يأمل بأن تتبناها الدول الاوروبية والفاتيكان . وتوصله الى الصهيونية عامل ١٨٩٥ بدا له

وكانه اكتشاف عظيم على الرغم من ان كثيرين كانوا قد سبقوه الى الصهيونية ، والمستوطنات اليهودية في كل من الارجنتين وفلسطين بتمويل من البارونين هيرش وروتشيلد كانت قد بدأت منذ عام ١٨٨١ . ويبدو ان هرتزل لم يكن يعلم بوجود المنظمات الصهيونية العديدة في جميع البلدان آنذاك كما لم يدرك ان ثمة من سبقوه الى « اكتشاف » الصهيونية وعلى راسهم اليهودي الروسي ليو بنسكر الذي كتب كراسه عن الموضوع منذ عام ١٨٨١ . وعلى هذا فانه بدأ تسجيل مذكراته بقوله : « منذ فترة خلت وانا منشغل بعمل لا حدود لعظمته والان لست ادري ان كنت مما نفذه ام لا . وهو يبدو لي حلما عظيما امتلكني اياما واسابيع وشغلني الى ابعد حدود افكاري . وهو يرافقني اينما ذهبت ويرفرف فوق احاديثي العادية وينظر من وراء كتفي الى عملي الصحافي التافه والمضحك فيضايقني وتسكرني نشوته في الوقت نفسه » .

وراح هرتزل يخط في مذكراته برؤوس الاقلام رؤيته للدولة اليهودية دون ان يكون قد قرر ما اذا كانت ستخرج في شكل كتاب عام او رواية . وجاءت كتاباته على مجموعة مذهلة من التفاصيل تراوحت بين سبل تنظيم العمال في دولة المستقبل وسبل اقامة الفرق الموسيقية والمقاهي فيها . وتطرق الى وصف الرحلات البحرية التي تقل المهاجرين الى الارض الجديدة (وربما ارتأى ان العبور سيتم في مرحلة واحدة) . ووصف رؤيته لرأيه الدولة الجديدة ونظام الحكم فيها ومعاملة الصحافة ومزارع التبغ وجباية الضرائب وفرض الاحتكارات الحكومية على بعض السلع وتنظيم الجيش ... الخ . وليس هناك متسع في هذه المقالة القصيرة لمعالجة المغزى النفسي لهذه الاراء . الا ان رؤية هرتزل لدوره الخاص في عملية تنفيذ المشروع ذات اهمية خاصة في اظهار الدوافع النفسية لدعوة هرتزل الى مشروعه .

مضى هرتزل باكتشافه هذا المشروع في احلامه وامانيه الخيالية عن مستقبل العظمة الذي ينتظره في دولة المستقبل ولما ذهب في جولة الى حدائق التويلاري في باريس في احد ايام صيف ١٨٩٥ وصل الى تمثال غامبيتا ، فقال لنفسه : « آمل ان يقيم اليهود لي تمثالا اكثر رونقا من هذا » . ولم يكتف هرتزل بترقب المجد لنفسه بل راح يوزع المراكز على معارفه . وما ان فكر بموريتز غودامان ، كبير حاخامي فيينه ، حتى قرر ان يضعه في منصب « الاسقف الاول » في عاصمة دولة المستقبل . كما سجل هرتزل ما يلي « مبدأ : ان كل من يأتيني من معارفي السابقين ، قريبا كان ام بعيدا ، سيحصل على مركز مرموق » . وهنا يبدو ان هرتزل احس بالحاجة لتبرير مظهر السلطان الذي ارتاه لنفسه فكتب : « ان روسو قال بالواقع التعاقدي للمجتمع وهو خاطىء بذلك ... ففي الدولة قائم بالادارة فقط ... وهكذا سأقوم بادارة شؤون اليهود دون انتدابهم لي » . وعاد هرتزل الى التفكير بتوزيع المراكز في دولة المستقبل فقرر ان اباه سيكون السناتور الاول في مجلس اريستوقراطية الدولة . وجاء القيصر الالماني على ذهن هرتزل فاثار آمال المستقبل لديه وقال لنفسه : « انني سأتعامل مع عظماء هذه الارض كمساو لهم » . كان هذا في ٨ حزيران ١٨٩٥ ، وفي اليوم التالي انشغل هرتزل في تسجيل ما سيكون لقبه الخاص فكتب : « لكي اتجنب تعريفي بلقب « مدير » في انكلتره ، وهو ذو مسمع تجاري ، فربما سأتبنى لقب مستشار (على النمط الالماني) او شيء من هذا القبيل ... وسلامتي الشخصية ستكون موضع اهتمام جهاز فعال من البوليس السري ... وسأمتنع شخصيا عن قراءة اي صحف (...) وسأعطي الاوامر بألا يطلعوني على اي شيء مما يكتب عني في الصحافة سواء اكان ذلك مدحا ام ذما ، اذ من الان فصاعدا سيكون لي حق وواجب اللامبالاة تجاه اي تهجمات شخصية من اي نوع كانت . اما اذا بدا ان تيارا في الراي العام قد نشأ ضد المشروع فينبغي اعلامي بالمسألة في الحال كي اتمكن من ضرب المعارضة » !

كل هذه السلطات الديكتاتورية ، قررها هرتزل لنفسه في دولة المستقبل قبل ان يكون قد قرر موقع هذه الدولة . ومن المرجح انه كان يفكر بالارجنتين . وقد ذهب في تسجيله لتنظيم دولة المستقبل الى التفاصيل الصغرى كافة (هذا مع العلم انه لم يفكر بالامور الجدية التي يتطلبها تحقيق المشروع) ويعود منها الى امانيه الشخصية . ووصل انفعاله الى اقصاه حين تذكر ابنه فكتب : « عندما فكرت بأنني سأقوم يوما ما بتتويج ابني هانس اميرا (دوج : القاضي الاول في جمهوريتي البندقية وجنوى الاريستوقراطيتين) واتوجه اليه بالكلام في المعبد امام رجالات الدولة واخاطبه « سموكم الملكي ابنـي الحبيب » اغرورقت عيناي بالدموع » !

ان دون كيشوتية هرتزل لم تتوقف عند هذا الحد ، فبعد ان سجل تفاصيل الاجراءات التي ستتخذ للحؤول دون نشوب ثورة داخلية في دولة المستقبل استدرك نفسه وكتب : « ولكنني اريد امة سعيدة ، وستشرب الانخاب الكثيرة فيها على شرفي » ! وراح هرتزل يفصل اسلوب الرحلة البحرية التي ستأخذ اليهود الى البلاد الجديدة فوصف تصنيف البواخر الى درجات تذهب فيها الطبقات المختلفة فابتهج كثيرا لهذه الافكار وقال : « ان الكثير من افكاري، مثل تلك التي اوردتها عن المبارزة والانتحار واعالة المخترعين واحتكار البورصة ، ولجنة التحقيق في شكاوى المسافرين خلال الرحلة ، جيدة بالنسبة لجميع الامم » . وخلص هرتزل في ١٤ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ الى التفكير بالعلم (الراية) لدولة المستقبل فقرر ان يكون باللون الابيض وعليه سبع نجوم بحيث يمثل اللون الابيض نقاوة الحياة الجديدة والنجوم عدد ساعات العمل السبع اليومية في دولة المستقبل . وقال : « تحت شعار العمل ورايته سندخل ارض الميعاد ... وسيكون ذلك حسن حظ كبير لي ينعش آمال ابوي في شيخوختهم ويكون بمثابة شرف عظيم لذريتي انني ابتكرت هذا المشروع العظيم » !

لكن هرتزل يعتقد ان الجميع ، من وجهاء اليهود ورجالات الدول الاوروبية ، سيرحبون بـ « اكتشافه » بحماسة . فهو شعر ان مشروعه سيكون اقل كلفة واكثر فعالية من مشاريع البارونين وان الحكومات سترحب به اذ سيخلصها من الفقراء اليهود الذين كانوا ينضمون الى الاحزاب الثورية . واتصل هرتزل اول ما اتصل بالبارون هيرش فذهب اليه بباريس في ٢ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ حاملا معه افكاره التي سجلها في تقرير طويل ليقنعه بتمويل المشروع . وقرأ هرتزل تقريره الى ان وصل الى الكلام عن « المسلوى الخلقي لجيش دولة المستقبل » فقاطعه البارون ، ربما بعد ان ادرك سذاجته ، وسأله : « متى باعتقادك سيتم تحقيق المشروع ؟ » ولا حاجة بنا لادراج تفاصيل الحديث بينهما ، الا ان هرتزل لم ينل ما كان قد توقعه لمشروعه . وربما وصف هيرش مشروع هرتزل بأنه دون كيشوتي اذ ان هرتزل حنق كثيرا وعاد وكتب رسالة في ١٨ حزيران (يونيو) الى البارون قال له فيها فيما قال : « لا يهمني ان بديت مثل دون كيشوت ... ولكن حلولك التافهة ... ٢٠،٠٠٠ مستوطن لك في الارجنتين او اعتناق اليهود للاشتراكية — لن اقبل بها اذ لست سانشو بانزا ايضا » !

يبدو ان هرتزل كان يتخيل انه كان هناك صراع بين عائلة هيرش وعائلة روتشيلد كبيري اثرياء اليهود . وقد سجل هرتزل ، بعد لقائه الفاشل مع هيرش في مذكراته ما يلي : « منذ اسبوع كان هيرش حجر الاساس لمشروعي ، اما اليوم فقد انحدرت قيمته الى كمية مهملة تماما . لقد ذهبت الى هيرش والان سأذهب الى روتشيلد مثلما ذهب مولتكي من الدانمارك الى بروسيه » . الا ان هرتزل سرعان ما عاد ولان على «المسكين» هيرش فكتب : « اذا نجحت مع روتشيلد فلن اهمل المسكين هيرش كليا .. سأعطيه نيابة رئاسة ما اعترافا بخدماته السابقة ونظرا لانه سبق وتعرف الى خطتي ... » !

قرر هرتزل — بأمله باستمالة روتشيلد — اعادة كتابة مشروعه بشكل مفصل بحيث يكون

كراسا بعنوان : تقرير الى عائلة روتشيلد . الا ان هرتزل لم ينجح في مسعاه للقاء البارون روتشيلد لفترة عام ونيف ، مما حداه على اصدار الكراس تحت عنوان **الدولة اليهودية قبل اللقاء المنتظر** . وقد ذكرنا ان هذا الكراس كان خليطا من الكتابة الساذجة والاقصوصية الخيالية خاصة وانه يبدأ بالكلام عن الاكتشافات العلمية الحديثة واختراع الالات التي تحل مكان العمل اليدوي . ولم يتوصل هرتزل الى مقابلة البارون روتشيلد الا بعد رحلة مغامرة قام بها الى اسطنبول حيث اعتقد انه سيقابل السلطان كي يشتري فلسطين منه مقابل مليوني جنيه . وعلى الرغم من فشله المزري والتكاليف التي ابتزها منه مرافقه نيولنسكي خلال هذه الرحلة ، عاد هرتزل وسط الاشاعات التي اعتبرها مؤاتية والتي قالت ان هرتزل قابل السلطان . وانتهى هرتزل اخيرا الى لقاء البارون في ١٨ تموز (يوليو) ١٨٩٦ في مكتب الاخير في باريس . وخلال هذا اللقاء قام جدال عنيف حسب تعبيرات المذكرات بدأ باثارة البارون على هرتزل على انه نوع جديد من برنارد الناسك . ويبدو ان هرتزل كان يصر طوال المقابلة على قراءة « التقرير الى عائلة روتشيلد » (اي كراس الدولة اليهودية) الا ان البارون كان يقاطعه باستمرار وقال له فيما قال : « لست بحاجة اليك لان تأتيني وتقول لي اننا الان لدينا الالات في متناولنا » . كما ان كلام هرتزل عن مشروعه الكبير في تنظيم الدولة بجيشها النظامي المنمق لم يلق حماسة لدى البارون الذي كان يمول مستوطنات فلسطين ، فقال له : « ان العيون لا يجب ان تكون اكبر من المعدة » .

خرج هرتزل من هذا الاجتماع ولديه بعض الشعور بانه ربما سيضطر الى تنفيذ المشروع بمفرده — اي دون مساعدة كبار المتمولين وربما بوجه عدائهم له . والواقع ان هرتزل كان قبل هذا اللقاء يردد في مذكراته القول انه يواجه معارضة كبار اثرياء اليهود . الا ان هذا الشعور كان من باب الدون كيشوتية ، يعطيه شعورا بالاهمية النفسية اكثر منه من باب الواقع . ولا شك في ان البارون لم يكن يريد ان يرتبط اسمه بالنداء العلني من اجل انشاء دولة في فلسطين حيث كانت المستوطنات برعايته تحت رحمة الحكومة العثمانية . الا ان هرتزل لم يفهم ذلك ، بل غالبا ما شعر وردد في مذكراته ان « معارضة » مشروعه كانت تأتي من اولئك الذين كانوا يحسدونه وينافسونه على السلطة في قيادة الحركة ودولة المستقبل . ونذكر مثلا في هذا الصدد اللقاء الذي تم في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) بين هرتزل وفانبرغ واحد العاملين في جمعية التوطين اليهودية التي مولها البارون هيرش ، في منزل الحاخام زادوك كاهن في باريس . وخلال هذا اللقاء توجه هرتزل الى فانبرغ بالكلام المتعالي وقال له : « ان جمعيات التوطين الحالية يجب ان ترضخ لقضيتنا ، واذا وجدنا معارضة فسنقضي عليها كليا » . عندئذ اجابه المضيف ، الحاخام اليهودي ذو الشأن في الاوساط اليهودية الثرية بالقول : « ولكن لم يجابهك احد بالمعارضة حتى الان » !

الواقع انه بعد خروج هرتزل مباشرة من اجتماعه بالبارون روتشيلد الذي ذكرناه اعلاه ، جاءه احد المقربين من البارون واسمه مايرسون كان قد حضر الاجتماع ليقول له ان عليه ان يبدأ عمليته على مستوى صغير وفيما بعد سيظهر البارون تدريجيا عطفه نحو المخطط . وفعلا ، لما عاد هرتزل الى عمله في فيينه وجد نفسه في وسط الاحداث اذ ان الصهيونيين المارين في العاصمة النمساوية ، عادة في طريقهم من فلسطين او روسيه الى باريس حيث مكتب البارون ، كانوا دائما يتصلون بهرتزل ويجتمعون به ، مما جعله يحس بانه فعلا زعيم الحركة الصهيونية . وعلى ذلك ، ونظرا لتوصل هرتزل الى رئاسة المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في غضون عام من هذه الاحداث ، فان بعض دارسي الصهيونية اعتبروا ان هذه الحركة كانت قبل المؤتمر مكتملة تنظيميا وماليا ولم ينقصها الا من يتزعمها فجاء هرتزل يشغل مركز الزعامة . ولا شك ان في هذا القول

بعض الدقة ، الا انه لا يكفي الا اذا اخذنا بعين الاعتبار مغزى دور الزعامة الذي انيط بهرتزل . وفي هـذا المضمار ، نجـد ان هرتزل وضـع بمثابة واجهة مؤاتية للحركـة الصهيونية يبعد الانظار عمن وقفوا فعليا وراءها ، في حين انه من وجهة النظر العالمية فان زعامته لم تكن سوى زعامة اسمية وشكلية .

الواقع ان دفع هرتزل الى واجهة الحركـة الصهيونية كان قـد بدأ قبل لقائه بالبارون روتشيلد . فما ان صدر كراس الدولة اليهودية منذ بداية عام ١٨٩٦ حتى بدأت تتوافد الى هرتزل اعداد بعض الصهيونيين المارين في فيينه وخاصة في شرقي اوروبه . وبالطبع لم يوافق الصهيونيون هؤلاء على الاراء الدون كيشوتية التي أوردها هرتزل (مثـلا نقل مقاهي فيينه الى المنطقة الجديدة واقامة متحف « لوفر » فيها وتحنيط جثث الذين يموتون خلال الرحلة ... الخ) ولكنهم وجدوا فيه على ما يبدو اداة مناسبة لاغراضهم . وكان من اهم الذين توافدوا لزيارة هرتزل ، زعيم جمعية احباء صهيون في روسيه مناحيـم اوشيشكين ، الذي كان مارا بمدينة فيينه في طريقه من روسيه الى باريس لمقابلة البارون روتشيلد الذي كان ممول احباء صهيون، فحثه الصهيوني الفيينى القديم ، ناثان بيرنباوم، (الذي كان أول من استنبط عبارة « الصهيونية ») على زيارة هرتزل والتعرف اليـه . ولم يذكر هرتزل في مذكراته هذه الزيارة التي كان لها تأثير حاسم في مستقبله الصهيوني على الرغم من انه سجل جميع الاحداث الاقل اهمية بما في ذلك الاحداث التافهة ، ربما لانه لم يعتبر انها كانت ذات اهمية الا ان اوشيشكين نفسه وصف انطباعـه عن هرتزل في هذه المقابلة وذكر كيف انه بعد عودته من زيارة هرتزل سأله بيرنباوم عن انطباعاته عن هرتزل فقال : « انه سيؤدي خدمات كبيرة الى حركة فلسطين . فجاذبية شخصيته ستجتذب دون شك جميع اليهود الروس وربما يهود اوروبه الغربية ايضا . وعنده نقص كبير واحد ، ولكن هذا النقص من شأنه بالواقع ان يكون مفيدا جدا في الظروف الحالية. فهو لا يعرف شيئا على الاطلاق عن اليهود ، وهو لذلك يعتقد ان الصهيونية لا تواجـه سوى صعوبات خارجية وليس صعوبات داخلية . ويجب الا تتفتح عيناه وبذلـك يبقى ايمانه بقضيتنا كبيرا » !

وبناء على ذلك ، فقد وجد هرتزل نفسه يدفع الى رئاسة الحركة الصهيونية ، مع العلم ان قراءة اليوميات تظهر انه لم يقم على قيادتها فعليا بل كان « الزعيم الفخري » لها . ومـع مرور الزمن ، بات هرتزل يعتبر مؤسس الصهيونية مـع انه لـدى توصله الى الصهيونية كانت هذه الحركة بتمويل اثرياء اليهود وعلى رأسهم البارون روتشيلد قد قطعت شوطا كبيرا منذ أوائل ثمانينات القرن الماضي تنظيميا في أوروبه وماليا واستيطانيا في فلسطين . الا أن هرتزل اعتبر مؤسس الصهيونية على أساس ان انعقاد المؤتمـر الصهيوني الاول في بازل (وهو الذي تشكلت اكثريـة عضويته الساحقة مـن ممثلي جمعيتي التوطين الرئيسيتين : « احباء صهيون » التابعة لعائلة روتشيلد و« جمعيـة التوطين اليهودية » التابعة لعائلة هيرش بالاضافة الى ممثلي الاتحـاد اليهودي العالمي الفرنسي)، لكن كان قد تم بأن قامت هذه المنظمات بالترتيبات اللازمة للمؤتمر في حين طلب من هرتزل الدعوة « الشكلية » اليه والاعلان « الرسمي » عنه . ولا شك في ان انعقاد هذا المؤتمر لو تم باسم ممثلي جمعيتي روتشيلد وهيرش (خـاصة وان الفترة اللاحقة شهدت اندماجهما عند تخلي الاخيرة عن عمليات الارجنتين)، لكان اثار شكوك الحكومات الاوروبية المتنافسة على فلسطين وشكوك السلطنة العثمانية على مستوى عال وربما كان من شأن ذلك اعاقة نمو الحركة الصهيونية . اما انعقاده باسم هرتزل الذي اراد واعلن مرارا وبكامل الجد عن هدفه بشراء فلسطين قانونيا من السلطان العثماني مقابل مليوني جنيه ، فان من شأن ذلك الا يؤخذ بالجد الذي انطوى عليه مما حال دون قيام الشكوك المترتبة عليه . وهكذا ترأس هرتزل المؤتمر الصهيوني الاول والثاني والثالث

... وبزعم الحركة ظنا منه بانه يتكلم باسمها ويقيم « المفاوضات الدبلوماسية » بصفته ممثلها في حين امتنع القادة الفعليون للصهيونية عن تفتيح عيونه على وقائع الامور فاستمر يعيش باحساس عظمته الدون كيشوتية حتى وفاته .

● ● ●

ان النظر في عواقب العم تومية لدى هرتزل واشكاله ممن اعتنقوا الصهيونية يتطلب معالجة مطولة لما ادت الصهيونية اليه من تحويل القسط الاوفر من يهود العالم الى خدمة الدول الامبريالية ومصالحها ، وهذا الموضوع يحتاج الى معالجة اطول مما تتسع لها هذه المقالة . وعلى ذلك فنكتفي بالقول بأن الصهيونية نجحت فعلا في اضعاف الحركة الاشتراكية الثورية وصرفت اعداد اليهود عنها وخاصة بعد تبني الدول الاوروبية للصهيونية بعد قيام الثورة الاشتراكية الاولى في تشرين الثاني (اكتوبر) ١٩١٧ في روسيه مباشرة . وبعد ذلك تحولت جموع اليهود في الغرب عن موقفها الراديكالي الى موقع واضح متمثل بمنطلق العم توم اليهودي والذي يجد افضل تعبير عنه في دولة اسرائيل اليوم التي تتفانى في خدمة المصالح الامبريالية في حين انها تمني نفسها بالقول بانها انما تقوم بذلك دفاعا عن بقائها .

اما عواقب الدون كيشوتية فيمكن معالجتها في شخصية الصهيونية والدولة التي انشأتها في فلسطين بالاشارة الى مزاعم « المنجزات والمعجزات الجبارة » التي حققتها هذه الحركة في اقوالها عن «صراعها ضد الطبيعة» لاستصلاح الصحاري وتجفيف المستنقعات في بلاد ليست اصلا شبيهة بالمناطق الصحراوية فيها وليس فيها الاراضي الشاسعة التي تغرقها المستنقعات . ولكن ما دمنا في صدد هرتزل على المستوى الشخصي . فلا حاجة لنا لمعالجة عواقب هذه العقدة على هذا المستوى الجماعي الاسطوري ، كما لا حاجة لتقييمها على المستوى السياسي البعيد الامد ، بل قد يكون من المناسب ايرادها باختصار على المستوى الفردي العائلي المصغر الذي طرحت به في مذكرات هرتزل نفسه وعلى الرغم من ان ذلك قد يبدو انه من باب الشماتة ، فان مثل هذا التقييم الفردي لا بد ان يتناول ما حل باحلام العظمة التي ارتقبها هرتزل لنفسه ولاقربائه . فقد نجح هرتزل في ان يصبح ، ولو اسميا فقط ، زعيم الصهيونية . الا انه بالطبع لم يصبح رئيس الدولة الاريستوقراطية التي فصل رؤيته لها ، كما انه لم يعش ليشهد تنظيم كتائب العمال والجيش الاريستوقراطي والمبارزات الشجاعة فيه . وقد توفي ابوه عام ١٩٠٤ ولم يصبح السناتور الاول في مجلس اريستوقراطية الدولة . وتوفي هرتزل بعد ذلك بقليل وهو يهذي في فراش المستشفى عن شراء المناطق هنا وهناك ظنا منه انه يعطي اوامره الى مرؤوسيه . وزوجة هرتزل توفيت بعد ذلك بثلاثة اعوام . اما ابناؤه ، فلم يهاجر احد منهم الى فلسطين . فابنته بولين ، توفيت في بوردو عام ١٩٣٠ . وابنه هانز الذي كان هرتزل يأمل بان يتوجه اميرا في دولة المستقبل ، لم يرث حماسة ابيه للصهيونية ، بل يبدو انه ورث عقدة الانتماء لليهودية لديه ، فاثار ضجة عندما اعتنق المسيحية وانتحر بعد وفاة اخته بفترة وجيزة . وابنة هرتزل الثانية ، تروود ، فقد لقيت حتفها في مخيم اعتقال نازي خلال الحرب العالمية الثانية فكانت بذلك واحدة من جموع اليهود الذين « خسروا اوطانهم التي اقاموا فيها قبل الحصول على الدولة اليهودية » . وابنها الوحيد ، ستيفن ، مات بطريقة غامضة حين « سقط » من بناية عالية في العاصمة الاميركية واشنطن في عام ــ انتهاء الحرب العالمية الثانية ــ ١٩٤٥ . وبهذا لم يبق من ذرية هرتزل احد « ليفخر بالمشروع العظيم الذي ابتكره» . . . هذه هي المأساة الشخصية لثيودور هرتزل والعقدة النفسية التي ولدتها فشكلت افضل انعكاس فردي للعقدة الجماعية التي ادت الى نشوء الصهيونية والمآسي الاليمة التي نتجت في فلسطين على

ايدي الحركة التي اعتبر هرتزل مؤسسها . من هنا صدق ما قال احدهم آنذاك فاوردناه اعلاه : « **ان الصهيونية جنون يتولد من الياس** » .

---

١ — *The Complete Diaries of Theodore Herzl,* Edited by Raphael Patai, The Herzl Press, New York, 1960.

وهو المصدر الاساسي للمقالة التي اشير اليها وفق التواريخ التي سجلت بها المذكرات .

٢ — Israel Cohen, *Theodor Herzel: Founder of Political Zionism,* Thomas Yoseloff New York, 1959.

صدر حديثا عن مركز الإبحاث في م. ت. ف.

كتاب

الصهيونية واسرائيل وآسيا

تاليف ج. هـ. جانسن

ترجمة راشد حميد

يرتكز الكتاب على قراءات مكثفة في الايديولوجيا الصهيونية وعلى مسح للعلاقات الاسرائيلية بالدول غير العربية في آسيا ، وبذلك جاء مثيرا للتساؤلات العميقة ومقدما مادة اساسية للمهتمين بالصهيونية وبعلاقات اسرائيل مع العالم الثالث .

٢٤٩ صفحة
من الحجم الكبير

٨ ليرات لبنانية

تضاف اليها أجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ،
٢٥٠ ق.ل. في اوروبه ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم

سـلاح الطيران الاسرائيلي

هشام عبدالله

قبل اكثر من شهرين صرح أحد المسؤولين الاسرائيليين « ان سلاح الطيران هو أكثر الاسلحة حيوية ، وقد حظي في السنة الماضيـة باكبر نصيب من ميزانيـة الدفاع الضخمة »(١) ويوم ٧٢/٥/٢٤ صرح موشيه ديان وزير الدفاع « بأن ٨٢ ٪ من الميزانية العسكرية ستخصص لدعم سلاح الطيران والسلاح المدرع » . مـن هنا نرى الدور الاساسي الذي يلعبه سلاح الطيران واهميته في الجيش الاسرائيلي ، وربما لم يدخل في تصور قادة اسرائيل بأنه سيكون لهذا السلاح كل هذه الاهمية عندما انشيء عام ١٩٤٨ كسلاح تابع للجيش وليس كقوة أساسية منفصلة . لقد اندفعت اسرائيل نحو تعزيز سلاح الطيران ليصل الى ما هو عليه الان بسبب خبـرات عسكرية موروثة واخرى اكتسبتها من حروبها الطويلة مع العرب ، ومن دراستها لاوضاعها الداخلية واوضاع المنطقة عامة . فمن جهة ورثت اسرائيل النظام الاستعماري في المنطقـة حيث كانت القواعد الجوية البريطانية في المفرق والحبانية وقبرص والبحرين وعدن ، والامريكية في الظهران وويلس وتركيا هي عناوين السيطرة العسكرية الاستعمارية والعمود الفقري لقوتها العسكرية والسياسية . ومن نظام القواعد هذا استوحت اسرائيل عدة دروس . اولا ، ان الطائرات تقدم قوة ضاربة وطاقة تدميرية كبيرتين بقوة بشرية ضئيلة نسبيا وبالتالي بخسائر بشرية ضئيلة للغاية في حالة وجود عمليات عسكرية ، واهمية هذا بالنسبة لاسرائيل بغير حاجة الى تعليق . ثانيا ، المدى الواسع الذي تستطيع الطائرات العمل فيه ، وهذا مهم من عدة وجوه ، فهو يثبت يد اسرائيل الطويلة وقدرتها على ضرب الاهداف العربية البعيدة ، وما لهذا من تأثير على المعنويات العربية ، وامكانيته ايضا في التأثير على الاقتصاد العربي اذا مـا ارادت قصف المنشآت الحيويـة او المواقـع الاستراتيجية . ومن جهة أخرى ضيق مساحة اسرائيل الذي يدفعها الى جر المعركة خارج حدودها وهذا امر يسهله الطيران كثيرا . ثالثا ، اهمية الطيران ليس كقوة ضاربة فحسب بل ووسيلة نقل في الحروب الخاطفة ، وتطـوره ليصبح ذا اهمية ايضا في العمليات الخاصة ، فالطيران عامل اساسي لتحقيق عناصر الحرب الخاطفة الرئيسية ، ونقصد سرعة الحشد وكثافة النيران . كما وان وضع اسرائيل الجغرافي واحاطة الدول العربية بها من ثلاث جهات يفرض عليها استخدام ما يعرف بالقتال على خطوط داخلية ، وضد عدة جبهات ، كما يفرض على العرب استخدام القتال على خطـوط خارجية ، والقتال على الخطوط الداخلية يحتاج بشكل عام الى جيش جيد التدريب قادر على القيام بحركات سريعة ، وتحقيق صدمة قوية تكفل حسم المعركة مع الخصم الاول بسرعة للانتقال بعد ذلك الى بقية الخصوم ، بالاضافة الى ارض تسهل الحركة بين مختلف الجبهات وتستند الى حدود ومواقع طبيعية قوية تساعد على الدفاع ريثما يتسنى تحقيق الحشد ضد الخصوم الآخرين . وتبرز اهمية الطيران هنا في قدرته علـى زيادة قوة الصدمة ، بل ان الطيران الاسرائيلي قد تكفل في حرب حزيران في تحقيق صدمة تامة وحاسمة ، كما وان نمو سلاح النقل الجوي والهيلوكبتر خاصة قد كفل سرعة الحشد ،

وازدادت اهمية هذا السلاح بعد حزيران حيث احتلت اراض عربية جديدة وطالت بذلك الخطوط الاسرائيلية ، ولسنا بحاجة للقول ان الطيران لا يتأثر كثيرا بطبيعة الارض وبالتالي فان سهولة حركته مضمونة ، واخيرا فالمقاتلات والقاذفات عامل هام جدا في دعم المواقع الدفاعية ، وتحطيم القوات المهاجمة . ويقدم سلاح الطيران ميزات مستقاة من الوضع العربي والاسرائيلي عامة ، فالى ما قبل كسر احتكار السلاح كانت الدول العربية تعتمد اعتمادا كليا في تزويدها بالطائرات وفي تدريب الطيارين على الدول التي خلقت اسرائيل ، وبالطبع كانت تلك الدول تعمل ، وما زالت ، بشكل يضمن تفوق اسرائيل في هذا المجال . ومن جهة اخرى ، فقد وجدت الدول العربية المتخلفة اقتصاديا وثقافيا صعوبة في تطوير قواتها الجوية ، التي انشىء بعضها حتى قبل خلق اسرائيل ، وقد تنبهت اسرائيل الى ذلك منذ انشائها ، فعملت على جر العرب الى سباق كانوا الخاسرين فيه — على الاقل حتى حرب حزيران — فالاوضاع الاقتصادية العربية ، خصوصا للدول المحيطة باسرائيل ، لا تسمح بشراء أعداد مناسبة من الطائرات الباهظة الثمن ، وبتدريب أعداد كافية من الطيارين تدريبا جيدا ، كما وان التخلف الثقافي يخلق نقصا كبيرا في الكفاءات الفنية والتقنية اللازمة لصيانة هذه الطائرات . وهذه النواقص لا تشكو منها اسرائيل التي يتكون اكثر سكانها من الاوروبيين ، والتي تنهمر عليها التعويضات والتبرعات والمساعدات بلا حساب . ولا يتوقف هذا السباق عند تدريب الطيارين والفنيين ، والذي ، بحد ذاته ، يكلف مبالغ خيالية ، بل يتعداه الى بناء القواعد الجوية وضرورة متابعة التطور العلمي في جميع المجالات : الطائرات الاحدث ، المعدات الالكترونية الافضل ، التطور في انواع الذخيرة ، والاسلحة المضادة للطائرات ، وضرورة امتلاك القدرة على استخدامها بفعالية . كل هذا ستجد الحكومات العربية صعوبة في ملاحقته ، صعوبة ان لم تكن تقنية فهي حتما اقتصادية . وهكذا سيكون بامكان اسرائيل ان تكرس تفوقها في هذا المجال بحكم تفوقها الاقتصادي والثقافي وضمان الدول الغربية لها ، ومما لا شك فيه تأثير هذا على باقي الاسلحة العربية وعلى الروح المعنوية وارادة القتال العربية .

لجميع هذه الاسباب ، وللنتائج التي حققها الطيران في حرب حزيران ، من الحسرب الخاطفة ، والخسائر البشرية القليلة نسبيا ، بالاضافة الى تحطيم معظم القوة العسكرية العربية ، اصبحت اهميته غير قابلة للنقاش ، واعطي الاولوية في جميع المجالات .

لقد تمكن الطيران الاسرائيلي من حسم المعركة فعلا في حرب حزيران ، لكن نجاحه لا يعود الى تفوقه الساحق والمطلق ، بل ساعد فيه بطء رد الفعل العربي ، ولبطء رد الفعل هذا اسباب فنية تتعلق بالقيادة ووحدات الخدمات الارضية والاسراب المقاتلة ، كما وان لها في بعض الاحيان خلفيات سياسية ، ولا بد لنا ان نشير الى توتر العلاقات بين الاردن وسوريا قبل ايام من حرب حزيران حين انفجرت عبوة ناسفة على الحدود الاردنية — السورية وفي بلدة الرمثا الاردنية بالذات ، اتهم الاردن على اثرها سوريا بتدبير الحادث وحشد قواته على حدودها، بالاضافة الى توتر العلاقات بين مصر والاردن ايضا . واهمية سوء العلاقات تكمن في عدم امكانية قيام تعاون جدي بين الاطراف ، وفي تكاسل ردة الفعل . بالاضافة الى التقاعس وعدم القدرة والارتجال التي اكدها الملك حسين بقوله عن دور الطيران الاردني في حرب حزيران « . . . ان طيارينا لا يعرفون بالضبط ما ينبغي لهم عمله . . . وذلك لان افتقارنا الى المعلومات الصحيحة يجعلنا عاجزين عن اصدار تعليمات مفصلة »(٢) .

والامثلة على عدم قدرة الطيران على حسم المعركة كثيرة ، ابتداء بالجزائر كنموذج لحرب العصابات ، ومرورا بكوريا كنموذج للحرب بمختلف اشكالها فمن حرب العصابات الى الحرب النظامية بين قوى متكافئة تقريبا ، حيث استعمل الطيران في جميع المجالات وعلى

اوسع نطاق ، وانتهاء بفيتنام كمثال حي لحرب العصابات والحرب النظامية بين قوات غير متكافئة واستعمال الطيران في قصف المدن والقرى والاهداف الاستراتيجية . ان بامكان القوات العربية ان تحقق نجاحا في حربها مع القوات الصهيونية مهما بلغت قوتها الجوية ، اذا اتبعت وسائل مناسبة ومدروسة آخذة بعين الاعتبار قدراتها ونقاط القوة لديها ، ونقاط الضعف لدى العدو .

عوامل الانتصار : الا أن تعزيز الطيران لم يتوقف عند تدريب الطيارين والحصول على طائرات ومعدات أفضل ، بل ان هناك عوامل تؤكد السلطات العسكرية الاسرائيلية على توافرها وتسميها عوامل الانتصار وهي : أ ــ مخابرات متفوقة ، ب ــ التخطيط المدروس ، جـ ــ القدرة على الاستعمال والسيطرة والمراقبة ، د ــ القدرة على التنفيذ العالي والاستفادة من الطائرة والفني والطيار الى اقصى حد ممكن ، هـ ــ الروح القتالية العالية(٣) .

ولسنا بحاجة الى القول ان اسرائيل قد تمكنت من توفير جميع هذه العوامل قبل حرب حزيران ، فقد تمكنت من الحصول على طائرة ميغ ٢١ من العراق هرب بها طيارها منير روفه الى اسرائيل ، ومكنها هذا من معرفة جميع نقاط الضعف في الطائرة رقم واحد لدى ثلاث قوى جوية عربية محيطة باسرائيل هي سوريا ومصر والعراق ، وهكذا احرز طيارو ها امتيازا على الطيارين العرب الذين كانوا يجهلون نقاط ضعف الميراج . وقد أثبتت حرب الايام الستة ان اسرائيل كانت تعرف الكثير مما يدور داخل اسلحة الطيران العربية ، كما وانها نجحت في الاستفادة من معارفها هذه وادخالها ببراعة في خطتها . ولا يخفى مستوى التدريب العالي للطيار الاسرائيلي ، بالاضافة للروح القتالية العالية والقيادة الجيدة التي وجهته ، فقد قامت الطائرات الاسرائيلية خلال حرب حزيران باكثر من الف طلعة ، اي بمعدل ٥ طلعات للطيار الواحد ، وهناك طيارون قاموا بست وحتى ثماني طلعات(٤) وهذا يتطلب من الطيار روحا قتالية عالية بالاضافة الى خدمات ارضية ذات تدريب ونشاط عاليين ايضا ، وكانت وحدات الخدمات الارضية هذه تعيد تجهيز الطائرات وتسليحها خلال ثماني دقائق . واكثر من هذا كانت تقوم وخلال ساعتين في بعض الاحيان بترميم الثقوب التي تكون قد احدثتها وحدات الدفاع الارضي العربية .

ومرد تفوق الطيار الاسرائيلي ليست طينته الاسطورية(٥) ، كما قد يظن البعض فهناك عوامل خلقتها قيادته ، وعوامل اخرى ساعدت على تحقيق هذا التفوق دون ان يكون لهذه القيادة اي يد فيها ، مثل تدني مستوى الطيار العربي لاسباب اقتصادية ، بسبب تخفيض ساعات الطيران للتوفير في الوقود والذخيرة واستهلاك الطائرة ايضا ، عدم كفاءة القيادة العربية ، ضعف الانظمة العربية السياسي ، بسبب انعدام التلاحم بين الحكم والجماهير في بعض الاحيان ، او عدم وجود بناء سياسي سليم ، وطبيعة ضعفها لا تمكنها من خلق نظام عسكري قوي . وباختصار كان ينقص الطيران العربي كل « عوامل الانتصار » الاسرائيلية مضافا اليها الضعف السياسي والاقتصادي .

وعدا ما تقدم فقد استفادت اسرائيل من طائراتها الى اقصى حد فبالاضافة الى الطلعات العديدة التي قامت بها كل طائرة ، جهزت طائرات التدريب من طراز فوغا ماجستير برشاشين ثقيلين وبعشرة صواريخ عيار ٦٨ و٨٠ ملم لضرب أهداف ارضية . الا ان عامل الانتصار الاول الذي لم تذكره اسرائيل هو « روحها العدوانية » واستعدادها الدائم لانتهاز كل فرصة لضرب القوات العربية واضعافها ، دون ان تأخذ في الحسبان الاعتبارات الاخرى ، مثل الالتزامات الدولية ، والرأي العام العالمي ، وهي امور ما زالت الدول العربية تضعها في المرتبة الاولى ، بالرغم من معرفتها الطويلة باسرائيل . ان كون اسرائيل هي البادئة دوما يعطيها الضربة الاولى والمفاجئة ، وهذه الضربة تكون في بعض الاحيان حاسمة ونجلاء كما في حرب حزيران .

شمشون المسكين : حتى ما قبل حزيران ، اعتمد الطيران الاسرائيلي على فرنسا لتزويده بالطائرات التي تفي باحتياجاته « الدفاعية » . ولم يلجأ الى الولايات المتحدة لان هذه كانت تتمنع عن تزويده بالطائرات كي لا يؤثر هذا على علاقاتها « الحسنة » — في ذلك الوقت — بالعرب . الا ان هذا لم يمنع قيام تعاون خاص وغير مباشر لتزويد اسرائيل بالسلاح ، فقبل حرب السويس عام ١٩٥٦ طلبت اسرائيل من فرنسا تزويدها بنحو ٦٠ طائرة من طراز ميستير ٤ سي ، ولما كانت هذه الطائرة قد صممت بأموال امريكية فقد كان اذن الولايات المتحدة ضروريا لكي تتمكن فرنسا من بيعها لاسرائيل ، وبالطبع لم تمانع الولايات المتحدة(٦) . وحادثة اخرى روتها مجلة « افياشن ويك » الامريكية(٧) عن كيفية حصول اسرائيل على ٢٤ طائرة هليوكبتر من طراز سيكورسكي اس — ٥٨ ، تم شراؤها من الولايات المتحدة بواسطة المانيا الغربية وكجزء من التعويضات الالمانية لاسرائيل ، وذلك خلال عشرة شهور بين عام ١٩٦٠ — ١٩٦١ ، وبموافقة من قسم الاشراف على تجارة الاسلحة التابع لوزارة الخارجية الامريكية ، اضيف الى هذا العدد سبع طائرات اشترتها مباشرة من الولايات المتحدة(٨) .

وقد بدأت اسرائيل تتجه نحو الولايات المتحدة في أوائل عام ١٩٦٥ ، عندما زار افريل هاريمان ، السفير المتجول والمبعوث الخاص للرئيس جونسون ، اسرائيل وشاهد أعمال السوريين في تحويل روافد نهر الاردن ، وهو الامر الذي اعتبرته اسرائيل « عدوانيا ، ومهددا لامنها » . وقد اقنعه رابين يومها بأن اسرائيل يجب ان تكون قوية حتى يمتنع العرب عن « تهديد أمنها » ، وعلى اثرها رفع هاريمان توصية جارة بضرورة بيع السلاح علنا الى اسرائيل دون واسطة المانيا الغربية وفرنسا كما جرت العادة(٩) . وبناء على توصية هاريمان هذا طلب من اسرائيل ان ترسل خبراءها الى واشنطن لكي يجروا محادثات حول قائمة الاسلحة المطلوبة ، خاصة الطائرات وقد أعد عيزر وايزمان قائد سلاح الطيران آنذاك قائمة بـ ٤٥ طائرة فانتوم و٦٥ طائرة سكاي هوك ، وبعد ان تشاور وايزمان واشكول حول كيفية الظهور بمظهر الاقوياء والضعفاء في آن واحد ، أقوياء كما هم وضعفاء بحيث تكون هناك ضرورة لتزويدهم بالسلاح ، عندها قال اشكول جملته المشهورة والتي هي صورة عن سياسة اسرائيل في جميع المجالات « **عليك أن تعرض اسرائيل كما لو كانت شمشون المسكين** »(١٠) . وفي ايار ١٩٦٦ نشر نبأ رسمي عن ان الولايات المتحدة سوف تزود اسرائيل بطائرات تكتيكية « للاغراض الدفاعية » دون تحديد لنوع السلاح او كميته . وفي ٢٨ كانون الاول ١٩٦٨ أعلنت واشنطن رسميا بيع خمسين طائرة فانتوم لاسرائيل .

وقد رفعت صفقة الطائرات هذه الروح المعنوية في اسرائيل ، فلاول مرة تتزود بسلاح مجهز تجهيزا ممتازا ، ولاول مرة توافق الولايات المتحدة على ان تبيع لاسرائيل طائرة هي طائرة الصف الاول نفسها لديها ، ومعاني هذه الصفقة السياسية أكبر بكثير من معانيها العسكرية خاصة وانها تأتي في اعقاب حرب الايام الستة ، واحتلال اسرائيل لمزيد من الاراضي العربية . وبعد ذلك ببضعة اشهر قدمت اسرائيل طلبا ثانيا للحصول على ٢٥ طائرة فانتوم ومئة سكاي هوك ، وقد أجيب طلبها . ولم يتوقف تعهد الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بعدد معين من الطائرات بل تعداه الى قيام تعاون في ميدان صناعة محركات الطائرات ، وتعهدها بالحفاظ على « ميزان القوى » ، ولهذا عوضت اسرائيل عن خسائرها من الطائرات خلال حرب الاستنزاف . وزودتها بمعدات الكترونية خاصة للتشويش على اجهزة اطلاق الصواريخ المضادة للطائرات ، وبطائرات النقل الضخمة من طراز « هركوليز سي ١٣٠ » ، وطائرات الهيلوكبتر الضخمة ، وطائرات الاستطلاع المتطورة والذخائر الحديثة . وجميع هذه المعدات والطائرات هي افضل ما تملك

الولايات المتحدة من سلاح ، وهي اسلحة حلفاء امريكا الكبار نفسها : المانيا الغربية وبريطانيا واستراليا .

المقاتلات الاسرائيلية : ولتحقيق التوازن في الشرق الاوسط « وكي لا تتعجل اسرائيل بضرب العرب اذا ما شعرت بنفسها ضعيفة »(١١) كما قال عيزر وايزمان للمسؤولين الامريكيين في معرض محاولته اقناعهم ببيع طائرات لاسرائيل، فقد فتحت الولايات المتحدة مخازن أسلحتها على مصراعيها للدولة الصهيونية ، واصبحت المصدّر الوحيد للطائرات من مختلف الانواع لاسرائيل ، وقد اضيفت هذه الطائرات لما تبقى من الطائرات الفرنسية الصنع لتكون القوة الجوية الاسرائيلية الحالية .

وتنسجم التركيبة الجديدة لسلاح الطيران الاسرائيلي مع استراتيجيته العسكرية الهجومية اكثر مما كانت عليه قبل حرب حزيران ، فجميع الطائرات الامريكية التي زودت بها اسرائيل هي طائرات هجومية ، فطائرة الفانتوم ، وان كانت تستعمل لجميع الاغراض ، مطاردة معترضة قاذفة ، الا انها وبسبب حمولتها الكبيرة من المواد الحربية والتي تصل الى ٧٢٥٠ كيلوغراما ، ومداها الواسع « ١٦٠٠ كيلومتر »(١٢) هي قاذفة اكثر منها مطاردة معترضة ، وكذلك السكاي هوك القاذفة الهجومية الخفيفة ، والتي تستطيع حمل اكثر من اربعة اطنان من المواد الحربية ، وقد فضلتها اسرائيل على طائرات نورثروب ف ٥ ، رغم أن سرعة هذه الاخيرة تزيد عن ١،٥ ماك (الماك يعادل سرعة الصوت) بينما لا تزيد سرعة السكاي هوك عن سرعة الصوت ، وذلك بسبب حمولتها من القنابل ، وقدرتها الافضل على مهاجمة الاهداف الارضية . وطائرة الفانتوم قاذفة مطاردة معترضة بمقعدين صالحة للاحوال الجوية كافة ، ومجهزة بمدفع دوراني عيار ٢٠ ملم من طراز « فولكان » ، وتستطيع حمل اربعة صواريخ جو ــ جو من طراز « سايدوندر » واربعة صواريخ جو ــ جو من طراز « سبارو » وذلك لعمليات المطاردة والاعتراض ، ولعمليات الهجوم والقصف ١٤ قنبلة زنة ٤٥٣ كيلوغراما الواحدة ، او قنبلة واحدة زنة ٣ اطنان او ١٠ سبطانات اطلاق تحتوي كل واحدة على ١٨ صاروخا من عيار ٦٨ ملم ، او حمولات مختلفة لا يزيد وزنها عن ٧٢٥٠ كيلوغراما . والفانتوم طائرة جيدة من ناحية قدراتها عامة واجهزتها الالكترونية ، ويعطيها وجود ملاحين اثنين على متنها امكانية الاستفادة من هذه الاجهزة ، ودقة في التصويب والقصف .

اما السكاي هوك التي حملت العبء الاكبر في حرب الاستنزاف فهي طائرة هجومية خفيفة بمقعد واحد ، وقد اجرت اسرائيل عليها تعديلات كثيرة ، فاستبدلت مدفعها الاصلي عيار ٢٠ ملم بمدفع عيار ٣٠ ملم طراز « ديفا » (يصنع في اسرائيل بموجب ترخيص) وعدلت اجهزة الملاحة فيها ، وزودت بمعدات الكترونية افضل(١٣). وتستطيع حمل اكثر من اربعة اطنان من المواد الحربية ، بينها صواريخ مضادة للرادار طراز « شرايك » وقنابل انزلاقية طراز Walleye وهي غير القنابل ذات الدفع الصاروخي الفرنسية التصميم ، والمخصصة لتدمير مدارج طائرات العدو . والسكاي هوك سهلة الحركة وقادرة على الانقضاض العمودي .

اما المقاتلات الاخرى فهي من صنع فرنسي وهي من طائرات الصف الثاني ، باستثناء الميراج ٣ سي ، وهي مطاردة معترضة جيدة ، اكتسبت سمعة اكبر من قدرتها بعد حرب حزيران ، فالميراج في مستوى الميغ ٢١ ، بل ان الانواع الحديثة مثل الميغ ٢١ م ف تتفوق على الميراج ٣ سي . والميراج هي العصب الرئيسي لقوات الدفاع الجوي الاسرائيلي ، والوحيدة التي لم تموه من بين طائرات سلاح الطيران ، وتبلغ سرعة هذه الطائرة ٢،١٥ ماك ، وهي جيدة من ناحية قدرتها على الاعتراض والمطاردة ، والقتال سواء على ارتفاعات عالية ام منخفضة ، وتسليحها يتالف من مدفعين عيار ٣٠ ملم ، وبعضها مزود بصواريخ جو ــ جو طراز ماترا أر ٥٣٠ ، كما يمكن تزويدها بصاروخين جو ــ جو طراز

سايدوندر . ويمكن استخدامها لعمليات الهجوم الارضي ، ولكن حمولتها متواضعة ولا تتجاوز قنبلتين من عيار ٤٥٣ كيلوغراما او ما يعادل وزنهما من المواد الحربية . وقدرات طائرات الصف الثاني متواضعة جدا بالنسبة للطائرات الحديثة سواء من ناحية السرعة او التسليح او الاجهزة التي تحملها ، فأسرع هذه الطائرات السوبر ميستير ، تتجاوز قليلا سرعة الصوت . اما الميستير فتبلغ سرعتها ٢،٤ ماك والفوتور ٢،٩ ماك ولا تزيد سرعة الاوريغان عن ٩٦٠ كم في الساعة .

وتزايد حجم القوة الضاربة في سلاح الطيران سيجعل منه مطرقة لضرب الاهداف العربية على مدى اكثر من ١٦٠٠ كيلومتر ، ولسنا بحاجة للقول ان اسرائيل ليست بحاجة الى مثل هذا النوع من الطائرات لاحتياجاتها « الدفاعية » ، فقوة الفانتوم الضاربة تعادل قوة اكثر من ٥ طائرات ميغ ٢١ . ومن هنا تتضح صعوبة المقارنة بالعدد بين الطائرات العربية والاسرائيلية وما تحمله هذه المقارنة من مغالطات(١٤)، فربما كانت الطائرات الاسرائيلية اقل من ناحية العدد ، الا انها اقوى من ناحية كثافة النيران والمدى الذي تستطيع العمل فيه ، كما وانها افضل من ناحية قدراتها عامة ، واجهزتهـــا الملاحية والالكترونية . والجدير بالذكر ان الفانتوم هي صنف من الطائرات غير موجود في سلاح الطيران السوفييتي ، وبالتالي فهو لا يستطيع تزويد العرب به ، فالسوفييت يفصلون بين القاذفات والمطاردات المعترضة ، ولا يجمعون هذه القدرات في طائرة واحدة كما في الفانتوم . كما ان القاذفات هي في أغلب الاحيان متوسطة او ثقيلة ، بالاضافة الى ان المصانع السوفييتية تركز على انتاج الطائرات المعترضة الدفاعية ، كما في قائمة طائرات الميغ كلها وطائرات السوخوي ٩ و١١ باستثناء السوخوي ٧ . والطائرات السوفييتية مصممة لتوافق الاستراتيجية العسكرية السوفييتية والتي تبلورت نتيجـــة للخبرات الضخمة التي حصلوا عليها في الحرب العالمية الثانية وحرب كوريا .

ويزيد عدد المقاتلات وطائرات التدريب العاملة حاليا في الطيران الاسرائيلي عن ٤٥٦ طائرة مقسمة حسب الجدول رقم (١)(١٥) .

جدول رقم (١)

المقاتلات			الاستطلاع		
فانتوم ٢	F-4E	٨٤	فانتوم	RF - 4 E	٦
ميراج	111C	٦٠	المجموع		٦
سكاي هوك	A - 4 H A - 4 E	١٢٥	**التدريب**		
ميستير	IV A	٢٧	سيرنا « سكاي واجن »		غير محدد
سوبرميستير		٩	بوتزاير فوغا ماجستير		٨٥ *
فوتور		١٠	بايبر « سوبر كوب »		٢٠ ؟
اوريغـــان		٣٠	المجموع اكثر من		١٠٥
المجموع		٣٤٥	* تستنتج اسرائيل ١٠٠ طائرة من هذا الصنف .		

ولا تشمل هذه القائمة الصفقات الجديدة والتي تتكون من ٤٢ طائرة فانتوم تسلمت اسرائيل منها ٩ طائرات بينها عدد من طائرات الاستطلاع و ٩٠ طائـــرة سكاي هوك آـــ ٤ ام ، وهذا احدث طراز من طائرات السكاي هوك ، والتي تسلمت اسرائيل منها ٢٥ طائرة ، وقد يصل عدد الطائرات الى ١٤٠ سكاي هوك و٩٢ فانتوم في اواخر هذا العام . وبعد أن أصبحت الولايات المتحدة مصدرة للطائرات الى اسرائيل ، تمكنت هذه من الحصول ولاول مرة على طائرات خاصـــة للاستطلاع مجهـــزة تجهيزا متطورا .

فبالاضافة الى معدات الاستطلاع العادية(١٦)، زودت بجهاز رادار متقدم للكشف الجانبي من طراز « جوديير » Goodyear ونظام ارسال مباشر للمعلومات الى محطات ارضية. ويلاحظ تناقص الطائرات الفرنسية باستمرار ، وذلك بسبب خسائر اسرائيل من هذه الطائرات وعدم قدرتها على تعويضها ، فمن ٧٥ طائرة اوريغان اشترتها قبل حرب السويس بقليل لم يبق سوى ٣٠ طائرة ، ومن اكثر من ٦٠ طائرة ميستير لم يبق سوى ٢٧ . ويختلف الامر بالنسبة للميراج التي تناقصت من ٧٢ الى ٦٠ طائرة ، وكانت قد راجت اشاعات في السابق عن تزويد حكومة جنوب افريقيا — والتي تنتج هذه الطائرة بموجب ترخيص خاص من فرنسا — لاسرائيل بعدد من هذه الطائرات(١٧). ان خسائر اسرائيل الكبرى من الطائرات لم تكن ابان حرب السويس ، او حرب حزيران ، بل في حرب الاستنزاف ، حيث خسرت ٩ طائرات فانتوم و١٠ سكاي هوك عوضتها عنها الولايات المتحدة(١٨). وتجدر الملاحظة هنا ان هذه الطائرات قد دخلت حرب الاستنزاف بعد الطائرات الاخرى . هذا عدا عن خسائرها في الميراج والطائرات الاخرى ، فقد ادعت اسرائيل بعد حرب حزيران مباشرة انها لم تخسر سوى اربع طائرات ميراج خلال الحرب ، فان صح هذا فانها خسرت ثماني طائرات خلال حرب الاستنزاف يضاف اليها الطائرات التي قد تكون حكومة جنوب افريقيا قد قدمتها لها . وعلى الجبهة الاردنية الضعيفة بالنسبة للجبهة السورية والمصرية خسرت اسرائيل ٦ طائرات جميعها من طائرات الصف الثاني(١٩): اوريغان ، ميستير ، سوبر ميستير وفوتور ، وذلك بالمدافع المضادة السورية والعراقية التي كانت ترابط هناك .

وتقول اسرائيل بأنها ستسحب طائرات الميستير والسوبر ميستير والفوتور من الخدمة(٢٠)، حين استلام الصفقة الجديدة من طائرات الفانتوم والسكاي هوك ، اما الاوريغان فقد سحبت فعلا كطائرة قتال لتقوم بأعمال التدريب . الا ان هذا لا يمنع استخدامها في القتال عند الضرورة كما حدث خلال حرب حزيران عندما استعملت طائرات التدريب الماجستير في العمليات الحربية ، واستخدام هذه الطائرات الصغيرة في العمليات الحربية مشروط بتحقيق السيطرة الجوية ، او بوجود حماية لها ، والا فانها تصبح فرائس سهلة للمقاتلات المتفوقة .

ويستخدم الطيران الاسرائيلي طائرة البايبر « سوبر كوب » لتدريب المبتدئين ينتقل بعدها التلاميذ للطيران بطائرات الفوغا ماجستير للمقاتلين ، وطائرة سيزنا « سكاي واجن » للفروع الاخرى في الطيران . وتستعمل طائرة السيزنا هذه ايضا كطائرة مراقبة وارتباط للجيش — الذي لا يملك خدمات جوية خاصة به — ، اما بالنسبة لطياري الهيلوكبتر فبعد الحصول على اجازة الطيران على الطائرة الاولى — البايبر — يبدأون مباشرة في التدرب على الطائرات العمودية . وقد بدأ الطيران الاسرائيلي في استخدام طائرات الفوغا ماجستير المصنوعة بموجب ترخيص من فرنسا في اسرائيل ، في آب من عام ١٩٧٠ ، وتتمم طائرة الاوريغان مهمة طائرة الماجستير في التدريب وينتقل بعدها التلاميذ للتدرب على الطائرات المقاتلة العاملة .

خلاصة القول ان القوة الضاربة في سلاح الطيران الاسرائيلي قد تضاعفت بنسبة تزيد عن اثني عشر ضعفا منذ حزيران وحتى الان . ولاعطاء صورة عن حجم هذه القوة نقدم الارقام التالية : ان باستطاعة ١٠٠ فانتوم ومئتي سكاي هوك القاء اكثر من ١٥٠٠ طن من القنابل في الطلعة الواحدة ، فاذا قامت هذه الطائرات بخمس طلعات كما في حرب حزيران ، فان هذا يعني ٧٥٠٠ طن في اليوم تلقيها الطائرات فقط . ولكن مهما بلغت قوة القصف هذه ، فان هناك فرقا بين القصف وتحقيق الاهداف ، وتقول احدى الاحصائيات في هذا الصدد ، انه في « حرب التبذير » هذه فان القضاء على الجندي المعادي يحتاج الى اربعة اطنان من القنابل ، ولكن حتى هذه الارقام تبدو متفائلة جدا ، لانه لو صح ذلك

لكان قد قتل ٢٠٠،٠٠٠ جندي فيتنامي في عام ١٩٧١ ، من قصف الطائرات فقط ، اذ ان الطيران الامريكي قد اسقط في ذلك العام ٨٠٠،٠٠٠ طن من القنابل فوق المراكز الشيوعية(٢١) وهو امر لو صدق لكان الجيش الفيتنامي الشمالي قد ابيد عدة مرات ومنذ زمن . وفي الحقيقة تلعب الوسائل الذكية التي يتبعها الفيتناميون في اتقاء الغارات الجوية ومقاومتها دورا كبيرا في تقليل الخسائر ، فبالاضافة الى عنف الدفاع الجوي الذي يمنع الطائرات الامريكية من الاقتراب، وبالتالي من تحقيق اصابات جيدة، يستخدم الفيتناميون كما استخدم الكوريون في حرب ١٩٥٠ — ١٩٥٣ الانفاق بكثرة. وفي المدن توسع استخدام الملاجيء لتصبح مدارس ومستشفيات بل ومنازل تحت الارض ، كما وان عمليات التضليل البارعة للطائرات الامريكية جعلها توجه قنابلها في احيان كثيرة الى اهداف وهمية او خاطئة . وبالرغم من وسائل الكشف الحديثة جدا التي يستعملها الامريكيون ، فان طبيعة الارض الفيتنامية تلعب دورا كبيرا في اخفاء الاهداف وتمويهها وبالتالي تقليل الخسائر .

النقل والهيلوكبتر : لم يقتصر اهتمام القيادة العسكرية الاسرائيلية على المقاتلات بل شمل ايضا سلاح النقل ، واهمية هذا السلاح راجعة في الاصل الى كون القادة العسكريين يشددون على المرونة في التكتيك والاستراتيجية ليضمنوا بذلك تفوقا ساحقا على القطعات العربية ، الامر الذي يدفعهم الى الحشد السريع لقواتهم في النقاط الملائمة ، بالاضافة الى عمليات الاختراق السريع ايضا للخطوط العربية . ويجب ان لا ننسى الاهمية التي بدأت تتبلور في استخدام طائرات النقل العمودية في عمليات عسكرية لمساندة قوات اخرى ، او في عمليات عسكرية منفصلة ، بالاضافة الى استعمال الناقلات في مهمات كثيرة ، في الحرب الالكترونية ، وتزويد المقاتلات بالوقود في الجو ... الخ . وتتكون طائرات النقل الاسرائيلية من طائرات فرنسية وامريكية سواء منها القديم او الحديث ، وقد كانت المانيا هي واسطة ايصال الكثير من هذه الطائرات الى اسرائيل ، ويضم سلاح الطيران الاسرائيلي حاليا اكثر من ١٢٨ طائرة نقل وطائرة هيلوكبتر مقسمة حسب الجدول رقم ٢(٢٢) .

واضخم هذه الطائرات هي الهيركوليز سي ١٣٠ ، وقد اشترتها اسرائيل مؤخرا من الولايات المتحدة ، وهي من اضخم الناقلات الامريكية ، وقد استلمت اسرائيل بعضا منها

جدول رقم (٢)

طائرات النقل	
هيركوليز سي ١٣٠	٦
بوينغ ٣٧٧ ستراتوكروزر	١١
دوغلاس سي ٤٧	١٠
كورتيس سي ٤٦	٤
نور اطلس	٣٥
عرفه	غير محدد
المجموع اكثر من	٦٦

الهيلوكبتر*		
سيكورسكي	S-65C-3 (CH-53D)	١٠
اغوستابيل	AB-205	٢٥
سوبر فريلون	SA-321 K	١٢
الوبيت		١٠
بيل	47G-3B	٥
جيت رانجر	206 A	غير محدد
المجموع اكثر من		٦٢

* كانت اسرائيل قد باعت طائرات السيكورسكي اس ٥٨ التي تحدثنا عنها في اول المقال بعد حرب حزيران .

وتتسلم الباقي بمعدل واحدة في الشهر . وتستطيع هذه الطائرة حمل ٩٢ جنديا او اكثر من ٢٠ طنا من المواد المختلفة ، وقد اشبترت عددا لم تفصح عنه ، ولكن قد يتراوح ما بين ٦ و٧ طائرات(٢٣) . واكثر هذه الطائرات عددا هي النورد اطلس ، وكانت اسرائيل تمتلك ١٥ طائرة من هذا النوع، ثم اشترت ٢٠ طائرة كانت لسلاح الطيران الالماني الغربي(٢٤)، وهي من صنع فرنسي ، وتقوم هذه الطائرة بالاضافة الى اعمال النقل الجوي وانزال المظليين بأعمال الدورية على طول الساحل الفلسطيني لاستطلاع القطع البحرية والغواصات . والبوينغ ٣٧٧ ستراتو كروزر هي اضخم هذه الطائرات بعد الهيركوليز ، وتزيد حمولتها عن ١٦ طنا . وتقوم هذه الطائرة بأعمال النقل المدني ، بالاضافة الى مهماتها العسكرية ، وقد جهزت لتقوم بمهمات مختلفة ، مثل تزويد المقاتلات بالوقود في الجو ، بواسطة خزانين مثبتين تحت جناحي الطائرة ، وبعضها جهز بمعدات الكترونية معقدة للقيام بأعمال التجسس والتشويش الالكتروني . وقد اسقطت مصر احدى هذه الطائرات في اواخر عام ١٩٧١ بواسطة صاروخ سام ٢ ، عندما كانت تقوم بأعمال التجسس الالكترونية بالقرب من خطوط وقف اطلاق النار. ومثل الستراتو كروزر هناك الدوغلاس سي ٤٧ التي تستعمل ايضا لاغراض النقل المدني بالاضافة الى مهماتها العسكرية وسوف تستبدل بعض الطائرات من هذا الصنف وطائرات كورتيس سي ٤٦ بطائرات جديدة من طراز عرفه الإسرائيلية الصنع ، والتي ستجهز للقيام بمهام مختلفة كالقتال ضد الغواصات ، والتصوير الجوي والمراقبة ، وكمركز قيادة طائر . وتستطيع هذه الطائرة حمل ٢٠ جنديا ، او لنقل الجرحى حيث تستطيع نقل ١٢ جريحا على نقالة ، مع وحدة اسعاف . كما تستطيع الاقلاع والهبوط من مدارج قصيرة وشبه معبدة. وتعمل المصانع الاسرائيلية على تطوير هذه الطائرة لتستطيع نقل ٣٢ راكبا(٢٥). وتطور صناعة هذه الطائرة سيجعل اسرائيل في غنى عن التزود بطائرات النقل الخفيفة من الخارج ، بل انها ستصبح مصدرة لهذا النوع من الطائرات . وتتكون قوة الهيلوكبتر من طائرات امريكية وفرنسية ، وتعتمد اسرائيل على الطائرات العمودية في عملياتها العسكرية القتالية اكثر من اعتمادها على طائرات النقل الاخرى .

وكما في باقي الاصناف فقد زودت اسرائيل بأفضل الطائرات واضخمها ، مثل السيكورسكي اس — ٦٥ (CH - 53 D) ، وهي الطائرة نفسها التي يستعملها مشاة البحرية الاميركيون ، وقد أجرت عليها القيادة الاسرائيلية بعض التعديلات(٢٦)، كتركيب خزانات وقود اضافية لها ، ومصافي للرمل التي هي ضرورية جدا في الصحراء. وتستطيع هذه الطائرة حمل ٦٤ جنديا ، وذلك خلافا للنوع الاصلي (CH - 53) التي تنقل ٣٤ جنديا فقط ، ولا تعادلها من ناحية الحمولة الا طائرة ميل مي ٦ الروسية والتي تمتلك مصر عددا منها وتستطيع حمل ٦٥ جنديا . وفي الدرجة الثانية من ناحية الضخامة تأتي السوبر فريلون الفرنسية الصنع والتي تستطيع حمل ٢٧ — ٣٠ جنديا او ٤ — ٤،٥ طن من المواد المختلفة . وتلعب طائرات الهيلوكبتر دورا حيويا في العمليات الخاصة ، فخلال حرب الايام الستة قامت بانزال وحدات من جنود الكوماندوس خلف الخطوط المصرية في منطقة ابو عجيلة في شبه جزيرة سيناء ، وكذلك انزلت قوات مشاة من لواء جولاني خلف الخطوط السورية في هضبة الجولان ، وخلال حرب الاستنزاف قامت قوات مجوقلة بعدد من العمليات الخاصة ، هي جزء من الحرب النفسية التي تشنها ضد العرب مثل عملية مطار بيروت،وسرقت محطة متحركةللرادار المصري في ٢٦ كانون الاول ١٩٦٩ بواسطة طائرات سيكورسكي اس ٦٥ الضخمة ، وكذلك عملية ضد معسكرات القطيفة السورية ، كما قامت بعمليات عسكرية تساندها قوات من فروع اخرى في الجيش مثل عملية جزيرة شدوان ، والصرفند ، وبعض العمليات ضد قواعد الفدائيين . ويرجع تفضيل الجيش الاسرائيلي استعمال طائرات الهيلوكبتر في هذه العمليات الى عدة اسباب تتعلق بقدرة الطائرة نفسها ، فهي تستطيع انزال الجنود في مناطق لا تستطيعها

الطائرات المروحية ، والتحليق وانزال الجنود على ارتفاعات لا يستطيع الرادار كشفها ، وهذا يحقق للعملية ، والى درجة معينة ، عامل المفاجأة ، هذا عدا عن قدرتها على اخلاء الاصابات فور انتهاء العملية ، وكون الجندي المجوقل لا يحتاج الى اللياقة البدنية والتدريب العاليين اللذين يحتاجهما جندي المظلات . ولكن العمل الاكبر معنى بالنسبة للمعنويات الاسرائيلية هو اعمال الانقاذ والاسعاف التي تقوم بها هذه الطائرة ، بشكل يمكنها من تخفيض خسائرها البشرية بسبب سرعة الاسعاف ، « وقد قامت طائرات الهيلوكبتر خلال حرب حزيران بانقاذ ٨٦٣ جريحا وقامت طائرات النقل الاخرى بانقاذ ٢٣٠ جريحا ، بالاضافة لانقاذ ١٤ طيارا من بينهم ٤ تحت نيران العدو و٨ في الاراضي العربية مستخدمة الطائرات العمودية »(٢٧). ان تطور هذا السلاح وتضاعف قوة اسرائيل الضاربة سيمكنانها من القيام بعمليات واسعة ، وربما السيطرة على مناطق عربية واحتلالها ، خاصة اذا عرفنا ان بامكان سلاح النقل هذا نقل اكثر من ٣٥٠٠ رجل في الدفعة الواحدة ، اذا استخدمت الطائرات المروحية للمظليين وطائرات الهيلوكبتر للمشاة ، بجانب قدرة طائراته الضخمة على نقل السيارات المسلحة والمدرعات الخفيفة. ويزيد من خطورة هذا السلاح ضعف التغطية الجوية وضعف شبكة المواصلات العربية ، بالاضافة الى ان اعدادا كبيرة من القوات العربية ما زالت راجلة (غير ميكانيكية) وهذا سيمكن العدو من الاستفراد بنقاط ضعف عسكرية ومدنية يختلف حجمها باختلاف حجم القوة الضاربة ، اي كلما زاد عدد الجنود الذين يستطيع العدو نقلهم الى الهدف ، زادت امكانية عزل هدف اكبر وتدميره ، وذلك قبل ان تتمكن اي قوة من نجدة الموقع . « ولا تستخدم الهيلوكبتر في الجيش الاسرائيلي كأداة نقل او للمساعدة على المطاردات بل اداة قتال ايضا »(٢٨) وقد استخدمت طائرات الهيلوكبتر كأداة قتال في معركة الكرامة حيث كانت تقوم بكشف مواقع الفدائيين واطلاق النار عليهم . وقامت بأعمال الدورية المسلحة في غور الاردن .

وكما رأينا فقد توسعت القوات الإسرائيلية في استخدامها لطائرات النقل والهيلوكبتر ، فلم تعد هذه مجرد أدوات لنقل الجنود والاعتدة والجرحى ، بل طائرات تجسس وتشويش الكتروني وطائرات دورية ومراقبة وتصوير ، ومقاتلات مضادة للغواصات تستطيع حمل قنابل طوربيد وقنابل اعماق ، وطائرات لتزويد المقاتلات بالوقود في الجو ، ولتدريب طياري المطاردات ، بالاضافة الى المهام الاساسية ، وجميع هذه المهمات التي يستطيع سلاح النقل الجوي القيام بها ، بالاضافة الى قيمته في الحروب الخاطفة ، والحرب التقليدية ، والعمليات الخاصة ، تضعه في مكانة مرموقة ، بالرغم من انه ليس سلاح صدام مباشر .

الحرب الالكترونية : ظهر تعبير الحرب الالكترونية في فترة حرب الاستنزاف ، وكلمة حرب هنا لا تعني حربا بالمعنى المتعارف عليه ، بل هي اشبه ما تكون بحوار الارادات مع المنجزات العلمية ، هذا الحوار الذي تستخدم فيه معدات الكترونية بالغة التعقيد. فعندما انشأت مصر شبكة صواريخ سام على طول القناة ، لحماية اراضيها من هجمات الطائرات الاسرائيلية (وهذه الصواريخ توجه نحو أهدافها بواسطة الرادار) قامت الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بمعدات خاصة لرصد هذه المحطات والتشويش عليها ، وقد جهزت طائرات النقل الضخمة من طراز بوينغ سي ٩٧(٢٩)، لتقوم بهذه المهمة . والتشويش على الرادار من شأنه تضليل الصاروخ عن هدفه ، ولكن في هذه الحالة يمكن توجيه الصاروخ بوسائل اخرى ابسط لا يمكن التشويش عليها ، وان كانت اقل فاعلية ، لذلك فقد زودت طائرات الفانتوم بأجهزة انذار تنبه الطيار الى الخطر المحدق ، ليتمكن من الافلات بحركة مناسبة، ومن الجدير ان نذكر هنا ان مصر اتبعت خطة الاطلاق الجماعي للصواريخ ، حتى اذا ما تمكن الطيار من الافلات من احدها فلن ينجو من

الاخر . ومهما يكن من امر فان مجرد وجود هذه الشبكة ، يعني انه لن يكون في وسع القاذفات الوصول بسهولة الى اهدافها ، خاصة اذا كان الهدف يقع ضمن مجال هذه الصواريخ لذلك فلا بد من ضربها وتدميرها . ولهذا زودت اسرائيل بصواريخ «شرايك» المضادة للرادار ، وهو صاروخ جو — ارض يلاحق الذبذبات التي تطلقها اجهزة رادار الصواريخ المضادة للطائرات الى مصدرها ويدمرها . وقد تمكن الفيتناميون الشماليون من ابطال مفعوله باقفال اجهزة الرادار في الوقت المناسب فتوقف اصدار الذبذبات يفقد الصاروخ الهدف ، الا ان الامريكيين زودوه بذاكرة بحيث يواصل الاتجاه نحو الهدف بالرغم من اقفال الاجهزة . وتقول مجلة الطيران والبحرية الايطالية ان الاسرائيليين قد استعملوا هذا الصاروخ ، انتقاما لاسقاط طائرة التشويش الالكتروني بوينغ سي ٩٧ في اواخر عام ١٩٧١ ، في ضرب مواقع الصواريخ المصرية ، ولكن بنتائج طفيفة جدا(٣٠) . وتستطيع الطائرات اطلاق صاروخ شرايك من مسافة تتراوح بين ١٢ — ١٦ كيلومترا ، وتبلغ سرعته ضعفي سرعة الصوت ، ومن الممكن تضليله باطلاق ذبذبات وهمية من اجهزة خاصة بعيدة عن اجهزة الرادار الحقيقية . وهناك مفاوضات لشراء اهداف طائرة ، وطائرات استطلاع بدون طيار من طراز رايان فايربي ١٤٧(٣١) وهذه الطائرة تحمل في داخلها اجهزة ملاحة دقيقة ، وتطير حسب خط مبرمج موضوع في اجهزتها الداخلية ، وهي مزودة بنظام تصوير خاص للبث المباشر الى محطات ارضية . وتستطيع ان تطير لمدى ٤٠٠٠ كيلومتر دون التزود بالوقود وعلى ارتفاع ١٨،٣٠٠ متر . اما الاهداف الطائرة فهي مستعملة في الاصل لتدريب طياري المطاردات ، ووحدات الدفاع الجوي ، الا ان هناك دراسات لجعل هذه الاهداف قادرة على حمل قنبلة زنة ٢٣٠ كيلوغراما تحت كل جناح وتوجيهها لضرب اهداف ارضية . ويعتقد الخبراء الامريكيون انها قادرة على ضرب اهداف تحميها صواريخ سام ٢ ، وسام ٣ ، او استعمالها لامتصاص جزء من قوة شبكة الصواريخ المضادة ، وذلك باطلاقها فوق هذه الشبكة ، فتطلق الصواريخ عليها لاسقاطها ، ظنا منها انها طائرات مقاتلة ، وذلك تمهيدا لهجوم حقيقي تشنه طائرات يقودها طيارون . ويمكن اطلاق هذه الطائرات والاهداف من الارض ، او من طائرة ام ، وتستطيع طائرة هيركوليز الضخمة حمل اربعة من هذه الاهداف تحت جناحيها ، فوزن اثقل هذه الطائرات يبلغ ١٥٨٨ كيلوغراما اما طولها فيتراوح بين ٧ — ٨،٨٠ متر . وتتمكن اسرائيل بطائرات التجسس هذه من القيام بعمليات استطلاع في عمق الارض العربية دون ان تخشى حدوث خسائر بشرية ، بالاضافة الى هذا فسوف تقلل هذه الطائرات من خسائرها اذا ما حاولت خرق شبكة الصواريخ المصرية . ومن المؤكد ان لعبة الحرب الالكترونية هذه ليست بهذه البساطة ، فاذا ما افلحت هذه الاهداف في خداع شبكات الرادار المصرية مرة فسوف يكون من الصعب ان تخدعها مرة ثانية ، واذا ما اكتشف المصريون وسيلة لاتقاء صاروخ شرايك ، فسوف يمضي وقت طويل قبل ان يتمكن الاسرائيليون من ايجاد حل مضاد ، وبالطبع ، ففي حالة وجود عمليات عسكرية ، فلن تتوقف هذه العمليات في انتظار ان يجد الاسرائيليون الحل .

ونذكر هنا بعض الوسائل والاسلحة التي يستخدمها الامريكيون في فيتنام لمواجهة صواريخ سام ، حيث ان هذه الخبرات والاسلحة تصب فورا في جعبة العدو الصهيوني لتجربتها في المنطقة ، فقد استعمل الامريكيون في عملياتهم الاخيرة في فيتنام قنبلة جديدة سموها القنبلة الذكية "Smart Bomb" وهي تقودها اشعة لاسر (ليزر) ، وتضبطها كاميرا تلفزيونية "Telecamera" ، وقد حاز الامريكيون بواسطتها على دقة عالية في التصويب ، حتى على ارتفاعات عالية . ويعتقد بأن هذه القنبلة هي الصاروخ نفسه المسمى مافيريك "Maverick" من انتاج شركة هيوز — اريزونا ، وهو صاروخ جو — ارض ، والذي له نظام توجيه خاص ، مكون من كاميرا تلفزيونية موجودة في مقدمة الصاروخ ، تمسح المنطقة المراد قصفها بحثا عن الاهداف ، وترسلها الى شاشة صغيرة

امام الطيار ، ويبدأ عمل الصاروخ وهو ما زال معلقا في الطائرة ، فعندما يشاهد الطيار الهدف المراد ضربه يوقف الصورة على ذلك الهدف ، ويطلقه فيتوجه الصاروخ مباشرة نحو الهدف الذي حمل صورته . وتستطيع طائرة الفانتوم حمل ستة صواريخ من هذا النوع على علاقتين وهو يعمل بالوقود الصلب ، ووزنه ٢٢٧ كيلوغراما وطوله ٢،٤٤ متر وقطره ٣٠ سم .

الدفاع الجوي : ليس ثمة سلاح منفصل تماما اسمه الدفاع الجوي ، بل ان هذا السلاح يتكون من عدة اقسام ، تتجمع لتكون ما يعرف بالدفاع الجوي . ويتكون الدفاع الجوي الاسرائيلي من ١ — الطائرات المعترضة ، وتشكل الميراج ٣ سي عصبها الرئيسي ، وكما سبق وقلنا فهذه الطائرات مسلحة بصواريخ ماترا آر ٥٣٠ وصواريخ سايدوندر ، وتعاونها في ذلك طائرات الفانتوم التي تحمل ثمانية صواريخ جو — جو من طراز سايدوندر وسبارو(٣٢) وطائرة الفانتوم جيدة للقتال الاعمى والليلي ، وفي قدرتها الممتازة على الصعود والارتفاع بسرعة ٩ كيلو مترات في الدقيقة ، ولكن الميراج اكثر كفاءة في المطاردة النهارية وعلى الارتفاعات المنخفضة ، وتقوم بعض طائرات الصف الثاني ايضا باعمال الاعتراض مثل الميستير والسوبر ميستير ، وهذه مسلحة بمدافع من عيار ٣٠ ملم ، ولا تحمل صواريخ جو — جو . وباستثناء الطائرات المطاردة ، فان الدفاع الجوي الاسرائيلي لم يحظ بالقدر نفسه من الاهتمام الذي حظي به سلاح الطيران والاسلحة الاخرى ، ولكن هذا لا يعني انه اهمل كليا .

٢ — الانذار — ويتكون من شبكة جيدة من الرادار ، وتعمل اسرائيل حاليا على تجديد هذه الشبكة وتقويتها ، فقد ذكرت مجلة افياشن ويك الامريكية (عدد ١ آذار ١٩٧١) « ان شركة هيوز تضع دراسة تمولها اسرائيل لانشاء جهاز دفاع جوي يمكن السيطرة عليه بالالات الحاسبة الالكترونية ، وتحاول اسرائيل تحسين اجهزة دفاعها الجوي ، بشراء اجهزة رادار جديدة وزيادة بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات من نوع هوك » . ولا تتوقف عملية الانذار على اجهزة رادار الدفاع الجوي ، بل تتعداها الى اجهزة رادار البحرية . ويمكن تجهيز سفن الصيد الصغيرة بمعدات بسيطة لتقوم باعمال المراقبة والانذار ، بالاضافة لوسائل الكشف العصرية . وفي بلد عسكري مثل اسرائيل يستطيع كل جندي او مستوطن في الكيبوتسات ، شبه العسكرية ، ان يقوم باعمال المراقبة بالعين المجردة او المناظير ، والانذار ، تساعدهم في ذلك شبكة ممتازة من المواصلات السلكية واللاسلكية .

٣ — التصدي ، في العادة تكون المطاردات جاهزة دوما للتدخل لرد اي هجوم خارجي ، ولكن في حال عدم تمكن المطاردات من الدفاع عن بعض المناطق تتولى البطاريات ووحدات الصواريخ المضادة للطائرات القيام بهذه المهمة ، وقد سلحت اسرائيل بمدافع رباعية عيار ٢٠ ملم، وتطلق هذه المدافع النار من اربع فوهات في وقت واحد(٣٣) وتعطي كثافة نيران جيدة ، يضاف لهذه مدافع من عيار ٣٠ و ٤٠ ملم . وتستخدم المدافع عيار ٢٠ ملم لصد الطائرات التي تحلق على ارتفاعات منخفضة اما المدافع الاخرى فللطائرات التي تحلق على ارتفاعات أعلى .

والجزء الثاني من الوحدات المضادة للطائرات هي صواريخ هوك ، وكانت اسرائيل قد حاولت اكثر من مرة الحصول عليها ، الى ان تمكنت من ذلك عام ١٩٦١ ، مقابل اصوات الناخبين اليهود للرئيس كنيدي . والهوك صاروخ جيد ، وهو صاروخ الدفاع الجوي الرئيسي لدى قوات حلف شمالي الاطلسي ، الا ان الدول التي تملكه تحاول الآن ابداله بصواريخ احدث(٣٤) ولدى اسرائيل تسليح كتيبتين من صواريخ هوك(٣٥) وهو صاروخ متوسط المدى ، (مداه ٣٥ كيلو مترا) ويتتبع الحرارة التي يشعها عادم الطائرة . ومن الجدير بالذكر ان اصابة هذا الصاروخ تخفض بنسبة كبيرة في ايام الصيف الحارة ،

خاصة في منطقة صحراوية مثل سيناء حيث تزيد درجة الحرارة عن ٤٠ درجة مئوية في الايام العادية . وتتمركز هذه الصواريخ حول مدينة تل ابيب وفي جبهة قناة السويس . ونشير هنا الى ان الدفاع الجوي الاسرائيلي يبقى ضعيفا بسبب الوضع الجغرافي الاسرائيلي ، حيث تستطيع الطائرات العربية ، خاصة المرابطة في الجبهة الاردنية(٣٦) والسورية ، الوصول الى اكثر الاهداف حيوية في فلسطين المحتلة وضربها خلال دقائق معدودة ، فان ضيق مساحة الارض لا يعطي الدفاع الجوي الوقت الكافي للانذار والتصدي للغارة .

المطارات : عندما انسحبت القوات الانجليزية من فلسطين عام ١٩٤٨ تركت فيها ١٢ قاعدة جوية ومطارا عسكريا وثلاثة مطارات مدنية هي حيفا واللد وتل ابيب ، وقد عملت السلطات الصهيونية على زيادة هذه المطارات ، وحسن بعضها واهمل البعض الاخر ، وذلك تبعا لمقتضيات الدفاع الاسرائيلية الجديدة . وبالرغم من صعوبة اعطاء معلومات دقيقة في هذا المجال ، الا انه يمكن التأكيد بان هناك عددا جيدا من المطارات ، وعدا عن ذلك يمكن استخدام بعض الطرق العريضة والمرصوفة بشكل يسمح لها باستقبال الطائرات مثل طريق حيفا ــ تل ابيب ، كاراضي هبوط عند الحاجة . وقد عنيت السلطات الاسرائيلية بتحصين بعض المطارات المهمة مثل قاعدة رامات دافيد في شمال فلسطين ، حيث قامت بتحصينها على الطريقة السويدية ، بانشاء ملاجىء للطائرات والذخيرة والوقود ، تحت الارض(٣٧) . ولكن اذا كان التحصين قادرا على حماية الطائرات ، الا انه لا يكفي لتحافظ الطائرات على قدرتها على التحليق والتصدي ، فلا بد من وجود عدد كاف من المطارات . ويعتقد البعض ان لدى اسرائيل اكثر من ٦٠ مطارا ، ولكن هذا العدد مبالغ فيه ، فلا يمكننا اطلاق اسم مطار على كل طريق تستطيع ان تنزل فيه طائرة ، وهناك اعداد من المطارات الصغيرة التي لا يزيد طول مدرجها عن الفي متر ، معدة لاستقبال الطائرات السياحية الصغيرة ، او لاستعمال نوادي الطيران ، او للطائرات الزراعية ، ويمكن استخدام هذه المطارات لاستقبال طائرات النقل العسكرية من طراز عرفه ، الا انها غير قادرة على استقبال المقاتلات الحديثة او طائرات النقل الضخمة . وفي الواقع فان زيادة عدد المطارات يخفف تأثير الضربة الاولى ، او الضربة الانتقامية ويزيد من امكانية الاستفادة من الطائرات ، خاصة طائرات النقل . ولهذا فقد قامت القوات الاسرائيلية بانشاء عدد من مطارات الميدان ، بالقرب من خطوط وقف اطلاق النار . وقد استفادت في الضفة الغربية من المطارات الانكليزية القديمة مثل مطار الجفتلك وقامت باصلاح مناطق ورصفها لاستقبال طائرات النقل ، كما فعلت في منطقة بيت فوريك شرقي نابلس . وعادة لا تحتاج مطارات الميدان هذه الى رصفها بالاسمنت ، بل تكفي رصفة من الحجارة والرمل ، واحيانا يكفي تسوية الارض ، وبالطبع من الصعب اطلاق كلمة مطار على هذه المدارج التي تستعمل ايضا لهبوط طائرات الارتباط ، او طائرات المراقبة وضبط رماية المدفعية .

وقد استولت القوات الصهيونية على ثمانية مطارات مصرية في سيناء خلال حرب حزيران ، بالاضافة لمطار مدني اردني هو مطار قلنديا قرب القدس . ويتضمن الملحق المثبت في نهاية المقال قائمة بالمطارات الاسرائيلية حسب افضل المعلومات المتوفرة ، وباهم القواعد العسكرية مثل رامات دافيد ، وعاقر وحاتسور ، والمطارات المدنية مثل اللد وحيفا وايلات والقدس ، بالاضافة للمطارات المدنية والقواعد العسكرية الاصغر والمطارات التي قد تفيد المجهود الحربي الصهيوني ، حيث يمكن استخدامها في اعمال الامداد والتموين او لنقل الجرحى . وكذلك المطارات المستعملة كنوادي طيران او لاستقبال الطائرات السياحية . كما يتضمن الملحق قائمة بمراكز وحدات الرادار الثابتة والمتحركة التابعة للدفاع الجوي الاسرائيلي . ومما لا شك فيه ان مراكز وحدات الرادار

قد تغيرت بعد نشوء وضع دفاعي جديد في المنطقة . فقد انشئت مراكز جديدة للرادار على جبل الشيخ ، وفي سيناء وبالقرب من مضيق تيران .

صناعة الطائرات الحربية

عندما حصلت مصر على طائرات الميغ ١٥ و ١٧ زودت اسرائيل بطائرات الميستير . وعندما حصلت الاولى على طائرات ميغ ٢١ ، اشترت الثانية طائرات الميراج الفرنسية، ولكن لم يخل شراء اسرائيل للطائرات في كثير من الاحيان من الضغوط ، ولو ان هذه الضغوط كانت للتخفيف من سياستها العدوانية والتوسعية ، او لعدم استعداد الدول الكبرى للدخول في صراع بسبب من سياسة اسرائيل . ولذلك فقد عمدت السلطات الاسرائيلية الى انشاء صناعتها الخاصة للطائرات والاسلحة . وبعد الحظر الذي فرضه الجنرال ديغول على تزويد اسرائيل بالسلاح بعد حرب حزيران نشطت اسرائيل في تقوية صناعتها هذه ، ونشطت معها اجهزة المخابرات التي تمكنت من الحصول على تصاميم طائرة الميراج ٥ من سويسرا ، وعدا ذلك فقد سافر أحد كبار مهندسي مصانع الطائرات الاسرائيلية الى الولايات المتحدة وبريطانيا وفي جيبه ٢٠ شيكا قيمة كل منها مئة الف دولار ، و ٢٠ عقدا لتقنيين في كل فرع من فروع الطيران واستغلت الحكومة الاسرائيلية فترة « الكرم » الامريكي للحصول على مصانع واجازة لصنع المحرك جي ٧٩ ، وهو احد المحركين العاملين على طائرة الفانتوم ، وبدأت هكذا في « تصميم » اول طائرة مقاتلة لها سمتها السوبر ميراج . وهكذا بدأت مصانع الطائرات الاسرائيلية العمل في مشروعها الاول والذي اطلقت عليه اسم « سالفو » Salvo ، وهو لطائرة نفاثة تطير بمحرك من طراز جنرال الكترك جي ٧٩ ، وتزيد قوته عن قوة محرك طائرة الميراج ٥ بنسبة ٢٠٪ . وتصاميم هذا المشروع مأخوذة عن تصاميم الميراج ٣ سي والميراج ٥ ، ولكن العمل بهذا المشروع ما لبث ان جمد(٣٨) ليبدأ العمل بمشروع ثان هو « الستارة السوداء » Black Curtain (وقد سمي كذلك نظرا للسرية التي طور بها) وتعمل هذه الطائرة بالمحرك المذكور نفسه الا أن تصاميمها مأخوذة عن طائرة الميراج ٥ فقط وتدعي اسرائيل بانها ستجمد هذا المشروع ايضا في حال استلامها الصفقة الاخيرة من طائرات الفانتوم والسكاي هوك التي اوصت عليها(٣٩). ومما لا شك فيه ان انتاج اسرائيل للطائرات ذات الكلفة العالية لا يناسبها ، خاصة وانها تحصل في الوقت الحاضر على احتياجاتها من السلاح من الولايات المتحدة مجانا ، او بموجب قروض تنقلب الى مساعدات في المستقبل . ان الخطر الوحيد الذي قد يشكله انتاج الطائرات الحربية في اسرائيل هو انعتاقها تماما من « الضغط الاجنبي » المتعلق بسياستها في المنطقة ، وهو أمر عرفت اسرائيل كيف تتخلص منه في معظم الاحيان . ومن المهم ان نشير الى ان مستوى طائرة « السوبر ميراج » لن يرتفع عن مستوى طائرة الميغ ٢١ مف ، فاذا اخذنا بعين الاعتبار قوة دفع محرك الفانتوم المستعمل على السوبر ميراج الاسرائيلية (٥،٣٨٥ كيلو غراما) وقارناه بقوة دفع محرك الميغ ٢١ مف (٥،١٠٠ كيلو غرام) وعلاقة قوة الدفع بالوزن هي التي تقرر السرعة ، وعلى الرغم من اننا لا نعرف وزن طائرة السوبر ميراج ، الا انه من الصعب انتاجها لتكون اخف من طائرة الميغ ٢١ والتي هي من اخف الطائرات التي في مستواها وزنا .

وقد لاقى البدء في تصميم الطائرة الاسرائيلية معارضة شديدة في بعض الاوساط ، وحجتهم في ذلك أن معامل داسو لا تنتج سوى ٤٢٪ من الطائرة والباقي تنتجه اكثر من ٥٠ شركة ومصنعا ، ومعظم هذه المصانع المساعدة غير متيسرة لاسرائيل(٤٠). وفي الحقيقة فان هذا الامر قد يزيد من كلفة الطائرة ، حيث ستضطر الى شراء ما ينقصها من الخارج ، كما وان سرعة الانتاج قد تتأثر بسرعة تسليم المصانع الاجنبية للمعدات المطلوبة ، ولكنه لن يؤثر على انتاجها . ومن المهمات التي عهد بها الى مصانع الطائرات

الاسرائيلية ، اجراء التعديلات المناسبة على الطائرات التي يزود بها سلاح الطيران ، واعمال الترميم والصيانة للطائرات القديمة والمعطوبة . ومن المهم ان نذكر ان القادة العسكريين في اسرائيل كانوا يطلبون اجراء تعديلات كثيرة على الطائرات التي يوصون عليها ، وهي تعديلات لا يمكن القيام بها في اسرائيل لاسباب فنية ، واشهر مثال على ذلك ان عيزر وايزمان قد طلب من شركة داسو اجراء اكثر من ٥٠٠ تعديل على طائرة الميراج ٥ ، والتي كانت اسرائيل قد اوصت على ٥٠ منها في اواخر عام ١٩٦٦ ، مما دفع هذا الاخير الى القول في حفل عشاء في السفارة الاسرائيلية في باريس وبحضور سيرج داسو ابن مصمم الطائرات المشهور « انها طائرة اسرائيلية الآن » وقد اثارت هذه العبارة استياء شديدا في الاوساط الفرنسية(٤١) . وكما قلنا تنتج المصانع الاسرائيلية حاليا طائرات التدريب النفاثة من طراز فوغا ماجستير(٤٢) بموجب ترخيص خاص ، وقد بدأت بانتاج طائرة النقل الخفيفة (عرفه) وبواقع ٤ طائرات في الشهر ، كما تنتج قطع الغيار لطائرات سلاح الطيران الاخرى . وقد برزت اهمية انتاج قطع الغيار بعد الحظر الفرنسي على تصدير الاسلحة الى اسرائيل وامكانية تعطيل الطائرات الفرنسية الصنع في الطيران الاسرائيلي . وتنتج مصانع اخرى جميع انواع الذخيرة المستعملة على الطائرات ، باستثناء بعض الاسلحة والذخائر الخاصة ، كما وتنتج الصواريخ جو ـ جو من طراز « ماترا» الفرنسي والمدافع الرشاشة طراز ديفا وذلك بموجب ترخيص(٤٣) .

خاتمة ـ هذا هو سلاح الطيران ، وقد سبق وقيل بان اسرائيل هي جيش يمتلك دولة ، ويبدو ان هذا القول قد تطور اكثر بحيث اصبح سلاح طيران يمتلك دولة ، ومن الواجب ان نعترف بان النجاح الذي حققته الاسرائيليون بسبب هذا السلاح هو الذي دفعهم الى تنميته وتطويره ، ليصل الى ما هو عليه . ولكن ورغم كل شيء سيبقى سلاح الطيران قوة مساندة للقوات البرية وستكون هناك دوما وسائل للتغلب عليه او تخفيف مفعوله ، واكبر مثل حي على ذلك هو فيتنام رغم ان الاختلاف في القوة بيننا وبين العدو الاسرائيلي ليس هو الفارق نفسه بين فيتنام والولايات المتحدة ، وبالتالي فان امكانات النجاح لدينا اكبر بكثير . ويجب ان نعرف بان مصاعبنا مع اسرائيل ليس سببها سلاح الطيران او القوة العسكرية الاسرائيلية ، بل مصاعبنا في تخلفنا نحن في جميع المجالات ، **فسلاح الطيران ليس الثقل الوحيد في الميزان** ، بل هو جزء من القوة العسكرية وهذه القوة هي محصلة لكل مصادر القوة في اي دولة ، ويقررها وضع البلد الاقتصادي ، ونظامها السياسي والاجتماعي ، ومكانتها الدولية ، ووضعها الجغرافي والسكاني . ولو تمكنا من الاستفادة من هذه المصادر وتنميتها او تنظيمها لاصبح سلاح الطيران ، والقوة العسكرية الاسرائيلية مسألة هينة لا يحتاج حلها الى الكثير من العبقرية . وكما قلنا في أول الموضوع ، فان اسرائيل تتجه لتصبح قاعدة جوية ضخمة ، وهي تطور استخدام هذا السلاح يوما بعد اخر ، ليصبح الاداة العدوانية الاولى . فلم تستعمل اسرائيل سلاح الطيران خلف الخطوط العربية قبل عام ١٩٦٤(٤٤)، وقد استخدمته اول مرة في اواخر عام ١٩٦٤ ، وذلك للرد على القوات السورية التي قصفت مستعمرتي « دان » و « دفنه » كما ادعت السلطات الاسرائيلية ، وعندما لم يثر هذا العمل ردود فعل دولية ، اعتمدته السلطات الاسرائيلية كوسيلة « لتأديب » العرب ، فبعد ضرب المواقع العسكرية بالطائرات بعد حرب حزيران ، وخلال حرب الاستنزاف ، قامت بقصف بعض القرى العربية بشكل خفيف كما فعلت بالقرى الاردنية من قبل واللبنانية الآن ، وسوف تتجاوز الى تدمير هذه القرى تماما لتضرب بعدها المدن . وكما قلنا تنمو اسرائيل لتصبح قاعدة جوية استعمارية ، مثل القواعد الامريكية في الهند الصينية ، بفارق كون اسرائيل اشد رسوخا ، وكون مسؤوليتها اكثر استقلالا ، ومن المهم ملاحظة استخفاف اسرائيل بالروابط الدولية ، وهذا ما كانت لتستطيعه دولة صغرى لولا دعم المعسكر الامبريالي لها ، كمحافظة على مصالحه في المنطقة ، ولولا قوة مركز اسرائيل الاعلامي الذي يسمح

لها بتغطية كل افعالها الشنيعة . يؤكد هذا تطاولهم حتى على « اصدقائهم » وليست ببعيدة محاولتهم سرقة طائرات ميراج ٥ من فرنسا ، وسرقتهم ايضا للزوارق الخمسة من ميناء شربورغ الفرنسي ، وسرقتهم لتصاميم طائرات الميراج ٥ من سويسرا وبأخرة كاملة تحمل قطع غيار لطائرات الميراج من ميناء انفيرس البلجيكي او حتى اختطافهم للطائرات من بريطانيا وامريكا اثناء حرب فلسطين ، كل هذا يجعل من اسرائيل قوة لا تلتزم بالحد الادنى من الارتباطات او الصداقة الدولية ، او القيم الخلقية الدولية .

ملحق

المطارات في اسرائيل

١ ــ رامات دافيد (نهلال)
٢ ــ عاقر (تل تونه)
٣ ــ حاتسور (قسطينا)
٤ ــ كفار سركين (بتاح تكفا)
٥ ــ حاتسريم ــ قاعدة كلية الطيران
٦ ــ البصة ــ البعنة
٧ ــ اللد
٨ ــ تل ابيب (دوف هوز)
٩ ــ القدس الجديدة
١٠ ــ حيفا
١١ ــ ايلات
١٢ ــ مسادا (بار يهودا)
١٣ ــ عين شيمر
١٤ ــ هرتسليا
١٥ ــ الفالوجا
١٦ ــ بيت دراس
١٧ ــ روشبينا (الجاعونة)
١٨ ــ سان جين
١٩ ــ البروة
٢٠ ــ ابو رفيق
٢١ ــ مأجدو
٢٢ ــ ديمونا

المطارات العربية في المناطق المحتلة

١ ــ قلنديا ــ مطار مدني اردني
٢ ــ العريش
٣ ــ السدر
٤ ــ المليز
٥ ــ تمادة
٦ ــ ابو رديس
٧ ــ ابو زنيمه
٨ ــ الطور
٩ ــ شرم الشيخ

اراضي النزول في اسرائيل

١ ــ الرملة
٢ ــ كفار جلعادي
٣ ــ يفنئيل
٤ ــ جوليس
٥ ــ ساديه بوكر
٦ ــ كتسيعوت
٧ ــ عين حصب
٨ ــ ساديه ابراهام
٩ ــ متسابيه رامون
١٠ ــ عين جدي
١١ ــ كفار يروحام
١٢ ــ سدوم
١٣ ــ بير منوحا
١٤ ــ عراد
١٥ ــ صرفند
١٦ ــ تمناع
١٧ ــ ويلهلما

محطات الرادار الاسرائيلية

١ ــ مواقع ثابتة

١ ــ صفد ــ معسكر جبل كنعان
٢ ــ جبل ميرون
٣ ــ حيفا
٤ ــ بات جاليم ــ داخل المعسكر
٥ ــ رامات دافيد ــ داخل المطار
٦ ــ اللد ــ داخل المطار
٧ ــ عاقر ــ داخل المطار
٨ ــ حاتسور ــ داخل المطار
٩ ــ اريحا ــ على جبل اريحا
١٠ ــ ميرار } يعتقد بان الاولى للانذار
١١ ــ جبديرا } والثانية لتوجيه المقاتلات

ب ـ مواقع مؤقتة

أ ـ سان جين
٢ ـ عسفيا
٣ ـ جعفات اولجا
٤ ـ تل ابيب ـ شمالي تل ابيب
٥ ـ القدس ـ غربي القدس
٦ ـ حاتسريم ـ داخل المطار
٧ ـ ايلات
٨ ـ صرفند

جـ ـ محطات الرادار داخل سيناء

١ ـ التل الاحمر
٢ ـ ام خشيبت
٣ ـ راس سله
٤ ـ متلا
٥ ـ رفح
٦ ـ بير العبد
٧ ـ ام رجام
٨ ـ جبل بعلق

---

١ ـ زئيف شيف ، **هآرتس** ، ١٩٧٢/٤/١٤ .
٢ ـ فيك فانس ، وبيار لوير ، **حربنا مع اسرائيل** (دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٦٨) ص ٥٤ .
٣ ـ سيف ، دان ، بن فورت ، **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** (دار العودة ـ بيروت) ص ٢١٠ .
٤ ـ **المصدر السابق** ، ص ١٤٦ .
٥ ـ قالت **هآرتس** عدد ١٩٧١/٦/١ (ان ثلاثة انتصارات حاسمة على الجيوش العربية منذ عام ١٩٤٨ ساهمت في خلق ثقة مبالغ فيها ...) ويبدو انه بسبب هذه الثقة يصاب الاسرائيليون « بشطحات » اسطورية عن تفوقهم ، فقد ادعى هؤلاء بان طائرة من طراز اوزيغان (سرعتها ٩٦٠ كم / ساعة) قد تمكنت من اسقاط طائرة ميغ ٢١ (سرعتها ٢٣٣٥ كم / ساعة) تبين فيما بعد انها ضربتها فيما كانت تهم بالاقلاع اي في أسوأ حالاتها ، ويبدو انها تمكنت من الارتفاع بضعة امتار حين اصيبت فعدوا ذلك مبارزة تامة .
٦ ـ مجلة **الاتا الدولية** Alata International الايطالية عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .
٧ ـ عدد ٣١ اب ١٩٦٧ .
٨ ـ باهت اسرائيل هذه الطائرات بعد حرب حزيران. **الاتا الدولية**، عدد كانون الثاني ١٩٧٢.
٩ ـ سيف ، دان ، بن فورت، **المصدر السابق**، ص ٢٢٨ .
١٠ ـ **المصدر نفسه** ، ص ٢٢٩ .
١١ ـ **المصدر نفسه** ، ص ٢٣٠ .
١٢ ـ بالنسبة لقدرة طائرات سلاح الطيران الاسرائيلي على التزود بالوقود وهي في الجو ، كتبت مجلة القوات المسلحة في الولايات المتحدة: « بعد تطور القدرة على تزويد الوقود في الجو تستطيع اسرائيل الان ارسال طائرات ليس لمهاجمة اهداف بعيدة في البلاد العربية فقط بل لمهاجمة سفن وطائرات مختلفة في المتوسط ، وتستطيع مهاجمة اهداف مثل قاعدة ويلس في ليبيا من الجو ، وكذلك المناطق الداخلية من السودان والعراق وسوريا » ملحق **هآرتس** ، ١٩٧٢/٤/١٤ .
١٣ ـ مجلة **الاتا الدولية** ، عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .
١٤ ـ قال زئيف شيف ، ملحق **هآرتس** ، ١٩٧٢/٤/١٤ « .. ففي السنة الماضية وفي اعقاب تزود الدول العربية بمئات طائرات الميغ والسوخوي والتوبوليف كان ميزان القوى العددي ما يلي ، طائرات مقاتلة لدى العرب ٣٤٥ ضعف ما لدى اسرائيل ... » هذه عينة عن المغالطات التي يقدمها العدو ، فعدا الاختلاف في قدرة الطائرات ، فهذه القائمة تضم حتى الطائرات التي يملكها السلطان قابوس ، والمغرب واللذان يبعدان بضعة الاف من الكيلو مترات عن الجبهة .
١٥ ـ هناك تضارب واضح في الارقام التي تقدمها مؤسسات الدراسات العسكرية ، وهذه الارقام اختيرت بحرص بعد الاطلاع على نشرة مؤسسة الدراسات الاستراتيجية للعام ٧٣/٧٢ عن **المحرر** اللبنانية ١٩٧٢/٩/٨ ، ونشرة مؤسسة امياشن ستاديز انترناشنال عدد تموز ١٩٧٢، بالاضافة لمجلة **الاتا الدولية** عدد كانون الثاني ٧٢
١٦ ـ الفانتوم RF-4C تختلف قليلا عن الفانتوم RF-4E ـ تقوم بمهمات الاستطلاع الليلية وهي مزودة بالات تصوير وكاميرات سينمائية دقيقة تغطي مساحات واسعة، وتبلغ قوة الاضاءة التي تستخدمها عند التصوير ٥ ملايين شمعة مما

يسمح لها بان تضيء في الليل اهدافا متحركة كقوافل السيارات وان تصورها بعد ذلك ، وفي الطائرة جهاز رادار حساس طراز (S.L.A.R.) يعطي الطيار صورة دقيقة لشريط عرضه ٢٠ كم من الارض التي يحلق فوقها . كما وان فيها جهازا من طراز (A.A.S.18) يستخدم الاشعة تحت الحمراء ويكشف منابع الحرارة كالسيارات المموهة ونيران اماكن الاقامة المختفية وسط الادغال .

١٧ — من الصعب اثبات تزويد حكومة جنوب افريقيا لاسرائيل بطائرات هي الطائرات نفسها المستعملة لديها ، وبامكان حكومة جنوب افريقيا انتاج عدد محدد من هذه الطائرات دون الاعلان عن ذلك .

١٨ — **الاتا الدولية** ، عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .

١٩ — سيف ، دان ، بن فورت ، **المصدر السابق**، ص ٢٤٥ .

٢٠ — نشرت مجلة **Air Enthusiast** البريطانية عدد كانون الاول ١٩٧١ « انه تم تحويل طائرات الفوتور ذات المقعدين الى طائرات استطلاع وتشويش الكتروني ... »

٢١ — **الاتا الدولية** ، عدد شباط ١٩٧٢ .

٢٢ — نفس الملاحظة عن الجدول رقم (١) راجع **نشرة مؤسسة الدراسات الاستراتيجية** ، **مجلة الطيران والبحرية الايطالية** عدد شباط ١٩٧٢ ، **الاتا الدولية** عدد كانون الثاني ١٩٧٢ . Air Enthusiast البريطانية عدد كانون الاول ١٩٧١ .

٢٣ — **الطيران والبحرية الايطالية** ، عدد شباط ١٩٧٢ .

٢٤ — **المصدر السابق** ، عدد ايار ١٩٧٢ .

٢٥ — وليام غرين ، The Observers's Book of Aircraft ، نشرة ١٩٧٢ .

٢٦ — قالت مجلة **افياشن ويك** عدد ٧٢/٣/٢٧ « تعمل اسرائيل على تطوير جهاز اسمه روتر — اور (Rotor-OR) يستخدم في طائرات الهيلوكبتر ، للانارة الليلية دون ملاحظتها من الارض ، وتعمل مصادر الانارة في هذا الجهاز بواسطة غاز التريتيوم (Tritium) ويمكن هذا الجهاز طاقم الطائرة من الرؤية لمسافة ٣٠٠ قدم .

٢٧ — سيف ، دان ، بن فورت ، **المصدر نفسه**، ص ١١٧ (دار العودة — بيروت) .

٢٨ — زئيف شيف ، ملحق **هآرتس** ، ٧٢/٤/١٤ .

٢٩ — يجب الملاحظة هنا ان البوينغ سي ٩٧ هي الصنف العسكري للبوينغ ٣٧٧ ستراتد كروزر المدنية ، ويطلق عليها في اسرائيل اسم انـاك Anak ايضا .

٣٠ — عدد كانون الثاني ١٩٧١ .

٣١ — زئيف شيف ، ملحق **هآرتس** ، ١٤/٤/ ١٩٧٢ .

٣٢ — لاعطاء فكرة عن قدرات الصواريخ جو — جو ، نذكر قدرة صاروخ سبارو ٣ ، طوله ٣٫٦٦ مترا ، وزنه ٢٠٤ كيلو غرامات ، وسرعته اكثر من ٣٫٥ ماك ، ويبلغ مداه ١٣ كيلو مترا ، اما عبوته الناسفة فوزنها ٢٧ كيلو غراما ، ويوجه بشكل شبه فعلي بموجات متصلة .

٣٣ — زئيف شيف ، ملحق **هآرتس** ، ١٤/٤/ ١٩٧٢ .

٣٤ — **الاتا الدولية** ، تشرين الاول ١٩٧١ .

٣٥ — *Military Balance* 1970-71

٣٦ — الوضع هنا مرضي ، فالكل يعرف مأساة « الجبهة الشرقية » .

٣٧ — سيف ، دان ، بن فورت ، **المصدر السابق**.

٣٨ — مجلة **الطيران والبحرية الايطالية** ، عدد تشرين الثاني ١٩٧١ .

٣٩ — **المصدر السابق** .

٤٠ — سيف ، دان ، بن فورت ، **المصدر السابق**، ص ٢١٩ .

٤١ — **المصدر نفسه** ، ص ٢١٤ ، نقرأ «وازعجت الاسرائيليين بصفة خاصة حقيقة ان الفرنسيين يبنون بيع طائرات الميراج (الميراج ٥) لليبيين — وهي الطائرة التي انتجت بالفعل بناء على طلب اسرائيلي وحسب تفاصيل قدمها خبراء سلاح الطيران الاسرائيلي لصانع دامسو الفرنسية » .

٤٢ — قالت مجلة (Military Review) عدد اذار ١٩٧١ ، « ان المصانع الاسرائيلية تعمل على انتاج طائرة فوغا ماجستير بمقعد واحد لمساندة القوات البرية » .

٤٣ — معاريف ، ١٨/٨/١٩٧٢ .

٤٤ — نقصد ان اسرائيل لم تستعمل الطيران خلف الخطوط العربية في اوقات الهدنة ووقف اطلاق النار .

سياسة استثمار رؤوس الاموال في القطاع الصناعي في اسرائيل

انطوان منصور

ان معرفة وضع الاستثمارات وحجمها في اقتصاد بلد ما ضرورية ومدخل لكل محاولة جدية للتعرف عن كثب على واقع تطور هذا البلد وامكاناته والآفاق المفتوحة امامه . ولما كانت الاختيارات التي تحدد وجهة هذه الاستثمارات تتداخل فيهـا ، بشكل اساسي ، عوامل سياسية ، فلا بد ان تتناول الدراسة العناصر السياسية التي تتحكم في واقع الاقتصاد المنوي دراسته . وان دراسة العوامل التي تتحكم بواقع الاقتصاد الاسرائيلي تزداد اهمية نظرا لاعتمادهٔ وبشكل كبير على الموارد الخـارجية (مساعدات وهبات ، دخول رساميل اجنبية) . ولكن لان حجم هذه الرساميل كبير بحيث يجعل اسرائيـل مرتبطة بالامبريالية فلا بد من معرفة مدى وكيفية استفادتها منها . هنا يبرز لنا القطاع الصناعي كهدف تسعى اسرائيل من خلال تطويره ودعمه الى خلق قاعدة اقتصادية متينة تكون الركيزة لانطلاقة استعمارية تتعدى حدودها لتشمل بلدان المنطقـة العربية . وتكتسب دراسة الاستثمارات في هذا القطاع اهمية كبرى لان امكانات ووجهة تطوير القطاع بأكمله مرتبطة بها ، بحجمها وتوزيعها على مختلف النشاطات وبالتالي فأي نوع من النشاطات الصناعية يعطى الافضلية ، لذلك لا بد من معرفة الوسائل التي تستخدمها الدولة للتأثير على الاستثمارات ولجعلها تتوظف في مجالات تنسجم ومخططاتها، كالقوانين التي اصدرتها .

ان تطوير وسائل الانتاج بتطبيق التكنيك الحديث ضروري لتطوير القطاع الصناعي الذي توليه اسرائيل اهمية قصوى ، لذلك فلمجالات البحث والدراسات اهميتها . ولنتعرف خلال الدراسة على الامكانات المفتوحة امام البحث والتطويـر والامكانات الحالية في قطاعي الصناعة المدنية والحربية .

يلعب القطاع المصرفي دورا مهما بتوفـير السيولـة والتسليف لمختلف النشاطـات الاقتصادية . ولا بد هنـا من التطرق لدور المصرف المركزي كأداة بيد الدولـة لتنفيذ مخططاتها ودفع القطاع الخاص باتجاهات محددة .

ان تدفق اليهود الهائل من انحاء العالم الى اسرائيل جعل نسبة اليد العاملة المتخصصة مرتفعة نسبيا نظرا الى ان البلاد التي هاجر منها هؤلاء متقدمة (المانيا ، الولايات المتحدة الاميركية . . .) وهذا يوفر للاستثمارات امكانات لا يمكن ان تتوفر في بلد آخر . لذلك فاستخدامها واستثمارها يشكل عاملا مهما ، هذا ، وان هـذه الدراسة لا تطمح الى تناول موضوع الاستثمارات من كامل وجوهه وبالتفصيل الدقيق . وعلى الرغم من ان المساعدات والهبات وتحرك الرساميل الاجنبية الى اسرائيل لها اهمية وتأثير كبير في الاقتصاد ووجهة تطوره ، فلن نتناولها بالتفصيل ، بل سوف ندرسها فقط من زاوية مدى تأثرها بقانون تشجيع الاستثمارات الذي اصدرته الدولة .

الاستثمارات الصناعية في الاقتصاد الاسرائيلي

واجهت اسرائيل عند انشائها مشكلات اقتصادية صعبة : منها استيعاب عشرات الالوف من المهاجرين اليهود ، ومقاطعة الدول العربية لها مما ادى الى عزلتها . وفي السنين الاولى من وجودها كانت اولى المشكلات التي واجهتها الحكومة الاسرائيليه تامين الحاجات الغذائية للسكان ، فاولت اهتماما كبيرا للقطاع الزراعي مؤمنة استثمارات ضخمة حتى سنة ١٩٥٦ خصوصا وان ازدياد المهاجرين كان يطرح مشكلة زيادة الانتاج بنسبة زيادة السكان المرتفعة .

بعد ما تم تطوير القطاع الزراعي اتجهت الاستثمارات اتجاها متزايدا نحو القطاع الصناعي ، ففي حين بلغت الاستثمارات في الصناعة ٨٧ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٥٥ ، وصلت الى ٢٠٨ م. ل. (مليون ليرة) عام ١٩٥٩ و٤٣١،٩ عام ١٩٦٣ ، اي ان قيمتها تضاعفت كل ٤ سنوات ولكنها تعرضت لانخفاض كبير في الفترة الممتدة بين ١٩٦٥ و١٩٦٧ : فبينما بلغت في العام ١٩٦٥ ٤٦٧،٢ م. ل. انخفض هذا الرقم الى ٢٤٨،٧ في العام ١٩٦٧ ، اي بنسبة ٤٦ بالمئة ، وهذا ناتج عن الازمة الاقتصادية التي مرت بها اسرائيل : ارتفاع الاسعار ، بطالة ، ركود في النشاط الاقتصادي . ويعود سبب هذه الازمة جزئيا الى تدن في المساعدات والرساميل الاجنبية ، وخصوصا وقف « التعويضات » المتاتية من الحكومة الالمانية ، مما يدل على مدى اعتماد اسرائيل على الخارج . لقد قدمت حرب حزيران عام ١٩٦٧ مخرجا مؤقتا لهذه الازمة الاقتصادية اذ ازدادت المساعدات من اليهود في العالم ، وعقد مؤتمر في القدس عام ١٩٦٨ ضم عددا كبيرا من اغنى الراسماليين اليهود وقرر استثمار مبالغ ضخمة في اسرائيل . فنتج عن ذلك ازدياد الاستثمارات في القطاع الصناعي عام ١٩٦٨ بنسبة ٨٧ بالمئة عما كان عليه في السنة السابقة ، وبلغت قيمتها ٤٦٦،٥ م. ل. ، وهي تعادل قيمة الاستثمارات لعام ١٩٦٤ . ثم عرفت هذه الاستثمارات تطورا سريعا في فترة ما بعد حرب حزيران : ٣٦ بالمئة في ١٩٦٩ و١٠ بالمئة في ١٩٧٠ .

ولكن الارتفاع الكبير للاستثمارات في الصناعة لم يتم على حساب القطاعات الاخرى اذ ان مجموع الاستثمارات عرفت هي ايضا تطورا مماثلا : في عام ١٩٥٥ كانت نسبة الاستثمارات في القطاع الصناعي ١٨،٥ بالمئة من مجموع الاستثمارات، وفي العام ١٩٥٩ بلغت هذه النسبة ١٨،٩ بالمئة ولم تتغير في العام ١٩٦٣ . ولكن في اثناء الازمة انخفضت هذه النسبة الى ١٤،٢ بالمئة عام ١٩٦٥ والى ١٢،٧ بالمئة عام ١٩٦٦ . فكان القطاع الصناعي هو الاكثر تضررا .

ويبين الجدول الاول تطور الاستثمارات في الصناعة ونسبتها لمجموع الاستثمارات في الفترة ما بين ١٩٥٣ — ٧٠ .

الجدول الاول

الاستثمارات في القطاع الصناعي ١٩٥٣ — ٧٠

السنة	الاستثمارات في الصناعة (بملايين الليرات الاسرائيلية) (١)	الارتفاع(+) او الانخفاض(—) بالنسبة للسنة السابقة (بالمئة٪)	مجموع الاستثمارات (بملايين الليرات) (٢)	الارتفاع(+) او الانخفاض(—) بالنسبة للسنة السابقة (بالمئة٪)	نسبة (١) (٢) (بالمئة٪)
١٩٥٣	٦٥		٣٠٤		٢١،٤
٥٤	٧٥	+ ١٥،٣	٤١٩	+ ٣٧،٨	١٧،٩

٥٥	٨٧	+	١٦	٦١٢	+	٤٦	١٨٫٥
٥٦	١٢٧	+	٥٧٫٤	٦٥٥	+	٧	٢٢٫٤
٥٧	١٥٧	+	١٤٫٦	٨٦٨	+	٣٢٫٥	١٧٫٤
٥٨	١٦٤	+	٤٫٤	١٠٠٠	+	١٥٫٢	١٥٫٧
٥٩	٢٠٨	+	٢٦٫٩	١١٠٠	+	١٠	١٨٫٩
١٩٦٠	١٩٨	−	٤٫٩	١٢٠٠	+	٩٫٩	١٦٫٥
٦١	٢٧٤	+	٣٨٫٣	١٦٠٠	+	٣٣٫٣	١٧٫١
٦٢	٣٦٠٫٩	+	٣١٫٥	٢٠٦٧	+	٢٩٫١	١٧٫٤
٦٣	٤٣١٫٧	+	١٩٫٦	٢٢٨٤	+	١٠	١٨٫٩
٦٤	٤٦٧٫٢	+	٨٫٢	٢٩٤٠	+	٢٩	١٥٫٨
٦٥	٤٢٨٫٩	−	٨٫٢	٣٠١٢	+	٢	١٤٫٢
٦٦	٣٢٠٫٤	−	٢٥٫٣	٢٥٠٤	−	١٧	١٢٫٧
٦٧	٢٤٨٫٧	−	٢٢٫٤	١٨٦٣	−	٢٦	١٣٫٣
٦٨	٤٦٦٫٥	+	٨٧٫٦	٢٩٤٥	+	٤٤	١٥٫٨
٦٩	٦٧٣	+	٣٦	٣٨٣٢	+	١٥	١٧٫٥
١٩٧٠	٧٣٥٫٧	+	١٠	٤٦٨٧	+	٩	١٥٫٦

المصدر : من ١٩٥٣ الى ١٩٦١ : كتاب دافيد هورويتز ، **اقتصاد اسرائيل** ، ص ٢٩ .
من ١٩٦٢ الى ١٩٧٠ : **التقرير السنوي لبنك اسرائيل** ، ١٩٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

ان الاستثمار في القطاع الصناعي ومنحه اهمية كبيرة هو اختيار سياسي. والسؤال الذي لا بد ان نطرحه هو : لمصلحة من يتم الاستثمار في هذا القطاع ؟ لا بد للاجابة على هذا السؤال ان نتعرض للدور الذي تريد اسرائيل ومن هم وراءها أن تلعبه في الشرق الاوسط . فاسرائيل ، هذا الجسم الدخيل في العالم العربي ، قد خلقتها الامبريالية لتلعب دور الشرطي ولتحافظ على مصالحها في المنطقة . ليس هذا فقط ، فان ما تريده الامبريالية هو ان تجعل من اسرائيل « ولايات متحدة » جديدة ، اي ان تلعب الدور نفسه التي تلعبه الولايات المتحدة الاميركية بالنسبة لبلدان اميركا اللاتينية ، وهذا يعني سيطرة اسرائيل على الاقتصاد العربي وافتتاح الاسواق العربية الواسعة امامها . ولن يتم ذلك الا باستغلال الشعوب العربية وقهرها . ولكي تستطيع اسرائيل ان تلعب هذا الدور لا بد لها ان تبني اقتصادها وان تستعمل التكنيك الحديث . فبناء الاقتصاد يمر عبر بناء القطاع الصناعي ، وهذا ما يفسر التركيز على الاستثمار في الصناعة . لقد عبرت الطبقة الحاكمة في اسرائيل عن رغبتها في أن تشكل القاعدة الصناعية للمنطقة العربية لكي تستطيع ان تدخل اسواقها دون صعوبة وتهيمن عليها ، ولكن هذا التصنيع لم يكن ممكنا دون المساعدات والرساميل الاجنبية الآتية من الامبريالية والصهيونية العالمية .

تركيب الاستثمارات في الصناعة

لكي نستطيع ان نبحث تركيب الاستثمارات لا بد ان نوضح في البداية واقعها ، اي المصادر المتعددة التي تؤمن للصناعة حاجاتها من الرساميل ، ثم ننتقل بعدئذ لدراسة توزيع هذه الاستثمارات على مختلف الفروع الصناعية .

واقع الاستثمارات : تبين معرفة مصادر الاستثمارات حجم المساعدات والمنح المتوافرة للصناعات الاسرائيلية . والجدول الثاني يوضح لنا ذلك .

الجدول الثاني

توزيع الاستثمارات في العام ١٩٦٩

	بملايين الليرات	بالمئة (٪)
— اعادة استثمار الارباح وغيرها من استثمارات اصحاب المؤسسات الصناعية	٢٩٣	٪ ٤٦
— قروض من البنك الصناعي للانماء	٢٠٦	٪ ٣٣
— مساعدات من البنك الصناعي للانماء	٣١	٪ ٥
— استثمارات من بنوك او مصادر اخرى	١٠٠	٪ ١٦
المجموع	٦٣٠	٪١٠٠

المصدر : **اسرائيل اكونوميست** ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ٨٠ .

ان اعادة استثمار الارباح المحققة في القطاع الصناعي لم تبلغ الا ٤٦ بالمئة (وهي تعادل ٢٩٣ م.ل.) من مجموع الاستثمارات في هذا القطاع . وهذا المبلغ غير كاف للتعويض عن استهلاك وتدني القيمة الفعلية لرأس المال . فيجب ان تبلغ ٣٥٠ م.ل. على اساس تقدير استهلاك رأس المال بنسبة ٧ بالمئة من مجموع الاستثمارات (٥٠٠٠ × ٠،٠٧ = ٣٥٠ م.ل.) . هذا يبين ان الصناعة لم تستطع وحدها ان تؤمن هذا المبلغ . يبقى اذا ٣٥٠ — ٢٩٣ = ٥٧ م.ل. لسد النقص الذي يسببه استهلاك رأس المال ولا يمكن تأمين هذا المبلغ الا من مصادر خارجية .

اذا أردنا معرفة قيمة الربح نلاحظ التالي : تبلغ أرباح الصناعة المقدرة من مصادر الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٦٩ : ١٣٠٠ م.ل. وتبلغ الضرائب على هذه الارباح ٧٠٠ م.ل. (ان تقدير الحكومة الاسرائيلية لقيمة الارباح لا تتضمن قيمة استهلاك رأس المال) . والربح المتبقى لاصحاب المصانع : ١٣٠٠ — ٧٠٠ = ٦٠٠ م.ل. والربح الصافي الذي كان يجب تحقيقه : ٦٠٠ — ٣٥٠ = **٢٥٠ م.ل.** ولكن ما الذي يحصل في الواقع ؟ لم يستثمر اصحاب المؤسسات الصناعية الا ٢٩٣ م.ل. وليس ٣٥٠ م.ل. فالربح الصافي الذي يحققونه هو اذا : ٦٠٠ — ٢٩٣ = **٣٠٧ م.ل.** نستنتج من هذا كله ان الـ ٥٧ م.ل. المتأتية من الراسمال الخارجي (والمعطاة من الحكومة الى اصحاب المصانع) تدخل الى جيوب اصحاب المصانع وتوضح مدى اهمية المساعدات والمنح المعطاة الى المصانع الاسرائيلية .

الاستثمارات حسب الفروع الصناعية : تتوزع الاستثمارات في القطاع الصناعي في الفترة ما بين ١٩٦٤ — ٦٧ على النحو المبين في الجدول الثالث :

الجدول الثالث

توزيع الاستثمارات في الصناعة : ١٩٦٤ — ٦٧ (بالمئة ٪)

الفروع	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
المناجم	٢٢	١٥	١٣	١٤
المواد الغذائية والتبغ	١٥	١٨	١٥	١٤
النسيج والملبوسات والجلد	١٢	١٤	١٥	١٤
الورق والطباعة	٣	٦	٩	٦
الخشب والنجارة	٣	٤	٥	٣
المناجم غير المعدنية	١٠	٧	٩	٦
المواد الكيماوية ومشتقات البترول المكرر	١٣	٩	٦	٥

المطاط والبلاستيك	٤	٤	٥
المعادن	٨	١١	١٢
الالات والمعدات الكهربائية	٦	٥	٦
معدات النقل	٤	٧	٦
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المصدر : **التقرير السنوي لبنك اسرائيل** ، ١٩٦٧ ، ص ٣٢٦ .

لن يمكننا هذا الجدول من ان نستوضح تماما سياسة اختيار الاستثمارات في مختلف الفروع الصناعية ، فهو غير كاف لانه لم يتناول الا الفترة الممتدة ما بين ١٩٦٤ — ١٩٦٧ وهي فترة الازمة الاقتصادية (وهذا ناتج عن عدم وجود احصاءات كافية عن توزيع الاستثمارات في القطاع الصناعي ، وعن فقدانها لفترة ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ اي فترة التطور المهم في الاستثمارات) . يمكننا البحث في اهمية الاستثمارات في بعض الفروع الصناعية بدراسة الاولويات التي تعطيها الحكومة الاسرائيلية لهذه الفروع واهتمامها بها (انظر في ما يعد) .

في الفترة ما بين ١٩٦٤ — ٧٠ اعطيت اهمية كبيرة الى الصناعات الاساسية وهي الفروع المعدنية ، الالات ، آلات الكهرباء ومعدات النقل . لقد ارتفعت نسبة الاستثمار في هذه الصناعات من ١٨ بالمئة عام ١٩٦٤ الى ٢٤ بالمئة عام ١٩٦٦ والى ٣٣ بالمئة عام ١٩٦٧ . اما نسبة الاستثمارات في المناجم فقد انخفضت من ٢٢ بالمئة عام ١٩٦٤ الى ١٣ بالمئة عام ١٩٦٦ والى ١٤ بالمئة عام ١٩٦٧ .

من الذي يستثمر في القطاع الصناعي ؟ يحتل القطاع الخاص اكثر فاكثر اهمية في الاستثمارات الثابتة ، اي الالات والمعدات ، فنسبة مشاركته عام ١٩٥٤ بلغت ٥٠ بالمئة من مجموع الاستثمارات ولكن هذه النسبة ارتفعت لتصبح ٥٩ بالمئة عام ١٩٦٦ كما يبين الجدول الرابع .

الجدول الرابع

الاستثمارات الثابتة : ١٩٥٤ — ٦٦ (بالمئة ٪)

	١٩٥٤	١٩٥٨	١٩٦٠	١٩٦٢	١٩٦٤	١٩٦٦
القطاع العام	٥٠	٤٥	٤١	٤٨	٤٣	٤١
القطاع الخاص	٥٠	٥٥	٥٩	٥٢	٥٧	٥٩
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المصدر : **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، ص ١٠٣ . Israel Economic Development, *Past Progress and Plan for the Future*, Jerusalem, March 1968.

ويبين تحقيق تم اخيرا في اسرائيل ان القطاع الخاص يملك ٩٣ بالمئة من المؤسسات الصناعية وهي تشغل ٧٦ بالمئة من اليد العاملة ، وبناء على تقرير من البنك الاسرائيلي (بنك الدولة) فان مجموعة مالية تتكون من « بنك ديسكنتو ، الشركة المركزية للتجارة والصناعة ، مجموعة ولفسون وبنك ليومي » تتحكم بأكثر من ثلاثة ارباع الانتاج وان ٩٦ بالمئة من المؤسسات الصناعية المنشأة خلال عشر السنوات الماضية يملكها القطاع الخاص(١) .

(١) **اسرائيل اكونوميست** ، آذار ١٩٦٧ ، ص ٦٢ .

سياسة اختيار الاستثمارات والاولويات

قانون تشجيع الاستثمارات : أصدرت الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٥٠ قانونا لتنظيم استثمار الرساميل في الاقتصاد . الهدف من هذا القانون المسمى « قانون تشجيع استثمار الرساميل » هو تشجيع استثمار الرساميل « الوطنية » والاجنبية في قطاعات وفروع اقتصادية محددة ، وذلك باعطاء هذه الرساميل بعض الامتيازات . وقد عرف هذا القانون تطورا في الفترة ما بين ١٩٥٠ — ١٩٧٠ اذ اعيد النظر فيه عام ١٩٥٩ وعرف عدة تعديلات حتى اليوم ومنها التعديل الذي جرى عام ١٩٦٧ .

ما الهدف من هذا القانون وما هي المؤسسات الصناعية المستفيدة منه ؟ لكي تستطيع المؤسسات الصناعية الاستفادة من هذا القانون (الحصول على المساعدات والمنح والاعفاء من الضرائب) يجب ان تتوافر فيها الشروط التالية : على المؤسسة ان تصدر نسبة مهمة من انتاجها ، ان تكون مقامة داخل « منطقة انماء » محددة من قبل القانون ، او الاثنان معا . وعلى المؤسسة الموجودة في أواسط اسرائيل ان تصدر على الاقل ٥٠ بالمئة من انتاجها اما المؤسسة الموجودة في منطقة النقب في الجنوب والمنطقة الشمالية الشرقية من البلاد وهي التي نرمز لها بالحرف (أ) ، والمنطقة التي تقع في جنوبي بئر السبع بقليل وحتى خط يمتد من شمال القدس الى شمال اسدود وهي ما نرمز اليها بحرف (ب) فعليها ان تصدر ولكن بنسبة أقل . وقد دعيت هذه المؤسسات الصناعية التي تتوافر فيها الشروط المحددة في القانون « المؤسسات المرخص لها » .

ان الهدف من تشجيع المؤسسات التي تصدر انتاجها هو تأمين حاجة اسرائيل للعملة الصعبة ولسد العجز الهام في ميزانها التجاري ، هذا العجز ناتج عن المصاريف والنفقات الضخمة غير المنتجة التي يتطلبها الجيش الاسرائيلي .

وقد أمنت التعديلات التي أجريت على القانون عام ١٩٦٩ لمجموعة جديدة من المؤسسات الصناعية الاستفادة من بعض الامتيازات والحوافز الممنوحة وقد دعيت هذه الفئة الجديدة بالمؤسسات « المعترف بها » . وقد وضعت هذه التعديلات لتنشيط المصانع المنتجة للادوات الحربية ، ولتوسيع هذا الانتاج بتشجيع انشاء مصانع جديدة وذلك لمواجهة حاجة اسرائيل المتزايدة للاعتدة الحربية فضلا عن ان الانتاج المحلي يوفر عليها استيرادها . ومن جهة اخرى تضم المؤسسات « المعترف بها » ايضا مؤسسات صناعية تنتج مواد حيوية للبلاد كانت تستورد من قبل . اذا ليست المؤسسات « المعترف بها » ملزمة بتصدير انتاجها، لان الهدف من تشجيعها هو من ناحية تأمين تجهيز اسرائيل الحربي لكي تستطيع ان تلعب دورها في المنطقة العربية كقاعدة للامبريالية ومن ناحية اخرى لان انتاج هذه المواد محليا سوف يحقق وفرا في حجم مستورداتها وبالتالي يساهم بتخفيف العجز في الميدان التجاري .

ما هي الامتيازات التي يمنحها القانون ؟ يعطي قانون تشجيع استثمارات رؤوس الاموال امتيازات مهمة للمؤسسات « المرخص لها » و« المعترف بها » . وهي مساعدات وقروض وتخفيضات على الضرائب وتأجيل تحصيل بعض الرسوم .

المساعدات : يوجد عاملان يؤثران في حجم المساعدات الممنوحة : المنطقة التي يوجد فيها المصنع وهي منطقة « أ » و« ب » او مناطق اخرى ، واذا كان الاستثمار يحصل في الآلات وأدوات الانتاج او في مواد البناء . فتعطى الاولوية المطلقة للمؤسسات الصناعية التي بالاضافة الى وجودها في منطقة « أ » تستثمر رساميلها في الآلات وأدوات الانتاج اذ تحصل على أعلى نسبة من المساعدات ، تليها المؤسسات الصناعية الموجودة في المنطقة « ب » ثم المؤسسات الموجودة في مناطق اخرى من البلاد كما يبين لنا الجدول الخامس :

الجدول الخامس

نسبة المساعدات لمجموع الاستثمارات الثابتة (بالمئة)

الاستثمارات الثابتة	المؤسسة الصناعية «المرخص لها» والمتواجدة في منطقة الانماء «أ»	المؤسسة الصناعية «المرخص لها» والمتواجدة في منطقة الانماء «ب»	المؤسسة الصناعية «المرخص لها» والمتواجدة في مناطق اخرى
ـ الآلات والمعدات	٣٣٫٥ ٪	٢٥ ٪	٢٠ ٪
ـ مواد البناء والتحسين العقاري	٢٠ ٪	١٥ ٪	١٠ ٪

المصدر : **اسرائيل اكونوميست** ، ايار ١٩٦٧ ، ص ١٠٦ .

القروض : القروض المهمة تعطى للمؤسسات الصناعية « المرخص لها » فحجم هذه القروض يزداد اذا كانت مقامة في المناطق التي تعطى الاولوية في الانماء ، ونلاحظ ان نسبة الفائدة مثلا في منطقة « أ » هي أدنى مما هي عليه في المناطق الاخرى .

الجدول السادس

القروض والفائدة (النسبة المئوية)

	«أ»	«ب»	مناطق اخرى
ـ القروض المعطاة بالنسبة للاستثمارات الثابتة	٥٥ ٪	٥٠ ٪	٤٥ ٪
ـ نسبة الفائدة	٦٫٥٠ ٪	٨ ٪	١٠ ٪
ـ مجموع المساعدات والقروض بالنسبة للاستثمارات الثابتة	٨٠ ٪	٧٠ ٪	٦٠ ٪

المصدر : **اسرائيل اكونوميست** ، ايار ١٩٦٧ ، ص ١٠٦ .

التخفيضات على الضريبة : الضرائب التي تطالها التخفيضات هي التالية : ضريبة الدخل والضريبة على الملكية والضرائب غير المباشرة وغيرها من الرسوم : ١) ضريبة الدخل : لا تدفع المؤسسة « المرخص لهـا » ضريبة الدخل ولكنها تدفع ضريبة على الارباح المحققة بنسبة ٣٣ بالمئة وذلك مدة ٥ سنوات ابتداء من السنة التي حققت فيها دخلا خاضعا للضريبة . ٢) الضريبة على الملكية : تستفيد المؤسسة « المرخص لها » من تخفيض بنسبة ثلثي قيمة الضريبة على الملكية مدة ٥ سنوات ابتداء من اتمام بناء المؤسسة ـ تخفض ايضا لمدة ١٠ سنوات بنسبة سدس قيمة الضريبة على الملكية اذا كانت هذه تضم المعدات وقطع الغيار . ٣) الضرائب غير المباشرة والرسوم الاخرى : تعفى المؤسسة « المرخص لهـا » من الرسوم الجمركية والرسم على القيمة المضافة وغيرها من الضرائب غير المباشرة على مواد البناء وعلى ادوات الاستثمار المحتاجة لتجهيز المؤسسات . ولا تلغى هذه الاعفاءات اذا كانت المواد مستوردة من الخارج شرط ان لا تكون موجودة في السوق المحلية .

تأجيل بعض الرسوم : يعطى المشروع « المرخص » مهلة ٥ سنوات لدفع رسوم تسجيل المؤسسة او زيادة رأسمالها او تسجيله .

امتيازات اخرى : يحق للمؤسسة « المرخص لها » ان تعوض عن تدني قيمة رأسمالها بنسبة كبيرة ، وهي تبلغ ضعفي النسبة العادية ، وهذا يتم خلال ٥ سنوات من استعمال الالات والمعدات والبناء .

الامتيـازات التي يعطيها القانـون للمؤسسات « المعترف بها » : بخـلاف المؤسسات

« المرخص لها » فالمؤسسات « المعترف بها » لا تستفيد من مساعدات بل تمنح لها تخفيضات على الضرائب المباشرة فقط . اما الامتيازات الاخرى التي تخص الرساميل الاجنبية : فلتشجيع استثمار راس المال الاجنبي ، يسمح القانون للمستثمرين الاجانب باخراج كل ارباحهم من اسرائيل . ليس هذا فقط بل باستطاعتهم ايضا وبعد فترة من الزمن أن يستردوا الراسمال المستثمر بكامله .

وقد نص القانون على انشاء جهاز « مركز الاستثمارات » وانيطت به مهمة منح رخص العمل والتخفيضات ، الخ ... ويقرر « مركز الاستثمارات » المؤلف من ممثلين عن مختلف الوزارات ما اذا كانت الاستثمارات المنوي القيام بها تفيد اقتصاد البلد وبالتالي يمنح القانون هذا « المركز » القدرة على توجيه الاستثمارات الخاصة نحو فروع اقتصادية محددة .

الرساميل الاجنبية ومؤتمر الملياردر : يعود حجم الاستثمارات الكبير في القطاع الصناعي، خصوصا خلال السنوات الاخيرة ، للرساميل الخارجية الضخمة التي تلقتها اسرائيل وللتسهيلات التي يمنحها لها « قانون تشجيع استثمار الرساميل » . وتجدر الاشارة هنا الى المؤتمر الذي عقد في القدس عام ١٩٦٨ بعد نكسة حزيران وضم كبار الراسماليين اليهود وكان من جملة ما قرر استثمار رساميل ضخمة في اسرائيل .

الرساميل الاجنبية : تلعب المؤسسات المصرفية في اسرائيل دورا مهما في توجيه الراسمال للاستثمار (بنك ليومي اسرائيل ، بنك الرهونات العام ، شركة استثمار ليومي) . وقد استطاعت هذه المجموعة المصرفية استقدام مبالغ طائلة من الخارج لاستثمارها في الصناعة والبناء والزراعة والسياحة وغيرها من الخدمات كقروض متوسطة وطويلة الاجل .

لا نهدف في هذه الدراسة ان نبحث في تحرك جميع الرساميل نحو اسرائيل وانما تبيان اهمية اثر قانون تشجيع استثمار الرساميل في الاستثمارات الاجنبية . وقد ارتفع حجم الاستثمارات الاجنبية خلال السنتين ١٩٦٩ و ١٩٧٠ بالنسبة لعامي ١٩٦٧ و ١٩٦٨ بمعدل الضعف تقريبا ، فبينما لم تبلغ الـ ٢٤٠٨ م. دولار عام ١٩٦٦ و ٢٦٠٦ م. دولار عام ١٩٦٧ ، وصلت الاستثمارات الاجنبية الى ٤٦ م. دولار عام ١٩٦٩ و ٥٤ م. دولار عام ١٩٧٠ . ان الارتفاع في العامين ١٩٦٩ و ١٩٧٠ ناتج عن قانون تشجيع الاستثمار . وقد اجري تعديل مهم على القانون عام ١٩٦٧ قدمت بموجبه مساعدة تتراوح بين ٢٠ و ٣٣ بالمئة من القيمة المستثمرة في الالات والمعدات . وعلى الرغم من ارتفاع الاستثمار خلال فترة ١٩٦٩ — ٧٠ فقد ظل منخفضا بالنسبة لفترة ما قبل الحرب، اذ تقدر الاستثمارات في ذلك الحين بمبلغ ٨٢٠٥ م. دولار عام ١٩٦٦ و١٥٦٠٧ عام ١٩٦٤ ، وهذا ناتج عن الوضع العسكري في المنطقة وعن الوضع الاقتصادي في اسرائيل نفسها ، اذ ان المستثمر يرفض المغامرة برساميله في فترة الحرب ويخشى من تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية في المستقبل .

لذلك نلاحظ ان الاستثمارات الثابتة (اي بالالات والمعدات) اخذت اهمية كبيرة في عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ لان قيمة هذا النوع من الاستثمارات لا تتأثر في حال قرار تخفيض الليرة الاسرائيلية في المستقبل . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يمنح قانون تشجيع الاستثمارات هذا النوع من الاستثمارات الثابتة تسهيلات كبيرة ، فبينما انخفض الاستثمار بالاموال السائلة من ١٢٠ م. دولار عام ١٩٦٤ الى مليون دولار عام ١٩٦٨ والى ١٢ مليون دولار عام ١٩٧٠ ، ارتفعت الاستثمارات الثابتة وازداد حجمها بالنسبة لمجموع الاستثمارات فبينما كانت ٧ — ٨ بالمئة من هذا المجموع في العامين ١٩٦٤ — ٦٦ وصلت الى ٧٠ بالمئة عام ١٩٧٠ . (التقرير السنوي لبنك اسرائيل ، ١٩٧٠ ، ص ٧٣).

الجدول السابع

كانت الاستثمارات الاجنبية في اسرائيل في الاعوام ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ و ١٩٧٠ بملايين الدولارات على الشكل التالي حسب تتابع السنوات المذكورة : **بالعملة الاجنبية** : ٦ر٣٢ ، ٤ر٥٦ ، ٣ر١٢٤ ، ١٢٢ ، ٥ر٦٤ ، ٦٠ر٥٨ ، ٧ر٧ ، — ٥ر١ ، ٧ر٣ ، ١١ر٧ ، منها الاستثمارات : ٢ر٣٥ ، ٥ر٦٣ ، ٤ر١٤٣ ، ١٣٩ر١ ، ٤ر٩٢ ، ٦ر٨٥ ، ٨ر٣٨ ، ٢ر٣١ ، ٤١ ، ٥ر٣٩ . ومنها ايضا الاستثمارات المستردة (أي التي خرجت من اسرائيل) : —٦ر٢ ، —١ر٧ ، —١ر١٠ ، —١ر١٧ ، —٩ر٢٧ ، —٢٧ ، —١ر٣١ ، —٧ر٧٢ ، —٧ر٣٣ ، —٨ر٢٧ . **وبالعملة الاسرائيلية** : ١ ، ٢ر٣ ، ٣ر٤ ، ١ر٩ ، ٨ر٤ ، ٧ر٣ ، ٩ر١ ، ٦ر٢ ، —٥ر٠ ، —٧ر٠ . **وبالسندات المالية** (المباعة في الاسواق الخارجية) : ٥ر١٣ ، ١ر١٣ ، ٥ر١٠ ، ٦ر١٠ ، ٤ر٩ ، ٧ر٩ ، ٧ر٧ ، ١ر٧ ، ٧ر٤ ، ٨ر٤ . **والاستثمارات الثابتة** : ٩ر٩ ، ١٢ر٩ ، ٥ر١٩ ، ٦ر١٠ ، ٣ر٨ ، ٥ر٣ ، ٩ر٣ ، ٤ر١٤ ، ٣ر٢٩ ، ٣٣ . وبذلك يكون **المجموع** : ٥٧ ، ٦ر٨٥ ، ٦ر١٥٨ ، ٣ر١٥٢ ، ٨٧ ، ٣ر٧٧ ، ٥ر٢٠ ، ٦ر٢٢ ، ٨ر٤٠ ، ٨ر٤٨ . **اعادة استثمار الارباح** : ٢ر٣ ، ٦ر٣ ، ٤ر٤ ، ٨ر٤ ، ٢ر٥ ، ٣ر٤ ، ٤ ، ٢ر٥ ، ٢ر٥ . وبذلك كله يصبح **المجموع الصافي للاستثمارات** : ٢ر٦٠ ، ٢ر٨٩ ، ٦ر١٦٢ ، ٧ر١٥٦ ، ٨ر٩١ ، ٥ر٨٢ ، ٨ر٢٤ ، ٦ر٢٦ ، ٤٦ ، ٥٤ .

المصدر : **التقرير السنوي لبنك اسرائيل** ، ١٩٧٠ ص ٧٢ .

وكان المؤتمر الاقتصادي الدولي الذي انعقد في القدس في نيسان عام ١٩٦٨ احد الاسباب التي ادت الى ازدياد حجم الاستثمارات — فقد قرر هذا المؤتمر الذي ضم اكثر من ٧٠ ملياردير يهوديا ، معظمهم من اميركا الشمالية ، استثمار اموال ضخمة في اسرائيل . وبرهانا على ذلك انشأ المؤتمر شركة استثمار دعيت بـ « مصلحة اسرائيل » ومهمتها تنسيق وانجاز استثمارات يهود العالم في اسرائيل . وقامت اخيرا بشراء نصف رأسمال الشركة الوطنية للملاحة « تسيم » من الحكومة الاسرائيلية . ومن ناحية اخرى ، اعلن يعقوب سلمان المدير في السلطة العليا لشركات الدولة في مؤتمر صحفي ان الحكومة تفاوض الان لبيع « مصلحة اسرائيل » ٢٦ بالمئة من اسهم مصفاة بترول حيفا . واعلنت « الجروزلم بوست » ان سلمان لديه لائحة بثلاثين شركة (ما عدا « تسيم ») معروضة للجمهور ، برأسمال قدره ٢٥٠ مليون ليرة(١).

الفروع التي استفادت من القانون : سوف نعالج الان حجم الاستثمارات «المرخص لها» في الصناعة بالنسبة لمجموع الاستثمارات « المرخص لها » ونعني هنا بالاستثمارات « المرخص لها » تلك التي تستفيد من مساعدات الدولة ثم نتطرق لتوزيعها على مختلف الفروع الصناعية في البلاد .

أ — نسبة الاستثمارات الصناعية « المرخص لها » الى مجموع الاستثمارات « المرخص لها » : لعب « مركز الاستثمار » دورا بارزا في توجيه قسم كبير من الرساميل للتوظف في القطاع الصناعي اذ بلغت عام ١٩٦٥ مبلغ ٢٩٢،٢٥٢ مليون ليرة . اي ما يوازي ٥٠،٨ بالمئة من مجموع الاستثمارات « المرخص لها » . حافظت هذه الاستثمارات على مستواها لكنها عرفت انخفاضا في القطاع الصناعي عام ١٩٦٧ اذ ان نسبتها وصلت الى ٤٧،٢ ٪ . وهذا ناتج عن الازمة الاقتصادية التي مرت بها اسرائيل خلال هذه الفترة . وكما ذكرنا سابقا ، ساهمت حرب حزيران بتخفيف وطأة هذه الازمة مؤقتا . فازدادت المساعدات من الخارج « لتحمي » اسرائيل من « اعدائها » . ومن ناحية اخرى ، قرر مؤتمر الملياردير استثمار اموال ضخمة في اسرائيل . لهذا تضاعفت الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة عام ١٩٦٨ بالنسبة للفترة ١٩٦٥ — ١٩٦٧ كما تضاعف

(١) **جروزلم بوست** ، النشرة الاسبوعية ، ٢ آذار ١٩٧٠ .

أيضا مجموع الاستثمارات « المرخص لها » في الاقتصاد ، وبلغت ٥١٢،٤١٧ مليون ليرة عام ١٩٦٨ بينما لم تبلغ الا ٢،٥٢،٦١٢ مليون ليرة عام ١٩٦٧ واصبح حجمها بالنسبة لمجموع الاستثمارات ٦٤ بالمئة وهي اكبر نسبة عرفتها ، كما يبين الجدول الثامن :

الجـــدول الثامن

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
مجموع الاستثمارات « المرخص لها » (بملايين الليرات)(١)	٤٣٧،٦٤١	٤٧٥،٩٧٢	٥٣٤،١٠٢	٨٠٠	١٠٠٠
الاستثمارات « المرخص لها » في القطاع الصناعي (بملايين الليرات)(٢)	٢٢٢،٢٥٢	٢٥٥،٧١٠	٢٥٢،٦١٢	٥١٢،٤١٧	٥٠٣،٠٤٢
نسبة (١)/(٢) (بالمئة ٪)	٥٠،٨	٥٣،٥	٤٧،٢	٦٤	٥٠،٣

المصدر : (١) ١٩٦٥ — ٦٦ — ٦٧ : **التجارة والصناعة الاسرائيلية** (مجلة صادرة عن وزارة التجارة والصناعة) ، تموز ١٩٧٠ .
١٩٦٨ — ٦٩ : **اسرائيل اكونوميست** ، كانون الثاني ١٩٧٠ ، ص ٣٠ .
(٢) ١٩٦٥ — ٦٦ : **التجارة والصناعة الاسرائيلية** ، نيسان ١٩٦٧ .
١٩٦٧ — ٦٨ — ٦٩ : **التجارة والصناعة الاسرائيلية** ، تموز ١٩٧٠ .

ولكن ليس حجم الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة هو الذي يقرر وجهة التصنيع وآفاقه في اسرائيل . ان المقياس الوحيد هو الفروع التي تعطى الاولوية في التوظيف ، اي الفروع الاستراتيجية في الاقتصاد . وهذا ما سوف نحاول توضيحه .

ب ــ توزيع الاستثمارات « المرخص لها » في القطاع الصناعي : لمعرفة سياسة التصنيع المتبعة في اسرائيل وتقديرها ، لا بد من الاجابة على السؤال التالي : ما الذي يجعل من اسرائيل دولة صناعية ؟ هل الاهتمام بالاستثمارات في فروع الصناعات الغذائية والنسيج ، أم في الفروع الاستراتيجية او الاساسية وهي الفروع المعدنية والكهربائية والكيماوية وفبركة الالات ؟ مما لا شك فيه ان اهمية الاستثمارات الاخيرة هي التي تقرر مدى قدرة الاقتصاد الاسرائيلي ومتانته ، لان هذه الفروع الاستراتيجية تؤثر في الصناعات الاخرى اذ تتيح لها أن تتطور كما انها تساعد على انشاء صناعات جديدة . لذلك فأهمية هذه الفروع تكمن في انها تفسح المجال امام تصنيع البلد ، فصناعات الطيران مثلا وهي اهم شركة لبناء الطائرات في اسرائيل فسحت مجالات عمل لاكثر من ١٥٠ صناعة اخرى(١). لهذا اهتم قانون تشجيع الاستثمار بهذا النوع من الاستثمار بمنحه مساعدات وتخفيضات على الضرائب ، الخ . . . فاستفادت الفروع الاساسية « المعدنية والكيماوية » اذ بلغ حجم الاستثمارات « المرخص لها » في هذين الفرعين ٤٣ بالمئة من مجموع الاستثمارات « المرخص لها » لعام ١٩٦٩ ، بينما لم تبلغ الـ ٢٩ بالمئة عام ١٩٦٥ . والجدول التاسع يبين لنا الاستثمارات « المرخص لها » في هذه الفروع .

نلاحظ ان حجم الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع الاساسية تضاعف خلال سنة واحدة اذ بلغ ٦٤،٥ مليون ليرة عام ١٩٦٥ مقابل ١١١ مليون ليرة عام ١٩٦٦ .

(١) **اسرائيل اكونوميست** ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ٩٣ .

الجـــدول التاسع
الاستثمارات « المرخص لها »

	١٩٦٥		١٩٦٦	
	بملايين الليرات	بالمئة	بملايين الليرات	بالمئة
الفروع المعدنية	١٧	٪ ٢٩	٦٠	٪ ٤٣
الصناعات الكيماوية	٤٧٫٥		٥١	
الصناعـــات الاخرى	١٥٧٫٧٥٢	٪ ٧١	١٤٤٫٧١٠	٪ ٥٧
المجموع	٢٢٢٫٢٥٢	٪١٠٠	٢٥٥٫٧١٠	٪١٠٠

المصدر : **التجارة والصناعة الاسرائيلية** (مجلة صادرة عن وزارة التجارة والصناعة) ، نيسان ١٩٦٧ ، ص ٢ .

اذا وضعنا جانبا الصناعات الكيماوية يتبين لنا ان حجم الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع المعدنية والالات والتجهيزات الكهربائية والالكترونية تزداد اهمية ، فقد ارتفع بنسبة ٥٨ بالمئة عام ١٩٦٨ بالنسبة لعام ١٩٦٦ اي من ٨٨٫٣٤٣ مليون ليرة في ١٩٦٦ الى ١٤٠٫٠١١ مليون ليرة في ١٩٦٨ . وبلغ ٢١٠٫٠٩٨ مليون ليرة عام ١٩٦٩ اي بزيادة ٥٠ بالمئة في سنة واحـــدة . اما بالنسبة لمجموع الاستثمـــارات « المـــرخص لها » في الصناعة ، فكان لهذه الفروع « حصة » كبـــيرة ، فقـــد بلغت ٣٤٫٦ بالمئـــة في ١٩٦٦ و ٤٨٫٤٪ في ١٩٦٧ و ٤٦٪ في ١٩٦٩ ولكنها انخفضت عام ٦٨ الى ٢٧ بالمئة . وهـــذا يبين مدى الاهمية التي تعطيها اسرائيل لهذه الفروع والتسهيـــلات الكبيرة بالتالي التي تمنحها للرساميل التي توظف فيها . ويبين الجدول العاشر حجم هذه الاستثمارات .

الجدول العاشر

	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
	(١)			
الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع المعدنية والالات والتجهيزات الكهربائية والالكترونية (بملايين الليرات)	٨٨٫٣٤٣	١٢٢٫٣٥٧	١٤٠٫٠١١	٢١٠٫٠٩٨
	(٢)			
مجموع الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة (بملايين الليرات)	٢٥٥٫٧١٠	٢٥٢٫٦١٢	٥١٢٫٤١٧	٤٥٦٫٦١٧
نسبة (٢)/(١) (بالمئة)	٪ ٣٤٫٦	٪٤٨٫٤	٪٢٧	٪٤٦

المصدر : ١٩٦٦ — ٦٧ — ٦٨ : **اسرائيل اكونوميست** ، كانون الثاني ١٩٧٠ ، ص ٣٠ .
١٩٦٩ : **التجارة والصناعة الاسرائيلية** ، تموز ١٩٧٠ .

لقد تضاعفت الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع المعدنيـــة وحدهـــا عام ١٩٦٩ بالنسبة لعام ١٩٦٨ اذ ارتفعت مـــن ٣٢٫٥٦ مليون ليرة الى ٦٢٫٦٧٥ مليون لـــيرة . تضاعفت ايضا في المعدات والتجهيزات الكهربائية : فارتفعت في الفـــروع المعدنية من ٣٢٫٦٥٠ (١٩٦٨) الى ٦٢٫٦٧٥ (١٩٦٩) وفي التجهيزات الكهربائية من ٣١٤٧١ الى ٦٢٦٩٥ (بملايين الليرات) حسب تقارير التجارة والصناعة الاسرائيلية (تموز ٧٠) .

يرجع تطور الاستثمارات في الصناعات الاساسية في فترة ما بعد الحرب الى ارتفـــاع انتاج الادوات الحربية . فمثلا ، ٦٥ بالمئة من انتاج الصناعات الالكترونية تذهب لتأمين

حاجات الجيش الاسرائيلي(١)، و ٨٠ بالمئة من مجهود صناعة الطائرات تستنفدها عقود مع الجيش(٢). وفي عام ١٩٧١ اعلن يشعياهو لافي ، مدير عام وزارة الدفاع ، في مؤتمر صحفي ، ان الصناعة المحلية سوف تؤمن ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار من المواد الحربية بينما سيبلغ الاستيراد ٧٠٠ مليون دولار من هذا المواد . تنتج اسرائيل اذن اقل بقليل من نصف حاجاتها للمواد الحربية . واضاف لافي ان الصادرات من المواد الحربية سوف تبلغ هذه السنة (١٩٧١) ١٦٣٠٣ مليون دولار ، وهـذا يعادل ٣٢ بالمئة من مجموع الانتاج الحربي(٣)، بينما لم تبلغ هذه الصادرات الا ٢٥ مليون دولار فقط عام ١٩٦٧(٤) اي ان الزيادة بلغت ٦ اضعاف . ومما قالـه لافي ايضا ان الصادرات الحربية سوف تصبح ثلاثة اضعاف ما هي عليـه الان قبل عام ١٩٧٥ وسوف تنخفض الواردات . ان الـ ٧٥٠ مليون دولار من المواد وهو حجم الانتاج المحلي لعام ١٩٧٥ سوف يؤمن عمـلا اضافيا لـ ١٠٠،٠٠٠ عامل ، هذا بينما يبلغ عدد العاملين في الصناعـات الحربية الان ٩٠،٠٠٠(٥).

ان الحروب التي شنتها اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى قد سببت نموا في الاقتصاد الاسرائيلي . وهذا الوضع مشابه من بعـض وجوهه للتطور الذي حدث في الولايات المتحدة الاميركية والمانيا الغربية قبل فترة الحرب العالمية الثانية وخلالها . فطبيعة اسرائيل العدوانية ودورها في المنطقة ، كما اوضحنا سابقا ، يجعلانها باستمرار تهتم بتقوية جيشها وتطويره بادخال استاليب التكنيـك العسكري الحديث ، وهذا ما يفسح مجالات العمل والنمو امام الصناعات الاخرى ويؤمن بالتالي مجـالات استخدام جديدة . لقد بلغت نفقات الجيش الاسرائيلي ٤٠ بالمئة من ميزانية الدولة عام ١٩٧١ و ٥٠ بالمئة عام ١٩٧٢ اي ما يعادل ٧ مليارات من الليرات الاسرائيلية من مجموع ١٤ مليارا ونصف المليار لذلك عرفت الاستثمارات في الصناعات الاساسية ازديادا مهما في الفترة التي تلت حرب حزيران .

ومما نلاحظه ايضا اهمية الاستثمارات في الصناعـات الكيماوية والـدواء ، اذ بلغت ١٠٧،١٠٤ مليون ليرة عام ١٩٦٨ بينما كانت ٧،٧٢٧ مليون ليرة عام ١٩٦٧ . كذلـك ازدادت الاستثمارات في البلاستيك من ٣،١٦٠ مليون ليرة عـام ١٩٦٧ الى ٢٠،٢٤٤ مليون ليرة عام ١٩٦٨ .

التوزيع الجغرافي للاستثمارات « المرخص لها » عام ١٩٦٩ : كما رأينا من قبل ، يمنح قانون تشجيع الاستثمار امتيازات اكبر للاستثمارات في المنطقة « أ » تليها المنطقة «ب»، لذلك فان ٢٥ بالمئة من الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة عـام ١٩٦٩ كانت في منطقة « أ » و٢٥ بالمئة في منطقة « ب » و٥٠ بالمئة في وسط اسرائيل . وتأخذ الفروع المعدنية والبلاستيك اهمية كبيرة في منطقـة « أ » اذ تضم ٥٠ بالمئة مـن المؤسسات « المرخص لها » . وتأتي المساعدات الممنوحة للمؤسسات « المرخص لها » لتؤكد ايضا الاهمية الكبرى لمناطق التنمية . اذ اعطيت لها (في « أ » و «ب») ٤٠ مليون ليرة بينما حصلت المؤسسات الموجودة في وسط اسرائيل على ٦٧ مليون ليرة فقط .

---

(١) ي. شامير : الصناعة الالكترونية في اسرائيل ــ المؤسسة الدفاعية « كمساعدة لتطور » الصناعـة الالكترونية ، في مجلة **مؤسسة التصدير الاسرائيلية** .

(٢) **لوموند** : ١٦ ــ ١٧ ــ ١٨ تموز ١٩٧١ (مقال دومينيك فركيز) .

(٣) **لوموند** : ١٦ ــ ١٧ ــ ١٨ تموز (مقال دومينيك فركيز) ، **ولوموند** ٣١ كانون الثاني ١٩٧٢ .

(٤) **اسرائيل اكونوميست** ، آذار ١٩٦٧ ، ص ٦٣ .

(٥) **لوموند** : ٣١ كانون الثاني ١٩٧٢ .

الجدول الحادي عشر

الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة حسب الفروع : ١٩٦٧ — ٦٩ (بالوف الليرات)

الفروع	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
المنسوجات	٤١٥	٧٥٥	—
المواد الغذائية	١١٨٨٢	٤٣٨٢٩	٢٩١١٥
صناعة التبريد والثلج	—	١٦٠١	٣٥٥٠
النسيج	٥٣٦٣٤	٦٢٤١٧	٤٥٩٩٩
الملبوسات والجلد	٣٠٦٨٦	٤٠٧٣٧	٣٦٧٠٥
الخشب والمواد الخشبية	١٥٤٥١	١٤٣٠٤	١٦٠٤٦
الورق والطباعة	٢١٦٠	٢٠٢٤٤	٢٢٢٩٣
البلاستيك	٤٣٤٦	١٢٦٠٥	١٩٣٥٠
المطاط	١٠٨٦	٢٨١٩٦	٣٦٤٥٣
المواد الكيماوية وصناعة الدواء	٧٧٢٧	١٠٧١٠٤	٤٠٣٩٩
التراب ومواد البناء	—	٦٧٣٦	٨٥
الزجاج والخزف	٢٢٥٤	٧٥٩٨	١٢٢٥٤
المعادن	٢٦١٩٩	٢٢٥٦٠	٩٢٦٧٥
الآلات وآلات النقل	٦٠٧١٨	٧٣٣٩٨	٨٣٧٩٢
آلات التدقيق	٣٢٨٠	٢٥٨٢	١٩٣٦
المعدات الكهربائية	٢٢١٦٠	٣١٤٧١	٦٢٦٩٥
الصناعات الاخرى	٩٦١٢	٢٦٢٧٠	٢٩٦٩٦
المجموع	٢٥٢٦١٢	٥١٢٤١٧	٥٠٣٠٤٢

المصدر : **التجارة والصناعة الاسرائيلية** ، تموز ١٩٧٠ .

٤ — **الاستثمارات في مجال الدراسات والابحاث** : تنفق اسرائيل اموالا طائلة في مجال الابحاث وتمنح مساعدات للمؤسسات التي تعمل في هذا الميدان . بدأ الاهتمام بهذا النشاط منذ عشرات السنين : في عام ١٩٢١ انشأت الحركة الصهيونية مؤسسة فولكاني للابحاث الزراعية ، ثم انشأت معهد التخنيون والجامعة العبرية في عام ١٩٢٥ ثم مؤسسة وايزمان عام ١٩٣٤ . وينصب الاهتمام الان على استقدام مهندسين وفنيين خصوصا من الولايات المتحدة الاميركية ولكن شروط العمل والتمويل الضخمة المتوفرة فيها جعلت القليل يهتمون بالمجيء الى اسرائيل . لهذا اهتمت الحكومة عام ١٩٧١ باستقدام خمسة عشر عالما من المع العلماء الاجانب الى اسرائيل اذ قدمت لهم شروط عمل مغرية جدا ، كما وضعت بتصرف كل واحد منهم مساعدا ومعدات يمكن ان تصل قيمتها الى ١٠٠ الف دولار . ويأتي هؤلاء العلماء للعمل في الفروع الاساسية والمتقدمة كالالكترونيك والفيزياء والعلوم الطبيعية . وقد بلغ عدد الباحثين عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ في القطاع المدني ٢٩٠٠ ، اما اليوم فيوجد في اسرائيل نحو خمسة الاف باحث ومهندس يعملون في هذا القطاع . اما عدد الذين يعملون في القطاع الحربي فهو يساوي هذا العدد ان لم يكن اكثر منه . وتنفق اسرائيل واحدا بالمئة من دخلها القومي للبحث والتطوير في القطاع المدني ، وبلغ مجموع ما انفقته ١٨٠ مليون ليرة عام ١٩٧٠ ويأتي ٢٠ بالمئة من هذه المصاريف من الخارج كمساعدات وعقود منها ٢٥ الى ٣٠ مليون ليرة من الولايات المتحدة الاميركية . اذا قارنا هذه الارقام مع مثيلاتها في فرنسا ، نلاحظ ان مصاريف

الدولة الفرنسية للبحث في القطاع المدني يبلغ مليارا من الدولارات خلال عام ١٩٧١ لـ ٢١٥٠٠ باحث (اي اربعة اضعاف الباحثين الموجودين في اسرائيل فقط) . بينما لم تبلغ القروض للابحاث في القطاع المدني الا ٣٠ مليون دولار خلال عام ١٩٦٢ ــ ٦٣ ، وارتفعت هذه القروض بنسبة ٧٦ بالمئة خلال ٥ سنوات ، وتتوزع على ثلاث مجموعات من الاستثمار : ١ ــ الجامعات والمؤسسات الخاصة كمؤسسة ويزمان : ٦٠ بالمئة من مجموع الاستثمارات المخصصة للابحاث . ٢ ــ مؤسسات البحث الحكومية (مؤسسة فولكاني للبحث الزراعي ، مؤسسة بحث المناجم) : ٢٥ بالمئة من هذه القروض . ٣ ــ وحصلت الصناعة مباشرة على ١٤ بالمئة(١) .

ومن جهة اخرى ، تعطي الدولة الاولوية للابحاث الهادفة الى تحسين جهازها الحربي ، فتملك وزارة الدفاع عدة مختبرات ضخمة في البلاد وبينها « سلطة تطوير الاسلحة » الواقعة في شمال الارض المحتلة . ان الميزانية الرسمية المخصصة للابحاث ذات الاهداف الحربية تعادل الميزانية المخصصة للابحاث في المجالات المدنية ولكن فعليا تتجاوز هذا المعدل لتصل الى ١،٥ بالمئة من الدخل القومي(٢).وفي عام ١٩٧٠ بحثت لجنة خاصة مؤلفة من ممثلين عن ادارة البحث الصناعي ووزارة التجارة والصناعة ١٠٧ برامج جديدة للبحث والتنمية الصناعية واجازت اللجنة هذه البرامج وهي الان في حيز التنفيذ، وقد خصص لهذه الابحاث مبلغا قدره ١٦ مليون ليرة .

تشير دراسة خاصة من الوزارة ان اكثرية المشاريع في البحث الصناعي تتعلق بالالكترونيك وبالادوات العلمية ، وبالكيمياء وبالادوية . وتجدر الاشارة الى ان الابحاث تتناول ايضا تطوير نظام حفظ المعلومات الذي يستخدم في الاجهزة الالكترونية ، وكذلك الالات الطبية لقياس ضغط الدم ، والالات الكاتبة الخاصة بالذين فقدوا بصرهم وبلغات عديدة .

وخلال خمس السنين الاخيرة ارتفعت مساهمات وزارة التجارة والصناعة لتشجيع الابحاث في الصناعة ، وقد بلغ عدد البرامج التي قدمت لها مساعدات ٤٥٠ برنامجا في الفترة ما بين ١٩٦٦ ــ ١٩٧٠ ، ويقدر المبلغ الذي تطلبه هذه البرامج بـ ٦٠ مليون ليرة. وقد منح نصف هذا المبلغ كمساعدات وامنت النصف الاخر المؤسسات الصناعية .

وتمنح المساعدات لتمويل الابحاث الصناعية ، بعد الموافقة عليها ، لجنة البحث التي يرئسها المدير الفني لوزارة التجارة والصناعة ، وتجري اللجنة تقييمها للبحث بعد تفحصه من مختلف نواحيه التقنية والعلمية والاقتصادية .

عرفت المؤسسات التي تعمل في البحث والتطوير ازديادا كبيرا خلال اربع السنوات الاخيرة : ففي حين كانت عام ١٩٦٦ ست مؤسسات فقد تجاوزت المئة عام ١٩٧٠ . ولكن على الرغم من الازدياد المهم للصناعات المعتمدة على البحث والتطوير ، فما زالت اسرائيل متخلفة عن البلدان المتقدمة (الولايات المتحدة الاميركية والمانيا ...) . ومن الصعب ان نجري مقارنة بين اسرائيل والدول الاخرى في هذا المجال لان تكاليف الابحاث التي تجري للاغراض الحربية لا تنشر .

٥ ــ **القروض المصرفية في القطاع الصناعي** : ليس قانون تشجيع الاستثمارات هو الوسيلة الوحيدة لتطوير القطاع الصناعي وتوجيهه ، فثمة وسائل اخرى من بينها القروض المصرفية التي تلعب هي ايضا دورا في هذا المجال . وقد تميزت السنوات العشر الاولى التي اعقبت انشاء اسرائيل بتطور الزراعة ، لذا فقد نال هذا القطاع ما

---

(١) **لوموند** ١٦ ــ ١٧ ــ ١٨ تموز ١٩٧١ (دومينيك فركيز) .

(٢) **التجارة والصناعة الاسرائيلية** ، تشرين الثاني ١٩٦٩ .

يوازي ربع القروض المصرفية للفترة ١٩٥٤ ـ ٥٨ . الا ان هذه النسبة ما لبثت ان انخفضت انخفاضا كبيرا في الفترة التي تلت ، من ٢٥،١ بالمئة عام ١٩٥٧ الى ١٥،٩ بالمئة عام ١٩٦٢ ، والى ١٢،٨٪ عام ١٩٦٥ والى ٨،١٪ عام ١٩٧٠ . وكان القطاع الصناعي هو المستفيد من القروض المصرفية ، اذ ارتفعت حصته من ٢٦،٧ بالمئة عام ١٩٥٧ الى ٣٥،٤ بالمئة عام ١٩٦٢ والى ٣٨،٨ بالمئة عام ١٩٦٥ والى ٣٦،٣ بالمئة عام ١٩٧٠ ، اي بمعدل يتعدى ثلث القروض . واذا حاولنا ان نتتبع التغيير الذي طرأ على الحجم الفعلي للقروض المصرفية الممنوحة للزراعة نلاحظ انها انتقلت من ١٠١،٤ مليون ليرة عام ١٩٥٧ الى ٢٢٢،٢ عام ١٩٦٥ والى ٥١٥،٥ مليون ليرة عام ١٩٧٠ ، اما القروض الممنوحة للصناعة وفي الفترة نفسها فقد ارتفعت من ١٠٧،٩ مليون ليرة الى ٦٧٤،٣ والى ٢٢٩٤،٨ مليون ليرة . نسبة هذا الارتفاع لخمس سنوات من ١٩٦٥ الى ١٩٧٠ هي ٢٤٠٪ .

الجدول الثاني عشر

أهمية القروض المصرفية في القطاع الصناعي ١٩٥٤ ـ ١٩٧٠

السنة	القروض للصناعة (بملايين الليرات)	مجموع القروض للاقتصاد (بملايين الليرات)	نسبة القروض الصناعية الى مجموع القروض (بالمئة٪)
١٩٥٤	٥٧،٣	٢٤٣،٤	٢٣،٥ ٪
١٩٥٥	٧٧،٢	٢٧٤،٨	٢٨،١
١٩٥٦	٩٢،٨	٣٢٧،٥	٢٨،٣
١٩٥٧	١٠٧،٩	٤٠٤،٣	٢٦،٧
١٩٥٨	١٣٠،٥	٤٧١،٨	٢٧،٧
١٩٥٩	١٦٣،٦	٥٧٥،٢	٢٨،٤
١٩٦٠	٢١٤،٦	٧١٠،٩	٣٠،٢
١٩٦١	٢٦٤،٤	٨٤١،٤	٣١،٤
١٩٦٢	٣٩٢،٥	١١٠٧،٩	٣٥،٤
١٩٦٣	٥١٧،٥	١٢٦٢،٨	٤١
١٩٦٤	٦٣٦،٢	١٤٨٢،٢	٤٢،٩
١٩٦٥	٦٧٤،٣	١٧٤٣	٣٨،٨
١٩٦٦	٨٤٥،٧	٢١٣٧،١	٣٩،٦
١٩٦٧	٩٩٧،٧	٢٧٦٨،٦	٣٦
١٩٦٨	١٢١٩،٦	٣٤٧٥،٤	٣٥،٢
١٩٦٩	١٨١٤،٩	٥٠٩٢،٥	٣٥،٦
١٩٧٠	٢٢٩٤،٨	٦٣٢٠،١	٣٦،٣

المصدر : **التقرير السنوي لبنك اسرائيل** ، ١٩٦٠ ص ٢١٧ ، ١٩٦٥ ص ٣٣٧ ، ١٩٦٨ ص ٣٤٤ ، ١٩٧٠ ص ٣٢١ .

ويساهم المصرف المركزي الاسرائيلي بتنفيذ مخططات الدولة ومشاريعها من خلال تأثيره في القطاع المصرفي ، وبالتالي في السيولة المتوفرة في هذا القطاع ، فهو يوجه قسما كبيرا من هذه السيولة ليوظفها في القطاعات المختلفة في شكل قروض . وقد تطورت نسبة هذه القروض وتوزيعها انسجاما مع الاهداف والاولويات الاقتصادية التي تحددها الدولة ، فنلاحظ ان ٢٤٪ من هذه القروض كانت للقطاع الصناعي عام ١٩٦٠ وقد

ازدادت قبلغت ٥٣،٣٪ عام ١٩٦٤ و ٦٣،٣ عام ١٩٦٧ . يدفعنا هذا الازدياد السريع في القروض الى تقدير مدى الاهتمام الذي توليه اسرائيل لتطوير قطاعها الصناعي واهمية المساهمة التي يقدمها المصرف المركزي . فبينما كانت القروض الممنوحة بواسطة المصرف المركزي للقطاع الصناعي ٢٣ بالمئة من مجموع القروض الممنوحة للقطاع نفسه لعام ١٩٦٠ ، بلغت هذه النسبة ٤٠ بالمئة عام ١٩٧٠ . وهذا ما يبينه الجدول الثالث عشر .

الجدول الثالث عشر

القروض المصرفية حسب مصادرها واهميتها في القطاع الصناعي

	١٩٦٠			١٩٦٧		
	القروض للصناعة (بملايين الليرات) (١)	مجموع القروض (بملايين الليرات) (٢)	نسبة (١) (٢) (بالمئة٪)	القروض للصناعة (بملايين الليرات) (٣)	مجموع القروض (بملايين الليرات) (٤)	نسبة (٣) (٤) (بالمئة٪)
المجموع	٢١٤،٦	٧١٠،٩	٣٠،٢٪	٤٠٨،٢	٦٤٥،٢	٦٣،٣٪
القروض التي يراقبها البنك المركزي	٥٠،٨	٢٠٩،١	٢٤٪	٥٦٨،٣	٢٠٨٧،٦	٢٧،٢٪
القروض غير المراقبة	١٣٢،٥	٤٣٦،٤	٣٠،٤٪	٢٧،٣	٦٦،٩	٤٠،٨٪
القروض المعطاة مقابل ودائع حكومية	٣١،٣	٦٥،٤	٤٧،٨٪	١٠٠٣،٨	٢٧٩٩،٥	٣٥،٩٪

المصدر : **التقرير السنوي لبنك اسرائيل** ، ١٩٦٠ ص ٢١٦ ، ١٩٦٧ ص ٤١٣ .

نتبين من هذه الدراسة الدور الحاسم الذي تلعبه الرساميل الاجنبية في عملية تطوير الاقتصاد ، وبالتالي مدى اعتماد الاقتصاد الاسرائيلي على الخارج . كما نتبين الاهمية الكبرى التي توليها الحكومة للقطاع الصناعي منطلقة منه كما رأينا لتلعب دورا رئيسيا في المنطقة العربية ، فكانت الصناعات الاساسية هي المستفيد الاكبر من الرساميل المتدفقة ، فنمت بوتيرة هائلة واستوعبت اليد العاملة الاسرائيلية والعربية ايضا خصوصا بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ لحاجتها اليها . فانخرط العمال العرب في غزة والضفة الغربية في عملية الاستثمار والتي اضافت للاستغلال القومي السياسي الذي يتعرضون له استغلالا رأسماليا بشعا .

علاقات اسرائيل مع دول العالم

(١٩٦٧ — ١٩٧٠)

بقلم

شحادة موسى

٥١٧ صفحة من الحجم الكبير

١٠ ليرات لبنانية

تضاف اليها أجور البريد : ١٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ٣٠٠ ق.ل. في اوروبه ، ٦٠٠ ق.ل. في سائر العالم

اطلبه من : مركز الابحاث ، قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ — بيروت

سياسة النظـــام
والازمة الاقتصادية الراهنة في الاردن

حسن الجعبه

كان الاردن ولا يزال يفتقد الاسس الاولية لبناء اقتصاد مستقل قائم على قوى انتاجيه محلية متنامية ، واتسم الوضع الاقتصادي بالعجز الدائم في ميزان المدفوعات وميزان التجارة الخارجية ، وبالاعتماد الاساسي على الانتاج الزراعي والموارد غير المنظوره وخدمات السياحة ومصادر التمويل الاجنبية والعربية لتغطية العجز . ومثلت الصناعه في الاردن الحلقة الاضعف في الاقتصاد الاردني وتمركزت الصناعة بالاساس في قطاعي البناء — الذي غطيت مصادر تمويله بنسبة كبيرة من تحويلات المهاجرين والمغتربين الى ذويهم — والمصنوعات الاستهلاكية الخفيفة . ويعطل القطاع الاول الدورة الصناعية ويجعلها القطاع الثاني قصيرة الاجل . باختصار يعـــاني الواقع الاقتصادي تاريخيـــا مجموعة من المشكلات والعوائق الاقتصادية والسياسية ابرزها : (١) ضعف الزيادة في معدلات التنمية الاقتصادية السنوية : نتيجة لضعف تزايد نمو الانتاج « الصناعي والزراعي » ومصادر التمويل المحلية (الادخار المحلي) ولعدم الاستخدام الامثل للمواد الاولية والاراضي الزراعية المتاحة ، ولهيمنة راس المال الفردي الخاص والاجنبي على الاقتصاد (القطاع الخاص) ، ولاعتماد الاردن على المساعدات الامبريالية في التمويل ولارتباطه بالسوق الامبريالية العالمية . (٢) تزايد هروب قوى العمل للخارج وهجرة الايدي العاملة المتخصصة نتيجة لانخفاض مستوى الاجور بالنسبـــة لتكاليف المعيشه ولتفشي البطالة بين صفوف الشغيلة والعمال ، والبطالة المقنعـــة بين افراد الاسرة (٣) استيعاب الموازنة العسكرية ومخصصات الانفاق على القوات المسلحة والامن العام الجزء الاكبر من موازنة الانفاق العامة . (٤) العجز الدائم لميزان المدفوعات الاردني .

وعلى الرغم من تعدد الخطط الاقتصادية السباعية والخماسية التي وضعتها لجـــان التخطيط الاقتصادي الاردني ومجالسه الا انها لم تستطع تحقيق الاهداف الموضوعة لها وفشلت — باعتراف المسؤولين — في القفز عن اي من العوائق والمشكلات السابقة . وبعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ زادت حدة هذه المشكلات تعقيدا بخسارة الاقتصاد الاردني لقطاعات واسعة من عوامل الانتاج المحلية (مساحات واسعة من الاراضي الزراعية والمواد الخام — قوى العمل — الاسواق المحلية) بلغت « ٤٠ ٪ من الانتاج الزراعي و٢٠ ٪ من الانتاج الصناعي و٣٥ ٪ من الانشاءات و٣١ ٪ من الكهرباء والمياه و٥٠ ٪ من خدمات النقل و٤٥ ٪ من التجارة و٤٠ ٪ مـــن اعمال البنوك والتأمـــين والصيرفة و٦٠ ٪ من الخدمات و٩٠ ٪ مـــن دخل السياحة و٩٠ ٪ مـــن تحويلات الاردنيين في الخارج »(١). وخسارة هذا القطاع الواسع في ظل المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها الاردن ، كان من الممكن ان تؤدي الى الانهيار الكامل لبنيان الاقتصاد الاردني ، لولا تدخل مجموعة من العوامل الطارئة التي لعبت دورا مؤقتا في اخفاء حدة

الازمة الاقتصادية او تخفيفها واهمها : ● فتح الجسور مع الضفة الغربية واستمرار التجارة بين الضفتين . ● المساعدات المالية العربية المقدمة للاردن بعد مؤتمر الخرطوم. ● مصادر التمويل ومصاريف الاستهلاك التي أغرقت الاقتصاد الاردني بالموارد الاولية الناتجة عن انفاق القوات العسكرية النظامية العربية التي دخلت للاردن بعد حزيران ٦٧ (القوات العراقية والسعودية) والقوات الفدائية لمنظمات حركة المقاومة الفلسطينية . هذا بالاضافة للمساعدات المالية النقدية والعينية المرسلة باسم النازحين والمنكوبين من جراء معركة حزيران .

وعملت هذه العوامل الثلاثة على دعم الموارد المالية للميزانية الاردنيـــة وساعدت في المعالجة المؤقتة للمشكلات الاقتصادية الا أن هذه العوامل مـــا لبثت ان انتهت بفعل مجموعة جديدة من الاسباب : (١) استطاعت السياسة الاسرائيلية استغلال الجسور المفتوحة لصالح مصلحتها الاقتصادية وعلـــى حساب اقتصاديات الضفة الشرقية . (٢) توقف المساعدات العربية الكويتية والليبية في أعقاب هجمـــة أيلول الرجعية . (٣) تحويل موارد البلاد نحو زيادة الانفاق على تسليح الجيش والبوليس ولتسرب الاموال لايدي الطبقة الحاكمة وكبار رجال الادارة في الحكـــم . (٤) هروب رؤوس الاموال الوطنية للخارج نتيجة حالة عدم الاستقرار التي ولدتها سياسات القمع والارهاب ونتيجة اعتماد النظام على الصدقات الامبريالية بحكم تركيبته الطبقية الاقطاعية بديلا عن الطريق الوطني في توزيع ثروات البلاد وتشجيع الصناعـــات الوطنية والتنسيق الاقتصادي مع القوى الشعبية المواطنة والعربية . (٥) توجيه الانفـــاق نحو زيادة الخدمات للقطاع الموالي للحكم من البدو والعشائر .

عجلت مجموعة العوامل الجديدة في ابراز نتائج هزيمة حزيران الاقتصادية والاجتماعية في أعقاب حملة أيلول ١٩٧٠ وليجد النظام الملكي نفسه أمام واقع اقتصادي متداعي وازمة اقتصادية حادة لا يستطيع ايقافها على الرغم من المساعدات المالية التي قدمها له حلفاؤه الغربيون . وباتت الجماهير الشعبية الاردنية تعاني من ازدياد انتشار البطالة بين العاملين في كل القطاعات ، ومن ارتفاع مستوى المعيشة المتزايد . كما تناقص حجم التجارة الخارجية مع البلاد العربية التي تمثـــل المستورد الاساسي للانتاج الاردني . وبتدني حجم السيولة النقدية لتسرب العملة الى البنوك الاسرائيلية عبر الضفة الغربية . ومن التسريح الكيفي للعمال وتوقف وخسارة العديد من المصانع الرئيسية الانتاجية .

لذلك كله نستطيع أن نحصر العوامل الرئيسية التي ادت للازمة الاقتصادية الراهنة بما يلي : العامل الاول : ارتباط الاقتصاد الاردني بصورة متزايدة بالامبريالية العالميـــة والسوق الراسمالية العالمية ، وارتفاع النفقات والاعباء المالية الكبيرة والمتزايدة لتسليح القوات المسلحة. العامل الثاني : الغزو الاقتصادي الاسرائيلي لاسواق الضفة الشرقية نتيجة لسياسة الجسور المفتوحة . العامل الثالث : المقاطعة الاقتصادية العربية وتجميد المساعدات المالية .

العامل الاول : على الرغم من ادعاءات وزير المالية الاردني عن زيادة معدل التنمية الاقتصادية في الاردن وعن زيادة الناتج القومي للفرد بمعدل ٤،٧ ٪ عام ١٩٧٢/٧١(٢)، الا أن ذلك لا يدلل على تقدم حقيقي لحل الازمة الاقتصادية في البلاد . لان اية خطة للتنمية الاقتصادية تهدف الى زيادة الناتج القومي وتنمية وسائل الانتاج يجب ان تعتمد على الوسائل التمويلية الحقيقية للمجتمع (راس المال وتراكمه الواقع تحت تصرف المجتمع فعليا ــ الادخار القومي) ، وتتجنب الوسائل التضخمية بطبيعتها (التمويل الخارجي والقروض الاجنبية) . الا أن الوضع على العكس من ذلك تماما في الاردن . فضمن الاقتصاد الاردني يشكل الادخار المحلي « القومي » حجما صغيرا لا يعتد به حيث لا يؤثر الا بنسبة بسيطة في التنمية الاقتصادية ، ويستعاض عن الادخار المحلي ضمن

السيان الاقتصادي الاردني اعتاده تأمين التمويل من الخارج على شكل « مساعدات » و « اعانات » وقروض تمويلية خارجية من الدول الامبريالية وتحديدا من الولايات المتحدة الامريكية . وتمثل هذه الاموال المصدر الرئيسي للموازنة الاردنية وبالتالي المصدر الرئيسي للانفاق . لذا فان الاقتصاد الاردني يعتمد بصورة اساسية على التمويل الامبريالي .

بلغت تقديرات رؤوس الاموال الاجنبية الامبريالية حسب مشروع الموازنة لعام ٧٢/ ١٩٧٣ ما قيمته ٣٦،٣٥٠،٠٠٠ دينار اردني موزعة كالآتي : ٢١،٤٢٥،٠٠٠ دينار قيمة المساعدات المالية الامريكية و ١٤،٩٢٥،٠٠٠ دينار اردني قيمة القروض والمساعدات الفنية الاقتصادية الخارجية . يمثل هذا المبلغ ما نسبته نحو ٣٠ ٪ من مجموع الواردات المالية المحتملة بمشروع الموازنة والبالغة قيمته ١٢٤،٨٦٠،٠٠٠ دينار . الا ان هذا المجموع يتضمن في تقديره احتمالات تحصيل المساعدات الكويتية البالغة ٣٢،٥٦٠،٠٠٠ دينار المجمدة منذ هجمة ايلول والمتوقع حسب التقديرات استمرار توقفها خلال العام القادم كما يتضمن مبلغ ٤٠،٠٠٠،٠٠٠ دينار واردات محلية . وبذا تمثل المساعدات الخارجية من الايرادات شبه مؤكدة التحصيل ما يوازي ٤٠ ٪ من الايرادات الاجمالية بالاضافة للمعونات السرية غير المنشورة . ولعبت هذه الاموال دورا هاما في توجيه الاقتصاد الاردني على امتداد الفترة الماضية ، فقد فرضت الشروط الامبريالية توجيه الانفاق المالي نحو القطاعات غير المنتجة ، والتي لا تزيد من قدرة المجتمع على الانتاج . فشكل الانفاق في معظمه مدفوعات (رواتب الجيش والامن العام وشراء المعدات العسكرية) — بهدف قمع الحركة الوطنية الفلسطينية الاردنية — حيث بلغت تقديرات مخصصات القوات المسلحة والامن العام والتزامات القروض العسكرية ٤٣،٥ ٪ من اجمالي تقديرات الانفاق في مشروع الموازنة ١٩٧٣/٧٢ اي ما قيمته ٥٤،٤٧٥،٠٠٠ دينار اردني . كما تم توجيه كامل القروض والمساعدات الفنية الاقتصادية الخارجية والبالغة ١٤،٩٢٥،٠٠٠ دينار اردني نحو المشاريع الانمائية (المشاريع غير الانتاجية محطات الاقمار الصناعية ، تجميل مدينة العقبة ، مطار العقبة ، طرق غير زراعية ، المدينة الرياضية .. الخ) ، وتخصيص مبلغ ٢٦،٤٢٨،٠٠٠ دينار للخدمات المدنية و ١٨،٩٧٧،٠٠٠ دينار للنفقات الرأسمالية ، و ١٠،٠٥٥،٠٠٠ للاغاثة والصمود والتعويضات .

ان هذا التوجيه لبنود الانفاق الذي فرضته الامبريالية كان عاملا مساعدا رئيسيا في تحقيق اهدافها التآمرية ضد الحركة الوطنية من خلال الحكومة الاردنية وادواتها القمعية التي تولت عملية ضرب حركة الجماهير الوطنية وحماية المصالح الامبريالية في البلاد والتآمر على القضايا العربية وفي مقدمتها قضية فلسطين ، كما كانت عاملا اساسيا في تحويل المؤسسة العسكرية الاردنية الى مؤسسة اقتصادية كبيرة وبديلة ومنافسة للمؤسسات الانتاجية المحلية . فاستوعبت المؤسسة العسكرية العدد الاكبر من قوى العمل في البلاد وباتت مصدر التمويل شبه الوحيد للعديد من العائلات الاردنية(٤) وارتبط بها قطاع هام من السكان وبنسبة كبيرة سكان الريف والبادية . وتحقق الامبريالية هدفا مزدوجا في تشجيعها بناء المؤسسة العسكرية الاردنية ، وجهه الاول توفير اداة قمع الحركة الوطنية في الاردن وتمرير سياساتها في المنطقة بالتالي ، والوجه الاخر الحفاظ على مصالحها واستثماراتها في المناطق المجاورة للاردن (السعودية واسرائيل) امام اخطار قيام اي وضع ثوري في الاردن . فالامبريالية الامريكية لا تنظر للاردن كموقع للاستثمارات الامبريالية الكبيرة ، بقدر ما ترى فيه موقعا عسكريا استراتيجيا لحماية مصالحها في المنطقة . ومن هنا يمكن تفسير العناية الزائدة في بناء المؤسسة العسكرية وتزايد الامتيازات المادية والمعنوية وارتفاع رواتب الجيش والامن العام(٥) .

أما المساعدات الخارجية على شكل قروض فقد وضعت البلاد تحت سيطرة الامبريالية ورحمتها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا . فأمام ضرورة تسديد هذه القروض « الديون » وفي ظل العجز المالي المستمر والمتزايد سنويا كانت الدولة ملزمة بتنفيذ شروط الولايات المتحدة الامريكية ومتطلباتها السياسية في البلاد لعجزها وعدم قدرتها على السداد عند الاستحقاق . فسداد الديون يتطلب ان يحقق الميزان التجاري فائضا (أي زيادة قيمة الصادرات وتخفيض قيمة المستوردات) كي يمكن الوفاء بالالتزامات . وهذا ما لا تستطيع حكومة الاردن تحقيقه لعدة أمور : (١) سيطرة الدول الامبريالية الدائنة « صاحبة القروض » على توجيه الانتاج والتجارة الخارجية . فالدول الامبريالية تمثل المصدر الرئيسي لمستوردات الاردن قيمة ونوعا . فقد بلغت واردات الاردن من بلدان السوق الرأسمالية العالمية نسبة تتراوح بين ٥٠ ــ ٦٠ ٪ خلال أربع السنوات السابقة . فقد كانت مستوردات الاردن عام ١٩٦٨ من الولايات المتحدة ٦،٣٧٠،٠٠٠ دينار ، ومن المملكة المتحدة ٧،١٥٣،٥٠٠ دينار ، ومن المانيا الغربية ٥،٩٨٧،١٠٠ دينار ، ومن اليابان ٢،٨٩٤،١٠٠ دينار ، ومن ايطاليا ١،٩٠٢،٧٠٠ دينار ، ومن فرنسا ١،٦٢٦،١٠٠ دينار ومن هولندا ١،٤١٤،١٠٠ دينار ، ومن الصين الوطنية ١،٦٣٨،٦٠٠ دينار اي ما يساوي ٥،٤ ٪ من المجموع العام للمستوردات البالغ ٥٧،٤٩١،٧٠٠ دينار . وفي العام ١٩٧٠ كانت النسبة ٥٠ ٪ من المجموع العام اذ بلغت المستوردات من كل بلد من البلدان المذكورة اعلاه بالتوالي : ٧،٣٨٠،٥٠٠ دينار ، ٨،٨١٥،٩٠٠ دينار ، ٥،٩١١،٥٠٠ دينار ، ٣،٨٦٨،٧٠٠ دينار ، ٢،٢٣٥،٤٠٠ دينار ، ١،٦٤٨،٠٠٠ دينار ، ١،٢٧١،٧٠٠ دينار ، و ١،٤٩٦،٧٠٠ دينار .

(٢) استمرار العجز في الميزان التجاري الاردني بمعدل متزايد سنويا ، نتيجة لسوء التخطيط الانتاجي للحكومات الاردنية المتعاقبة ، وغياب أي توجيه صناعي لسلع التصدير ، ولعدم استغلال المواد الاولية وقوى العمل المتوفرة في البلاد لبناء صناعات بديلة عن الصناعات المستوردة او صناعات انتاجية جديدة ، فقد بلغ العجز في الميزان التجاري للفترة ما بين السنوات ١٩٦٤ ــ ١٩٧٠ نسبة متزايدة سنويا تفوق المساعدات الامبريالية في قيمتها اذ تراوح العجز ما بين ٤٤ ــ ٥٣ مليون دينار اردني (الجدول ١) .

الجدول ١

ميزان التجارة الخارجية للفترة ما بين ١٩٦٤ ــ ١٩٧٠ (٧)

بالدينار الاردني

السنة	المستوردات	الصادرات	العجز التجاري
١٩٦٤	٥٣،٥٥٨،٤٠٠	٨،٧٢٨،٠٠٠	٤٤،٨٣٠،٤٠٠
١٩٦٥	٥٦،٠٥٢،٢٠٠	٩،٩١١،٢٠٠	٤٦،١٤١،٠٠٠
١٩٦٦	٦٨،٢١١،٥٠٠	١٠،٣٩٩،١٠٠	٥٧،٨١٢،٤٠٠
١٩٦٧	٥٥،٠٤٧،٧٠٠	١١،٣٢٦،٨٠٠	٤٣،٧٢٠،٩٠٠
١٩٦٨	٥٧،٤٩١،٧٠٠	١٤،٢٦٢،٥٠٠	٤٣،٢٢٩،٢٠٠
١٩٦٩	٦٧،٧٥١،٨٠٠	١٤،٧٤٨،٦٠٠	٥٣،٠٠٣،٢٠٠
١٩٧٠	٦٥،٨٨٢،٠٠٠	١٢،١٦٩،٨٠٠	٥٣،٧١٢،٢٠٠

(٣) محاولة تسديد الديون عن طريق زيادة الضرائب : يغلب على النظام الضريبي في الاردن الضرائب غير المباشرة « أي زيادة اسعار السلع والخدمات » ، والنوع هذا من الضرائب تتحمله اوسع الطبقات الجماهيرية في الاردن عند الاستهلاك ، ويتحمله بشكل خاص افراد الطبقات الفقيرة والمتوسطة الدخل والذين اما أن يخفضوا من مستوى

معيشتهم بتقليل شراء السلع او يغادرون البلاد بحثا عن العمل ، وكلا الطرفين لا يخدم الصالح العام ولا هدف الحكومة هذا . اما الضرائب المباشرة على الدخل (الافراد والشركات) في ظل الازمة الاقتصادية الراهنة وغياب التصنيع المحلي وفقدان تشجيع الانتاج الوطني فترتفع من مستوى الاعباء والتكاليف الانتاجية مما يعيق التنمية الاقتصادية ويجعل الدولة بحكم نهج تفكيرها الرجعي بحاجة مستمرة للتعويض عن الديون بطلب المزيد من المساعدات الامبريالية والرجعية العربية . للاسباب السابقة تتراكم الديون الخارجية مضافا اليها قيمة الفوائد وهذا يعني انتقال الثروة القومية الى بلد آخر مستقبلا وعند السداد حتى الجزئي .

باختصار يمكن القول ان الاقتصاد الاردني ارتكز بشكل شبه كلي على تدفق الرساميل والمعونات من الخارج ولم يعد بامكان الحكومة — في ظل النظام الاقتصادي المتبع — التخلي عن ذلك الا باتباع سياسة وطنية اقتصادية وسياسية وطبقية . وهذه فرضية مستحيلة بحكم التركيبة الاقطاعية — البرجوازية للنظام الاردني ، مما يبقيها باستمرار في وضع تبعي للسوق الامبريالية العالمية، حتى يمكن الحفاظ على مستوى الانفاق المرتفع للاجهزة العسكرية .

ان عدم تشجيع الادخار القومي وهروب راس المال الوطني — نتيجة للحالة السياسية وعدم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في البلاد — ولاعتماد الاقتصاد على القطاع الخاص واهمال القطاع العام وتوجيه استيراد المواد الاولية من الدول الراسمالية — بغض النظر عن الاسعار — وعدم اعتماد الحكومات الاردنية سياسة تشجيع الصناعات المحلية وتنمية الزراعة وزيادة انتاجها ادت الى فقدان الثقة بين قوى الانتاج والدولة فربطت الدولة مستقبلها الاقتصادي بالتبعية للسوق الراسمالية العالمية ومستقبلها السياسي بقوى الامبريالية مما فرض عليها اتخاذ مواقف سياسية مضادة لقضايا الجماهير اليومية فبرزت نتيجة لذلك كله حالة اجتماعية واقتصادية مظاهرها الاساسية الاستغلال الكامل لجماهير الشغيلة والعمال وتقييد الحركة الاقتصادية العامة للبلاد . فارتفعت تكاليف المعيشة وانتشرت البطالة وازداد الوضع الاقتصادي تأزما ولم تجد الدولة امامها للخلاص من هذه الازمة الا المزيد من اللجوء لصدقات الامبريالية واعاناتها مقابل التنفيذ الكامل لسياسة الدول الامبريالية وبرامجها وشروطها السياسية .

العامل الثاني : يغزو الاقتصاد الاسرائيلي تدريجيا اسواق الضفة الشرقية من الاردن ، مستفيدا من التعامل التجاري وحركة مرور البضائع والاموال والافراد والخدمات عبر الجسور المفتوحة بين الضفتين ، مباشرة من خلال اعتماد منتوجات تصدير الضفة الغربية على المواد الاولية والخدمات الاسرائيلية والتي تمثل نسبة عالية من تكاليف الانتاج ، وبشكل غير مباشر عن طريق احلال مستوردات الضفة الغربية من اسرائيل مكان المصدرات للضفة الشرقية بغرض الاستهلاك المحلي .

فبالنسبة لاعتماد منتوجات تصدير الضفة الغربية على المواد الاسرائيلية المنبع والانتاج — واذا ما استثنينا حركة الافراد عبر الجسور المفتوحة وما ينقلونه معهم من النقد والاموال السائلة والتي تمثل مصدرا ايراديا للضفة الغربية يستخدم في عملية التبادل التجاري بين الضفة الغربية واسرائيل — فان المواد الاساسية التي تمر عبر الجسور المفتوحة وتشكل الميزان التجاري بين الضفتين هي البضائع الصناعية والزراعية . ومع ان المنتوجات الزراعية المستوردة من الضفة الغربية لا تحتوي على مواد اولية اسرائيلية في تركيبها الظاهري ، الا اننا لا نستطيع ان نوافق على الحجة الاردنية التي تدعي بأن المنتوجات المستوردة من الضفة الغربية ذات تركيبة وتكاليف عربية مئة بالمئة لان اسعار هذه المنتوجات تتحدد بالاساس في ضوء تكاليف انتاجها . واذا ما حللنا تكاليف انتاج بضائع الضفة الغربية لوجدنا ان نسبة عالية منها مشتراة من الاسواق الاسرائيلية

بأنواع مختلفة مثل اجرة او استهلاك آلات ، ثمن الاسمدة والمواد الكيماوية ، ثمن تشغيل الطاقة الكهربائية والمائية والبترولية .. الخ . فاذا علمنا ان اسرائيل تمنع تجار الضفة الغربية من استيراد الالات الزراعية والصناعية عبر الجسور المفتوحة (آلات الحراثة والحصاد والدراسة والعصر ... الخ)، نستطيع القول ان قيمة استهلاك او اجرة الآلات المستخدمة في الانتاج والتي تحمل المنتوجات بها كجزء من التكاليف تدفع في الاصل الى مالك الآلة او بائعها الاساسي في اسرائيل . كما ان الاسمدة والمواد الكيماوية اللازمة لمعالجة الافات الزراعية تستوردها الضفة الغربية من اسرائيل ، وكذلك مصادر الطاقة المائية والكهربائية وبشكل اكثر وضوحا البترولية . انطلاقا من ذلك كله نستطيع أن نؤكد أن جزءا اساسيا من تكلفة الانتاج الزراعي للضفة الغربية تشترى من رأس المال الاسرائيلي . وفي الانتاج الصناعي تبرز هذه الناحية بشكل اكثر وضوحا . فبالاضافة لتكاليف استهلاك الآلة واجرتها وثمن الطاقة والادوات الصغيرة « التعليب » فان المواد الاولية تتسرب للسلع الصناعية الجاهزة المصدرة للاردن في ظل عدم توافر الخامات الاولية الكافية لمعظم الصناعات في الضفة الغربية ، واضافة لكل ذلك تدخل في تكاليفها أدوات التغليف الضرورية لحفظها ، كصفائح الزيت واكياس الزيتون وأوراق اللف وصناديق الخشب والحديد التي تحمل بها البضائع .. الخ .

اذا ما استعرضنا المصانع الحالية القائمة في الضفة الغربية والتي تنتج سلع التصدير الصناعي للضفة الشرقية نستطيع أن نتبين كيفية تداخل الاقتصاد الاسرائيلي بالمنتوجات الجاهزة ، سواء بالمواد الاولية أم الخدمات الاساسية او المساعدة : (١) مصنع تعليب البندورة ــ الخليل : يعتمد على المشتريات التالية من اسرائيل : الصفائح ــ المواد الكيماوية اللازمة للتعليب ــ اسمدة انتاج البندورة ــ طاقة تشغيل الآلات بالاضافة للضرائب المدفوعة للحكومة الاسرائيلية . (٢) مصانع الزيوت النباتية في نابلس : الصفائح ــ المواد الكيماوية ــ الاسمدة ــ الطاقة ــ الضرائب . (٣) صناعة المشروبات الروحية في بيت جالا : الزجاج ــ المواد الكيماوية ــ الاسمدة ــ الطاقة ــ الضرائب . (٤) صناعة المفروشات في بيت لحم : الخشب ــ المواد الكيماوية « الغراء » ــ الدهان ــ العدد الصغيرة (مسامير ، براغي ... الخ) ــ الطاقة ــ الضرائب . (٥) مصانع النسيج في غزة والضفة الغربية : المواد الخام ــ الطاقة ــ الضرائب ــ والآلات الجديدة . (٦) مصانع الاحذية في غزة والضفة الغربية : المواد الخام ــ الطاقة ــ الضرائب ــ العدد الصغيرة ــ المواد الكيماوية . (٧) مصانع البلاط في غزة والضفة الغربية : الطاقة ــ المواد الكيماوية ــ الآلات الجديدة ــ الضرائب . (٨) مصنع الشوكلاتة برام الله : سلفانا والمصانع الصغيرة في القدس ونابلس : مواد اولية مستوردة من الخارج عبر اسرائيل (كاكاو ــ سكر) ــ مواد كيماوية ــ طاقة ــ ضرائب . (٩) مصانع الزجاج في الخليل : مواد كيماوية ــ طاقة ــ ضرائب . (١٠) الصناعات التذكارية والسياحية في بيت لحم : مواد كيماوية ــ ضرائب . (١١) مصانع البلاستيك في بيت ساحور والقدس : (وهي اكثر الصناعات تصديرا ليس للضفة الشرقية فقط بل للبلاد العربية كذلك ــ الكويت مثلا ــ واكثر الصناعات اعتمادا على البضائع والخدمات الاسرائيلية) ــ الآلات حديثة ومستوردة عبر اسرائيل ــ المواد الاساسية الاولية الكيماوية وكلها مواد مستوردة من اسرائيل كذلك الطاقة والضرائب وادوات التغليف . (١٢) مصانع الادوية في غزة والضفة الغربية : المواد الخام ــ الطاقة ــ الضرائب .

ويبقى خارج التعامل التجاري بين الضفتين مصنعان فقط : الاول مصنع التبغ والسجاير في القدس والثاني مصنع المرطبات في نابلس . اما الاول فلأهمية انتاجه للاسواق الاسرائيلية والثاني لعدم قدرته على منافسة الصناعات المماثلة في الضفة الشرقية .

واما بالنسبة لغزو الاقتصاد الاسرائيلي لاسواق الضفة الشرقية بشكل غير مباشر عن طريق استيراد الضفة الغربية للمنتوجات الاسرائيلية ذات الصنعة الاحلالية وليست المكملة للمنتوجات المصدرة للضفة الشرقية فتظهر بشكل واضح من خلال تحليل تطور ميزان التجارة بين الضفتين خلال السنوات الثلاث الاولى من الاحتلال .

على الرغم من أن الضفة الغربية مثلت ٤٠ ٪ من الانتاج الزراعي و٢٠ ٪ من الانتاج الصناعي فقط قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ من مجموع الانتاج الاردني السنوي(٨) الا أن ميزان التجارة الحالي بين الضفتين يميل وباتساع كبير لصالح الضفة الغربية وتتشكل بنوده من منتجات استهلاكية محلية في الضفة الشرقية اكثر منها سلعا تصديرية فبينما بلغت قيمة ما صدرته الضفة الشرقية للضفة الغربية ٢٤٠٩ مليون ليرة اسرائيلية نجد انها استوردت ما قيمته ٦٩ مليون ل. أ. من الضفة الغربية عام ١٩٦٩ . اي بفرق لصالح الضفة الغربية مقداره ٤٤٠١ مليون ل. اسرائيلية تساوي نحو ٥٠٥ مليون دينار اردني (الجدول رقم ٤) الا أن الخطورة لا تكمن بالقيمة الاجمالية هذه بل بنوعية السلع المتبادلة بين الضفتين حيث يغلب على سلع الاستيراد من الضفة الغربية السلع الصناعية . فعلى الرغم من سياسة الحكومة في عمان والتي عملت على مركزة اهم الصناعات الاردنية في الضفة الشرقية وعلى الرغم من أن الضفة الغربية كانت المستهلك الدائم وليس المصدر للصناعات في الضفة الشرقية اجمالا الا اننا نلاحظ ان ميزان التبادل التجاري الصناعي هو في صالح الضفة الغربية بعد ١٩٦٧ ، مما قلب موازين حركة تنقل السلع الصناعية لصالح الانتاج الصناعي في الضفة الغربية وبالتالي اسرائيل . ومن هنا باتت اسواق الضفة الشرقية مركزا لتسويق البضائع الصناعية شبه الاسرائيلية مما ساعد على توقف او خسارة العديد من المشاريع المشابهة في الضفة الشرقية كمصانع التريكو والاحذية والزجاج والمنسوجات والصابون في عمان والزرقاء .

ان التدقيق في ميزان التجارة بين الضفتين للسنوات ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ والذي أمكن الحصول عليه من كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي لعام ١٩٧٠ (لغياب الاحصاءات الاردنية) يبين مجموعة من الظواهر والنتائج التالية :

١ ــ يميل ميزان التجارة لصالح الاراضي العربية المحتلة بعد ٦٧ وبنسبة متزايدة سنويا مما يفسح المجال لتسرب المنتوجات الاسرائيلية لاسواق الضفة الشرقية نتيجة لتداخل المواد الاولية وتكاليف الانتاج الاسرائيلية في سلع الاستيراد الزراعية والصناعية ولان الاراضي العربية المحتلة تستهلك سلعا اسرائيلية بديلة للسلع التي تستوردها الضفة الشرقية خاصة وان الضفة الغربية لا تعتبر بلدا صناعيا بل على العكس من ذلك لا تزال تستورد السلع الصناعية الاولية . فبالنظر لميزان التجارة بينها وبين اسرائيل نجد انها تستورد بالدرجة الاولى المنتوجات الصناعية الاسرائيلية . فمن اجمالي مستوردات الضفة الغربية البالغ ٢٩٥٠٤ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ هناك ٢٣٦ مليون ل. أ. قيمة المستوردات من اسرائيل منها ١٩٧٠١ مليون ل. أ سلع وبضائع صناعية(٩).

٢ ــ أن اسرائيل تركز على غزو اسواق الضفة الشرقية بالسلع الصناعية عن طريق تشديد القيود على المنتجات الزراعية وتخفيف شروط تصدير المنتجات الصناعية مما ادى الى تزايد تصدير الضفة الغربية الى الضفة الشرقية من البضائع الصناعية من ٢٣٠٢ مليون ل. أ سنة ١٩٦٨ الى ٣١٠٤ مليون ل. أ سنة ١٩٦٩ ، وتناقص في تصدير السلع الزراعية من ١٣ مليون ل. أ عام ٦٨ الى ١٢٠٧ مليون ل. أ عام ١٩٦٩ (جدول رقم ٢) .

٣ ــ في الوقت الذي تعتبر فيه اسواق الضفة الشرقية اهم الاسواق لبضائع التصدير في الضفة الغربية فان الاقتصاد الاردني لا يستفيد من اسواق الضفة الغربية تصديرا الا بنسبة ضئيلة لا تتناسب مع القدرة الاستهلاكية للضفة الغربية او حركة الاستيراد منها.

فقد مثلت مستوردات الاراضي المحتلة من الضفة الشرقية للاردن ٨٪ فقط من مجموع المستوردات السنوية في المتوسط . حيث بلغت نسبة المستوردات من الضفة الشرقية ١٠٢٪ ، ٧٠٦٪ ، ٨٠٤٪ فقط في السنوات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ وشكلت السلع الزراعية الحجم الاكبر من هذه المستوردات فبلغت ٧٣٠٣٪ ، ٦٨٠٢٪ في السنوات ٦٨ ، ٦٩ . وفي المقابل كانت نسبة صادرات الضفة الغربية لاسواق الضفة الشرقية ٥٠٪ من مجموع الصادرات في المتوسط ، فقد بلغت نسبة التصدير ٧٩٠٤٪ ، ٤٦٠١٪ ، ٥٠٠١٪ من كل صادرات الاراضي العربية المحتلة بعد ٦٧ للسنوات نفسها ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٦٩ وكانت البضائع الصناعية تمثل الجزء الاكبر منها فبلغت ٥١٠٦٪ ، ٥٧٪ للسنتين ٦٨ ، ١٩٦٩ . (الجدول رقم ٢) . ان عدم التناسب الكبير في حركة التبادل التجاري بين الضفتين يكاد يجعل الاتجار من جانب واحد « استيراد كبير من الضفة الغربية وتصدير قليل القيمة لها » . واذا ما استخرجنا الفرق بين صادرات وواردات الضفة الشرقية مع الضفة الغربية لوجدنا أن العجز يساوي نحو ٢٠٪ من قيمة عجز ميزان التجارة الخارجية الاردني عام ١٩٦٩ حيث بلغ قيمة العجز نحو ٥٣ مليون دينار اردني (الجدول رقم ١) .

٤ — لم تساعد الجسور المفتوحة فقط الاقتصاد الاسرائيلي على غزو اسواق الضفة الشرقية بل ونتيجة لتطبيق السياسة الاقتصادية الاسرائيلية لحركة التبادل التجاري عبر الجسور فقد اغلقت في وجه البضائع الصناعية الاساسية الاردنية اسواق الضفة الغربية الواسعة : فقبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ كانت الضفة الغربية تستهلك ٦٠٪ من انتاج الاسمنت و ٤٠٪ من انتاج البترول والاقمشة وهذه السلع على رأس قائمة الممنوعات من اجتياز الجسور . وبذا تأثرت صناعة الاسمنت والصناعات المكملة (البناء والدهان ... الخ) وصناعة الاقمشة بشكل كبير . وكان لعدم قدرة هذه الصناعات على التسويق في الضفة الغربية اثر رئيسي في تعطيل العديد من المصانع في الضفة الشرقية وتوقفها ، فقد ساعد ذلك على اغلاق شركات المقاولة والبناء المذكورة وتسريح عمالها مما ادى الى ثبل الدورة الصناعية وانتشار البطالة في الاردن .

الجدول ٢

الميزان التجاري لتجارة الاراضي العربية المحتلة مع الضفة الشرقية للاردن

للسنوات ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٦٩ (١٠)

« بملايين الليرات الاسرائيلية »

السنة	البيان	التصدير	الاستيراد	فائق التصدير عن الاستيراد
الشهور الاربعة الاخيرة من ١٩٦٧	سلع صناعية	٢٢٠٩		
	سلع زراعية	١١٠٧		
	المجموع	٣٤٠٦	١٠٠٨	٢٣٠٨
١٩٦٨	سلع صناعية	٢٨٠٠	٤٠٨	٢٣٠٢
	سلع زراعية	٢٦٠٣	١٣٠٣	١٣٠٠
	المجموع	٥٤٠٣	١٨٠١	٣٦٠٢
١٩٦٩	سلع صناعية	٣٩٠٣	٧٠٩	٣١٠٤
	سلع زراعية	٢٩٠٧	١٧٠٠	١٢٠٧
	المجموع	٦٩٠٠	٢٤٠٩	٤٤٠١

العامل الثالث : قطع بعض الدول العربية (سوريا وليبيا والجزائر ومصر واليمن الديمقراطية) علاقاتها الاقتصادية مع الاردن ، واعلن بعضها اغلاق الحدود في وجه التجارة الخارجية الاردنية . كما جمدت كل من الحكومة الليبية والحكومة الكويتية المساعدات المالية التي كانت تدفعها سنويا لدعم الاقتصاد الاردني ، بعد هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، احتجاجا على السياسة التي مارستها السلطات الاردنية ضد الشعب الاردني ، والحركة الوطنية الاردنية وقوى حركة المقاومة الفلسطينية ، وتحديدا بعد مجازر ايلول ١٩٧٠ ، واحداث جرش ١٩٧١ . وادى ذلك الى تفاقم الازمة الاقتصادية والى خسارة الاقتصاد الاردني لجزء مهم من موارده اهمها :

اولا : خسارة ميزان التجارة بنسبة تعادل ٣٣ ٪ من قيمة الصادرات الوطنية العامة و ٢٥ ٪ من المستوردات الاجمالية اي ما يعادل ٤٤ ٪ من مجموع قيمة الصادرات للدول العربية و ٧٥ ٪ من المستوردات من الدول العربية(١١). فقد شكلت اسواق الدول العربية المجالات الاساسية الاكثر حيوية لتصريف المنتوجات الاردنية من سلع وخدمات. فقد بلغت نسبة الصادرات الاردنية للدول العربية ٦٤ ٪ ، ٦٧ ٪ ، ٧٠ ٪ من مجموع الصادرات و١٩ ٪ ، ١٩ ٪ ، ٢٠ ٪ من مجموع قيمة المستوردات للسنوات ١٩٦٦، ١٩٦٨، ١٩٧٠

الجدول ٣

التجارة مع أهم الدول العربية للسنوات ١٩٦٦ — ١٩٦٨ — ١٩٧٠(١٤)

(بالدينار الاردني)

القطر	١٩٦٦ الصادرات	١٩٦٦ المستوردات	١٩٦٨ الصادرات	١٩٦٨ المستوردات	١٩٧٠ الصادرات	١٩٧٠ المستوردات
مجموع الدول المقاطعة والمتأثرة بالمقاطعة						
سوريا	١٤٣٠٨٤١٧٦	٣٤٣٤٨٤٣٤١	٨٦٨٤٤٢٨	٢٤٨٦٧٤١٦٥	١٤٤٧٧٤٥٤٩	٣٤١٩١٤٩٤٣
لبنان	١٤١٤٣٤٤٥٤	٣٤٧٧٢٤٩٨٠	١٤٤٢٦٤٨٣٦	٤٤٢٣٠٤٢٣٦	١٤٤٣٣٤٨٤٦	٤٤٤٠٩٤٠٦٤
مصر	٧٨٨	١٤٢٨٥٤٠٠٧	١٤٤٩٨٩	١٤١٢٠٤١٤٥	٢١١٤٤٠٠	٢٤٠٥٢٤٠٥٦
اليمن الديمقراطية	٦٨٨	٥٧٤٩٨٦	١١٤١٧٥	٢٤٤٧١٩	١٦٤٦٢٥	٢٤٢١٦
الجزائر	١١١	٥١٤٥٥٦	—	٣٢٢	٥	٤٣٤٠٤٠
ليبيا	٩١١	١٩٤	٢٧٤٥٣٩	—	٩٤٦٩٤	٣٥
المجموع	٢٤٤٥٤٤١٢٨	٨٤٥١٦٤٠٦٦	٢٤٣٤٨٤٩٦٧	٨٤٣٤٢٤٥٨٧	٣٤١٤٩٤١١٩	٩٤٦٩٨٤٣٥٤
الدول الاخرى						
السعودية	٧٩٤٤٩٢٢	٢٤٤٣٦٤٢٠٠	١٤٥٣٩٤٥٩٠	٢٤١٦٨٤٩٧٢	١٤٣٢٤٤١٣٧	٢٤٥٤٣٤١٢٢
العراق	١٤٢٨٦٤٧٩١	١٤٧٢٧٤١٠٦	١٤٧٩٦٤٢٨١	٣٦٥٤٤٣٣	١٤٣١٢٤٢٦٩	٣٦٩٤٢٩٧
السودان	٤٤	٣٧٣٤٦٠٦	١٩٤٢٩٥	١٣٢٤٥٦٨	٤٢	٣٢٩٤١٧٨
الكويت	١٤٠٧٧٤٦٩٦	٢٨٤٢٣٢	٢٤٣٨٥٤٤٩٩	٢١٢٤٢٧٢	١٤٣١٨٤٣٥٤	١٩٤٢٢٨
المغرب	٣	١٠٤٤٧٩	—	١٠٤٥٠٥	٢٠ —	١٤٦٩٩٨
مجموع الدول العربية	٥٤٦٤٦٤٢٥٧	١٣٤١٨٢٤٤٣٤	٨٤٢١١٤٠٣٥	١١٤٠٤١٤٤٧٧	٧٤١٧٠٤٥٧٨	١٣٤١٠٦٤٣٨٦
نسبة الدول العربية للمجموع العام	٦٤٪	١٩٪	٦٧ ٪	١٩ ٪	٧٧ ٪	٢٠ ٪

١٩٧٠ على التوالي . وكان نصيب الدول التي اعلنت المقاطعة والتي تـأثرت بالمقاطعة (مثل لبنان)(١٢) ٦٤ ٪ — في الفترة الاولى واثناء اشتراك الحكومة العـراقية بقرار المقاطعة — و ٤٤ ٪ حتى حزيران ١٩٧٢ من مجموع الصادرات للدول العربية و ٧٤٪ من مجموع المستوردات العربية(١٣) وبنسب اكثر انخفاضـا في الفترة الحالية نتيجـة تراجعات بعض الدول العربية وتخفيف شروط المقاطعة الاقتصادية (الجدول رقم ٣) . ساهمت خسارة هذا القطاع من التجارة الخارجية بدرجة كبيرة في الازمة الاقتصادية الراهنة ، وترتب في ضوء ذلك مجموعة من النتائج :

النتيجة الاولى : زيادة قيمة العجز في ميزان التجـارة الخارجية وميزان المدفوعـات ، والفشل في تحويل الصادرات نحو اسواق جديـدة : تركيبة ونوعية السلع الصالحة للتصدير ، تتشكل في معظمهـا من المزروعات الطازجـة (خضار وفواكه) ، وتتطلب لتسويقها اسواقا قريبة وفترة زمنية قصيرة ، مما لا يساعد على تحويل الانتاج الزراعي الى الاسواق الخارجية البعيدة ، اضافة لتوفر سلع بديلة لسلع التصدير في الاسواق الخارجية وضعف قدرة البضائع الاردنية عـلى المنافسة في الاسواق العالمية لارتفـاع اسعارها نتيجة لزيادة تكاليف نقلها . ونظرة اولية لانواع سلع التصدير وقيمتها النقدية تبين لنا الى اي مدى يفقد نظام التصدير القدرة على الحركة والتحول الى خارج اسواقه العادية العربية . فاذا اعتمدنا جـداول التصنيف السلعي لتجارة الاردن — سوريـا (الجدول ٤) والاردن — لبنان (الجدول ٥) فاننا نخرج بالملاحظات التالية :

١ — تمثل السلع الصناعية ١٨ ٪ فقط من سلـع التصدير لسوريا و ٣١ ٪ من سلـع التصدير للبنان . كما أن نوعية السلع الصناعية استهلاكية في غالبيتها اولا ولا تتمتع باي ميزة احتكارية ثانيا ومن السلع ذات التكاليف المرتفعة للنقل ثالثا . ولا يمكن ان تتمتـع بالاسواق الاجنبية بالاعفاءات الجمركية وشروط التسويق التي نظمتها اتفاقية الترانزيت والتجارة العربية ، مما يولد صعوبات عديدة في تصريفها في الاسواق الخارجية الاخرى .

الجدول ٤

التجارة الخارجية حسب السلعة والبلد/سوريا ١٩٧٠(١٥)و(١٦)

(بالدينار الاردني)

الصادرات		المستوردات	
الصنف	القيمة	الصنف	القيمة
السلع الصناعية :		اهم السلع :	
ادوية الطب البشري	٥٣٠٤٦٨	أبقار	١٠٥٠٣٣٧
الاسمنت	٣٦٠١٦٥	ضان	٦٧٤٠٥٦٣
السجاير	٣٥٠٧٦٦	ماعز	٦٥٤٠٦٦٩
ورق كرفت لاكياس التعبئة	٣٧٠٢١٦	شعير	١٢٤٠٨٣٥
جماعات كهربائية ٦ فولت	٢١٠٩٥٨	منسوجات	٣٣٣٠٧٧٦
جلود خام	١٩٠٣٩٠	مواد اخرى	١٠٢٩٨٠٧٦٣
مركزات اعلاف واعلاف	١٩٠٥٢٩		
فوسفات واحجار رملية وصوانية	١١٠٥٨٨		
منسوجات وجوارب وصابون	٢٠٠٤١٣		
مجموع السلع الصناعية	٢٥٥٠٥٩٣		

بندورة	٤٦١٬٩٩٣		
باذنجان طازج	١٥٥٬٩٠٧		
فول اخضر	٢٥٬٧٨٢		
بصل للاكل	١٣٬٦٨٧		
كوسا طازجة	١٠٤٬٥٧٧		
فلفل اخضر	١١٠٬٠٤٩		
فاصوليا خضراء وزهرة			
وخضروات اخرى	٩٬٩٨٣		
مجموع الخضروات	٦٩٢٬٩٧٨		
برتقال	٣٥٠٬٠٨٨		
موز	٧٣٬٤٠٤		
ليمون حامض	٤٧٬١١١		
بطيخ	٣٠٬٦٤٠		
لوز	١١٬٧٥٤		
مندلينا وكريبرفروت وكلمنتين ولوز			
مقشر وبذر يانسون	١٥٬٩٨١		
مجموع الفواكه	٥٢٨٬٩٧٨		
مجموع المواد الزراعية	١٬٢٢١٬٩٥٦		
المجموع العام	١٬٤٧٧٬٥٤٩	المجموع العام	٢٬١٩١٬٩٤٣

الجدول ٥

التجارة الخارجية حسب السلعة والبلد/لبنان ١٩٧٠ (١٧)

الصادرات		المستوردات	
الصنف	القيمة	الصنف	القيمة
السلع الصناعية :		اهم السلع :	
موسفات واحجار رملية وصوانية	٢٧٣٬٤٩٣	بيض	٥٢٢٬١٧٢
جلود خام	١٤٦٬٧٩٨	بطاطا	٤١٧٬٣٠٣
جماعات كهربائية ٦ فولت	٩٬٦٣٨	عنب	١٠٩٬٤٩٢
مواد صناعية اخرى	٢٤٬٧٣٨	تفاح	٣٧٨٬٨٣٤
مجموع السلع الصناعية	٤٥٤٬٦٦٧	زيوت تشحيم	٢٧٠٬٧٠٩
السلع الزراعية :		مواد اخرى	٢٬٧١٠٬٥٥٤
بندورة	٢٠٦٬٧٠٣	« أسماك ، ومنتجات مخابز فاخرة	
باذنجان طازج	٧٣٬٤٥٨	وزجاج وصفائح ومواسير وزجاج	
بصل للاكل	١٥٬٧٩٠	طبي واجهزة صحية وكلسن	
خضروات وفواكه اخرى	٦٨٣٬٢٢٨	واسمنت وكبريت ... الخ »	
مجموع السلع الزراعية	٩٧٩٬١٧٩		
المجموع العام	١٬٤٣٣٬٨٤٦	المجموع العام	٦٬٤٠٩٬٠٦٤

٢ ــ السلع الزراعية الطازجة تشكل ٨٢٪ من سلع التصدير لسوريا و ٦٩٪ من سلع التصدير للبنان ، كما ان هذه السلع لا يمكن حفظها بالبرادات لفترة طويلة (الخضروات)

أولا ، والفواكه الاردنية عاجزة عن دخول اسواق المنافسة الخارجية لتوفر الفواكه الاكثر جودة واقل سعرا في هذه الاسواق (منتجات اسبانيا وايطاليا واسرائيل ...) ثانيا ، ومصانع تعليب وحفظ المنتجات الزراعية محدودة ، ثالثا. مما يؤدي بالنتيجة الى تلف المزروعات المنتجة ويخلق العوائق امام تسويقها .

٣ ــ تتميز السلع المستوردة من الدول العربية بانخفاض الاسعار بالنسبة للاسعار العالمية لتمتعها بالاعفاءات التي نظمتها الاتفاقيات الجماعية والثنائية العربية واتفاقية السوق العربية المشتركة ، ولانخفاض تكاليف النقل لقرب المسافة . فاسعار المواشي والحيوانات منخفضة بالنسبة للاسعار العالمية لقربها من المراعي التركية وتوفرها في الجمهورية العربية السورية وتمثل ٤٧٪ من المستوردات من سوريا (الجدول ٥) ، كما تتمتع اسعار البيض والصفائح والزجاج والاسماك والكلس والزيتون والتفاح والعنب المستوردة من لبنان بانخفاض الاسعار وتشكل ٧٥٪ من المستوردات في لبنان (الجدول ٣) . ان التحول نحو استيراد السلع نفسها من الاسواق الخارجية سيؤدي الى ارتفاع اسعارها في الاسواق الاردنية بنفس نسبة ارتفاع تعرفة النقل من الاسواق الخارجية + قيمة الرسوم والاعفاءات الجمركية .

النتيجة الثانية : انخفاض الانتاج الزراعي والصناعي ، وخسارة الشركات الصناعية وسيادة البطالة بين العمال :

١ ــ انخفض العائد على الانتاج الزراعي لخسارة المزارعين اثمان المنتوجات الزراعية المعدة للتصدير للدول العربية بعد تعديل نظام المحاصصة بين الملاكين والمزارعين الذي فرضه كبار ملاكي الاراضي بحيث يتحمل المزارع خسارة مالك الارض فقد « كان ملاكو الاراضي الزراعية في الاغوار منذ ما قبل عدوان ٦٧ وحتى العام الماضي ١٩٧١ يؤجرون اراضيهم للمزارعين الصغار (العاملين بالمحاصصة) بالنسب التالية : الارض السقي ــ للملاك ٤٠٪ من الانتاج وللمزارع ٦٠٪ منه ــ ، الارض البعل : للملاك ٢٥٪ ــ ٣٠٪ من الانتاج وللمزارع ٧٠ ــ ٧٥٪ منه غير ان ملاكي الارض هذا العام فرضوا نسبة اخرى فأخذوا يتقاضون من الارض السقي ٥٠٪ من الانتاج ومن الارض البعل ٤٠٪ من الانتاج »(١٨). اما ملاكو الاراضي الصغار فقد كثر اقبالهم على بيع اراضيهم والتوقف عن الانتاج والتحول نحو البناء في احسن الاحوال . فنشطت حركة بيع الاراضي وتجارة شركات العقارات . وامتلأت الصحف باعلانات الشركات العقارية التي عرضت بيع مساحات واسعة من **الاراضي الزراعية** وفي مناطق زراعية مختلفة من الاردن (انظر مثلا صحيفة الراي من ٦/٣ ــ ١٩٧١/٧/٢١ حيث نعثر على عشرين اعلانا لبيع الاراضي في مناطق صويلح ، غور كبد ، وادي السير ، ناعور ، ابو علندا ، ماركا ، الحمر ، البقعة ، وادي الضليل ، الفحيص ، اربد) .

ساهم الانتاج وتغير نظام المحاصصة وبيع الاراضي الزراعية في زيادة حدة الازمة الاقتصادية على الفئات الشعبية الفقيرة والمحدودة الدخل ، التي انخفض دخلها الحقيقي بارتفاع تكاليف المعيشة مع تناقص الدخل ، وانتشرت البطالة بين صفوف العمال الزراعيين الذين يشكلون نسبة كبيرة من قوى العمل في الاردن .

٢ ــ انخفاض العائد على رأس مال الشركات الصناعية وتحقيق خسائر كبيرة في موازناتها وتوقف بعضها عن الانتاج :

ان تراكم المخزون وعدم تصريف المنتوجات التصديرية الصناعية في اسواق الدول العربية والاراضي العربية المحتلة وارتفاع اسعار المواد الاولية المستوردة من اسواق الاحتكارات الامبريالية ادى الى تحقيق خسائر كبيرة نسبيا في موازنة معظم الشركات الصناعية الكبيرة . فقد اظهرت ميزانية شركة الفوسفات العمومية للسنة المنتهية في

٧١/١٢/٣١ خسارة محققة مقدارها ٤٦٣،٩٧١ دينارا اردنيا منها ٢٠،٢٤٤،٣٠٠ دينار خسائر مرحلة من العام السابق(١٩). والميزانية العمومية لشركة التبغ والسجائر الاردنية للسنة المنتهية في ٣١ كانون الاول ١٩٧٠ ٨٧،٦٩٩ دينارا اردنيا(٢٠). اما شركة الالبان الاردنية فقد اظهرت ميزانيتها العمومية المنتهية في ٣١ كانون الاول ١٩٧٠ خسائر محققة مقدارها ٣٧٩١ دينارا اردنيا(٢١). واحيلت شركة الورق والكرتون الى لجنة الامن الاقتصادي لدراسة اوضاعها المالية المتدهورة(٢٢). وصفت اكبر شركات المقاولات والبناء اعمالها وصرفت اكثر من ٩٠ ٪ من عمالها وتاثرت جميع الشركات المرتبطة بشركات البناء كشركات الدهان « شركة دهان الرصيفة » ومتاجر بيع ادوات البناء والنجارة والاثاث والحدادين بتوقف العمل في شركات المقاولات . وادى ذلك كله بالضرورة الى ازدياد عدد العمال العاطلين عن العمل والمسرحين من العمال الصناعيين والعمال الحرفيين وبالتالي الى انخفاض دخول افراد الطبقة العمالية الفقيرة . فقد بلغ عدد العمال المسرحين من شركة البناء والمقاولات العربية ٤٩٥ عاملا من اصل ٥٠٠ عامل او في شركة شاهين للمقاولات ٦٦٠ عاملا من اصل ٧٠٠ عامل ، وفي شركة ريم للمقاولات ٤٨٥ عاملا من اصل ٥٠٠ عامل ، وفي شركة العماد « مظفر ابو السعود » ٩٨٠ عاملا من اصل ١٠٠٠ عامل ، وفي شركة دلتا ٣٨٢ عاملا من اصل ٤٠٠ عامل(٢٣).

ثانيا : فقدت الموازنة الاردنية جزءا مهما من وارداتها المالية نتيجة لتجميد المساعدات العربية الليبية والكويتية والتي تبلغ نحو ٢٦ مليون دينار اردني سنويا . وساعد ذلك على خلق الازمة المالية والاقتصادية الراهنة التي تعاني منها الاردن . خاصة ان هذه المساعدات كانت تغطي جزءا كبيرا من بنود الانفاق في الموازنة لا تستطيع الحكومة الاردنية تغطيتها بالواردات المحلية نتيجة لسياستها الاقتصادية غير الوطنية ، مما يؤدي الى زيادة العجز السنوي في الموازنات الاردنية التالية لقرار التجميد .

بناء على مشروع الموازنة ١٩٧٣/٧٢ تشكل المساعدات الكويتية المجمعة ما قيمته ٣٢،٥٦٠،٠٠٠ دينار اردني وتمثل بذلك ٢٦ ٪ من مجموع بنود الانفاق . ولضعف قدرات البلاد الانتاجية ومواردها المحلية عن تغطية قيمة هذا المبلغ ـ الذي يمكن ان يبقى مجمدا امام استمرار سياسة النظام الاردني الحالية ـ كما اعترف بذلك وزير المالية الاردني في خطابه امام مجلس النواب في معرض طرحه لمشروع الموازنة ولتوقف المساعدات الليبية بشكل كامل (الغيت قيمة المساعدات الليبية من مشروع الموازنة) ، فاننا نستطيع القول أن حالة الانهيار الاقتصادي ستتضاعف وستحاول الحكومة مواجهة الانهيار هذا ـ كما عودتنا دائما ـ باللجوء الى المساعدات الامبريالية مقابل مزيد من الاستسلام لسياسات الامبريالية الامريكية ومخططاتها في المنطقة . . .

---

١ ـ فؤاد حمدي بسيسو « الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة » **شؤون فلسطينية**، العدد ٢ ايار ١٩٧١ .

٢ ـ **الراي** ، ١٩٧٢/٥/١٢ « تصريح انيس المعشر وزير المالية الاردني » .

٣ ـ **الراي** ، ١٩٧٢/٥/١٩ .

٤ ـ حول هذا الموضوع انظر كتاب **المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني** ، مركز الابحاث في م. ت. ف. ، ايلول ١٩٧١ قسم التعبئة في الريف وتشكيل الجيش الشعبي ص ١٣٢ .

٥ ـ **المرجع السابق** ، ص ١٢٧ .

٦ ـ كتاب **الاحصاء السنوي الاردني** ـ التجارة الخارجية ـ ١٩٧٠ ؛

٧ ـ **المرجع السابق** ـ التجارة الخارجية ـ ١٩٧٠ .

٨ ـ فؤاد حمدي بسيسو « الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة » **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢ ، ايار ١٩٧١ .

٩ ـ كتاب **الاحصاء السنوي الاسرائيلي** ـ ١٩٧٠ .

١٠ ـ **المرجع السابق** .

١١ ـ استخرجت النسب باعتماد النسب المرجحة

لارقام الصادرات والمستوردات الظاهرة في الميزان التجاري الاردني للسنوات ٦٦ ، ٦٨ ، ١٩٧٠ .

١٢ ـ لم يعلن لبنان مقاطعته الاقتصادية للاردن، الا انه تأثر بالمقاطعة السورية التي منعت مرور البضائع التجارية عبر اراضيها ولعدم وجود حدود مشتركة بين لبنان والاردن ولضخامة تكاليف النقل الجوي وقد بلغ تأثر التجارة الخارجية مع لبنان ما نسبته نحو ٧٠٪ من الصادرات اي قيمة الصادرات الزراعية التي توقفت تماما بينما استمر التعامل بـ ٣٠٪ فقط وهي قيمة الصادرات الصناعية التي نصت عليها اتفاقية السوق العربية المشتركة والتي بحكمها لا تتأثر بعض السلع الصناعية « كالفوسفات » بالمقاطعة .

١٣ ـ اعتمدت النسبة على اساس سنة ١٩٧٠ اساس للنسب .

١٤ ـ كتاب **الاحصاء الاردني السنوي** ـ التجارة الخارجية ـ ١٩٧٠ بيان رقم ١ .

١٥ ـ **المرجع السابق** بيان رقم ٥ وبيان رقم ٧ .

١٦ ـ تم اختيار سلع المستوردات التي تزيد قيمتها عن ١٠٠ الف دينار وجمعت ارقام الصادرات التي تقل عن ١٠ الاف في بنود موحدة .

٦٧ ـ كتاب **الاحصاء الاردني السنوي** ـ التجارة الخارجية ـ ١٩٧٠ بيان رقم ٥ وبيان رقم ٧ .

١٨ ـ **الجماهير** « نشرة تصدرها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني » السنة ٢٤ ، العدد ١ ـ كانون الثاني ١٩٧٢ .

١٩ ـ **الراي** ، ٢٩ ايار ١٩٧٢ .

٢٠ ـ **الراي** ، ٢ حزيران ١٩٧١ .

٢١ ـ **الراي** ، ١٧ حزيران ١٩٧١ .

٢٢ ـ **الوطن** « نشرة شهرية تصدرها الجبهة الشعبية الديمقراطية ـ فرع الاردن » ـ السنة الاولى ـ العدد الثاني ١٩٧٢ .

٢٣ ـ **الجماهير** « نشرة تصدرها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني » السنة ٢٤ ـ العدد ١ ـ كانون الثاني ١٩٧٢ .

المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني

دراسة تحليلية لهجمة ايلول

بقلم

خليل هندي وفؤاد بوارشي وشحادة موسى

اشراف

الدكتور نبيل علي شعث

من منشورات مركز الابحاث في م. ت. ف.
ص.ب ١٦٩١ ، بيروت

٥٠٠ صفحة

٨ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي
٢٥٠ ق.ل. في اوروبة ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم

لانسكي وليبسكي
واستغلال قانون العودة

الدكتور اسعد رزوق

كانت « شؤون فلسطينية » قد طلبت من الدكتور اسعد رزوق استعراض قضيتي لانسكي وليبسكي في اسرائيل بهدف اظهار محاولات استغلال قانون العودة الاسرائيلي من قبل المجرمين والمحتالين . ورغم ان أيا منهما لم ينل ما حاول الحصول عليه بسبب افتضاح قضيتهما بشكل يلحق باسرائيل سمعة سيئة جدا في اوروبا واميركا ، الا ان مجرد لجوئهما الى اسرائيل واقامتهما كل هذه المدة الطويلة ، دليل على عيوب قانون العودة وعنصريته .

التحرير

تهدف هذه المقالة الى عرض قضيتين متشابهتين الى أبعد حدود التشابه ، لكي تضع كل قضية منهما في اطارها الصهيوني والاسرائيلي الاوسع . ونعني بهاتين القضيتين ما يلي : قضية ماير لانسكي ، الذي تلاحقه السلطات القضائية الاميركية بشتى التهم قبل ان يظهر بصورة مفاجئة في اسرائيل منذ تموز (يوليو) ١٩٧٠ ــ حيث لا يزال مقيما حتى الآن . وقضية رجل الاعمال اليهودي الفرنسي ، كلود ليبسكي ، الذي اختفى من فرنسا عقب افتضاح أمر النشاطات المالية الاحتيالية التي كان يمارسها عبر شركاته ومؤسساته ، لكي يتبين للسلطات القضائية الفرنسية انه وصل الى اسرائيل بتاريخ ٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ . فالقضية الاولى ما زالت « عالقة » رغم الادانات والاحكام الصادرة بحق بطلها ماير لانسكي ، والسلطات الاسرائيلية لم تشأ حتى الآن العثور على المسوغات القانونية لتسليم المطلوب الى سلطات بلاده أو اخراجه من اسرائيل . كما ان لانسكي لم يقع خياره على اللجوء الى اسرائيل عبثا ، بل جاء يحتمي في ظل « قانون العودة » الذي يمنح لكل شخص يهودي الحق في التوطن داخل اسرائيل وفي الحصول على الجنسية الاسرائيلية تحت ستار التأشيرة الممنوحة له بصفة « مهاجر عائد » . والقضية الثانية بقيت عرضة للجدل ، والاخذ والرد ، طيلة الشهور الماضية ، فلم تعمد السلطات القضائية الاسرائيلية الى تسليم كلود ليبسكي الا بعد ان سارع مجلس الشيوخ الفرنسي الى ابرام اتفاقية تبادل المجرمين بين فرنسا واسرائيل ، حيث أعيد ليبسكي الى باريس في صبيحة الثالث والعشرين من آذار (مارس) ١٩٧٢ .

ولا بد لنا ، قبل الانتقال الى عرض الملابسات التي احاطت بكل من القضيتين وما زالت تحيط بهما ــ وتنتظر القضايا المماثلة لهما ــ من التذكير بمضمون « قانون العودة » الذي أقره الكنيست الاسرائيلي في ٧ تموز (يوليو) ١٩٥٠ . فالمعروف ان البند الاول من بنود هذا القانون ينص على انه « يحق لكل يهودي المجيء الى اسرائيل بصفة مهاجر » . ثم يحدد البند التالي طبيعة تلك الهجرة على أساس التأشيرة التي تمنح لكل يهودي يعرب

عن رغبته في التوطن باسرائيل . على أن يعود لوزير الداخلية أمر البت بالطلب المقدم ، شريطة مراعاة الاعتبارات والتحفظات التالية : القيام بنشاط ضد الشعب اليهودي ، احتمال تشكيل الخطر على الصحة العامة او تهديد أمن البلاد وسلامتها ، الماضي الاجرامي الذي يمكنه أن يتهدد الأمن العام في البلاد(١) .

والخلافات التي نشبت في اسرائيل بالنسبة لتطبيق القانون المذكور ، وادت بدورها الى قيام ازمات داخلية على صعيد التحالفات السياسية بين شتى الفئات والاحزاب ، كانت تدور في معظمها حول كيفية تفسير الصفات اللازمة لاعتبار الشخص يهوديا من زاوية الدين والقومية، على حد سواء. فالجدل المستمر داخل اسرائيل حول تعريف «اليهودي» والاجابة على سؤال « من هو اليهودي ؟ » يمت بصلة وثيقة الى قانون العودة ، مع العلم بأن النص الاصلي للقانون يتحاشى الدخول في مسألة من هذا القبيل . وقد جاءت التعديلات التي اقرها الكنيست بتاريخ العاشر من آذار (مارس) ١٩٧٠ على الصيغة الاصلية لقانون العودة — وابان نشوب ازمة متكررة الحدوث حول تعريف اليهودي — لتؤكد على الرابط العضوي بين القانون المذكور والتعريف الاسرائيلي — الصهيوني لـ « من هو اليهودي ؟ » . لذا نكتفي هنا بايراد المسائل التي استحدثتها التعديلات ، وعلى سبيل علاقتها بموضوع مقالتنا، لا سيما متى علمنا بأن لانسكي تقدم بطلب للحصول على الجنسية الاسرائيلية بموجب « قانون العودة » والحق الذي يمنحه هذا القانون لكل يهودي باعتبار نفسه مهاجرا عائدا الى اسرائيل . بينما اكد وزير الداخلية الاسرائيلي بتاريخ ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ ان كلود ليبسكي طلب الحصول على الجنسية له ولعائلته بموجب قانون « المهاجرين الجدد » ، لئلا يتعذر عليه أن يستفيد من قانون العودة وخوفا من عدم انطباق المعايير الرسمية لتعريف اليهودي على قضية انتمائه هو لليهودية(٢) .

فالمقصود بقانون « المهاجرين الجدد » ليس الا الصيغة المعدلة لقانون العودة منذ اواسط آذار (مارس) ١٩٧٠ . والمواد التي جرى تعديلها في معرض التصديق على تعريف قديم — جديد لمن هو اليهودي تدل بوضوح على أمرين متلازمين بنظر المنطق الصهيوني لدولة اسرائيل : الامر الاول ينم عن الحرص على استرضاء الفئات والاحزاب المتدينة ، بحيث ينص التعريف « المعدل » على ما يلي : « طبقا لاغراض هذا القانون ، ان اليهودي هو المولود من أم يهودية او المهتدي الى الدين اليهودي ، والذي ليس على دين آخر » . لكن الامر الثاني يتجاوز حدود هذا التعريف وشروطه لكي يقدم التسهيلات للمهاجرين الذين يعتبرهم الشرع التلمودي غير يهود اقحاح . فقد اقر الكنيست في الوقت ذاته منح الجنسية الاسرائيلية بصورة آلية وعلى الفور لجميع أفراد الاسرة المهاجرة ، وبغض النظر عن يهودية الزوج او الزوجة(٣) . وهذا ما استند اليه ليبسكي عندما تقدم بطلب للحصول على الجنسية والحيلولة دون تسليمه الى السلطات القضائية الفرنسية .

ازاء هذه الخلفية السريعة التي يجدر بنا تذكرها في اطار القضيتين ، نستطيع الانتقال الى سرد الحقائق وابراز الوقائع بالنسبة لكل منهما . ولا غرو فان قضية لانسكي او ليبسكي ليست فريدة من نوعها بالنسبة الى احتماء المطلوبين من العدالة في ظل النص الحرفي لقانون العودة الاسرائيلي ولجوئهم الى الاستفادة من « التسهيلات » والخدمات التي يعرضها القانون المذكور على يهود العالم .

من هو ماير لانسكي ؟

مواطن يهودي اميركي ، ابصر النور في غرودنو (ماير سوخوفلانسكي) من اعمال بولونيا عام ١٩٠٢ ، وهاجر الى الولايات المتحدة لكي تقدر ثروته بعد ٦٩ عاما بما لا يقل عن ٣٠٠ مليون دولار . اعتبرته مجلة « وول ستريت » بمثابة « العبقري المالي في عالم

الاجرام » ، وسجلته بطاقات « مكتب التحقيقات الفدرالي » (اف . بي . اي) في حياة الاعضاء السابقين لاحدى شركات القتل المعروفة بـ Murder Inc. . يبدو من معلومات الصحف عنه ، ومن اقواله بالذات ، ان لانسكي طويل الباع وذو ماض عريق في ميدان الجريمة والابتزاز . فالاوساط المقربة منه تطلق عليه شتى الالقاب والتسميات : « ماير انصفير » ، و« ماير البرغوث » و« جوني اغز » و« موريس ليبرمان » . والرجل الذي اختار « ميامي » لاقامته كان من ابرز الزعماء اليهود في عصابة المافيا الذائعة الصيت ، حتى ان مجلة « تايم » الاميركية نقلت عنه في معرض سردها لقصة الغلاف عن « عصابة المافيا ضد اميركا » بأنه « الساحر المالي الاكبر » داخل العصابة . ثم علقت على قوله « نحن اكبر من شركة الفولاذ الاميركية »(١٩٦٦) بقولها ان لانسكي اطلق هذا الكلام على سبيل التبجح ، بينما هو في الواقع يتمادى في تواضعه الى درجة الافراط(٤) .

ومما تجدر ملاحظته ان عراقة لانسكي في عالم الاجـرام والنشاطات المحسوبة عليه والمنسوبة اليه لم تترك للسلطات القضائية الاميركية فرصة توجيه الاتهامات الى احد كبار رجال العصابات او مجال ادائته . فلم يصدر بحق ماير لانسكي طيلة نصف قرن من النشاط الاجرامي سوى حكم واحد يقضي بسجنه لمدة ثلاثة اشهر لحيازته على قتلة زمنية . وقبيل اختفائه من اميركا جرى اعتقال لانسكي في آذار (مارس) ١٩٧٠ بتهمة حيازة المخدرات من دون ترخيص ، ثم اطلق سراحه لقاء كفالة مـالية بقيمة ٥٠ الف دولار(٥) .

لكن مؤلف سيرة حياة لانسكي ــ هانك مسيك ــ يقدم التفسير التالي لاخفاق العدالة الاميركية في ملاحقة زعماء العصابات من أمثال لانسكي عن طريق لجوئها الى « البلاج السري » واتهام هؤلاء بالتهرب من دفع الضرائب والتحايل على دائرة الضريبة والدخل . يقول مسيك في كتابه عن لانسكي ما مفاده ان رجل العصابات هـو الذي « اكتشف ريتشارد نيكسون ، ذلك المحامي الشاب والطموح » ، ثم يؤكد بأن كافة الاجراءات ضد لانسكي قد تم تجميدها ، بعد ان قام الرئيس نيكسون بتعيين ميتشل على رأس وزارة العدل الاميركية(٦) . ونحن ننقل هذه المعلومات من مصادرها بدون تعليق ، لكي نلاحظ أمرين :

اولا ــ في ٢٥ آذار (مارس) ١٩٧١ ، وبعد انقضاء عدة شهور على وجود لانسكي في اسرائيل ، ادين السائح الاميركي باتهامات تتعلق بنشاطات القمار غير المشروع في اوتيل فلامنغو بمدينة لاس فيغاس .

ثانيا ــ أعلن وزير العدل الاميركي بالوكالة ، ريتشارد كلايندينست ، في واشنطن خلال الاسبوع الاول من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ بأن محكمة للتحقيق في ميامي وجهت الى كل من لانسكي و دينو تشلليني (البالغ ٥٧ عاما من العمر) تهمة تقديم بيانات كاذبة عـن ضريبة الدخل . وجاء في النبأ ان التهمة الموجهة الى الرجلين تتعلق بقبض حوالي ٢٠٠ الف دولار عن طريق احدى أندية القمار في لندن . كما وردت الاشارة الى اتهام لانسكي مرتين سابقتين بالتهمة اياها : التهرب من دفع الضرائب !(٧) .

ان هذه الادانات والاتهامات أخذت تتوالى بعد مغادرة لانسكي ومجيئه الى اسرائيل في صيف ١٩٧٠ بصفة سائح اميركي يهودي . ولم تتقدم السلطات الاميركية من اسرائيل بطلب تسليم لانسكي ، هذا مع العلم بوجود اتفاقية مبرمة بين البلدين لتبادل المجرمين . كما ان الدوائر المسؤولة في اسرائيل بشخص وزير الداخلية لم تتردد في تجديد اقامة لانسكي وتمديدها الا عندما امتنع الوزير يوسف بورغ بتاريخ ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ عن تمديد الاقامة للمرة السابعة . أي ان ماير لانسكي تمكن من تجديد اقامته مرات بست طيلة ١٤ شهرا قضاها في اسرائيل منذ دخوله الى البلاد كسائح . والقضية لم تنته عند

هذا الحد ، لان لانسكي بدوره أعرب عن رغبته في التوطن داخل اسرائيل وتقدم بطلب للحصول على الجنسية الاسرائيلية . لنتابع هذه القضية من زاوية اخرى بغية تسليط الضوء على الجوانب الصهيونية والاسرائيلية منها .

السائح « المقيم »

مما لا ريب فيه ان لانسكي لم يتوجه عبثا الى اسرائيل . فقد سبقه الى هناك أحد زعماء المافيا اليهودية في نيويورك جو ستاتشر . ويعرف الجناح اليهودي في عصابة المافيا تحت اسم « كوشير نوسترا » تمييزا له عن التسمية الايطالية « كوزا نوسترا » . كما تجدر الاشارة هنا الى الخدمات المالية التي أسداها ماير لانسكي دون تباطؤ أو تقاعس بالنسبة لحملات جمع التبرعات والاموال من يهود أميركا . فقد جاء في التحقيقات الصحفية التي كتبها المراسلون الغربيون من اسرائيل ان لانسكي « ابان وجوده في اميركا دلل على كونه من الاشخاص الذين دعموا الصندوق القومي اليهودي بكل اخلاص ، ولم تترك تبرعاته مجالا لطلب المزيد . كما انه استجاب على الدوام وفتح حافظة نقوده لطلبات ورغبات شتى المنظمات اليهودية في اسرائيل »(٨) .

ولدى وصول السائح الاميركي لانسكي ترافقه زوجته الثانية الى مطار اللد ، منحته السلطات تأشيرة اقامة مدتها ثلاثة شهور . فانتقل « صاحب الايادي البيضاء » الى شقة فخمة في احد الفنادق بمستعمرة هرتزليا ، ثم قام السائح بزيارة لقبور أجداده فوق منحدرات جبل الزيتون بالقدس ، وكأنه يتعمد اعطاء الدليل لمن يهمه الامر على صدق ولائه الصهيوني . وسرعان ما أخذ « السائح » يفتش عن منزل للاقامة الدائمة في احدى ضواحي تل أبيب ، فوقع نظره على شقة في العمارة التي يسكنها وزير المواصلات شمعون بيريز في رامات أفيف . كما بادرت الزوجة الى اقتناء سيارة ثمينة ، واستطاع لانسكي أن يشحن ما حمولته ست شاحنات من الفيللا الفخمة التي يملكها في ميامي الى اسرائيل .

لكن السلطات الاسرائيلية لم تحرك ساكنا طيلة ١٤ شهرا قضاها لانسكي في البلاد . فقد صدر أمر بالقاء القبض على لانسكي في اميركا يتعلق بتهمة العاب القمار الممنوعة (ربيع ١٩٧١) . وانتظر وزير الداخلية الاسرائيلي حتى ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ لكي يمتنع عن تمديد اقامة الثري الاميركي واليهودي لمرة سابعة . بينما سارع لانسكي الى التقدم من جانبه بطلب للحصول على الجنسية الاسرائيلية ، في ظل قانون العودة واستنادا الى ماضيه في حقل التبرع المالي لحملات الجباية اليهودية . ومن الملاحظ ان الاسرائيليين — كما تقول مجلة « دير شبيغل » — تخوفوا لئلا يعمد لانسكي الى ممارسة اشغاله واعماله المعروفة انطلاقا من الشرق الاوسط . فسارعوا الى ابعاد ثلاثة من زملاء لانسكي ينتمون مثله الى عالم الاجرام عقب ظهورهم في تل ابيب بقصد « اجراء مباحثات مع لانسكي تتعلق بالاعمال » . وهؤلاء الثلاثة هم : بنجامين شبيغلبلوم ، برنارد روزا وجاكوب ماركوس(٩) . بينما تفيد انباء أخرى ان زملاء لانسكي لم يبارحوا مبنى المطار ، بل أعيدوا على متن أول طائرة من حيث أتوا . ومهما يكن الامر ، فان ماير لانسكي لم يبق مكتوف اليدين ازاء امتناع وزير الداخلية عن تمديد اقامته . لا بل سبق له في وقت مبكر ان تقدم بطلب الحصول على الجنسية الاسرائيلية طمعا في حمل السلطات المسؤولة على الاعتراف بحقه كيهودي في الاستفادة من قانون العودة والاحتماء خلف النص الحرفي للقانون المذكور . وعمد الى تحدي قرار وزير الداخلية متسلحا بالحق الذي يمنحه قانون العودة لكل شخص يهودي !

« تسييس » القضية

في مطلع العام ١٩٧١ اشارت الانباء الصادرة عن اسرائيل الى انهماك السلطات

المسؤولة بالبحث عن بند في قانون العودة يتيح لها فرصة ابعاد « السائح » الذي جاء يطلب حق التجنس بموجب انتمائه الى اليهودية واستنادا الى خدماته الجلى في حقول التبرع والجباية المالية . لكن بنود القانون لا يسري مفعولها على ماير لانسكي . فهو ليس مصابا بمرض يتهدد الصحة العامة ، ولا يشكل خطرا على أمن الدولة . وعندما اقدمت احدى الصحف الاسرائيلية (يديعوت احارونوت) على نشر سلسلة من المقالات عن لانسكي وماضيه الاجرامي ، وجد الهارب من قبضة العدالة فرصته الذهبية لرفع دعوى ضد الصحيفة مطالبا اياها بتعويض قدره مليون ليرة اسرائيلية لانها « مرغت سمعته الطيبة في الوحل ، واخذ الكثيرون منذ ذلك الحين يشهرون به »(١٠). فجاء رد الصحيفة يؤكد للمحكمة ان الدعوى التي تقدم بها لانسكي تنطوي على السخف ، لان سمعته سيئة بمعزل عن المقالات ولا يعقل ان تؤدي المقالات الى الحاق السوء بها .

بيد ان الدافع وراء دعوى لانسكي على صحيفة « يديعوت » ليس تغريمها بقدر ما هو « تنظيف سجل » الرجل عن طريق محكمة اسرائيلية ، لكي يتسنى له الحصول على تمديد اقامته بواسطة وزارة الداخلية . فقد ظهر لانسكي في مقابلة تلفزيونية ليزعم انه « ضحية حملة تشن ضده » . واعلن ان هذه الحملة يرجع تاريخها الى عشر سنوات ، اذ شنها عليه الصحفيون الاميركيون ، وتحولت فيما بعد الى حملة تشهير واسعة النطاق . ثم قال « . . . ولا ادري الى اي حد سوف يصل هذا الامر »(١١). وادعى انه « ضحية المناورات السياسية » . كل ذلك في سبيل اقناع المترددين بوجوب منحه الجنسية الاسرائيلية ، واخذ تبرعاته السخية للصناديق والمنظمات اليهودية بعين الاعتبار . ولم يكتف لانسكي بهذا القدر ، بل رفع قضية ضد وزارة الداخلية للحيلولة دون ابعاده ، واوكل امر الدعوى الى واحد من كبار المحامين في اسرائيل ، يورام آلروي(١٢) .

وسرعان ما تمكن الثري الاميركي الذي جاء يحتمي بقانون العودة من استقطاب بعض الآراء المؤيدة لدعواه . فالانباء الواردة في اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ تقول ان وزير المالية — سابير — ووزير العدل — شابيرا — يضعان بثقلهما للحيلولة دون الاعتراف بكون لانسكي من فئة المهاجرين العائدين . وتؤكد ان وزير الداخلية الاسرائيلي — يوسف بورغ — انصاع لرغبة الزميلين وتمسك بموقفه المتصلب . لكن الاوساط المؤيدة لبقاء لانسكي سارعت بدورها الى تقديم التغطية اللازمة . فعمد الكاتب الساخر ، افرايم كيشون ، الى التعليق حول الموضوع في زاويته الاسبوعية بصحيفة « معاريف » مؤكدا ان ما قاله وزير العدل عن « انعدام الرغبة في تجميع حثالة اليهود داخل اسرائيل » هو امر يدحضه الواقع تماما . واشار الى ان التجميع غير المرغوب فيه قد حصل ، ثم راح يتحدث عن ازدهار الاجرام في اسرائيل ، مؤكدا للقراء ما يلي : « ان ماير لانسكي لا يستطيع البقاء داخل البلاد ، بسبب ما يشاع عن ماضيه السلبي . بينما يزدهر الاجرام المنظم في تل ابيب على الاقل » . وانتهى كيشون الى القول : « هل يعقل وجود عضو سابق للمافيا بين ظهرانينا ؟ ان خبراء الكسب السريع يرفعون انظارهم صوب السماء ، واسياد الرشوة في حوض البحر المتوسط يلوحون بسبابتهم محذرين ، والمدمنون على تعاطي الحشيش اصيبوا بصدمة مذهلة ، والحكومة تطلق الصوت من عليائها قائلة : يجب علينا تفسير قانون العودة وفقا لنصه الحرفي الدقيق »(١٣).

ويبدو ان كيشون لم يرفع لواء الدفاع عن لانسكي بمفرده . اذ سرعان ما تبين ان الدعوى التي تقدم بها محامي الرجل لها حظ وافر بالنجاح . ففي تشرين الاول (اكتوبر) كانت الحكومة الاسرائيلية على استعداد لحمل الكنيست على استصدار تشريع خاص ، بمثابة «قانون لانسكي» (Lex Lansky) ، بقصد الحيلولة دون « توافد المجرمين في يوم من الايام من كافة انحاء العالم على دولة اسرائيل »(١٤) (دير شبيغل ، ٧١/١٠/١١) .

معنى ذلك : السكوت عن بقاء لانسكي بحجة استصدار التشريع الكفيل بعدم اتخاذ هذه القضية كسابقة قانونية ، والسماح لزعيم الاجرام المنظم بتقديم المزيد من التبرعات والاموال ، وربما افساح المجال أمام توظيف أمواله والاستفادة من خدماته — دون ان يتنافى ذلك مع منطوق قانون العودة الاسرائيلي — الصهيوني .

فالادانة التي صدرت مؤخرا بحق ماير لانسكي في الاسبوع الاول من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ لم تدفع السلطات الاميركية حتى الان الى المطالبة بتسليمه عملا بنصوص اتفاقية تبادل المجرمين بين اسرائيل والولايات المتحدة . ومما لا ريب فيه ان لانسكي قد استطاع خلال المدة التي انقضت على اقامته « السياحية » في اسرائيل ان يستقطب العديد من القوى واصحاب النفوذ الى جانبه ، فضلا عن التذكير بما له من « أياد مالية بيضاء » على الصناديق القومية اليهودية .

لننتقل من لانسكي الى قضية ليبسكي ، التي شغلت السلطات القضائية الفرنسية طيلة الشهور الماضية ، وانتهت باحراج المسؤولين الاسرائيليين وحملهم على تسليم الرجل المطلوب الى سلطات بلاده .

ليبسكي يقتفي الاثر

ما ان شعر كلود ليبسكي — وهو المدير المالي لشركة عقارية فرنسية تدعى بـ "Patrimonie Foncier" — بأن القضاء الفرنسي على وشك اصدار مذكرة توقيف بحقه ، حتى بادر الى الاختفاء لكي يتبين للسلطات الباحثة عنه أن الهارب قد التجأ الى اسرائيل منذ ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ . والمعروف ان التهمة الموجهة ضد كلود ليبسكي تتعلق بالاحتيال واساءة الامانة . كما يستفاد من التحقيقات التي تابعت صحيفة « لوموند » نشرها منذ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧١ وحتى اواخر شهر آذار (مارس) ١٩٧٢ ، بأن الشركة العقارية التي يدير اعمالها المالية كلود ليبسكي ليست سوى واحدة بين مجموعة من الشركات التي تمارس مختلف الاعمال والنشاطات وتخضع كلها لادارة الرجل الهارب من وجه العدالة . والشركة ذاتها — كما كشفت التحقيقات — مسؤولة عن اختلاسات مالية تصل الى حدود الملايين وتلحق الضرر بما لا يقل عن ٨ آلاف شخص من المكتتبين في اسهمها . ثم أخذت القضية تتسع وتتشعب حتى بلغ نطاق الفضيحة حدودا تفوق التصور .

وتبين في معرض المراجعة لنشاطات ليبسكي وصفقاته المالية — على حد قول « لوموند » — انه ابتاع كميات كبيرة من مخلفات الجيش الفرنسي بعد حرب الجزائر لكي يقوم ببيعها الى كل من الجمهورية العربية المتحدة والاردن وليبيا وسوريا ويوغوسلافيا والارجنتين او البرتغال(١٥) لكن الامر الذي يعنينا من زاوية هذه المقالة يتعلق بكيفية اقدام ليبسكي على الاستفادة بدوره من القوانين الاسرائيلية التي تفسح المجال أمام يهود العالم للحصول على الجنسية والتملص من الملاحقات القضائية في الخارج . فقد التجأ ليبسكي الى أحد أصدقائه الاسرائيليين في عسقلان ، حيث يملك مضيفه معملا لصنع الكراسي . وفي ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧١ ادلى بتصريح الى صحيفة « هآرتس » زاعما فيه بانه على اقتناع لوقوعه ضحية العداء للسامية(١٦) . أما السبب الذي حدا به الى اتهام السلطات القضائية التي تلاحقه بجرائم الاحتيال المالي وسوء الامانة فلا يعدو كونه محاولة للاستنجاد بقانون العودة تحت ستار الزعم بان الملاحقة تنم عن العداء لانتمائه اليهودي وبذلك يتسنى له طلب الجنسية الاسرائيلية والتمتع بالحماية والاقامة الدائمة . كما انه يستطيع الاحتماء بالقانون الاسرائيلي الذي ينص على ما يلي : « لا يمكن تسليم اي شخص (لسلطات بلاده) متى توافرت اسباب وجيهة تحمل على الاعتقاد بانه سوف يحاكم على آرائه أو بسبب انتمائه العرقي أو الديني »(١٧) .

وعندما احس المدافعون عن ليبسكي بسخف الذريعة التي لجأ اليها ، اذ انهم السلطات الفرنسية بملاحقته على صعيد العداء للسامية ، عمدوا الى التخفيف من هذه اللهجة واتهام الصحف بتحريف التصريحات وتفسيرها على محمل الخطأ . كما بادر ليبسكي الى الاعلان بقوله : « انا لا اعتقد بأن البوليس الفرنسي يحمل العداء للسامية » . وانجهت الانظار الى الاستعانة بمواد قانون المهاجرين الجديد ، طمعا بالحيلولة دون تطبيق المقاييس الدينية الصارمة على كلود ليبسكي بغية التأكد من يهوديته وفقا للتعريف الرسمي .

لقد زعمت السلطات الاسرائيلية ، مثلا ، ان مذكرة التوقيف الصادرة بحق ليبسكي في فرنسا تحمل تاريخ ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ ، وان الرجل وصل الى اسرائيل في ٢٩ منه ، قبل ان يتم تبليغها الامر عن طريق الانتربول . وحين تأكد للمحامين الذين تولوا الدفاع عن ليبسكي مغبة الادعاء بأن موكلهم هو ضحية الاضطهاد القائم على معاداة السامية ، وان السلطات الفرنسية جادة في ابرام اتفاقية تبادل المجرمين مع اسرائيل لكي تضمن الشروط الكفيلة بتسليمه الى القضاء ، عمدوا بدورهم الى الاستنجاد بقانون المهاجرين الجدد لتأمين حصول الرجل الملاحق قضائيا ، بعد ان التحقت به عائلته ، على الجنسية الاسرائيلية . ثم كان مثول ليبسكي في الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ امام قاضي التحقيق الاسرائيلي في مدينة عسقلان ، لكي يطلب الهارب من وجه العدالة رفع الحظر عن مغادرته الاراضي الاسرائيلية . بينما صدر التأكيد في اليوم نفسه عن وزير الداخلية الاسرائيلي بأن ليبسكي طلب اعتباره من فئة المهاجرين الجدد وتطبيق مفعول القانون عليه وعلى زوجته واولادهما الثلاثة . لكن اشتداد المطالبة الفرنسية ادى الى حمل القاضي في عسقلان على اطلاق سراح ليبسكي لقاء كفالة مالية بقيمة ٢٥ الف ليرة اسرائيلية ، والاحتفاظ بجواز سفره لدى المحكمة بانتظار دفع الكفالة(١٨) . فاستجواب ليبسكي تم بناء على طلب السلطات القضائية الفرنسية ، والرجل الملاحق خرج من قاعة المحكمة ، كما دخلها : سالما .

وفي العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ وافق البرلمان الفرنسي على معاهدة تبادل المجرمين التي بقيت معلقة منذ عام ١٩٦٠ ، بعد ان ردتها لجنة تابعة لمجلس الشيوخ . بينما اعلن ليبسكي في مقابلة اذاعية بثها راديو اسرائيل بتاريخ ١٩٧١/١١/٩ بانه كان دوما على استعداد للمثول امام قاضي التحقيق شرط اطلاق سراحه ، بعكس ما هي عليه الحال في فرنسا . ولدى سؤاله عما ينوي فعله اذا ما جرى ابرام اتفاقية تبادل المجرمين بين فرنسا واسرائيل ، أجاب كلود ليبسكي بقوله : « سوف نرى ، لكنني آمل على اية حال في امكانية البقاء داخل اسرائيل »(١٩) . ثم راح المدافعون عن ليبسكي يبدون استغرابهم لهذا التصميم من جانب الحكومة الفرنسية على التعجيل في ابرام الاتفاقية والتقدم بطلب استرداد موكلهم . وحاول أحد المحامين الاسرائيليين الايحاء بوجود دوافع سياسية وراء الاصرار على استرداد ليبسكي مهما كان الثمن . فادلى بتصريح الى صحيفة « هآرتس » مؤكدا فيه ان ملاحقة الرجل تتم لعوامل سياسية اكثر منها لاسباب تتسم بطابع الاحتيال المالي(٢٠) . واتضح للاوساط المعنية بملاحقة القضية ان المسألة لن تنتهي عند حد ابرام الاتفاقية ، والتقدم من الحكومة الاسرائيلية بطلب الاسترداد . بينما بادر أصحاب الاطلاع الى القول بأن الاتفاقية تنطوي على مفعول رجعي ، حتى ولو استحصل ليبسكي على الجنسية الاسرائيلية . وفي الرابع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ أبرقت السلطات القضائية الفرنسية الى قيادة الشرطة في اسرائيل عن طريق الانتربول تطالبها بتوقيف « السائح » كلود ليبسكي على سبيل الاحتياط ، بانتظار وصول ملف استرداده من جديد .

ثم قررت محكمة الصلح في تل ابيب ، بتاريخ ٧١/١١/١٦ ، ترك ليبسكي يتمتع بحرية

مشروطة ، لقاء كفالة مالية قدرها ٧٥ الف ليرة اسرائيلية . فصادرت منه جواز السفر ، وطلبت منه اثبات وجوده مرة كل يومين لدى أقرب مركز للشرطة . بينما كان ليبسكي يرفض دوما الاجابة عن الاسئلة المطروحة عليه ، متذرعا بانه يفعل ذلك طالما انه يجهل محتوى الملف المتعلق بقضيته . وفي تلك الاثناء تبين ان والد ليبسكي ، موريس ، قد لحق به الى اسرائيل . واكتشف المشرفون على ملاحقة الفضيحة قضائيا بأن الاب يشغل مسؤوليات في شركتين من الشركات التابعة في رأسمالها الى كلود ليبسكي . فهو يشرف على « مؤسسات ليبسكي » عبر شركة تابعة للاسرة وتقوم على تعاطي تجارة المواد المعدنية المستعملة ، ولا سيما شراء مخلفات الجيش الفرنسي غداة انتهاء حرب الجزائر . وهذه الشركة يديرها ابنه كلود . كما هناك شركة اخرى مغفلة ، انشئت عام ١٩٦٥ برأسمال صاحبه كلود ليبسكي ، لبيع مواد البناء ومواقع الاشغال العامة(٢١) .

المماطلة وكسب الوقت

لجأ كلود ليبسكي بمساعدة محاميه في اسرائيل الى حيلة اخرى لاحباط طلب استرداده من جانب السلطات القضائية الفرنسية . فتقدم من محكمة العدل العليا باسرائيل طالبا تقديمه للمحاكمة أمام محكمة اسرائيلية قبل اتخاذ قرار بتسليمه الى القضاء الفرنسي . لكن المحكمة العليا رفضت هذا الطلب في ١٣ شباط (فبراير) ١٩٧٢ ، واشارت الى كون قرارات التسليم هي من صلاحية وزير العدل الاسرائيلي . فهو الذي يستطيع ارسال ملف القضية الى محكمة محلية مرفقا بطلب الاسترداد . واتخاذ القرار يرجع الى مثل هذه المحكمة بالذات . بينما يستطيع ليبسكي ان يستأنف قضيته أمام محكمة العدل العليا .

هذا من جهة . ومن جهة ثانية ، بادرت الجمعية الاسرائيلية لمكافحي النازية الى اتهام المحامي الفرنسي الذي يدافع عن ليبسكي بالتعاون مع النازيين خلال الحرب العالمية الثانية ومع حكومة فيشي . كما اتهمته بالعمل في حقل الدعاية المناوئة للسامية ، وتأليف كتاب عن اليهود بعنوان « الوضع العام والخاص لليهود في فرنسا » ، يؤيد فيه تطبيق القوانين النازية ضد اليهود في فرنسا . وطالبت الشرطة الاسرائيلية باعتقال المحامي الفرنسي لدى وصوله الى اسرائيل واحالته الى القضاء(٢٢) . مما أدى الى تخلي المحامي عن القيام بمهمة الدفاع عن موكله ، واعلانه ان القرار الذي اتخذه بالتخلي هو في مصلحة كلود ليبسكي . وهكذا تولى القضية عدد من المحامين الاسرائيليين .

لكن الضغوط الفرنسية وافتضاح امر القضية على صفحات الجرائد في كافة انحاء العالم حالت بدورها دون المضي في الارجاء والتسويف والمماطلة . ففي صبيحة السابع عشر من شباط (فبراير) ١٩٧٢ أمرت محكمة تل ابيب باعتقال كلود ليبسكي واعطته مهلة ٢٤ ساعة لاستئناف دعواه أمام محكمة العدل العليا . وجاء هذا القرار نظرا لجلسة المحكمة التي سوف تخصص للنظر في طلب الاسترداد من جانب الحكومة الفرنسية ، ولئلا يستفيد ليبسكي من اطلاق سراحه للاختفاء والفرار . كما رفض القاضي استئناف محامي ليبسكي بالامتناع عن توقيفه بناء على وعد قطعه بعدم مغادرة البلاد . وابلغ ليبسكي ان باستطاعته اختصار الاجراءات لو اقدم على الرجوع الى فرنسا بملء ارادته .

بيد ان المحامي الاسرائيلي اخبر المحكمة ان موكله لا ينوي التهرب من المثول أمام القانون أو الهرب من البلاد . فهو على استعداد للوقوف أمام قوس المحكمة ، لكنه يخشى الا ينال محاكمة عادلة في فرنسا ، بسبب « اعتبارات سياسية ودينية وعرقية »(٢٣) . ورد النائب العام على مطالعة محامي الدفاع برفض الادعاء القائل ان ملاحقة ليبسكي في فرنسا تتم لاسباب سياسية ، مؤكدا ان الرجل لم يأت الى اسرائيل بحثا عن اللجوء السياسي . ثم اعلن اخيرا بأن كلود ليبسكي ليس مطلوبا في فرنسا لكونه يهوديا ، بل

هو ملاحق بتهمة الاحتيال على ٨٦٥٠٠ شخص بملايين الفرنكات(٢٤).

تم عمدت محكمة العدل العليا في اسرائيل الى رفض الاستئناف الذي تقدم به محامي ليبسكي ، واخبرته بأن وزير العدل يملك الصلاحيات الكاملة لاصدار امر بمثوله امام محكمة محلية لمتابعة استجوابات الاسترداد . ولم تأخذ بادعاء المحامي القائل ان موكله يعتبر اصله اليهودي بمثابة الدافع الرئيسي وراء ملاحقة العدالة الفرنسية له . فقد درج كلود ليبسكي على « اشتراط » المعاملة بالمثل لكي يبادر على الفور الى مواجهة القضاء الفرنسي .

وفي مطلع آذار (مارس) ١٩٧٢ بعث ليبسكي برسالة الى لجنة الدفاع عن قضيته يقول فيها « ان الوضع الاقتصادي للشركة العقارية — المالية لحظة قيام الحملة الصحفية المغرضة التي وجهتها وزارة المالية الفرنسية ، كان على خير ما يرام » . كما تعهد بتسديد الاموال الموضوعة تحت عهدته بالامانة « فرنكا فرنكا » . بينما سارع محامي ليبسكي الى ابلاغ المحكمة الاسرائيلية ان موكله يرغب في اتمام معاملات استرداده لكي يعود الى فرنسا « من تلقاء نفسه » ويواجه التحقيقات ، بقصد انقاذ سمعته وتنظيف سجله ! وصرح المحامي اياه أمام بعض المراسلين بأن التخلي عن معارضة الاسترداد لا يعني مطلقا اقرار المتهم بذنبه . فالسيد ليبسكي ينوي تقديم الدليل على براءته في فرنسا . فما كان من وزير العدل الاسرائيلي الا التوقيع على طلب التسليم بتاريخ ١٦ آذار (مارس) ١٩٧٢ ، بانتظار وصول بعثة الشرطة القضائية الفرنسية التي رافقت ليبسكي الى باريس صبيحة يوم الخميس في ٢٣ آذار (مارس) من هذا العام . ومن عجيب المفارقات ان كلود ليبسكي لم يشأ الا الاعلان عقب استرداده من جانب السلطات الفرنسية « بانني لم أهرب مطلقا من وجه العدالة في بلادي » .

ان القضيتين المعروضتين فيما تقدم هما على سبيل المثال فحسب . اذ سبقتهما عدة قضايا مماثلة طيلة السنوات التي انقضت في ظل قانون العودة الاسرائيلي . فالسلطات المسؤولة في اسرائيل قد تعترف أحيانا بوجود ثغرات في « سياج » القانون المذكور ، لكن هذا الاعتراف لا يمنع من تشجيع كل شخص ينتمي الى الدين اليهودي في شتى انحاء العالم لحمله على الاستفادة من الامتيازات التي يمنحه اياها قانون العودة الصهيوني ، خاصة متى كان الشخص الذي ينشد الاحتماء في كنف هذا القانون قادما من الولايات المتحدة الاميركية ، ويحمل معه ما فيه الكفاية من الاموال ، بالاضافة الى ماضيه — ليس في ميدان الجريمة — بل في حقل الاريحية اليهودية والتبرع دونما تردد لكافة الصناديق الصهيونية .

فالاشخاص الهاربون من وجه العدالة في بلادهم ، متى كانوا ينتمون الى الديانة اليهودية ، باستطاعتهم اللجوء الى حمى ذلك القانون والاستفادة من امتيازاته . ومن الصعب رد طلبهم بناء على الاعتبارات التي يشترطها القانون في بنوده وينيطها بوزير الداخلية . فرئيس عصابات الاجرام المنظم ، وصاحب الصيت الذائع ، مائير لانسكي — مثلا — يتحين الفرصة للتقدم بدعوى ضد صحيفة ما متهما اياها بتحقيره والتشهير باسمه ، لا لشيء الا لكي يستحصل على « براءة » من المحكمة في اسرائيل تؤهله للتمتع بسجله النظيف وتفتح أمامه ابواب الجنسية والاقامة الدائمة . وكلود ليبسكي يحاول الضرب على وتر العداء للسامية ، زاعما ان السلطات القضائية الفرنسية تلاحقه لاسباب تتعلق بأصله اليهودي ، وليس لمحاكمته على ما ارتكبه من الاحتيال وسوء الامانة بأموال الغير ، والبالغ عددهم ٨٦٥٠٠ مكتتب .

فالقضيتان الوارد ذكرهما أعلاه — قضية لانسكي وقضية ليبسكي — تظهران احدى النواحي البارزة في قانون العودة الاسرائيلي ، كما في قانون المهاجرين الجدد (١٩٧٠)

الذي جرى التصديق عليه كجزء من التعديلات التي ادخلها الكنيست على تعريف من هو اليهودي . وفي الحالتين — حالة التشدد والتمسك بالتعريف الشرعي للتهود ، وحالة التساهل مع المهاجرين الجدد لتشجيعهم على القدوم والاستفادة من « امتيازات » قانون العودة — نجد المجال رحبا امام الفارين من وجه العدالة واصحاب السوابق في عالم الاجرام ، متى كانوا ينتمون الى الدين اليهودي — سواء كان انتماؤهم لجهة الأب أو الام . ولا سيما متى بادر هؤلاء الى الاعراب عن ولائهم الصهيوني بواسطة السخاء في التبرع واستطاعوا استقطاب بعض القوى السياسية في اسرائيل الى جانبهم . فالمعروف ، مثلا ان « عصبة الدفاع اليهودية » التي يتزعمها الحاخام مئير كاهانا تقيم علاقات تعاون وثيق مع الهيئات الايطالية — الاميركية التابعة لعصابة المافيا . وتتلقى عصبة كاهانا في اسرائيل الدعم السياسي من جانب حركة « حيروت » وكتلة « غاحل » . مما يتيح المجال لتأمين عملية استقطاب على الصعيد الداخلي الاسرائيلي وضمان الحماية الكافية لكل شخص يستنجد بقانون العودة على غرار ما فعله ماير لانسكي . والسلطات الاسرائيلية لا تقع في الاحراج الا عندما تصر الدولة التي تلاحق الشخص على المطالبة بتسليمه واسترداده — رغم كل العراقيل والاساليب التي يبرع فيها المحامون الاسرائيليون أيما براعة بغية المماطلة والتأجيل ، طمعا في العثور على ثغرة يمكن النفاذ منها الى حمى « العودة » وظل « الجنسية » الممنوحة بصورة آلية لكل يهودي يعرب عن رغبته في اعتبار نفسه مهاجرا عائدا !

---

١ — انظر المصدر التالي
H. E. Baker, *Legal System of Israel*, (Israel University Press, 1968), p. 39.

٢ — راجع صحيفة **لوموند** ١٩٧١/١١/٦ .

٣ — الملحق الاسبوعي لصحيفة **الجيروسالم بوست** (رقم ٤٩٠) ، ١٩٧٠/٣/١٦ .

٤ — مجلة **تايم** الاميركية ، ٢٢ اب (اغسطس)، ١٩٦٩ ، ص ١٦ .

٥ — انظر **دير شبيغل** ، عدد ٤٣ ، ١٠/١١/ ١٩٧١ ، ص ١٦١ .

٦ — نقلا عن **المصدر نفسه** .

٧ — راجع **الانترناشيونال هيرالد تريبيون** ، ١٩٧٢/٦/٨ . و **سود دويتشه تزايتونغ** (العدد ١٢٩) والتاريخ نفسه .

٨ — انظر المقالة التي بعث بها من اسرائيل مراسل صحيفة **سود دويتشه تزايتونغ** تحت عنوان « زعيم المافيا لا يهدأ له بال » ، بتاريخ ٢٦/٢٥ ايلول (سبتمبر) ، ١٩٧١ (العدد ٢٣٠) .

٩ — دير شبيغل ، **المصدر نفسه** .

١٠ — راجع صحيفة **سود دويتشه تزايتونغ** ، العدد ١٦٧ ، في ١٤ تموز (يوليو) ، ١٩٧١ .

١١ — **المصدر نفسه** ، ٦ ايلول (سبتمبر) ، ١٩٧١ — العدد ٢١٢ .

١٢ — دير شبيغل ، **المصدر السابق** .

١٣ — **سود دويتشه تزايتونغ** ، ٢٥ — ٩/٢٦/ ١٩٧١ .

١٤ — دير شبيغل ، **المصدر السابق** .

١٥ — انظر **لوموند** ، ١٩٧١/١١/٢٦ .

١٦ — **المصدر نفسه** ، ١٩٧١/١٠/١٩ .

١٧ — **المصدر نفسه** ، ١٩٧١/١١/١٢ .

١٨ — **لوموند** ، ٧١/١١/٦ .

١٩ — **المصدر نفسه** ، ٧١/١١/١١ .

٢٠ — **المصدر نفسه** ، ٧١/١١/١٢ .

٢١ — **المصدر نفسه** ، ٧١/١٢/١٨ ، ص ١٥ .

٢٢ — **المصدر نفسه** ، ١٩٧٢/٢/١٥ ، ص ١٨ .

٢٣ — **المصدر نفسه** ، ٢٠ — ٧٢/٢/٢١ ، ص ١٤ . وانظر ايضا **الدايلي ستار** ، ١٩ شباط (فبراير) ١٩٧٢ .

٢٤ — الدايلي ستار ، **المصدر السابق** .

القرارات الاميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين

مايكل جانسن

هناك ثلاثة قرارات لاربعة رؤساء اميركيين مختلفين شكلت الاساس لاكثر من خمسين عاما من سياسة الولايات المتحدة تجاه المسألة الفلسطينية ، وقد وضعت هذه القرارات الرئيسية ، التي اتخذها ثلاثة رؤساء ديمقراطيين « متحررين » ورئيس جمهوري محافظ، اسس الدولة الصهيونية في فلسطين ، وحددت علاقتها باليهود المقيمين في مختلف انحاء العالم ، ومكنت الدولة الصهيونية من امتلاك السطوة العسكرية في الشرق الاوسط .

وقد اتخذ الرئيس ولسون عام ١٩١٧ اول واهم هذه القرارات الاميركية الرئاسية الثلاثة. ولا يذكر ودرو ولسون بسبب عمله هذا تجاه القضية الفلسطينية بل يعتبر ، على العكس ، محررا عظيما للشعوب . فلقد كان ولسون هو الذي ارسى مبدأ حق تقرير المصير لشعوب الامبراطوريتين المنحلتين : النمساوية ــ الهنجارية ، والعثمانية . ومع ذلك وافق ولسون فيما بعد على الاقتراح القائل بان قاعدة حق تقرير المصير يجب ان لا تطبق على فلسطين . لقد قرر ولسون ان فلسطين يجب ان تعطى لليهود الذين كانوا يشكلون آنذاك اقل من عشرة بالمائة فقط من مجموع سكان البلاد .

واتخذ القرار الثاني فرانكلين دي. روزفلت عندما حث الحكومة البريطانية عام ١٩٤٣ ــ وهي السلطة في فلسطين آنذاك ــ على ان تسمح بدخول مائة الف لاجىء يهودي الى فلسطين . وكان هؤلاء هم مائة الف اللاجىء انفسهم الذين سبق ان رفض دخولهم الى الولايات المتحدة . وبهذا القرار ربط روزفلت مصير اللاجئين اليهود الاوروبيين بمستقبل فلسطين مصادقا بذلك على الادعاء الصهيوني بأن يحتفظ بفلسطين كملجأ نهائي ليهود العالم .

واتخذ الرئيسان هاري اس. ترومان ودوايت دي. ايزنهاور القرار الرئيسي الثالث . وعلى عكس الاعتقاد الشائع ، لم يكن ترومان هو الرئيس الاميركي الذي لعب الدور الاهم في تأسيس اسرائيل ، كما لم يكن قراره الرئيسي هو الاعتراف الفوري باسرائيل ، الدولة الصهيونية المعلنة ذاتيا في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ . لقد كان قرار ترومان الحقيقي هو ان الولايات المتحدة لن ترسل قوات اميركية مسلحة لمساعدة الصهيونيين على انشاء دولتهم في فلسطين ، وهو قرار لا يعتبر مؤيدا للصهيونية على الاطلاق . ولكن هذا لم يكن الا القسم الاول من القرار الاميركي الرئاسي الثالث . فقد اتخذ الرئيس ايزنهاور ، وهو المعتبر « صديق » العرب ، بسبب موقفه المعارض للعدوان الانجلو فرنسي ــ الاسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦ ، القسم الثاني المؤيد للصهيونية من القرار . فان الرئيس ايزنهاور ، بسبب عدم مقدرته على تزويد اسرائيل بضمانة لعون عسكري مباشر في حالة هجوم عربي على الدولة الصهيونية ، قرر عام ١٩٥٧ ان يزود اسرائيل بمعونة عسكرية لها وزنها بقصد اقامة عدم توازن استراتيجي في القوات لصالح اسرائيل في الشرق الاوسط . ان مثل هذا التفوق العسكري الاسرائيلي المسبق سوف يوفر الحاجة لعون اميركي عسكري مباشر ، ويجنب الرئيس الاميركي الصعوبات التي قد يخلقها

التدخل ، وخاصة منذ التجربة الفيتنامية .

لقد انبثق اول التزام للولايات المتحدة بالقضية الصهيونية في فلسطين اثر اتفاق بين شخصيات اميركية مهمة شعرت ان السياسة يجب ان تبنى على تقدير موضوعي لمصالح بلادهم في الشرق الاوسط وبين صهيونيين (نافذين) قدموا رغبتهم في الدولة اليهودية على مصالح الولايات المتحدة. وهذه كانت القضية التي كان مسؤولا عنها ودرو ولسون. في حالة القرار الثاني الذي اتخذه فرانكلين روزفلت ، لم يكن هناك خلاف بين الصهيونيين والقوميين الاميركيين . ولكن الصهيونيين حصلوا في هذه المرة على ما يريدون ايضا . واما في حالة القرار الثالث الذي اتخذه على خطوتين كل من ترومان وايزنهاور ، فيمكن القول ان الحالة السياسية الاميركية الداخلية (الرغبة في عدم التورط بحروب اجنبية) ، والالتزامات الرئاسية السابقة نحو الصهيونيين هي التي قادت الى سياسة التفوق العسكري الاسرائيلي .

وسوف تتفحص هذه الدراسة تلك القرارات ونتائجها . كما ستحاول ان توضح مفاهيم خاطئة شائعة للالتزام الاميركي باسرائيل — وخاصة فيما يتعلق بالانحياز الاميركي الاولي للبرنامج الصهيوني في فلسطين ، والدور الحاكم لودرو ولسون الذي دشن خط الرؤساء روزفلت وترومان وايزنهاور ، بالاضافة الى السياسة الاميركية الكلية التي نجمت عن ذلك ازاء فلسطين .

ولسون وسياسة الوطن القومي اليهودي

لقد انبثق القرار الحاسم للرئيس ولسون عن الاذعان للقوى المحيطة به لا عن ايمان راسخ بخط معين للعمل . وحدث ذلك لان ولسون لم يكن في الواقع قائدا ديناميكيا لانه لم يكن مهتما بالعالم العربي ، ولانه كان ملتزما التزاما شخصيا عميقا تجاه صهيوني فعال . لقد كان قرار ولسون الرئيسي يتألف في الحقيقة من ثلاثة قرارات اقل اهمية كانت جميعها نتيجة لاذعان الرئيس المسالم .

كان قرار ولسون الاول ان يحدد كونه هو نفسه — والولايات المتحدة — في جانب تصريح الحكومة البريطانية الذي يحبذ اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . ولم يتخذ الرئيس هذا القرار الا بعد تدخل احد مستشاريه الحميمين ، عضو المحكمة العليا القاضي لويس برانديس الذي كان صهيونيا متألقا(١) . ولقد كانت مساهمة برانديس بدور فعال في الحركة الصهيونية مواكبة زمنيا لالتزامه بالحملة الرئاسية لولسون في العام ١٩١٢ . وهكذا ارتبط برانديس ، الذي كان آنئذ محاميا لامعا و « ليبراليا » ومصلحا اجتماعيا معروفا ، بولسون لزمن طويل بعد ذلك . يقول كريستوفر سايكس في كتابه « دراستان في الفضيلة »(٢) ان « ولسون كان مرتبطا مع برانديس بروابط وثيقة جدا لان مستقبل الرئيس في اولى ايامه كان ، كما يروى ، قد انقذ على يدي برانديس وذلك بتلافي ظهوره بثوب محاماة ممزق . وقد قيل ان ولسون كان يعتبر برانديس الرجل المدين له بمستقبله » . وقوبل تعيين ولسون لبرانديس كعضو في حكومته الاولى بمعارضة شديدة الى الحد الذي اضطر الرئيس الى سحب اسمه ، ولكن ولسون نجح عام ١٩١٦ في تأمين مقعد لبرانديس في المحكمة العليا ، وكان برانديس آنذاك هو رئيس اتحاد الصهيونيين الاميركيين .

في هذه الفترة كان الصهيونيون البريطانيون بزعامة وايزمن يتطلعون الى الولايات المتحدة والتجمع اليهودي الاميركي طلبا للمساعدة . فقد كان وايزمن قد حصل على رد فعل ايجابي للاقتراح المطروح آنذاك امام الحكومة البريطانية بصدد تعاون صهيوني — انجليزي يستهدف اقامة وطن يهودي في فلسطين . وكان وايزمن يحتاج الى دعم سيادة بريطانيه على فلسطين ليصبح البرنامج الصهيوني ممكن التنفيذ . كان وايزمن على اتصال مستمر

مع برانديس الذي كان يمكن باعتقاده ، وثبتت صحة ذلك فيما بعد ، ان يكون ذا نفوذ عظيم في الولايات المتحدة . ولم تكن وزارة الخارجية ووزيرها يؤيدان البرنامج الصهيوني ، كما ان الرئيس رغم كونه « متعاطفا بشكل مبهم » لم يظهر « اي ميل لفرض نفسه » لجانب مصلحة الصهيونيين . في الثامن من نيسان (ابريل) ١٩١٧ كتب وايزمن الى برانديس طالبا منه ومن « سادة اخرين متصلين بالحكومة تصريحا مؤيدا لفلسطين يهودية تحت حماية بريطانيه » الامر الذي « سوف يقوي قبضتنا الى حد بعيد »(٣) . وفي الثاني والعشرين من نيسان (ابريل) ١٩١٧ وصل وزير الخارجية البريطانية آرثر بلفور الى واشنطن . وخلال هذه الزيارة اجرى بلفور عدة محادثات مع برانديس اثرت على تقوية قرار بلفور بمساعدة الصهيونيين من جهة ، وعلى اقناع برانديس بتنمية التحالف الصهيوني — الانجليزي في اميركه من جهة اخرى . وفي اوائل ايار (مايو) ابرق برانديس الى لندن بموافقته على البرنامج الصهيوني ، وتباحث مع الرئيس ولسون مرتين حول الموضوع خلال ذلك الشهر ، كما قدم نسخة من البرنامج الصهيوني الى وزارة الخارجية .

ولكن اهتمام ولسون بالصهيونية لم يكن قويا بما يكفي لدفعه لاتخاذ اية خطوات رغم ان ذلك لم يعن اطلاقا انه كان لا مباليا سواء ازاء مصير التجمع اليهودي الفلسطيني او تجاه التأثير الصهيوني بين اليهود الاميركيين . فقد كانت الولايات المتحدة قد ورطت نفسها في الواقع بشكل مباشر ، ولو عن بعد ، في حياة الطائفة اليهودية الفلسطينية الصغيرة عام ١٩١٤ حين طلب اليهود الفلسطينيون الحماية من المسؤولين القنصليين الاميركيين لان الولايات المتحدة غير مشتركة في الحرب . ثم عممت المساعدات السياسية لولسون ، خلال معركة الرئاسة لعام ١٩١٦ ، اهتمام الرئيس بالطائفة اليهودية الفلسطينية فوجه ، لاول مرة ، نداء الى الناخبين اليهود على اساس اهتمامهم المفترض بالصهيونية . وفي هذه الانتخابات ادخل ما يسمى بـ « التصويت اليهودي » في السياسات الاميركية الداخلية(٤) .

في ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ استطلعت الحكومة البريطانية وجهات نظر ولسون بخصوص نية بريطانيه في ايجاد تعاون انجلو — صهيوني في فلسطين . وكان رد فعل ولسون باردا . ويعتقد ليونارد شتاين ، وهو المرجع الاساسي حول تصريح بلفور ، انه من المحتمل ان برانديس لم يعلم بالتوجه الاول لولسون . ولكن من المؤكد انه لم يكن مطلعا فقط بل وضالعا ايضا في التوجه الثاني من قبل الحكومة البريطانية لولسون بعد بضعة اسابيع . في هذه المرة لم يذهب برانديس الى ولسون بل الى اقرب مستشاريه ، الكولونيل هاوس ، وهو الذي كان ولسون قد تباحث معه قبل ان يرسل رده على الاستمزاج البريطاني الاول . وقد كان رد فعل ولسون ، الذي ارسل بواسطة هاوس ، ايجابيا هذه المرة . ومن الواضح ان برانديس قد اقنع هاوس ان تغييرا حقيقيا بالنسبة للاقتراح البريطاني سيكون عملا لصالح الرئيس سياسيا . ومن المثير ان نلاحظ ان الرئيس لم يقم بالاتصال الثاني مباشرة بل تم من خلال مستشاره . ولعل ولسون لم يكن سعيدا تماما بوجهات نظره الثانية . ويعتقد ليونارد شتاين ان رد الفعل الثاني لولسون كان حاسما الى درجة انه كان من المحتمل ان لا يصدر تصريح بلفور اطلاقا فيما لو حافظ ولسون على عدائه الاصلي للاقتراح .

في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ كتب بلفور الى لورد روتشيلد الذي كان يمثل الاتحاد الصهيوني البريطاني قائلا ان الحكومة البريطانية تنظر « بعين العطف الى اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين » واعدا ان الحكومة البريطانية سوف « تبذل افضل جهودها لتسهيل هذه الغاية » . هذه الرسالة التي اصبحت تعرف بـ « تصريح بلفور » كانت حجر الاساس للدولة الصهيونية في فلسطين . وبناء على ذلك فان ودرو ولسون

يتحمل قسطا من المسؤولية في تأسيس هذه الدولة . كذلك فان دور براندیس يجب ان لا ينسى . ان الطريقة التي خاطب بها الصهيونيون البريطانيون القاضي براندیس ، وهو الذي لم يكن مقتنعا تماما بصواب التحالف الانجلو ـ صهيوني ، اكتسبته الى جانب وجهة نظرهم ، واقتنعته باستخدام نفوذه لدى ولسون . ولقد كانت تلك الطريقة مقياسا لحسن تصرفهم وصواب محاكمتهم للامور . ومنذ ذلك الوقت اصبح براندیس « رجل الظل » الذي كان يبقي ولسون امينا لخطه الموالي للصهيونية حيثما كان الرئيس يبدو مترددا .

لم يتخذ ولسون اثر موافقته على تصريح بلفور في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ اية خطوة لجعل دعمه للبرنامج الصهيوني علنيا . وعلى المرء ان يتذكر ان التصريح كان في الواقع تفاهما عقد سرا بين الحكومة البريطانية والاتحاد الصهيوني الانجليزي (نشر الصهيونيون نص التصريح في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧) . وقد وردت اول اشارة الى ان بريطانيه قد حصلت على موافقة الحلفاء على التصريح في البرلمان البريطاني في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ وذلك حين سئل وزير الخارجية « فيما اذا كان هناك اتفاق [على سياسة التصريح] » بحيث يكون الحلفاء « عاملين معا في القضية » . وقد اجاب بلفور « اجل ، اننا نعمل باتفاق كامل »(٦). ومع ذلك ، اعتبر الصهيونيون الاميركيون احجام ولسون عن ان يعلن وقوفه علنا مع المشروع الانجلو ـ صهيوني مخيبا جدا للامال حقا ، وضغطوا عليه من اجل تصريح علني .

في ١٣ كانون الاول (ديسمبر) وجه وزير الخارجية لانسنغ رسالة الى الرئيس طالبا منه ان يتحاشى اي التزام علني نحو الصهيونيين . وقد كانت حجة وزير الخارجية ان الولايات المتحدة « لم تكن في حرب مع تركيه ، ولذا يجب ان تتحاشى اي مظهر للاستيلاء على قطعة من تلك الامبراطورية بالقوة ... وليس اليهود ، بأية حال ، متحدين في رغبتهم لاعادة بناء جنسهم كشعب مستقل » ، كما ان « كثيرا من المذاهب المسيحية والافراد » سوف يعارضون اقامة وطن يهودي في فلسطين . واختتم لانسنغ رسالته بقوله « لست اظن اننا يجب ان نعطي اي سبب اخر غير السبب الاول ذلك انه يشكل اساسا كافيا لرفض اعلان اية سياسة بخصوص التخلي النهائي عن فلسطين » . واستنادا الى لانسنغ فان الرئيس اجاب على رسالته شفهيا في اجتماع لمجلس الوزراء في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) « قائلا انه مضطر ضد ارادته تماما لان يوافقني . ولكنه قال ان لديه انطباعا بانه قد وافق على التصريح البريطاني بخصوص اعادة فلسطين الى اليهود »(٧). ويستطيع المرء ان يستنتج من هذا الحوار ان التزام ولسون بالصهيونيين لم يكن راسخا او قلبيا ، اذ انه كان مستعدا للموافقة مع لانسنغ على نصيحته بخصوص مسألة التصريح العلني حول القضية . وقد يكون ولسون قد عمل فعلا بنصيحة لانسنغ بهذا الشأن اذ انه اخر التصريح العلني بتأييده للبرنامج الانجلو ـ صهيوني مدة تسعة اشهر اخرى . وفي هذه الفترة من الموافقة السرية والصمت العلني اعلن ولسون مبادئه الشهيرة التي قامت عليها التسوية السلمية .

لقد صنع الرئيس شهرته الدولية في ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ حين قدم الى الكونجرس الاميركي « نقاطه الاربع عشرة » التي رفض فيها حق الحصول على المكاسب الاقليمية ، وادان عقد الاتفاقات السرية ، واعلن مبدأ حق تقرير المصير للشعوب . وقد نصت النقطة ١٢ بالتحديد على ان « القوميات غير التركية » للامبراطورية العثمانية يجب ان يضمن لها « فرصة كاملة غير منقوصة للتطور المستقل » . وفي خطاب موجه في ١١ كانون الثاني (يناير) قال الرئيس ان « الشعوب والاراضي لا يجوز ان تنتقل بالمقايضة من سيادة لاخرى كما لو كانت مجرد اثاث او احجار في لعبة حتى لو كانت اللعبة الكبيرة لتوازن القوى التي اصبحت شائنة الان .. بل على العكس ، فان كل

تسوية اقليمية تتعلق بالحرب يجب ان تكون لمصلحة السكان ذوي العلاقة وفائدتهم »(٨). وفي خطاب ثالث في « ماونت فرنون » في ٤ شباط (فبراير) ، نادى ولسون بتسوية سلمية مبنية على « القبول الحر للشعوب ذات العلاقة » مطبقا هذه القاعدة من مبدأ حق تقرير المصير على الشرق الاوسط كما على اوروبه(٩). وقد وعد الحلفاء بجعل مبادىء ولسون اساس التسوية .

ويصف ارنولد توينبي مكانة ولسون في اوروبه في ذلك الوقت بانها « مذهلة » ، واعتبرها « مقياسا لامال عالمنا »(١٠). اما شعوب العالم العربي التي كانت تنتظر مكافأتها الموعودة بالاستقلال مقابل القتال بجانب البريطانيين ضد تركيه ، فقد كانت تطفح حماسا وأملا بقدر شعوب اوروبه تماما . وهكذا سيطرت شخصية رئيس المدرسة السابق على مؤتمر باريس للسلام الذي افتتح في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ . لقد كان لكلماته صدى عالمي وقوة ادبية وسياسية مهمة ، كما كان له تأثير كامن عظيم على نتائج محادثات باريس . ويمكن ان يثار ان ولسون ربما شعر ان التجاوب الحماسي العام مع نقاطه الاربع عشرة سيجرف جانبا المطالب القومية الضيقة للقوى الاوروبية المتحالفة في المناطق السابقة من الامبراطورية العثمانية ، كما سيجرف كذلك المطالب المتضاربة للرعايا العثمانيين السابقين بدول مستقلة . ولكن كلا من الحلفاء والوطنيين استغل تلك السنة ما بين اعلان النقاط الاربع عشرة وافتتاح مؤتمر السلام للبحث عن سند لادعاءاتهم ومطالبهم . ومن الحقائق الثابتة ان ولسون قد اذعن لتحركات مجموعتين من الاقليات هما : الارمن واليهود . وهكذا لعب ودرو ولسون ، وهو الاب الروحي لتقرير المصير ، دورا اساسيا في انكار حق تقرير المصير بالنسبة لغالبية الشعوب في المناطق التي ادعاها الارمن واليهود الصهيونيون .

لقد كان ولسون مهتما شخصيا بالقضية الارمنية ، وقليل من الاقناع كان كافيا لكسب دعمه لانشاء ارمينيا مستقلة في مساحة واسعة من الاناضول . اما الصهيونيون فقد كانت امامهم مهمة اصعب . وكانت هذه المهمة بالنسبة لهم مهمة عاجلة ذلك انهم ارادوا القبض على زمام الحالة قبل انعقاد مؤتمر السلام . ويبدو انهم قد ذعروا بشكل خاص من التقارير القائلة بان هيأة اميركية يهودية غير صهيونية قد اقامها هنري مورجنتو سفير الولايات المتحدة السابق الى تركيه ويهود اميركيون نافذون آخرون . وقد سعى ستيفان وايز رئيس اللجنة الاميركية المؤقتة للشؤون الصهيونية العامة (سابقا اتحاد الصهيونيين الاميركيين الذي خلف برانديس الذي استقال اثر تعيينه في المحكمة العليا واصبح رئيسا فخريا) الى استباق امتلاك المعادين للصهيونية ، وقام بتوجهات مبكرة نحو الرئيس . في ٢٧ اب (اغسطس) ١٩١٨ اجتمع وايز الى ولسون وتبع اللقاء تبادل رسائل . وقد حاول وايز ان يطمئن ولسون مذكرا اياه بان برنامج بازل الصهيوني « لا يتضمن اية اشارة الى طبيعة السيادة التي قد يوكل لها الامر » . وقال « ان تصريح بلفور كان بدوره صامتا حول هذه الناحية ، وهو لا يتضمن اي تحد للسيادة الراهنة بل يترك ذلك ليتقرر حول مائدة السلام »(١١). واذا اعتبرنا ان الصهيونيين قد شعروا انهم كانوا يملكون وعدا ثابتا بأرض في فلسطين ، فان وايز كان يحاول طمأنة ولسون بان شيئا لا يقف في طريق المناقشة والعمل بحرية في مؤتمر السلام لبحث مسألة السيادة لا مسألة تقرير المصير على الاقل ، ذلك ان تصريح بلفور واذعان ولسون كانا قد انهيا هذه القضية .

وقد رد ولسون على وايز برسالة بتاريخ ٣٠ اب (اغسطس) تحاشى فيها بدقة فائقة أي التزام رسمي لحكومة الولايات المتحدة بالبرنامج الانجلو ـ صهيوني ، ولكنه اعطى الصهيونيين تأكيدات عن « رضاه » الشخصي بشأن « تقدم الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة وبلدان الحلفاء منذ تصريح السيد بلفور بالنيابة عن الحكومة

البريطانية »(١٢) . وفي ليلة مؤتمر السلام نفسها في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ، سعى الصهيونيون للحصول على تأكيدات نهائية من ولسون . وقد استقبل الرئيس وايزمن الذي انصرف من المقابلة مدركا ان الصهيونيين قد حازوا مساندته الشخصية(١٣).

لقد حاول ولسون دوما في تعامله مع القادة الصهيونيين ان يؤكد ان تأييده لقضيتهم كان تأييدا شخصيا بحتا ، وان مثل هذا الدعم لا يلزم حكومة الولايات المتحدة ، باي شكل من الاشكال ، بسياسة معينة . وكان موقف ولسون هذا ساذجا ومنافقا بآن واحد . لربما كان ولسون قادرا على اجراء هذا التمييز بين ودرو ولسون كمدير مدرسة سابق و ودرو ولسون كرئيس تنفيذي للولايات المتحدة فيما لو كان قد رفض ان يعطي في ايلول (سبتمبر) — تشرين الاول (اكتوبر) اي راي سواء ضد او مع تصريح بلفور . عندئذ كان بامكانه ان يبلغ الصهيونيين بضمير مرتاح ، « اني اهبكم تأييدي الشخصي بما يمثله هذا التأييد » . ولكن ولسون اختار ان يربط نفسه والولايات المتحدة بتصريح بلفور . وقد كان تصرفه هذا تصرفا شخصيا لا سياسيا . كان الصهيونيون واثقين ان عطف ولسون الشخصي يمكن ان يعني مكاسب سياسية افضل لقضيتهم ، ولهذا تتبعوا هذا الرجل المفلات بلا هوادة . ولم يثبت خطؤهم .

وجاءت موافقة ولسون على تصريح بلفور ، ورسالته الى وايز ، وتأكيداته لوايزمن ، والتي كانت قد اصبحت علنية في الوقت الذي افتتح فيه مؤتمر السلام ، لترفع من مستوى التزام رئيس الولايات المتحدة بالمشروع الانجلو — صهيوني في فلسطين . لقد كان مجرد قبوله بالتصريح خرقا لمبادئه الخاصة يناقض ادانته للمعاهدات السرية وينفي مبداه بان التسوية في الشرق الاوسط سوف تبنى «على القبول الحر للشعوب المعنية». وبالزامه نفسه والولايات المتحدة بالصهيونيين حتى قبل انعقاد مؤتمر السلام ، فان ولسون قد ابعد فلسطين في الواقع عن دائرة البحث ، واكد ان الشعب الفلسطيني لن يعطى مطلقا حق تقرير المصير .

ولسون وسياسة فلسطين كدولة يهودية

حدث اذعان ولسون الثاني في مؤتمر السلام في باريس . فقد اثيرت مسالة التسوية التركية حالما وصل الوفد الاميركي الى باريس ، ذلك ان اغنام الحرب كانت موجودة في آسيا الغربية لا في اوروبه . وقد افتتح المؤتمر يوم ١٨ كانون الثاني (يناير) . وفي ٢١ منه قام مستشارو الرئيس في قسم الاستخبارات الملحق بالبعثة الاميركية الى مفاوضات السلام بتسليم الرئيس سلسلة من التوصيات . واقترحت التوصيات ، فيما يختص بفلسطين ، اقامة دولة منفصلة باشراف الانتداب البريطاني ، واوصت « بان يدعى اليهود للعودة الى فلسطين للاستقرار هناك على ان يضمن لهم المؤتمر بهذا الصدد كل مساعدة ممكنة تكون منسجمة مع حماية الحقوق الشخصية (وخاصة الدينية) وحقوق الملكية للسكان غير اليهود ، وان يؤكد لهم فضلا عن ذلك ان سياسة عصبة الامم ستكون الاعتراف بفلسطين كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع »(١٤). وقد اصبحت هذه التوصية هي برنامج عمل الوفد الاميركي والرئيس ولسون . وبصدد المسالة الفلسطينية اعطت المذكرة الصهيونيين كل ما ارادوا — واكثر بكثير . لقد كانت توصية صريحة باعطاء فلسطين هدية للصهيونيين بلا ادنى اعتبار لحق شعب فلسطين بموجب مبادىء ولسون نفسه حول تقرير المصير ، والتي كان الحلفاء قد قبلوا بها وشكلت التوصية بان يقدم « المؤتمر » للصهيونيين « كل مساعدة ممكنة » في الواقع اقتراحا بان يوسع التعاون الانجلو — صهيوني في فلسطين ليصبح تعاونا دوليا بين الحلفاء . ثم جاءت اكثر هذه التوصيات دلالة وهي القائلة بان فلسطين يجب ان يعترف بها « كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع » . وقد تجاوزت هذه التوصية تصريح بلفور

بناحيتين . الاولى ، انها اعطت الصهيونيين فلسطين بأكملها بينما ترك تصريح بلفور الالتزام الاقليمي لليهود غامضا ـ « بان يبنى في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي » . وثانيا ، اعادت المذكرة تعريف الهدف المحدد للصهيونيه في فلسطين فحولته من خلق « وطن قومي » الى بناء « دولة يهودية » . لقد جعلت هذه المذكرة امرا ملموسا ما كان تصريح بلفور قد تركه ، غامضا عن عمد .

وكانت الحكومة البريطانية قد اصرت على ان صياغة تصريح بلفور يجب ان تبقى غامضة لان البريطانيين لم يشاؤا ان يلهبوا الراي العام العربي ضدهم ، ولم يشا البريطانيون ان يعدوا بشيء قد لا يكونون قادرين او مهيأين لتنفيذه في المدى البعيد . لقد كان على البريطانيين ان يفكروا دوما بمركزهم ومصالحهم في الشرق الاوسط ، بينما لم تكن الولايات المتحدة مضطرة لذلك ، وكان بامكانها بالنتيجة ان تقترح سياسات بعيدة الاثر ومكروهة ، سياسات موجهة ضد شعب الشرق الاوسط . ويبدو ان بلفور نفسه كان مستعدا لقبول الصيغة الصهيونية التي طالبت بـ « اعادة بناء فلسطين كوطن قومي لليهود »(١٥) . بينما آثر بقية الوزراء الصياغة الاقل تجسيما والتي جرى تبنيها في النهاية ، وقد اعادت الحكومة البريطانية ، حتى الى ما بعد منتصف عام ١٩٢٣ ، تاكيد نيتها بخصوص مسائل المنطقة و « السيادة » على الوطن القومي اليهودي . وقد قال وزير المستعمرات آنذاك ، دوق ديفونشاير ، مخاطبا مجلس اللوردات « لقد ذكر المرة تلو الاخرى ان النية كانت منذ البداية ان يقام لليهود وطن قومي ، ولكن اتخذ كل احتياط للحيلولة دون تحوله ، بأية حال ، الى دولة يهودية تحت سيطرة يهودية »(١٦) .

وهذه المذكرة وثيقة ذات دلالة فهي اشارة الى المواقف والتوقعات التي تم التوصل اليها في البعثة الاميركية لمفاوضات السلام . فلم تكن هذه التوصيات فجة فحسب لان المؤتمر لم يكن قد قطع شوطا حين وضعت ، ولكنها كانت ايضا متحيزة بقوة ضد تقرير المؤتمر الموضوعي لقضية فلسطين . وقد اظهرت المذكرة ان الاميركيين لم يفكروا ضمن نطاق تشجيع خلق وطن قومي يهودي في فلسطين ، بل ضمن اطار سياسة تفضل « اعادة بناء » (حسب التعبير الصهيوني) فلسطين كدولة يهودية . ولان ولسون قبل هذه المذكرة كبرنامج عمل وفده ، فان نمط التفكير الكامن وراء التوصيات قد استمر وما زال هو اساس سياسة الولايات المتحدة اليوم . ولكن هذه لم تكن الا الحادثة الاولى التي سمح فيها ولسون لمثل ذلك التفسير المهم بان يمر بهدوء .

فقد خضع ولسون مرة ثانية مبيحا للصهيونيين ان يعطوا تفسيرهم الجديد الخاص ، الاكثر موافقة ، لتصريح بلفور . في ٣ اذار (مارس) ١٩١٩ استقبل ولسون ، بينما كان في زيارة قصيرة للولايات المتحدة ، ممثلي المؤتمر اليهودي الاميركي المؤيد للصهيونية ، الحاخام وايز ولويس مارشال . وعلى الرغم من ان الرئيس لم يصدر اي تصريح رسمي عن اللقاء ، فقد سمح بان ينقل عن لسانه قوله « انني مقتنع بان الامم المتحالفة متفقة ، بالرضا الكامل من حكومتنا وشعبنا ، بانه سوف توضع في فلسطين اسس كمنولث يهودي »(١٧) . وفي ١٣ نيسان (ابريل) استوضح وزير الخارجية لانسنغ الرئيس ولسون فيما اذا كان كلامه قد اقتبس بدقة . ورد ولسون على لانسنغ في ١٦ نيسان (ابريل) انه لم يستخدم « ايا من الكلمات المنقولة رغم انه استخدم جوهرها » . وقال ولسون ايضا ان التصريح المنسوب اليه قد ذهب ، حسب كلماته ، « ابعد قليلا مما كان ينوي » . لقد عنى (ان نعزز قبولنا المعلن بموقف الحكومة البريطانية بخصوص مستقبل فلسطين »(١٨) . اي ، بكلمات اخرى ، اعادة التصديق على تصريح بلفور . ويؤكد ستاين ان هذه الحادثة « توحي بان ولسون لم يكن يعطي المسالة الصهيونية تفكيرا جديا . والتفسير الواضح هو انه بحكم مشاغله السابقة بقضايا اخرى كانت تهمه اكثر ، كان مستعدا لان يسمح بأن توضع الكلمات في فمه »(١٩) . ومن الجائز ان ولسون

لم يستعمل كلمات « كمونولث يهودي » التي كانت خاصة بالصهيونيين ، بل انه صاغ تصريحه مستخدما كلمات مثل « دولة يهودية » ، او « الوطن القومي اليهودي » التي كانت شائعة بين الاميركيين في باريس . وأيا كان قول ولسون ، فلا شك الزم نفسه نهائيا بالموقف الصهيوني ولم ينكر او يبذل اي جهد لتصحيح الرواية الصهيونية لرسالة تأييده . وقد شكل هذا استسلاما كليا للصهيونيين . لقد فقد ولسون سيطرته على السياسة الاميركية حول المسألة الفلسطينية كنتيجة لخضوعه الثاني . ومن هنا فصاعدا أصبحت المبادرة مع أولئك الاميركيين الذين كانوا يفسرون المحاولة الصهيونية في فلسطين على انها اقامة دولة يهودية او خلق كمنولث يهودي . وقد أصبحت هذه هي السياسة الاميركية الرسمية لتحويل فلسطين الى دولة يهودية .

ولسون ومسألة تقرير المصير للفلسطينيين

ابان مؤتمر السلام اثير الموضوع المحرج المتعلق بتقرير المصير للشعب الفلسطيني ، وتعرض ولسون لضغوط مؤيدة ومعادية للصهيونية على حد سواء . وكان المعادون للصهيونية يؤلفون فريقا ذا نفوذ من الارساليات ورجال الاعمال الاميركيين الذين يملكون خبرة طويلة في الشرق الاوسط . وقد شعر هؤلاء الرجال ان التحالف الانجلو ــ صهيوني لم يكن من المصلحة الاميركية القومية إذ أن هذا التحالف سوف يجد معارضة قوية في النهاية من قبل شعب الشرق الاوسط .

في ٣٠ كانون الثاني (يناير) أقر المؤتمر ، من حيث المبدأ ، ان قوى معينة من الحلفاء (تحديدا بريطانيه وفرنسه) يجب أن تعطى الانتداب في المناطق العثمانية السابقة للسير بشعوب هذه المناطق نحو الاستقلال الكامل . وقد سعت بريطانيه بالطبع لان تعين الدولة المنتدبة على فلسطين . ولكن في ٢٠ آذار (مارس) اقترح ولسون ان تعين هيئة مشتركة من الحلفاء لاكتشاف رأي شعوب المناطق ذات العلاقة . واقترح ولسون ان تتألف هذه الهيئة من ممثلين عن بريطانيه وفرنسه وايطاليه والولايات المتحدة ، ولكن حين وصل الامر الى تعيين المفوضين فعلا لم يتقيد بذلك سوى الولايات المتحدة . واحساسا بخطر احتمال فقدان كل ما وعدوا به لم يضع الصهيونيون أي وقت . في ٢٦ آذار (مارس) زار البروفسور فيليكس فرانكفورتر من كلية القانون في هارفارد الكولونيل هاوس في باريس ممثلا للمنظمة الصهيونية . وكان هدف هذه الزيارة الحصول على تأكيدات هاوس حول موقف ولسون . كتب هاوس : « يعتقد اليهود ان بعثة الحلفاء المشتركة التي ستسافر الى سوريه تخدع يهود فلسطين » . وقد اعطى هاوس فرانكفورتر تأكيدات مفادها انه « ليس هناك مثل هذه النية » ، مشيرا الى ان تصريح بلفور لم يزل اساس السياسة الاميركية . وخرج فرانكفورتر من لقائه مع هاوس بالانطباع ان البعثة لم تكن سوى مجرد طريقة لتأجيل القرار(٢٠). وبعد تأخير كبير ومناقشة طويلة قرر ولسون ارسال الممثلين الاميركيين هنري تشرشل كينج وتشارلز كرين الى الشرق الاوسط . وكانت دوافع ولسون من وراء ارسال البعثة كما يلي : أولا ، تأجيل القرار النهائي حول الانتداب على فلسطين بتعيين بعثة استطلاع ، وهو تكتيك نموذجي مستخدم من قبل السياسيين . ثانيا ، الانحناء لرغبات الاميركيين النافذين المعادين للصهيونية . وثالثا ، اعطاء نفسه الرضا بأنه على الاقل قد استشار رأي شعب فلسطين .

زارت بعثة كينج ــ كرين فلسطين بين ١٠ و٢٥ حزيران (يونيو) ١٩١٩ ، ثم تابعت زيارتها الى سوريه وتركيه . وكتبت البعثة تقريرها ابان آخر اسبوع من آب (اغسطس)، وفي ٣٠ آب ابرقت بخلاصة للنتائج التي توصلت لها . وبصدد فلسطين أوصت برقية كرين بأن فلسطين يجب أن لا تفصل عن سوريه (كما كان يريد البريطانيون

و الصهيونيون) ، وبأن « البرنامج الصهيوني المتطرف » يجب أن « يعدل جديا » ، وبأن على اميركه أن تقبل الانتداب على سوريه الموحدة ، وبأن يعطى الانتداب لبريطانيه في حالة الرفض الاميركي(٢١) . وقد كان الممثلان في تقريرهما متشددين حول مسألة « تعديل البرنامج الصهيوني المتطرف بشأن فلسطين » والذي يتضمن « الهجرة غير المحدودة لليهود » بقصد « جعل فلسطين دولة يهودية متميزة » . وأكد المفوضان ان « وطنا قوميا للشعب اليهودي ليس معادلا لجعل فلسطين دولة يهودية ، كما لا يمكن تحقيق خلق مثل هذه الدولة اليهودية بغير افدح تعد على الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة ... » . ومن خلال لقاءات البعثة مع الممثلين اليهود ، تكررت بجلاء حقيقة ان الصهيونيين كانوا يتطلعون عمليا الى اخلاء كامل للسكان الراهنين غير اليهود في فلسطين وذلك بأشكال الشراء المتنوعة . وقد كان المفوضان واضحين تمام الوضوح بصدد رأي تسعة اعشار سكان فلسطين ، « السكان غير اليهود » ، الذين قال التقرير انهم كانوا « معادين بكل حزم للبرنامج الصهيوني »(٢٢) .

لقد أشعرت برقية كرين الرئيس ولسون مقدما بمحتوى توصيات البعثة . ولكن الرئيس لم يقرأ التقرير مطلقا ، وظلت هذه الوثيقة ، لاكثر من ثلاث سنوات ، مرمية في ملفات وزارة الخارجية في واشنطن . وقد شعر كل من كينج وكرين ان المعارضة الصهيونية ربما كانت عاملا في رفض ولسون اعلان التقرير(٢٣) . ومرة اخرى ترجمت عواطف ولسون الشخصية (أو متطلباته السياسية) الى سياسة أميركية قومية . ولكن يبدو انه لم تكن لدى ولسون النية لان ينظر جديا الى توصيات بعثته . ان مقابلة هاوس ــ فرانكفورتر التي حدثت قبل ثلاثة أشهر من ارسال البعثة الى فلسطين ، وقبل خمسة أشهر من اكتمال تقرير كينج ــ كرين ، قد أكدت بدقة ان نوايا الرئيس كانت : أن يتابع سياسته المؤيدة للصهيونية دون أي اعتبار للنتائج التي توصلت لها بعثة كينج ــ كرين . ومن الجلي أن ولسون لم يعتبر قط ان قاعدة تقرير المصير يجب أن تطبق على فلسطين . وهكذا كانت المقابلات التي نظمتها بعثة كينج ــ كرين في فلسطين وسوريه مجرد مسرحية أو مشهد للتأثير على « الوطنيين » في فلسطين ، ولتهدئة المعادين للصهيونية .

ودرو ولسون ، المحرر الاعظم أم المخادع الاكبر ؟

يمتلك الرئيس ولسون سمعة بأنه المثالي الاكبر بين الرؤساء الاميركيين . ولا شك أن ولسون لم يظهر بصدد المسألة الفلسطينية اية مثالية . فلم تكن لديه الرغبة في أن يطبق مبداه في تقرير المصير على الشعب الفلسطيني ، وكان راضيا بأن يبيح لبريطانيه والصهيونيين ممارسة سياسة صممت بوضوح لحرمان الفلسطينيين من وطنهم بأكمله ــ فضلا عن حرمانهم حق تقرير المصير . وقد رأينا ، بالاضافة لذلك ، ان قرارات ولسون حول القضية الفلسطينية كانت مبنية على علاقته الشخصية مع براندیس (والصهيونيين) فضلا عن حقائق السياسات العملية في الولايات المتحدة . لقد كان طموح ولسون الاكبر ان يلعب دورا عالميا . وبحكم كونه « ليبراليا » فقد وجد فكرة أن يصبح حامي الاقليات والشعوب المضطهدة فكرة ذات جاذبية خاصة . وقد قادت هذه الاهتمامات الرئيس لان يورط نفسه في شؤون أقليتين شرق ــ أوسطيتين : الارمن في اناضول تركيه ، واليهود في فلسطين . وقد جر تورط ولسون في شؤون هاتين الطائفتين الى كارثة للشرق الاوسط : ففي حالة الارمن ، فان الاكثرية التركية في الاناضول ذبحت وطردت هؤلاء السكان من المنطقة ذات العلاقة ، وفي حالة فلسطين طرد الصهيونيون الفلسطينيين من موطنهم . وهكذا في الحالة الاولى انتهى الشعب الذي آثره ولسون الى كارثة ، بينما في الحالة الثانية سيق الشعب الذي نسيه ، الشعب الفلسطيني ، الى المنفى .

في أوروبه طبقت قاعدة تقرير المصير بنجاح على الرعايا السابقين للامبراطوريه

النمساوية ـــ الهنغارية والامبراطورية العثمانية . واعيد رسم حدود اوروبه بحيث ان ٣ ٪ فقط من شعوب اوروبه اصبحت تعيش تحت حكم اجنبي . ولكن العكس كان هو الصحيح في الشرق الاوسط . لقد اعيد رسم الحدود ولكن لم تعط شعوب العالم العربي حق تقرير المصير بحيث يمكن القول انه حين وضعت التسوية في باريس كان كل الشعب العربي ، باستثناء ٣ ٪ ، تحت السيطرة الاجنبية . وفي الواقع فان مصير الرعايا العرب السابقين للامبراطورية العثمانية القديمة كان قد قرر حتى قبل اجتماع مؤتمر السلام : لقد انكر عليهم ابداء اي راي بمصيرهم وقسمت اراضيهم واحتلتها فرنسه وبريطانيه العظمى . ولكن اكثر نواحي تلك المناقشات التي جرت في باريس اثارة للدهشة كان استمرار الرئيس ولسون الشخصي في ربط نفسه مع ذلك الاتفاق « السري » الاخر ، تصريح بلفور ، والمشروع الانجلو ـــ صهيوني في فلسطين .

ومن الممكن ان يجادل دفاعا عن ولسون انه لم يكن مطلعا على حقائق المسالة الفلسطينية : ولكن لم تكن الحال كذلك . فالحجج ضد البرنامج الصهيوني كان قد قدمها مباشرة وبشكل كامل الى الرئيس شخص في وزن روبرت لانسنغ وزير الخارجية ، وهنري مورجنتو وهوارد بليس رئيس الكلية السورية البروتستانتية (جامعة بيروت الاميركية فيما بعد) . واذا كان الرئيس يمكن ان يدعي الجهل في خريف ١٩١٧ حين اعطى موافقته على تصريح بلفور ، فلم يكن لديه مثل هذا العذر في يناير ١٩١٩ حين انتهك كل مبادئه لدعم الصهيونيين في فلسطين .

كذلك يمكن ان يقال دفاعا عن ولسون انه ، ببساطة، اذعن للامر الواقع المتمثل بالاحتلال البريطاني والفرنسي للمشرق وما بين النهرين . وقد قيل ان الحلفاء لم يكن امامهم الخيار الا ان يسمحوا باقامة الدولة البولونية والتشيكية ودول أوروبية قومية اخرى لان القوى المتحالفة لم تكن في وضع يمكنها من رفض طلب اي من قوميات الامبراطوريات المقطعة الاوصال . اما في الشرق الاوسط ، فان القوات الفرنسية والبريطانية كانت في المنطقة منذ مدة ، ولم تكن شعوب المنطقة بقادرة على مقاومة الاحتلال . وبناء عليه يمكن ان يجادل بأن اعلان ولسون المثالي للنقاط الاربع عشرة لم يكن ليحدث اي تاثير على الوضع السياسي الذي ساد اثر الحرب العالمية الاولى ، وان التسوية السلمية باكملها قد املتها « السياسة الواقعية » اكثر مما املتها المبادىء . فلكي نقبل مثل هذه الحجج ، علينا ان نضع جانبا واقع مكانة ولسون العظيمة بعد الحرب ، والذعر الواضح الذي احدثه اعلان الرئيس عن تاليف بعثة الحلفاء المشتركة في المعسكر الصهيوني (والبريطاني والفرنسي) . وان تعليق الكولونيل هاوس على زيارة فرانكفورتر له بعد اسبوع واحد من اقتراح ولسون لتشكيل البعثة « ان اليهود يعتقدون ان بعثة الحلفاء المشتركة ... ستخدع يهود فلسطين » يظهر ما الذي كان يخشى الصهيونيون ان يفعله هذا الرئيس الاميركي المثالي ذو المبادىء السامية . ولم يكن الصهيونيون بحاجة لان يقلقوا في الواقع ، فقد كان ولسون مدينا بالفضل لبراندیس الصهيوني العميق الالتزام .

وهكذا ، بالنسبة للعرب ، لم تكن مبادىء ولسون الصداحة سوى كلام كثير ، كما جلبت سياسته الواقعية بالنسبة للفلسطينيين الكوارث . ان ولسون لم يكن في الواقع « المحرر الاعظم » بل « المخادع الاكبر » .

روزفلت وفلسطين كملجا نهائي لليهود

كان اثر تورط ولسون مع الصهيونيين ان ترك الولايات المتحدة ملتزمة بالاعتراف بفلسطين كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع . كان على ولسون ان يتصرف ازاء المطلب الصهيوني من أجل الأرض . وكانت الخطوة المنطقية الثانية ان يفي بحاجة الصهيونيين الى البشر للاستيطان في تلك الارض لكي يكون بامكانها ان تصبح « دولة

يهودية في الواقع » . وفي هذا الصدد كان الرئيس فرانكلين روزفلت مجبرا على ان يستسلم لمتطلبات الصهيونيين .

لقد نجم تورط روزفلت مع الصهيونيين عن عطفه الكبير على الضحايا اليهود نتيجة سياسات هتلر العنصرية . وبعد خمس سنوات من صعود هتلر الى السلطة في المانيه ، وقبل عدة سنوات من اكتشاف العالم للنتائج الرهيبة لسياسات هتلر ، اتخذ روزفلت المبادرة في الدعوة الى مؤتمر للبحث في كيفية التصرف ازاء مشكلة اضطهاد اليهود في المانيه . ومتأثرا الى حد معين بـ «دعاية جودا ماجنيس (عميد الجامعة العبرية)»(٢٤) ، دعا روزفلت الى مؤتمر في حزيران (يونيو) ١٩٣٨ يحضره ممثلون من الاميركيتين واوروبه ، باستثناء المانيه . وكان روزفلت آنذاك قليل الاطلاع على الصراع حول فلسطين . وقد قدر ان المؤتمر « سوف يبين للعالم غير الاوروبي الحاجة الماسة للمهاجرة وبشكل رئيسي الى فلسطين »(٢٥) . اما الحكومة البريطانية التي كانت منهمكة آنذاك بقمع تمرد فلسطيني عربي ، فقد اقلقها التفكير في كيف يمكن لمثل هذا المؤتمر ان يؤثر في احداث فلسطين . وقد جادل البريطانيون بأن المؤتمر يجب ان يهتم بجميع اللاجئين لا يهود المانيه فقط ، وان الدعوة يجب ان توجه فقط لممثلي البلدان المستعدة لقبول مهاجرين ، وان فلسطين يجب ان لا تناقش . وقد وافق روزفلت على الشروط البريطانية وعقد المؤتمر في ايفيان في فرنسه يوم ٦ تموز (يوليو) ١٩٣٨ . . وباقتراح هذا المؤتمر انعش روزفلت آمال اقليات مضطهدة عديدة سعت للخلاص من الاضطهاد في مواطنها وللوصول الى الابواب المفتوحة للبلدان التي يمكنهم اللجوء اليها . وقد بدا ، لوهلة ، ان الولايات المتحدة اخذت تخرج من عزلتها وتهتم بمشاكل العالم . ولكن اتضح بعيد افتتاح المؤتمر ان معظم الممثلين الحاضرين بمن فيهم ممثلو الولايات المتحدة ، لم يكونوا مفوضين بتقديم أية مقترحات اساسية . وكان ممثل جمهورية الدومينيكان الشخص الوحيد الذي عرض ، بالنيابة عن حكومته ، دخول عدد كبير من اللاجئين . وقد وافقت بلاده على استقبال ١٠٠،٠٠٠ لاجيء يهودي من المانيه والنمسه . اما الدول الثلاثون الاخرى التي كانت تحضر مؤتمر ايفيان فلم تقترح سوى ان تضيف بضعة آلاف اخرى الى كوتا الهجرة لديها .

ونظر الصهيونيون الى مؤتمر ايفيان بـ « لا مبالاة عدائية » . لقد كان من الممكن ان يتحمسوا فيما لو بني المؤتمر على اقتراح روزفلت الاصلي . ولكن ، حسب تعبير كريستوفر سايكس ، « الحقيقة ان ما جرت محاولته في ايفيان لم يكن متجانسا مع روح الصهيونية وليس السبب بخاف . فلو قامت الدول الواحدة والثلاثون بواجبها واظهرت حسن ضيافتها « لليهود الالمان المضطهدين » ، لكان التأكيد على الوطن القومي والحماس المتصاعد للصهيونية قد خفا »(٢٦) . لقد كانت حرية المهاجرة لليهود آخر شيء يريده الصهيونيون . فقد كان من المهم لمشروعهم ان لا تسمح أمم العالم الديمقراطية بالهجرة اليهودية . فالصهيونية تستند الى حاجة اليهود المزعومة الى ملجأ . وكان البرنامج الصهيوني يتطلب ان تكون فلسطين البلد الوحيد الذي يستطيع اليهود ان يذهبوا اليه ويشعروا فيه بالترحاب : « فاذا كانت سياستهم تستلزم العذاب فذلك هو الثمن الذي يتوجب دفعه لانقاذ الروح اليهودية »(٢٧) .

وعلى الرغم من أن روزفلت كان قد تأثر بالصهيونيين في دعوته للمؤتمر ، الا انه لا يبدو ان الصهيونيين بذلوا اية محاولة للتأثير على نتيجة اجتماع ايفيان . ولم تكن بهم حاجة لذلك . فقد تسببت المصالح الانانية ، وليس الضغط الخارجي ، للدول الحاضرة ، باستثناء جمهورية الدومينيكان بفشل مؤتمر ايفيان . ولم يذهب هذا الدرس هدرا بالنسبة لروزفلت الذي وضع كل وزنه وراء اجتماع ثان عقد في برمودا في ابريل ١٩٤٣ . « لقد كان واحدا من اكبر آمال روزفلت ان ترفع حواجز الهجرة ضد اليهود من قبل جميع الامم

بما فيها الولايات المتحدة »(٢٨)*.

كذلك كان الرئيس قد اصبح اكثر تعقدا في تعامله مع المشكلة الشائكة للهجرة اليهودية الى فلسطين : « فقد بدا من غير الامانة بالنسبة لروزفلت ان يطلب من العرب امتيازات للهجرة بينما كانت الولايات المتحدة تحتفظ بقوانينها الانتقائية الصارمة للكوتا »(٢٩). وكان هذا طبعا مناقضا على خط مستقيم للادعاء الصهيوني بأن الحل الوحيد للتشرد اليهودي يكمن في خلق دولة يهودية في فلسطين . كان روزفلت يعرف جيدا متطلبات الصهيونيين ولكن كان على الرئيس روزفلت عام ١٩٤٣ ، بخلاف ولسون عام ١٩١٧ و١٩١٩ ، ان يأخذ بعين الاعتبار المصالح الاميركية في الشرق الاوسط . ولم يكن روزفلت ليستطيع ان يؤذي مركز الولايات المتحدة او بريطانيه العظمى في العالم العربي لكون هذه المنطقة مسرحا حربيا للحلفاء . بالاضافة الى ذلك كان قد اصبح للولايات المتحدة مصالح اخرى في الشرق الاوسط عام ١٩٤٣ : نفط ، تجارة ، سياسة ، وجغرافيا استراتيجية . ولم يشأ روزفلت ان يهدد ايا من هذه المصالح بكسب عداء العرب بشأن فلسطين .

لقد كانت مسألة الهجرة اليهودية الى فلسطين وثيقة الارتباط باستقرار الشرق الاوسط وبالمجهود الحربي للحلفاء . وقد جعلت الثورة العربية الفلسطينية الحكومة البريطانية تعدل ، الى حد ما ، برنامجها القائم على البناء التدريجي لاكثرية يهودية في فلسطين بقصد الوصول الى حق تقرير مصير يهودي في ذلك البلد . لقد حدد الاقتراح الاساسي للكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ الصادر عن الحكومة البريطانية كوتا مقدارها ٧٥،٠٠٠ لاجىء يهودي للسنوات الخمس التالية (كوتا اولية مقدارها ٢٥٠٠٠ لاجىء ثم ١٠،٠٠٠ مهاجر يهودي سنويا) . ونص على ان اية هجرة يهودية اضافية بعد ذلك يجب ان تنال موافقة عرب فلسطين . وقد كان تنفيذ مثل هذه السياسة يعني بالنسبة للصهيونيين انه لن يكون بالامكان بناء اية اكثرية يهودية ، وان فلسطين لن تصبح مطلقا «دولة يهودية في الواقع». وقد وافق روزفلت على السياسة البريطانية (وتجسد ذلك في قبوله لاعادة تفسير بريطانيه للمذكرة قبل مؤتمر ايفيان) ، كما وافق ان سيلا من اللاجئين اليهود في فلسطين سيفرض تسوية نهائية في فلسطين (لقضية تقرير المصير اليهودي) قبل ان يتمكن الحلفاء من الجلوس في مؤتمر السلام وتقرير ما يتوجب عمله .

كان عدم التدخل في القضايا السياسية هو المبدأ الموجه لمؤتمر برمودا . فقد ادعي انه كان للمؤتمر دور انساني بحت يقوم به ، وبناء عليه لم يناقش الممثلون الذين اجتمعوا في برمودا قضية الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فهي قضية سياسية جدا حقا .

ولكن نظرا لاهمية الهجرة اليهودية الى فلسطين بالنسبة للصهيونيين ، فان قرار القائدين روزفلت وتشرشل اللذين دعيا للمؤتمر لبحث مسألة اللاجئين اليهود في اوروبه كجزء لا يتجزأ من مشكلة اللاجئين الكلية ، كان قرارا سياسيا ذا اهمية حاسمة . كذلك كان تهديدا رئيسيا للصهيونيين . وهكذا تعرض المؤتمر لنقد مستمر مرير من الدوائر الصهيونية ، كما ان ادارة روزفلت نفسها انقسمت حول القضية .

---

* اتبعت الولايات المتحدة سياسة تقوم على حرية الهجرة من ١٩٢٣ — ١٩٢٤ حين اصدر الكونجرس قوانين هجرة جديدة قيدت الى حد كبير الهجرة ولا سيما بخصوص اليهود والشعوب الملونة . وقد فصلت قوانين الهجرة هذه للحفاظ على التوازن العنصري القائم في الولايات المتحدة عام ١٩٢٣ . آخذين هذه القوانين بعين الاعتبار من المثير ان نلاحظ ان عدد التجمع السكاني اليهودي الاميركي ارتفع بين ١٩٠٠ و١٩١٤ من ١ الى ٣ ملايين ، وبين ١٩١٤ و١٩٢٨ (بعد اربع سنوات من التقييد) الى ٤،٢ مليون ، وبين ١٩٢٨ و١٩٤٣ الى ٥،٢ مليون . انظر

Samuel Halperin, *The Political World of American Zionism*, Detroit, 1961, p. 47.

لقد شعر الرئيس بعد مؤتمر بريمودا ان مشكلة الهاجرة اليهودية يمكن ان تحل فيما اذا رحبت القوى الكبرى بأعداد مهمة من اللاجئين . واحس ان الامم الاخرى سوف تحتذي مثال هذه المبادرة الكريمة . ولكن روزفلت عرف ان الكونجرس الاميركي سيكون ضد ان تقدم الولايات المتحدة العرض الاول ، ولهذا أرسل موريس ارنست ، وهو نفسه يهودي ، مبعوثا الى لندن لتأمين موافقة تشرشل بشأن هجرة ١٠٠،٠٠٠ يهودي الى بريطانيه . وقد شعر روزفلت انه قد يكون بامكانه ، اذا وافق تشرشل ، ان يقنع الكونجرس بأن يضادق على دخول مئة الف آخرين الى الولايات المتحدة . فقد خمن الرئيس ان الكونجرس لا يستطيع التمسك بسياساته التضييقية بصدد الهجرة في وجه النية البريطانية الحسنة نحو اللاجئين اليهود . لقد كافح روزفلت من اجل رفع جميع حواجز الهجرة . وكان يعتقد ان جميع الناس يجب ان يقبلوا بغض النظر عن العنصر واللون والدين . « ولكن حين قرر روزفلت تنفيذ هـذا البرنامج اكتشف ان الصهيونيين كانوا ضده »(٣٠) .

ونجحت مهمة موريس ارنست ، فقد وافق تشرشل على قبول المائة الف ، ولكن روزفلت لم يستطع مجاراة العرض البريطاني واهمل الاقتراح . وقد أرجع ارنست فيما بعد فشل بادرة روزفلت الى الصهيونيين مباشرة : « ... وبدا بالنسبة لي ان فشل المجموعات اليهودية [الاميركية] القائدة في مساندة برنامج الهجرة هذا بحماس ، ربما قد دفعت الرئيس آنذاك لعدم الضغط للسير قدما بذلك البرنامج »(٣١) . ويجب الافتراض ، على كل حال ، بأن روزفلت نفسه تأثر الى حد كبير بالمعارضة الصهيونية لاقتراحه . ففي هذا الموقف ، توافقت مصالح المشرعين الاميركيين في الكونجرس مع متطلبات الصهيونيين . فكلا الفريقين كان يريد استمرار القيود على الهجرة . ولو ان الصهيونيين اختاروا ، بدلا عن ذلك ، ان يمارسوا تأثيرهم في الكونجرس ، والذي لم يكن ليستهان به ، لمصلحة امتيازات اللاجئين اليهود ، لكان هناك فرصة كبيرة لان يدعم الكونجرس الرئيس . ولكن سياسة الصهيونيين كانت فلسطين أو لا شيء .

ومن الظلم القول ان اذعان روزفلت في مأزق الهجرة شكل « قرارا » بالمعنى الذي شكله اذعان ولسون في تصريح بلفور . فروزفلت انحنى لقوة كبرى ، بينما كان لدى ولسون افكار اخرى اثارها وحركها تدخل صهيوني نافذ . ولكن قبول روزفلت للحالة شكل قرارا لان روزفلت لم يثر بعد ذلك مسألة اصلاح قضية الهجرة في الولايات المتحدة ، ومسألة اتباع سياسة عامة دولية تقوم على الابواب المفتوحة فيما يختص باليهود . وتجسدت هزيمة روزفلت في سياسة فلسطين كملجأ نهائي للشعب اليهودي . وقد كانت هذه سياسة عالمية لا سياسة الولايات المتحدة فحسب ، وظهورها بسبب المصالح الانانية للدول المعنية ، كان ضربة كبرى لمصلحة الصهيونيين . ولا يمكن القول ، مع ذلك ، ان الصهيونيين هم الذين صمموا هذه الضربة بقدر ما انهم ساندوها فقط واستفادوا منها . ومنذ ذلك الوقت وما تلا اصبح بامكان الصهيونيين ان يقولوا ، بصدق ، ان فلسطين كانت هي الملجأ الوحيد لليهود ، المكان الذي يمكن ان يرحب بهم فيه بين ابناء جلدتهم وقد كانت هذه هي « الرافعة الصهيونية » ضد القيود البريطانية للهجرة في فلسطين . وبالانجرار خطوة اخرى بدافع الصهيونيين (المدعومين من الدول التي كانت ما تزال لا تريد اعدادا كبيرة من المهاجرين اليهود) ، اصبحت تلك هي سياسة « فلسطين هي الملجأ النهائي لليهود » (الذين يمكن ان يتعرضوا للاضطهاد وهم يحتاجون مثل هذا الملجأ ما دام ليس هناك احد آخر يقبل بهم) . فبالنسبة للصهيونيين ومؤيديهم كانت الهجرة الى فلسطين تقدم ، آنذاك ، الحل النهائي « للمشكلة اليهودية » . ولهذا يشكل « قرار » روزفلت او اذعانه واحدا من القرارات الاميركية الرئيسية حول المسألة الفلسطينية .

وتدلل ارقام الهجرة اليهودية على مدى اهمية ذلك بالنسبة للصهيونيين من اجل بناء

دولتهم : فقد كانت الهجرة اليهودية الى فلسطين ادنى بكثير من مستوى رقم ١٠،٠٠٠ سنويا الذي حدد في الكتاب البريطاني الابيض لعام ١٩٣٩ . فقد بلغت ٨،٣٩٨ عام ١٩٤٠ ، و٥،٨٨٦ عام ١٩٤١ ، و٣٧٣٣ عام ١٩٤٢ ، و٨،٥٠٧ عام ١٩٤٣ (وهو عام هزيمة روزفلت) . ولكن عدد المهاجرين ارتفع بشكل ملحوظ الى ١٤،٤٦٤ عام ١٩٤٤ و ١٣،١٢١ عام ١٩٤٥ ، و ١٧،٧٦١ عام ١٩٤٦ ، و ١٠١،٥٤٢ عام ١٩٤٧ . ثم ارتفعت الهجرة اليهودية بين ١ كانون الثاني (يناير) و١٤ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، وهي الاشهر الاخيرة للانتداب البريطاني ، الى ١٧،١٦٥ ، ثم اصبح الرقم بين ١٥ ايار (مايو) و ٣١ كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، بعد اعلان اسرائيل ، ١٠١،٨٢٨ . وان تدفق المهاجرين مباشرة بعد اقامة الدولة الصهيونية هو دليل على النجاح الذي حققته سياسات وضغوط المهاجرة الصهيونية . فما ان فتحت ابواب فلسطين (بينما ظلت الابواب الاخرى محكمة الاغلاق) حتى تدفق اليهود ، الذين لم يكن ليقبلهم احد آخر ، الى فلسطين . ولا شك ان ما حدث بعد ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ قد بدا للصهيونيين كتزكية كاملة لسياستهم ، هذا بينما كان تدفق اليهود بالنسبة للفلسطينيين الذين طردوا من منازلهم يعني استبدالهم الدائم . (وجدير بالذكر ان الوسيط الدولي للامم المتحدة الكونت برنادوت كتب في تقريره في ١٩٤٨/٩/١١ محذرا من مثل هذه النهاية بعد طرد الفلسطينيين ١٩٤٨) .

روزفلت وسياسة فلسطين كدولة يهودية

تجاوزت مجابهة روزفلت مع الصهيونيين قضية الهجرة . فقد كان كذلك تحت ضغط متواصل لتصديق البرنامج السياسي للصهيونيين الامريكيين الذي تمثل « ببرنامج بيلتمور » كما دعي نسبة للمؤتمر الذي اصدر البرنامج وانعقد في ايار (مايو) ١٩٤٢ في فندق بيلتمور بمدينة نيويورك . تقول الفقرة الاساسية من هذه الوثيقة المهمة : « يحث المؤتمر على ان تفتح ابواب فلسطين ، وان تخول الوكالة اليهودية الاشراف على الهجرة الى فلسطين ، وان تزود بالسلطة اللازمة لبناء البلاد بما فيها اراضيها الشاغرة وغير المحروثة ، وان تبنى فلسطين ككمنولث يهودي يشكل جزءا صميميا في بناء العالم الديمقراطي الجديد »(٣٣). ومن المثير ان نلاحظ ان كلمات « الكمنولث اليهودي » كان الصهيونيون قد استعملوها عام ١٩١٩ عندما اصدروا بيانهم حول اجتماع وايز ومارشال مع الرئيس ولسون . لقد كان استخدام كلمة « كمنولث » ذا اهمية كبرى للفكر الصهيوني لان هذه الكلمة حددت الهدف الصهيوني في فلسطين على انه اكثر من اقامة دولة يهودية . هذا الهدف كان في الواقع تاسيس وطن قومي او دولة ترعى مصالح جميع اليهود او يمكن ان تكون القيم على رفاه الطوائف اليهودية عبر جميع انحاء العالم . وحين نقل عن لسان ولسون انه كان عام ١٩١٩ قد منح تاييده لفكرة الكمنولث اليهودي، فان النتائج المترتبة على استخدام الصهيونيين لهذه الكلمات لم تكن واضحة . في العام ١٩٤٣ ، ولا سيما اثر هزيمة اقتراح روزفلت للهجرة ، كان معنى تعبير « الكمنولث اليهودي » واضحا جدا حقا . وقد اكد الصهيونيون انفسهم في برنامج بيلتمور ان تاسيس فلسطين ككمنولث يهودي سوف يحل مشكلة التشرد اليهودي . وقد بدا بالنسبة للرئيس روزفلت الذي احس بشدة بالحاجة لرفع الالام عن اليهود اللاجئين في اوروبه ، انه ليس هناك خيار الا ان يخطو خطوة باتجاه الصهيونيين . ولان روزفلت لم يكن رجل انصاف حلول ، فقد ذهب الى اخر الطريق لتلبية مطالب الصهيونيين . ولكن قبل ان يصوغ اقتراحه لتسوية المشكلة الفلسطينية ، اعطى روزفلت تاكيدات للعرب .

في نيسان (ابريل) وايار (مايو) ١٩٤٣ ، كتب ابن سعود ملك العربية السعودية الى الرئيس يحذره من المترتبات التي سيخلفها في العالم العربي تبني الولايات المتحدة سياسة دعم الجهود الصهيونية في فلسطين . وطالب الملك الرئيس بان لا يتخذ اية خطوات بصدد المسالة الفلسطينية قبل ابلاغه مقدما . وقد وعد الرئيس بانه « لا يجب التوصل

لاي قرار يغير الوضع الاساسي في فلسطين دون تشاور كامل مع كل من اليهود والعرب »(٣٤). وقد رغبت وزارة الخارجية ان تتبع التزام روزفلت الخاص نحو الملك سعود بالتعاون مع الحكومة البريطانية في اصدار تصريح رسمي بأنه « لا يجوز ان يتخذ اي قرار نهائي بصدد فلسطين الا بعد الحرب ، والا بالتشاور الكامل آنذاك مع كل من اليهود والعرب »(٣٥).

ويبدو ان آمال روزفلت باتفاق عربي ــ يهودي انبثقت عن اجتماع كان قد عقده مع وايزمن وسرد فيه الاخير اقتراحا لسانت جون فيلبي ، المستشار البريطاني للملك ابن سعود ، كان قد نال موافقة تشرشل . كان مشروع فيلبي كما يلي : « تترك كل فلسطين لليهود ، ويوطن جميع العرب الذين اجلوا في مكان اخر على نفقة اليهود الذين يضعون عشرين مليون جنيه لهذا الغرض بتصرف الملك . ويعترف بجميع البلدان العربية في آسيه كبلدان مستقلة باستثناء عدن . وتقترح بريطانيه والولايات المتحدة هذه الترتيبات على ابن سعود وتضمنانها معا في حالة الموافقة العربية »(٣٦). وقد اعتقد فيلبي ان العرب سيخدمون مصالحهم كأفضل ما يكون اذا « ... استهدفوا تعويضا يمكن احرازه على حساب حق لا يمكن انكاره »(٣٧)، وهو حق الفلسطينيين بالعيش في وطنهم. ويبدو ان وايزمن قد فاتح تشرشل حين كان وزيرا للبحرية في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٩ ، كما ناقش القضية مع روزفلت في شباط (فبراير) ١٩٤٠ ، كذلك عرض فيلبي القضية على ابن سعود عام ١٩٤٠ . ولكن لم ينتج شيء عن ذلك الاقتراح لان زعماء العالم كانوا اكثر انهماكا بادارة الحرب منهم بوضع تسوية لفلسطين ، ولم يبعث مشروع فيلبي بعد ذلك حتى عام ١٩٤٢ . وقد رفض ابن سعود المشروع مباشرة ، كما رفض الترحيب باقتراح روزفلت بان يجتمع مع وايزمن او مسؤول اخر في الوكالة اليهودية لمناقشة القضية . وقال الملك انه « لا يستطيع التحدث باسم فلسطين فبالاحرى ان لا يستطيع تسليم ذلك البلد لليهود »(٣٨).

ومرة ثانية وجد روزفلت نفسه عاجزا عن التصرف . وقد اعيد طرح اقتراح تصريح انجلو ــ اميركي يؤجل قضية فلسطين الى ما بعد انتهاء الحرب وبعد تشاور كامل مع كل من العرب واليهود . ولكن ايمانويل سيلر رجل الكونجرس الصهيوني النافذ من نيويورك اتهم المسؤولين في الادارة بانهم « ساهموا في خيانة فلسطين »، وهدد بالدعوة لتحقيق يقوم به الكونجرس « الا اذا اوقفت وزارة الخارجية معارضتها السخيفة لفلسطين كملجأ آمن لليهود » . ثم طالب سيلر بان يسعى روزفلت مع تشرشل في مؤتمر كويبك (آب ، اغسطس ، ١٩٤٣) « من اجل فلسطين كموطن لليهود »(٣٩). وقد عاد تشرشل وروزفلت فتراجعا عما نويا التصريح به حول فلسطين وقررا ان يضعا سياساتهما على اساس احداث فلسطين من شهر لاخر .

وخلال عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ تعرض الرئيس لضغط صهيوني متواصل لاصدار بيان لمصلحة برنامج بيلتمور . ولكن روزفلت كان ما زال يسعى لان يتقيد بالتزامه مع الملك ابن سعود بان شيئا لن يعمل قبل انتهاء الحرب وبدون تشاور مسبق مع الملك . وقد لعبت وزارة الخارجية دورا مهما في تأجيل اي قرار على الرغم من ان اثنين من مستشاري روزفلت المقربين وهما سمنر ولز وزير الخارجية ، وكوردل هل كانا كلاهما مؤيدين للصهيونية . خلال هذه الفترة حاول الرئيس جادا « ان تكون كل الاشياء لكل الشعب » . ومهما يكن فان سياسته لم تنجح احيانا كما في حادثة الصهيونيين وايز وسيلفر حين صاغا تصريحا ليصدر عن الرئيس في اذار (مارس) ١٩٤٤ . وقد كان ذلك النص المقترح سيلزم الولايات المتحدة بالبرنامج الصهيوني كله بما فيه قبول فكرة الكمنولث اليهودي لو لم يتجاهل روزفلت البيان الصهيوني . وبدلا عن ذلك اصدر روزفلت تصريحا عاما عن اللاجئين الاوروبيين . ولكن هذا زاد فقط الضغط الصهيوني ،

كما بدا الصهيونيون يهددون روزفلت بخسارة « الاصوات اليهودية » في انتخابات تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤ . وقد تجاوب كل من الحزبين الجمهوري والديمقراطي مع التحدي الصهيوني وذلك بأن ضمنا برامجهما الحزبية وعودا عريضة للصهيونيين في فلسطين . واحتذى روزفلت مثال حزبه فبعث في تموز (يوليو) رسالة الى السناتور واجنر من نيويورك كان عليه ان ينقل محتوياتها الى المنظمة الصهيونية : « سوف تبذل الجهود لايجاد طرق ووسائل ملائمة لتنفيذ [سياسة الكمنولث اليهودي] حالما تصبح ممكنة التحقيق . وانا اعلم منذ متى وباي حمية عمل اليهود وصلوا من اجل جعل فلسطين كمنولثا يهوديا حرا ديمقراطيا . واني لعلى قناعة بان الشعب الاميركي يمنح تأييده لهذا الهدف ، واذا ما اعيد انتخابي فسوف اساعد على تحقيقه »(٤٠). ووفقا لفرانك ايمانويل كان هذا البيان « ابتعادا مهما عن التحيات الرئاسية السابقة للصهيونيين »(٤١). فهو لم يكن مجرد تعبير عن التحبيذ او المساندة للبرنامج الصهيوني بل وعدا بان يعمل على تحقيقه .

ومهما يكن ، فان روزفلت عاد بعد الانتخابات الى سياسته « المستقلة »(٤٢) السابقة . بل انه طلب من الصهيونيين ان يوقفوا قرارات الكونجرس المقترحة لصالح البرنامج الصهيوني لفلسطين ، وفكر قبل ولايته الثالثة في « تقارب محتمل مع ابن سعود بخصوص مسألة فلسطين »(٤٣). وقد قابل الرئيس الملك بعد مؤتمر يالطا وقبل اسبوع واحد من وفاته حيث اعطى روزفلت تأكيدات اساسية جديدة لابن سعود . في ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ كتب روزفلت يقول انه « شخصيا كرئيس ، لن يفعل ابدا شيئا قد يكون معاديا للعرب » وان « حكومة الولايات المتحدة لن تجري اي تغيير في سياستها الاساسية في فلسطين دون تشاور مسبق وكامل مع كل من اليهود والعرب »(٤٤).

على الرغم من ذلك فلا يمكن ان نعتبر اعمال روزفلت « قرارات » حقيقية بالشكل الذي يمكن ان نعتبر فيه قبول ولسون لتصريح بلفور . لقد ساندت اعمال الرئيس روزفلت الخط الصهيوني القائل بانه يجب الاعتراف بفلسطين على انها الملجأ النهائي لليهود وبناؤها ككمنولث يهودي . ولكن اثر انغماس روزفلت في المسألة الفلسطينية لم يكن محسوسا ابان رئاسته بل بعد وفاته فقط ابان رئاسة هاري . اس . ترومان . والسبب في ان روزفلت لم يكمل قط اي شيء ابتداه لمصلحة الصهيونيين كان انه لم يكن مقتنعا بان المصالح الصهيونية والاميركية كانت متوافقة في الشرق الاوسط . ان كاتبا صهيونيا واحدا على الاقل ، هو جي . سي . هورويتز(٤٥)، يعتقد ان روزفلت لو عاش لاتبع في الشرق الاوسط سياسة لا تهدد مصالح اميركه القومية في المنطقة . وهذا كان يعني القول « لا » للصهيونيين . وبالنسبة للصهيونيين فيمكن ان يكون موت روزفلت من حسن حظهم .

عند هذه النقطة ، يجب ان نناقش بايجاز الرئيسين المتشابهين جدا والمختلفين جدا : ولسون وروزفلت . لقد كان الاثنان « ليبراليين » ، و« ديمقراطيين » ، و« انسانيين » ، ومثاليين . وكان لكل منهما قوة ادبية عظيمة . وكلاهما اذعن للصهيونيين في لحظات حاسمة من سعي الصهيونيين لاغتصاب فلسطين . وان ملاحظة توينبي بأن ولسون شخص آمال عصر ما بعد الحرب العالمية الاولى تلخص بشكل فعال امكانية الرجل . ولكن اذعان ولسون كان شخصيا اكثر منه سياسيا ؛ ويستطيع المرء ان يستنتج بأنه كان رجلا يفتقد الجراة الادبية .

لقد حقق روزفلت ، الى حد ما ، قدراته الكامنة خلال حياته ولم تظهر آثار تورطه مع الصهيونية الا فيما بعد . وكان الصهيوني المخلص ، ايمانويل نيومان ، حين كتب بعد بضعة سنوات من وفاة روزفلت هو افضل من استشف هذا السياسي « البراجماتي »،

ورجل الدولة البعيد النظر ، والانسان المثقف . ذكر نيومان ان صداقة الرئيسين الشخصية واهتمامه العطوف على « الشعب اليهودي » لم يعنيا انه كان لديه اي وقت للصهيونيين . وقال نيومان ان روزفلت كان لديه « شك عميق الجذور » بشأن «فلسطين يهودية » ، ووصف موقف روزفلت من المحاولة الصهيونية بانه « رافة غير متورطة » . كذلك اعترف نيومان ان الصهيونيين لم يتجرأوا ان يعملوا ضد هذا الرئيس الامريكي القوي لسببين : الاول ، لان روزفلت كان بالنسبة « للشعب اليهودي » في جميع انحاء العالم « صديقه الكبير وبطله »(٤٦). والثاني ، لان روزفلت كان في السلطة وبدا انه سوف ينتخب وانه سيكون وجها بارزا في مؤتمر السلام . وهكذا كان على الصهيونيين ، في تعاملهم مع روزفلت ، ان يعملوا بحذر واع ، ولم يجرأوا على اثارة غضبه بمعارضة سياسته بصياح عال . فمن جهة اولى نجد ان خوف الصهيونيين من روزفلت واحترامهم له اعطاه المقدرة على متابعة سياسات كان يشعر انها تخدم كافضل ما يكون المصلحة القومية الامريكية . بينما نجد من جهة ثانية ان الصورة التي كانت عليها المتطلبات السياسية لروزفلت (ولحزبه) لم تمكنه من تجاهل مطالب الصهيونيين . ففي الميدان الاول الذي جابه فيه روزفلت الصهيونيين ، وهو سياسة الهجرة ، هزمته سياسة معادية للصهيونية نتجت عن عدم رغبة الكونجرس في تبديل قوانين الهجرة التقييدية ، لا عن معارضة صهيونية . وفي هذه الحادثة اقتصر عمل المعارضة الصهيونية على مساندة موقف الكونجرس فقط . اما في الميدان الثاني ، وهو الحملة السياسية ، فقد اذعن روزفلت مؤقتا للمطالب الصهيونية لكنه استأنف بسرعة سياسته المستقلة حالما اعيد انتخابه . والحادثة الغريبة المتمثلة بقبول روزفلت لاقتراح فيلبي الى الملك ابن سعود ، تظهر الى اي مدى يمكن ان يكون روزفلت مثاليا وساذجا . ومن الواضح ان الرئيس شعر ان ذلك المشروع يمكن ان يحل ، بآن واحد ، المشكلة الفلسطينية ومسألة اين يمكن ارسال المهاجرين اليهود . لقد كان براندیس هو المفتاح لسياسة ولسون ، ولكن روزفلت لم يكن ملتزما بالصهيونيين بروابط شخصية مماثلة . وهكذا كان روزفلت حرا في ان يبذل اقصى جهده على الرغم من ان حتى اقصى جهده لم يكن كافيا ، واصبحت الولايات المتحدة ملتزمة بسياسة « فلسطين الملجأ النهائي لليهود » .

ان تنفيذ هاتين السياستين ، سياسة « فلسطين الدولة اليهودية » وسياسة « فلسطين الملجأ النهائي لليهود » ، ترك لـ هاري اس. ترومان الذي كان ، بخلاف ولسون وروزفلت ، مؤيدا راسخا للقضية الصهيونية . في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، أبلغ الرئيس ترومان باقامة دولة اسرائيل في فلسطين ، وبعد دقائق كان قد اعترف اعترافا واقعيا بالدولة اليهودية . حقا لقد اعترف بفلسطين « دولة يهودية حالما اعلنت دولة يهودية » على الرغم من ان ثلث سكانها فقط كان يهوديا آنذاك . وبين ١٥ ايار (مايو) و ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ دخل اسرائيل اكثر من ١٠٠،٠٠٠ يهودي ، وابتدأ ، بزخم ، تنفيذ سياسة الدولة اليهودية كملجأ «الشعب اليهودي» .وقد قادت هذه السياسة الى الحلول محل الفلسطينيين في وطنهم — طردهم من قبل القوات اليهودية في ١٩٤٨ — ١٩٤٩ — والى اكثر من عشرين عاما من النفي الفلسطيني .

سياسة التفوق العسكري الاسرائيلي في الشرق الاوسط

لم يتنبأ قسم الاستخبارات في البعثة الامريكية لمفاوضات السلام في مذكرته بتاريخ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ بنتائج توصيته بان يعترف بفلسطين كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع . لقد تصورت المذكرة تنفيذ عملية استبدال السكان الفلسطينيين العرب تدريجيا باليهود المهاجرين وخلق دولة يهودية في النهاية على اسس ايجاد اكثرية يهودية في فلسطين . ودفعت مقاومة الفلسطينيين لعملية اجلائهم التدريجية الصهيونيين الى اللجوء لاستخدام القوة للوصول الى هدفهم . ولان اسرائيل كانت قد ولدت بالقوة

على ارض فلسطين ، وجدت الدولة اليهودية انه يتوجب عليها حماية نفسها بالوسائل العسكرية في بيئة معادية . ولقد كانت الطريقة الوحيدة التي تستطيع اسرائيل ان تفعل فيها ذلك هي اما ان تحصل على التزام من قوة كبرى ، تحديدا الولايات المتحدة ، يضمن استمرار وجود الدولة اليهودية بوسائل التدخل العسكري لتلك القوة ، واما ان تمتلك اسرائيل التفوق العسكري على الدول العربية . لقد جوبه الرئيسان ترومان وايزنهاور بهذه المشكلة واتخذا ، بخطوتين ، القرار ببناء اسرائيل وجعلها القوة العسكرية المسيطرة في الشرق الاوسط .

كان قرار الرئيس ترومان انه لا يستطيع الزام القوات الاميركية بالقتال من اجل الصهيونيين في فلسطين . ولم يكن الرئيس على اي حال في وضع يمكنه من الزام قوات بالكفاح الفلسطيني لان مثل هذه الخطوة كانت ستكون خطوة مكروهة جدا في الولايات المتحدة التي ارهقتها الحرب . وقد اضطر ترومان الى اتخاذ هذا القرار عام ١٩٤٥ بينما كان النقاش محتدما في الولايات المتحدة بشأن الهجرة اليهودية الى فلسطين : هل ان الولايات المتحدة مهيأة ام لا لان تتحمل مترتبات الدفاع عن دخول ١٠٠،٠٠٠ لاجيء يهودي الى فلسطين ، وهي خطوة ستؤدي قطعا الى صدام . وقد عبر الرئيس عن انطباعه علنا اثر عودته من مؤتمر بوتسدام ، بانه « يتطلب نصف مليون جندي اميركي لحفظ السلام في فلسطين »(٤٧). وفي النهاية لم تكن القوات الاميركية مطلوبة لاقامة الدولة اليهودية ، ولم تحل مسألة كيفية المحافظة على هذه الدولة الا في رئاسة دوايت دي. ايزنهاور .

عندما ابتدأ الجنرال ايزنهاور حملته من اجل الرئاسة ، كانت اهم مشكلة تواجه الولايات المتحدة هي الحرب الكورية . وقد خاض حملته على اساس انه سينهي الحرب في آسيه بأقصى سرعة ممكنة ويعيد الجنود الاميركيين الى وطنهم . ولم يكن هناك مجال لان يلزم ايزنهاور القوات الاميركية بأن تخوض حربا اخرى في آسيه ، ولو لمصلحة الصهيونيين ، على الرغم من ان الدولة الصهيونية الحديثة الولادة لم تكن تتطلب في الواقع تدخلا عسكريا مباشرا لصالحها ضد جيرانها . وعوضا عن ذلك طالب الاسرائيليون والنواب الصهيونيون الاميركيون ، باستمرار ، بمعونة من الاسلحة الاميركية .

وعلى اية حال ، فلم تبدأ حكومة الولايات المتحدة الاميركية تدرس جديا احتمال تزويد الاسرائيليين بكميات كبيرة من السلاح الا في عام ١٩٥٥ . حدث هذا في عام ١٩٥٥ عندما زود الاتحاد السوفياتي مصر بتجهيزات عسكرية بعد ان رفضت اميركة ان تفعل ذلك . وأرعبت صفقة الاسلحة السوفياتية ــ المصرية بشكل خاص وزير الخارجية الاميركية جون فوستر دالاس . ودفع هجوم القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية على مصر في اكتوبر نوفمبر ١٩٥٦ ، وزير الخارجية لان يعيد النظر في التوجه الاميركي بصدد عدم الاستقرار في الشرق الاوسط. في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٧، قدم الرئيس ايزنهاور في رسالته الى الكونجرس مقترحات لسياسة اميركية شرق ــ اوسطية جديدة. وطالب بقرار مشترك لمجلسي الشيوخ والنواب يخول الرئيس اتخاذ خطوات لمحاربة « الرغبات المفترسة للشيوعية الدولية » في الشرق الاوسط . اما الاقتراح المتعلق بالعلاقات الاميركية ــ الاسرائيلية فقد اوصى بان تتكفل الولايات المتحدة بتقديم المعونة العسكرية لاي بلد يطلب مثل هذا العون . وقد وافق الكونجرس وظهر الى الوجود ما يسمى بـ « مبدأ ايزنهاور » . وبموجب مبدأ ايزنهاور بدأت الولايات المتحدة تزود اسرائيل بكميات هامة من التجهيزات العسكرية بقصد الحفاظ على « توازن القوى » في المنطقة، وهو التوازن الذي كان يعني في الواقع اختلالا في التوازن العسكري لصالح المليوني اسرائيلي ضد المائة مليون عربي في الشرق الاوسط وشمال افريقيه .

وقد أصبحت هـذه هي سياسة السيطرة الاسرائيلية العسكرية التي تابعهـا الرئيس جون اف. كينيدي الذي اعطى الاسرائيليين صواريخ « هوك » الاميركية فضلا عـن تجهيزات اخرى ، ثم تابعها الرئيس ليندون بي. جونسون الذي وعد اسرائيل بأحدث طائرات « فانتوم » الاميركية المقاتلة القاذفة ، ثم تابعها الرئيس ريتشارد ام. نيكسون الذي سلم حتى الان طائرات «الفانتوم» واعطى قرضا بـ ٥٠٠ مليون دولار للحفاظ على تفوق اسرائيل العسكري في الشرق الاوسط .

ولربما كان قرار ايزنهاور ـ دالس عام ١٩٥٧ بتزويد اسرائيل بالاسلحة اكثر القرارات الاميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين اهمية ، واكثرهـا خطورة قطعا . والـدول العربية لا تستطيع ان تسمح لاسرائيل ، وهي الدولة الغربية ، بالسيطرة على الشرق الاوسط ، كما لا تستطيع الشعوب العربية ان تنسى ان اسرائيل قد اقيمت على حساب الشعب الفلسطيني . وهكذا ، وما دامت اسرائيل موجودة ، فان عليها ان تكافح لان تعيش في بيئة معادية ، وسوف يندلع القتال من وقت لاخر ـ كما حدث في عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ـ ، وسيكون عـلى الولايات المتحدة ان تحافظ عـلى السيطرة الاسرائيلية العسكرية في الشرق الاوسط .

لنتفحص الان بايجاز كيف اتخذ هذا القرار كي نقارنه بالقرارات المتخذة من قبل ولسون وروزفلت . لقد اتخذ قرار تنمية تفوق اسرائيـل العسكري على خطوتين تفصل بينهما عشر سنوات ، واتخذه رئيسان مختلفان كانا عضوين في حزبين سياسيين مختلفين . في حالة ترومان ، لم تكن مساهمته في سياسة التفوق الاسرائيلي نتيجة مساندته للقضية الصهيونية في فلسطين بل لانه لم يكن في وضع يمكنه من ارسال قوات اميركية للقتال في آسيه . ويمكن الجدال في الواقع بأن ترومان كان مـن الممكن ان يلزم القوات الاميركية بالقتال لصالح الصهيونيين فيما لو كان ذلك ممكنا آنذاك . اما في حالة ايزنهاور ، فقد جاء قراره ببيع الاسلحة لاسرائيل نتيجةخوف اميركه من تزايد قوة السوفيات ونفوذهم في الشرق الاوسط ، لا بسبب كون ايزنهاور مؤيدا لاسرائيل بشكل خاص . ومن الوقت الذي قام فيه بمساهمته في سياسة التفوق الاسرائيلي العسكري ، كان الرئيس ايزنهاور منهمكا في تأمين الانسحاب العسكري الاسرائيلي من سيناء المصرية . وهكذا يبدو ان النفوذ الصهيوني كان ضئيلا جدا في حالة القـرار الاميركي الرئيسي الثالث بشـأن فلسطين .

نتائج

حاولت في هذا البحث ان اصف القرارات الاميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين التي اتخذهـا اربعة رؤساء اميركيـين مختلفين ، وشكلت مقومـات السياسة الاميركية الفلسطينية . وبالنسبة لمراقبي الوضـع الراهن في الشرق الاوسط ، هناك نتيجتـان رئيسيتان تستخلصان من هذا التحليل للتورط الاميركي في مسألة فلسطين .

النتيجة الاولى ، هي ان التزام الولايات المتحدة بالدولة اليهودية يستند على فكرتـين : اولاهما ان فلسطين يجب ان « يعاد تشكيلها » كوطن قومي للشعب اليهودي ، وثانيتهما ان الحل الوحيد لمشكلة « التشرد اليهودي » يوجد في فلسطين . وقد ضمنت هـاتان الفكرتان في السياسة الاميركية من قبـل الرئيسين ولسون وروزفلت لاسباب مختلفة جدا : ضمنها ولسون لانه شعر انه كان مدينا لقاضي المحكمة العليا لويس برانديس الصهيوني الغيور ، وروزفلت لانه ظن انه لا توجد وسيلة اخرى لتخفيف آلام اللاجئين الاوروبيين اليهود الا بمساندة هجرتهم الى فلسطين . واتخذ ترومان الخطوة الاولى نحو بناء اسرائيل على انها القوة المتفوقة في الشرق الاوسط لانه ، مثل روزفلت في مسألـة الهجرة اليهودية ، ظن انه لا يوجد امامه خيار اخر . وكان ايزنهاور اكثر اهتماما بمعادلة

ميزان القوى السوفياتي — الاميركي منه بمتطلبات اسرائيل العسكرية .

هكذا يجب ان نفهم الالتزام الاميركي باسرائيل كما هو بالفعل : التزام خاص اتخذه رؤساء افراد تجاوبا مع مطالب اللحظة . بالنسبة لولسون كان براندیس هو القوة المقررة . بالنسبة لروزفلت كان المفتاح هو رجال الكونجرس الاميركيين من حماة العزلة . وبالنسبة لترومان وايزنهاور كان احجام اميركه عن القتال نيابة عن الشعوب الاخرى هو العامل الاهم . وفي اي من هذه الحالات لم تكن الكليشهات القديمة مثل « الاصوات اليهودية » و « النفوذ الصهيوني في اوساط الاعلام » و « الصداقات » في البيت الابيض هي القوى وراء القرارات المتخذة . وقد وضع التزام ولسون الاولي بالصهيونيين ، نتيجة للنفوذ الصهيوني المباشر ، الولايات المتحدة على خطها الموالي للصهيونية في الشرق الاوسط ، وهو خط كان مستحيلا على الرؤساء اللاحقين تبديله . لقد كان النفوذ الصهيوني السياسي والمالي والاعلامي عاملا رئيسيا في ابقاء الرؤساء الاميركيين في المجرى الذي رسمه ولسون ، ولكن يجب ان لا ننسى ان الصهيونيين لم يكونوا هم القوة وراء جميع القرارات الاميركية المتعلقة بالسياسة الفلسطينية . والحقيقة البسيطة المتمثلة بان هؤلاء الرؤساء ، ثلاثة ديمقراطيين « ليبراليين » وواحد جمهوري محافظ ، قد انحازوا الى الجانب الصهيوني يجب ان تكون كافية لتجعلنا نتوقف ونلقي نظرة ثانية على السياسة الاميركية .

اما النتيجة الثانية ، فهي ان السياسة الاميركية ازاء فلسطين لم تكن سياسة حقيقية في الواقع ، وانها شكلت سلسلة من القرارات السياسية الآنية اتخذها رؤساء افراد ، وان هذه القرارات قد بنيت على مصالح قصيرة الاجل وحتى شخصية ، وان توجه الولايات المتحدة الكلي بصدد فلسطين كان ضد المصلحة القومية الاميركية . وقد عالج هذا البحث طبيعة القرارات التي اتخذها الرؤساء الاميركيون وحاول ان يظهر كيف ولماذا اتخذت هذه القرارات ، ولكننا لم نتفحص المصلحة القومية الاميركية . واهم نقطة في هذا الصدد هي انه لا يمكن خدمة مصلحة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط اذا ما كان الرؤساء الاميركيون يساندون الصهيونيين ضد رغبات شعوب الشرق الاوسط ومصالحها . هذه النقطة برهنت عليها نتائج تأييد الولايات المتحدة للصهيونيين في فلسطين : انتفاضات واسعة في فلسطين ، ثلاث حروب محلية في الشرق الاوسط منذ اقامة دولة اسرائيل ، نهب شعب كامل ونفيه ، عدم استقرار في البلدان العربية ، سباق تسلح شرق — اوسطي ، ظهور النفوذ الشيوعي السوفياتي والصيني في الشرق الاوسط . وهكذا لم يكن سجل السياسة الاميركية الفلسطينية سجل نجاح . وقد يبدو انه يتوجب على الولايات المتحدة ان تنمي السلام والاستقرار والتطور الاقتصادي والمؤسسات السياسية الشعبية في الشرق الاوسط ، بدل الحرب وعدم الاستقرار والمأساة والمجابهة بين القوى الكبرى . وبعد ، على الرغم من المحاولة التي بذلها روزفلت ، فان المصلحة القومية الاميركية لم تؤخذ ابدا بعين الاعتبار في صنع السياسة الفلسطينية .

---

١ — Leonard Stein, *The Balfour Declaration*, London 1961, pp. 194-97.

٢ — Christopher Sykes, *Two Studies in Virtue*, London 1953, p. 133.

٣ — شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٤٢٣ .

٤ — Frank E. Manuel, *The Realities of American - Palestine Relations*, Washington 1949, pp. 175-76.

٥ — شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ١٩٧ .

٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٨٨ .

٧ — **المصدر نفسه** ، يشك شتاين في الحديث المتبادل بين ويلسون ولانسنغ ، كما ورد على لسان الاخير ، ولكنه يقر بالتأخير من قبل ولسون حول اصدار تصريحه العلني بتأييد البرنامج الانجلو — صهيوني .

٨ — Henry Cattan, *Palestine, the Arabs and Israel*, London 1969, p. 15n.

١ — Quoted in Harry N. Howard, *The King-Crane Commission, An American Inquiry into the Middle East*, Beirut 1963, p. 13.

١٠ — Arnold J. Toynbee, *A Study of History*, Abridgement of Vols. 1-VI by D. C. Somervell, London 1946, p. 552.

١١ — شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٥٩٥ .

١٢ — مانويل ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٦ .

١٣ — شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٥٩٥ .

١٤ — هوارد ، **المصدر السابق**، ص ١١ — ١٢ .

١٥ — شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٥٥٣ .

١٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٥٦ .

١٧ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٩٦ .

١٨ — هوارد ، **المصدر السابق** ، ص ٣١ .

١٩ — شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٥٩٦ .

٢٠ — هوارد ، **المصدر السابق** ، ص ٣٧ .

٢١ — **المصدر نفسه** ، ص ٢١٨ .

٢٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٣٥٠ .

٢٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٣٠٩ .

٢٤ — سايكس ، **المصدر السابق** ، ص ١٩٥ .

٢٥ — **المصدر نفسه** ، ص ١٩٥ .

٢٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

٢٧ — **المصدر نفسه** .

٢٨ — Richard B. Stevens, *American Zionism and U. S. Foreign Policy (1942-1947)*, New York 1962, p. 45.

٢٩ — **المصدر نفسه** .

٣٠ — **المصدر نفسه** ، ص ٧١ .

٣١ — **المصدر نفسه** ، ص ٧١ — ٧٢ .

٣٢ — Samuel Halperin, *The Political World of American Zionism*, Detroit 1963, Appendix VI, p. 331.

٣٣ — ستيفنس ، **المصدر السابق** ، ص ٤ .

٣٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٣ .

٣٥ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٤ .

٣٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٤ — ٧٥ .

٣٧ — **المصدر نفسه** .

٣٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٦ .

٣٩ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٧ .

٤٠ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٣ — ٨٤ .

٤١ — مانويل ، **المصدر نفسه** ، ص ٣١٢ .

٤٢ — ستيفنس ، **المصدر السابق** ، ص ٨٥ .

٤٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٧ .

٤٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٩ .

٤٥ — J. C. Hurewitz, *The Struggle for Palestine*, New York 1950.

٤٦ — ستيفنس ، **المصدر السابق** ، ص ٩٣ — ٩٤ .

٤٧ — **المصدر نفسه** ، ص ١٣٣ . الحاخام سيلفر في رسالة الى السناتور واجنر .

٤٨ — John C. Campbell, *Defense of the Middle East*, New York, 1960, p. 122.

صدر عن مركز الابحـــاث

كتـــاب

في التوسع الصهيوني

بقلم

خالد قشـــطيني

باللغة الانجليزية

٢٣٧ صفحة

٨ ليرات لبنانيـــة

تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي

٢٥٠ ق.ل. في اوروبة ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العـــالم

عصبة مكافحة الصهيونية في العراق

عبد القادر ياسين

مع التهاب القضية الفلسطينية واندفاعها السريع الى السطح في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، بادر الحزب الشيوعي العراقي بتكليف مجموعة من أعضائه اليهود بتكوين منظمة لمكافحة الصهيونية . وكي نتمكن من الالمام بملابسات تكوين هذه المنظمة ، والدور الذي قامت به ، لا بد من معرفتنا بموجز مختصر لتاريخ الحزب الشيوعي العراقي من جهة ، ووضع الطائفة اليهودية في العراق من جهة اخرى .

الحزب الشيوعي العراقي* : كانت أول حلقة ماركسية في العراق ، تلك التي ظهرت في بغداد عام ١٩٢٢ ، وهي عبارة عن حلقة ضيقة من الشباب ، التفت حول حسين الرحال ، الذي كان قد تلقى تعليمه في استانبول ، وزار روسيا القيصرية ، حيث شهد قيام الثورة البلشفية فيها . ودرس الرحال النظرية الماركسية . ونجحت تلك الحلقة من الشباب الماركسي في اصدار جريدة « الصحيفة » ، عام ١٩٢٥ ، واصدرت منها خمسة أعداد . ثم سرعان ما اختفت الصحيفة ، وهجر الاعضاء حلقتهم . وفي عام ١٩٣٢ ، بدأ يوسف سلمان يوسف في تنظيم بعض خلايا شيوعية في الناصرية . وفي مارس (اذار) ١٩٣٤ ، تأسست في بغداد « لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار » ، كتنظيم يجمع الشيوعيين العراقيين . واصبح عاصم فليح أول سكرتير للحزب الشيوعي العراقي . وفي يوليو (تموز) عام ١٩٣٥ ، أصدر الحزب الشيوعي « كفاح الشعب » كجريدة سرية للحزب . وقد تعرض الحزب ، منذ قيامه ، لضربات متوالية من الحكومات العراقية المتعاقبة . واصبح « فهد » وهو الاسم السري ليوسف سلمان يوسف ، سكرتيرا عاما للحزب ، بعد أن هجر عاصم فليح العمل السياسي ، عام ١٩٣٦ . وتوالت الانقسامات في صفوف الحزب . ففي عام ١٩٤٢ تزعم ذو النون ايوب أول انشقاق في الحزب ، واصدر المنشقون جريدتهم السرية « الى الامام » ، في حين استمر الحزب في اصدار صحيفته السرية « الشرارة » والتي كان قد أصدرها بدلا من كفاح الشعب ، اعتبارا من عام ١٩٣٨ . وبعد ستة أشهر من هذا الانشقاق ، قاد عبد الله مسعود القريني ، الانشقاق الثاني عن الحزب . واصدر المنشقون جريدة « الشرارة الجديدة » السرية . وفي أوائل ١٩٤٤ عقد الحزب مؤتمره الاول ، حيث اقر فيه ميثاقه الوطني ونظامه الداخلي . وعشية انعقاد المؤتمر ، انشق داود الصايغ عن الحزب مكونا « رابطة الشيوعيين العراقيين » ، واصدر صحيفة سرية باسم « العمل » . واستبدل الحزب اسم صحيفته السرية ، باسم « القاعدة » . وفي الاسبوع الاول من يناير (كانون الثاني) عام ١٩٤٧ ، القي القبض على مجموعة كبيرة من « رابطة الشيوعيين العراقيين » ، وبعدها بخمسة أيام اعتقل فهد وبعض اعضاء قيادة الحزب ، واصدرت المحاكم العراقية حكمها باعدام فهد وبعض اعضاء القيادة ، الا ان الحكم سرعان ما الغي تحت ضغط جماهير الشعب العراقي ، وان كانت الحكومة العراقية قد استغلت الاحكام العرفية التي كانت قد أعلنتها عام ١٩٤٨ ، بحجة حماية ظهر الجيش العراقي الذاهب

الى فلسطين ، واعدمت فهد ، واثنين آخرين من اعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي ، هما حسين الشبيبي ، وزكي بسيم . ونفذ حكم الاعدام في الثلاثة صبيحة الرابع من فبراير (شباط) عام ١٩٤٩ . وقد عادت للحزب وحدته عام ١٩٥٦ بفضل مبادرات السكرتير العام للحزب آنذاك ، حسين الرضى ، المعروف باسمه الحركي ، سلام عادل .

وللحزب الشيوعي العراقي تراثه النضالي سياسيا واجتماعيا ، وطنيا وطبقيا . وهو التراث الذي يعترف به حتى خصومه . ومنذ تكوينه ، كان للحزب الشيوعي العراقي موقفه الواضح العميق من القضية الفلسطينية ، وقد دأب الحزب على التفريق بين الصهيونية واليهودية ، وعلى المطالبة « بالغاء الانتداب البريطاني على فلسطين وجلاء الجيوش عن فلسطين وتشكيل دولة ديمقراطية مستقلة كحل صحيح »(١).

وقد انشأ الحزب بعض المؤسسات العلنية كحزب التحرر الوطني ، ودار الحكمة للطباعة ، وصحيفة الاساس ، و « عصبة مكافحة الصهيونية » وصحيفتها « العصبة ». والمؤسستان الاخيرتان هما موضوع دراستنا هذه .

الطائفة اليهودية في العراق : كان اليهود يشكلون أقلية فعالة في العراق ، ساهمت في الانشطة السياسية والثقافية والاقتصادية للبلاد . ومنذ منتصف القرن التاسع عشر ، أولت بريطانيا واميركا المزيد من اهتمامها ليهود الشرق الاوسط ، ومن بينهم يهود العراق ، بغية استخدامهم قاعدة استعمارية في المنطقة ، وكان هذا الاهتمام قد اتى بعد تطور الرأسمالية العالمية وتلهفها على الشرق الاوسط لاحتلاله واستنزاف موارده وخيراته ، واستغلال موقعه الاستراتيجي الهام في حراسة الطريق المؤدي الى المستعمرات البريطانية في الشرق الاقصى . وتحت ضغط بريطانيا وامريكا ، اصدرت الامبراطورية العثمانية تشريعات عديدة ، منح اليهود بموجبها ما يشبه الاستقلال الذاتي ، وتضمنت حق اليهود في التمثيل بمجلس المبعوثان العثماني . وقد كان لليهود وضع اقتصادي متميز في العراق . وبخروج العثمانيين من العراق ، بعد اندحارهم في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ، تبدل النظام السياسي في العراق ، ونصب فيصل بن الحسين ملكا على العراق . وشارك ممثلو الطائفة اليهودية في المجلس التأسيسي العراقي . ونص الدستور العراقي لعام ١٩٢٥ ، على ان لليهود ما لباقي طوائف وأفراد الشعب العراقي من حقوق وواجبات . كما نص الدستور على أن يكون لليهود اربعة اعضاء في مجلس النواب ، وعضو آخر في مجلس الشيوخ ، وزيدت هذه النسبة في وقت لاحق الى ستة نواب ، وظل هذا النظام معمولا به حتى الغي في عام ١٩٥٢ بقرار وزاري . وشاركت الطائفة اليهودية في بعض الوزارات العراقية . واستوزر ساسون حزقيل في عدة وزارات . كما ساهم أبناء الطائفة اليهودية في النشاط السياسي في العراق ، وانضوت اقسام منهم تحت لواء الحزب الوطني الديمقراطي والحزب الشيوعي العراقي ، بعد ان جذبتهم مبادىء هذين الحزبين الداعية للتسامح ووحدة الشعب العراقي بكامل طوائفه ، دونما تفريق بين طائفة واخرى .

وحسب احصاء أجرته الحكومة العراقية عام ١٩٤٧ ، بلغ عدد أفراد الطائفة اليهودية نحو ١١٨ الف نسمة . وبعد تكوين اسرائيل ، عام ١٩٤٨ ، وبالتواطؤ مع الدوائر الاستعمارية ، بدأت حكومة نوري السعيد في ترحيل أبناء الطائفة اليهودية الى اسرائيل بعد أن اسقطت عنهم الجنسية العراقية ، بموجب القانون رقم ١ لسنة ١٩٥٠ ، الذي جاء فيه ، في مجال تبرير اصداره ، أن الحكومة العراقية قد اتخذته « للتخلص من طائفة بغيضة المشاكل » . أما اليوم فلا يتعدى حجم الطائفة اليهودية في العراق ٣٠٠٠ نسمة .

عصبة مكافحة الصهيونية

مارست الحكومات العراقية المتعاقبة ـ خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) اقصى ما يمكنها من اشكال القهر والارهاب ضد الشعب العراقي . واستمرت حكومة مزاحم الباجه‌جي في ممارسة ارهابها وكبتها للحريات العامة ، من خلال القوانين الاستثنائية والاحكام العرفية ، حتى بعد انتهاء الحرب . وفجأة خرج الامير عبد الاله ، الوصي على عرش العراق آنذاك ، على الاوساط السياسية العراقية ، بخطاب القاه في اعضاء البرلمان العراقي في السابع والعشرين من ديسمبر (كانون الاول) لعام ١٩٤٥ ، ضمنه سماحه بتأليف احزاب سياسية في العراق « التي لم يصح بقاء البلاد خالية منها »(٢) . واستقالت حكومة الباجه جي ، في اعقاب خطاب الوصي ، وحلت محلها حكومة توفيق السويدي ، التي تعهدت في منهاجها بـ « الغاء الادارة العرفية ... وسد المعتقل والافراج عن المعتقلين ، ورفع الرقابة على الصحافة ... وفسح المجال لتأسيس الاحزاب السياسية »(٣) . وقد استقبلت الاوساط الشعبية والسياسية العراقية حكومة السويدي ومنهاجها بارتياح ظاهر . وخلال عام ١٩٤٦ اجازت حكومة السويدي خمسة احزاب هي الوطني الديمقراطي ، والاستقلال ، والاتحاد الوطني ، والشعب ، والاحرار . ورفضت في الوقت نفسه السماح لحزب التحرر الوطني بممارسة نشاطه ، متذرعة باعتناقه المبادىء الشيوعية .

وفي هذا الجو وبمبادرة من الحزب الشيوعي العراقي ، جرى تأسيس « عصبة مكافحة الصهيونية » عام ١٩٤٥ . وقد أوكل الحزب مهمة تأسيس العصبة ليهودا صديق ، عضو اللجنة المركزية للحزب ، ويوسف هارون زلخة ومسعد قطان ، وابراهيم ناجي ، ويعقوب فرايم ، ونعيم شوع ، ويوسف زلوف ، وكلهم اعضاء في الحزب الشيوعي العراقي ، ومن ابناء الطائفة اليهودية في العراق . ويقول يهودا صديق بأن المذكورين عقدوا عدة اجتماعات صاغوا خلالها برنامجا ونظاما داخليا للعصبة . وعندما أجيزت العصبة من قبل الحكومة العراقية ، تألفت هيئة ادارية ، تراسها يوسف زلخة ، وهيئة رقابة برئاسة يهودا صديق ، وتنحصر مهمة الهيئة الثانية في مراقبة مقررات الهيئة الادارية ومتابعة تنفيذها(٤) .

لقد كانت الطائفة اليهودية بحاجة الى تمتين صلتها وتحقيق اندماجها بالشعب العراقي . واقناع العراقيين بانعدام الرابطة والصلة بين الطائفة اليهودية في العراق والحركة الصهيونية . وبعد حظر العصبة ، واعتقال قادتها ، أكد يوسف زلوف ، في التحقيق الذي أجرته معه المباحث العامة العراقية ، على أهمية وضرورة التضامن بين جميع الطوائف الدينية ، التي تؤلف الشعب العراقي بما يعود بالفائدة على مجموع الشعب(٥) . أما احتضان الحزب الشيوعي ، دون غيره ، لفكرة اقامة عصبة مكافحة الصهيونية ، فيردها زلوف الى كون الحزب الشيوعي « المنظمة الوحيدة العاملة في هذا الحقل »(٦) . ويعني به حقل التضامن بين مختلف الطوائف الدينية .

اهداف ونشاط العصبة : اصدرت عصبة مكافحة الصهيونية العديد من الكراسات والكتب ، كما نشرت برنامجها بشكل واسع . كما عقدت الكثير من الاجتماعات والمؤتمرات الجماهيرية في مقرها بالكرخ . واخذت تصدر جريدتها « العصبة » ، عن دار الحكمة للطباعة ، التي تمتلكها العصبة نفسها .

وقد نشرت جريدة « العصبة » مقالات متتابعة ، شرحت وعمقت فيها اهداف العصبة ، ثم جمعت هذه المقالات في كتيب ، واصدرته بعنوان « نحن نكافح في سبيل من ؟ وضد من نكافح ؟ » وفي هذه المقالات فصلت العصبة الدين اليهودي عن الصهيونية ، واكدت على ارتباط الثانية بالاستعمار العالمي ، وعلى رأسه الاستعمار الامريكي ، كما أشارت

العصبة في كتبها الى ان « اليهود قضية منفصلة عن قضايا شعوبهم » . واعتبرت عصبة مكافحة الصهيونية ، الحركة الصهيونية عميلا للامبريالية وأداة لها . كما اعتبرت « الفاشية والصهيونية توأمين لبعضهما واحدة هي العنصرية » . وأوضحت العصبة ان عداءها للصهيونية هو « في سبيل اخواننا اليهود » ، ولكون الصهيونية تخلق وتروج الفتن والعداء والعنصرية بين اليهود والشعب العربي ، بما يصرف هؤلاء واولئك عن النضال لانجاز القضايا الوطنية الكبرى « الاستقلال والسيادة الوطنية ، والجلاء ، وانهاء التدخل الاجنبي » . اما « الوطن القومي لليهود » فالعصبة تعلن عداءها له، لانه « يفرق بين اليهود ومواطنيهم في الوطن الواحد ، ولانه يستهدف شطر فلسطين العربية عن جسم البلاد العربية وأفناء شعبنا العربي » . وتحت عنوان « الصهيونية رأسمالية استعمارية » قالت العصبة في كراسها ، أن الصهيونية تتلون أمام اليهود بما يلائم ويرضي كل فئة منهم « فهي دينية امام المحافظين ، وقومية امام الشباب المتحمس ، واشتراكية أمام العامل » . وتنفي العصبة كل هذه الصفات عن الصهيونية « فدينها نفاق ورياء ، وقوميتها عنصرية اعتدائية ، واشتراكيتها انتهازية » . واكدت ان الصهيونية تطمع فقط في اغراق الاسواق بالبضائع ، لتضرب الصناعة الوطنية وتسيطر على التجارة . وفسرت العصبة في كراسها ، تبني الاستعمار للصهيونية ، لكون الاخيرة اداته في قلب الوطن العربي . واشارت الى أن الاستعمار الامريكي ـ الذي ينشط لوراثة الاستعمار البريطاني في فلسطين ـ يحتضن ، هو ايضا ، الصهيونية للغرض نفسه . واعتبرت العصبة غياب الديمقراطية عن بلدان الوطن العربي عاملا منشطا للصهيونية في البلاد العربية . وطالبت العصبة ، في كراسها ، بضرورة اشراك المنظمات الشعبية في الكفاح من اجل طرد الاستعمار البريطاني ، الذي أوجد الصهيونية في فلسطين(٧) .

وفي مصر استشهد أحد الكتاب المصريين بما كان قد ورد في بيان للعصبة ، من ان « الصهيونية لا تحل ، بالمرة ، مشكلة ستة عشر مليونا من اليهود ، بل ان المشكلة اليهودية ليست سوى جزء ، لا يتجزأ ، من نضال الشعوب كافة ، على اختلاف اديانها ، في سبيل حريتها وديمقراطيتها »(٨) .

وفي عدد اخر منها ، نشرت مجلة « الضمير » القاهرية خبرا عن اصدار « عصبة مكافحة الصهيونية » بيانا « كشفت فيه عن الاساليب التي يأتيها اليهود لجعل فلسطين وطنا لهم ، ومزاحمة العرب فيها والحلول التي يجب اتباعها لمحاربة هذه الاساليب ، حفظا لحقوق العرب في وطنهم الشرعي ، وهذه النشرة موجهة الى ابناء الجيل العربي والى الجامعة العربية لما فيها من الحلول العملية والسلمية »(٩) .

وفي الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٤٥ ، أصدرت عصبة مكافحة الصهيونية بيانا بمناسبة « يوم وعد بلفور » ، كما سمته ، واعلنت في بيانها « باسم يهود العراق استنكارها لهذا الوعد واحتجاجها عليه » . واكدت العصبة في بيانها ان الامبريالية تهدف من وراء وعودها للشعوب الضعيفة الى « تثبيت نفوذها وزيادة امتيازاتها واثقال نيرها على رقاب تلك الشعوب » . وضربت العصبة مثلا بوعود بريطانيا للعرب ابان الحرب العالمية الاولى ، والمتضمنة عهدا بمنح البلاد العربية استقلالها ، كما اشارت العصبة الى معاهدة سايكس ـ بيكو ، المعقودة بين حكومتي فرنسا وبريطانيا ، والتي قسمت الدولتان الاستعماريتان ، بموجبها ، البلاد العربية فيما بينهما . وتنتقل العصبة للحديث عن وعد بلفور ، فترى أن الاستعمار يستطيع « أن يتكرم بفلسطين مئات المرات طالما أنها ليست بلاده ، وطالما انه يجد في ذلك ربحا له ومغنما » . وطالب بيان العصبة الشعوب العربية بالنهوض « لرد عاديات الاستعمار عنها » . وترى العصبة ان غاية الاستعمار وعميلته الصهيونية من وعد بلفور هي تحويل « نضال العرب الموجه ضد

الاستعمار نحو جماهير اليهود ، وبذلك تخلق منهم حاجزا يختفي وراءه الاستعمار ، فيحافظ على امتيازاته ويستمر في استغلاله ، وفي التطفل على دماء الشعوب العربية » . وترى عصبة مكافحة الصهيونية في « الدموع التي يذرفها المستعمرون على مصلحة اليهود ... دموع التماسيح ، لانهم لو كانوا حقا يعطفون على اليهود لعاملوهم معاملة طيبة في أوروبا » . وعادت العصبة لتؤكد في بيانها « أن حل المشكلة اليهودية يتم بحل مشكلة البلدان التي يعيش فيها اليهود . اما (حل) فلسطين ، فهو فضلا عن أنه لا يحل المشكلة اليهودية ، فهو اعتداء صريح غاشم على حقوق الشعب العربي » . واستنكر اعضاء العصبة في بيانهم ، باعتبارهم «يهودا وعربا في الوقت نفسه» وعد بلفور واحتجوا عليه . ودعوا مواطنيهم « الى النضال من أجل استقلال فلسطين استقلالا تاما ، وتأليف حكومة ديمقراطية عربية فيها ، ومنع الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وايقاف انتقال الاراضي الى الصهاينة »(١٠) .

وفي فبراير (شباط) عام ١٩٤٦ ، اصدرت عصبة مكافحة الصهيونية بيانا « الى الراي العام العربي والديمقراطيين جميعا» ذكرت فيه بما كانت قد رددته قبلئذ من « ان مشكلة فلسطين يجب أن تفصل عن المشكلة اليهودية ، لان المشكلة الاولى ما هي الا مشكلة شعب يناضل في سبيل حريته واستقلاله ، فاذا كانت المشكلة اليهودية لا تربط بمشاكل الشعوب المناضلة الاخرى ، فلماذا اذن تربط بمشكلة الشعب الفلسطيني العربي المناضل ؟! » كما أعاد البيان الى الاذهان ما كانت العصبة قد طالبت به من « استقلال فلسطين ومنع الهجرة ... وان قضية فلسطين لا تحتاج الى تحقيق ، فهي واضحة وضوح الحق ، خصوصا وقد مر ما يزيد على ربع قرن والحكومة البريطانية دائبة على (لجان تحقيق) و (هيئات تحقيق) ولما ينته (التحقيق) » . وتؤكد العصبة في بيانها أن « هذا (التحقيق) لن ينتهي ما لم تأخذ فلسطين العربية ــ تعاونها الشعوب العربية ــ حقها اخذا ، وتنتزع استقلالها انتزاعا . لان الاستعمار البريطاني وكل استعمار آخر قد علمنا بأن سماءه لا تمطر غير النار والدمار » . وكرر البيان ما كانت الهيئة المؤسسة للعصبة قد ذكرته في مذكرتها للحكومة العراقية ، تلك التي طلبت فيها اجازة نشاط العصبة ، والتي جاء فيها « ان المشكلة اليهودية لا يمكن أن تحل الا بقيام نظم ديمقراطية في الاقطار التي يستوطنها اليهود في العالم » . وأن « ليس يهود العراق وحدهم يناهضون الصهيونية ويقاومونها ، بل هنالك منظمات يهودية كثيرة في مختلف انحاء العالم تناهض الصهيونية وتقاومها ايضا » . ونددت العصبة في بيانها بقرار الحكومة البريطانية القاضي « بالسماح والهجرة لـ ١٥٠٠٠ مهاجر شهريا الى فلسطين » . ورات العصبة في هذا القرار استهتارا من الاستعمار البريطاني بوعوده وتعهداته ، كما « يعد استهتارا بوجود لجنة التحقيق نفسها واعترافا بعدم اهميتها » . وتقصد العصبة هنا لجنة التحقيق الانجلو ــ امريكية ، التي شكلتها بريطانيا وامريكا للتحقيق في امكانات فلسطين على استيعاب المهاجرين اليهود ، وفي اسباب الاضطرابات في فلسطين ، وتقديم ما تراه اللجنة مناسبا من الحلول ، وقد ندد بيان العصبة « بالاعمال الارهابية التي يقوم بها عملاء الاستعمار البريطاني والامريكان » . وترى العصبة أن هذه الاعمال الارهابية هدفها « ذر الرماد في العيون ، كي يقدموا حجة للاستعمار البريطاني ليحشد قوات كبيرة في فلسطين ، ظاهرها مقاومة هذه الاعمال الارهابية ، وجوهرها ضرب الحركات التحريرية في البلدان العربية كافة ، خصوصا وان المطالبة بجلاء القوات الاجنبية عن جميع البلاد العربية أصبح شعار العرب في العراق ومصر وسوريا ولبنان » . ودلل بيان العصبة على صحة هذا الاستنتاج بمقال كانت قد نشرته جريدة « دافار » الصهيونية بفلسطين ، جاء فيه « أن هذه القوى البريطانية لم تحشد في فلسطين من اجل الشعب اليهودي ، وقد اثبتت التجارب ان فرقة واحدة تكفي لاقتحام مستعمرتين في يوم واحد . ان هذه القوات البريطانية الكبيرة قد حشدت هنا لحاجات بريطانية ، ونحن نعترف بحق هذه

الحاجات ، ومستعدون للاهتمام بها ومساعدتها في تأديتها . كما يطلقا أكثر من مرة « اننا نعترف بالعلاقة بين مصير الامبراطورية وبين مصيرنا ، ونعترف بهذه الشركة ونريدها . ولكن هذه لم تحشد من أجلنا والحق يقال » . وأكد بيان عصبة مكافحة الصهيونية « ان العرب لا يمكن أن يحصلوا على حرياتهم واستقلالهم الا بالاعتماد على أنفسهم وبالتعاون مع قوى الشعوب المعادية للظلم والاستعمار » . وأنهت العصبة بيانها بدعوة رؤساء الحكومات العربية الى قضية فلسطين في مجلس الامن والمطالبة بالغاء الانتداب على فلسطين ، ومنحها استقلالا تاما(١١) .

كما أرسلت العصبة مذكرتين ، أولاهما لرؤساء الحكومات العربية والثانية لامين الجامعة العربية العام ، ونددت العصبة في المذكرتين بلجنة التحقيق الانجلو امريكية ، مؤكدة انها « ما هي الا ستار مهلهل يختفي وراءه الاستعماران البريطاني والامريكي ، بقصد القيام بهجوم جديد لدعم الصهيونية وتثبيت أقدام الاستعمار في فلسطين وباقي البلاد العربية »(١٢) . ثم أصدرت العصبة بيانا الى الجماهير العربية حول اللجنة المذكورة ، أشارت فيه الى أن الاستعمارين الانجليزي والامريكي قد عمدا — قبل أن تنتهي لجنة التحقيق من (تحقيقاتها) — الى تنفيذ خططهما الاستعمارية « فقد اقر البرلمان الامريكي الهجرة الى فلسطين ونقضت بريطانيا كتابها الابيض ، وسمحت بالهجرة الى فلسطين » . ونبهت عصبة مكافحة الصهيونية الى المؤامرة البريطانية الرامية الى تقسيم فلسطين ، اذ يقول بيانها ان بريطانيا « تسعى الان لتسطر فلسطين ، لتقيم في شطر منها دولة صهيونية وقاعدة عسكرية لها في قلب البلاد العربية » . وأكدت العصبة عجز لجنة التحقيق الانجلو — امريكية « عن القيام بتحقيق عادل محايد في قضية فلسطين وعجزها عن اصدار حكم يمس جوهر القضية ، وهو وجوب الغاء الانتداب البريطاني ، وتأليف حكومة وطنية ديمقراطية في فلسطين » . ويشير البيان الى « ان يهود العراق يعتقدون اعتقادا جازما بأنهم جزء لا يتجزأ من الشعب العراقي » وانهم « يرون في الدعوة الصهيونية ، أداة تهديم لانها تدعو الى اثارة الحقد العنصري والمذابح » . وأشارت العصبة في بيانها الى « أن الزعماء الصهاينة كشفوا بشهاداتهم امام لجنة التحقيق الانكليزية — الامريكية عن صلاتهم الوثقى بالاستعمارين الانكليزي والامريكي ، وعن حقيقة رؤوس الاموال الاجنبية الهائلة التي تستثمر العامل اليهودي في فلسطين ، وعن استعدادهم — بل والحاحهم — بطلب استمرار الانتداب البريطاني على فلسطين وبوعودهم بتوظيف رؤوس اموال اجنبية طائلة في المشاريع الصهيونية » وانهم بذلك « لم يستطيعوا اخفاء الصفة الطبقية الاعتدائية للصهيونية » . وأشار بيان العصبة الى ما كان قد صرح به العالم الامريكي اليهودي اينشتاين من أن اللجنة الانجلو — امريكية « ستار من الدخان يحجب وراءه الدسائس الاستعمارية الانكليزية الامريكية » . وانهم البيان الحركة الصهيونية بأنها تنظم الحملات الارهابية في فلسطين ، لخلق المبرر لبريطانيا كي تحشد قواتها في فلسطين بحجة المحافظة على الامن . وانهت العصبة بيانها بدعوة الشعب العراقي الى مقاطعة لجنة التحقيق هذه . ويرى بيان العصبة « أن حل قضية فلسطين لن يتم الا عن طريق توحيد نضال الشعوب العربية ، واعتمادها بالدرجة الاولى على كفاحها الوطني المشترك ، وعلى رفع قضية فلسطين الى مجلس الامن للتحقيق في ١ — الغاء الانتداب ، واستقلال فلسطين استقلالا تاما . ٢ — تمكين الشعب الفلسطيني من تأليف حكومة وطنية ديمقراطية تضمن مصالح وحقوق جميع سكان فلسطين الحاليين دون تمييز في العنصر والدين »(١٣) .

وبعد صدور بيان اللجنة الانجلو — امريكية ، نظم الحزب الشيوعي العراقي ، وحزب التحرر الوطني وعصبة مكافحة الصهيونية تظاهرة نددت بالبيان الاستعماري ، واصطدمت التظاهرة بقوات الجيش ، التي جلبتها الحكومة العراقية لتفريق

المتظاهرين بالقنوه(١٤). وكان ذلك في اواخر مايو (ايار) ١٩٤٦ . مما دفع الحكومة العراقية الى اصدار أمر بتعطيل صحيفة « العصبة » لمدة سنة . وفي مذكرة وجهتها عصبة مكافحة الصهيونية الى رئيس جمعية الصحفيين ببغداد ، اعتبرت العصبة قرار التعطيل هذا « بادرة سيئة لها عواقبها الوخيمة على الصحافة العراقية » . وأكدت مذكرة العصبة « ان للاستعمار والصهيونية دخلا قد حمل السلطات على اصدار قرار التعطيل ، استنادا الى الوشايات الملفقة التي روجها ويروجها اذناب الاستعمار والصهيونية ضد عصبتنا ، وضد جميع الصحف الوطنية الحرة ، لغرض ايقاف الحملة الوطنية المثارة اليوم في سبيل فلسطين العربية ، في سبيل طرح قضيتها على مجلس الامن ، في سبيل اتخاذ اجراءات فعالة ضد المعتدين ، وفي سبيل الجلاء ، والقضايا الوطنية الاخرى ، وفي سبيل كشف المؤامرات والدسائس التي تحيكها الجهات الاستعمارية ضد قضية التحرر العربية الوطنية » . ونددت المذكرة بقرار التعطيل ، مؤكدة « ان تعطيل الصحف الوطنية معناه كم افواه الشعب . معناه تجريده من اداة فعالة توجه نضاله . معناه ترك البسطاء من ابناء شعبنا فريسة الدعايات الاجنبية الخبيثة التي تحاول صرف انظار شعبنا عن قضاياه الملحة — التحررية والعمرانية — وتمزيقه بالتفرقة والمشاحنات الطائفية والعنصرية وغيرها » . وتشير مذكرة العصبة الى « النتائج السيئة التي تتعرض لها حركتنا الوطنية ... والخسارة المادية التي تلحق بالصحفي من جراء التعطيل » وتستنكر المذكرة وقوع « هذه الاهانة على الصحافة الوطنية » . وتنهي العصبة مذكرتها، بطلب تأييد جمعية الصحفيين العراقيين ومساعدتها « من أجل الغاء قرار التعطيل الجائر ... وفي سبيل وضع حد لمثل هذه الاحكام الادارية ضد الصحف الوطنية »(١٥).

وسارعت الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني العراقي بارسال مذكرة احتجاج الى رئيس وزراء العراق ، ضد تعطيل صحيفة « العصبة » وضد مهاجمة الشرطة العراقية للوطنيين ، وتنديدا بمنع الحكومة العراقية للاضراب السلمي الذي كان قد دعا اليه حزب التحرر الوطني العراقي ، تأييدا لفلسطين . واشارت مذكرة حزب التحرر الى أن الدستور العراقي قد صان الحريات الشخصية. كما أشارت الى اطلاق الوزارة العراقية الحريات ، وتستهجن المذكرة لكونها لا تجد من « هذا العهد سوى الرجوع الى الاساليب البالية في الحكم » . واستنكرت مذكرة الحزب العراقي مهاجمة الشرطة العراقية للهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني التي كانت قد دعت « الهيئات الوطنية للتداول بشأن اقامة مظاهرة سلمية في سبيل فلسطين » . كما نددت المذكرة بهذه « الاجراءات غير القانونية » وطالبت « بايقاف هذه الاجراءات التعسفية غير القانونية ، واطلاق الحريات الديمقراطية » . وقد حملت المذكرة توقيعات كل من سالم عبيد النعمان المحامي — محمد علي الزرقا — يوسف هارون زلخة — محمد حسين أبو العيس المحامي — مهدي عبد الرزاق المحامي — حسين محمد الشبيبي — علي شكري — وعبدالكريم الصفار(١٦).

ماذا بقي منها للتاريخ ؟ تقاس أهمية الحدث أو العمل — أي حدث أو عمل — بمدى عمق تأثيره في الحياة الفكرية والمادية والسياسية للمجتمع . وتقول مجلة ماركسية مصرية ، في تقييمها لعصبة مكافحة الصهيونية ، ان العصبة قد فضحت « بكفاحها السياسي الواعي ، وبالتأييد الذي نالته من الجماهير العراقية ، مواقف الحكومة العراقية المترددة ازاء مشكلة فلسطين »(١٧).

وبعد اعتقال قادة العصبة ، في يونيو (حزيران) ١٩٤٦ ، كتب اثنان منهم ، هما يوسف هارون زلخة — رئيس العصبة ، ومحمد حسن ابو العيس عضو هيئتها الادارية ، كتبا احتجاجا ، منعت الحكومة العراقية زملاء المعتقلين من ارساله — برقيا — الى امين عام الجامعة العربية ومختلف الصحف والهيئات التقدمية في الاقطار العربية . وحصلت

« الفجر الجديد » القاهرية على نص المذكرة ، ونشرتها(١٨) . وتحوي المذكرة احتجاجا على تعطيل صحيفة « العصبة » وعلى اعتقال قادة عصبة مكافحة الصهيونية ، ومهاجمة مطبعة دار الحكمة واعتقال سكرتير العصبة ومحاسبها « لمجرد اصدارنا كراسا يفضح الصهيونية وسيدها الاستعمار » . كما تحتج « على اعتقال أربعة اعضاء من جمعيتنا لمجرد تقديمهم عريضة احتجاج على اعتقالنا » . ورأت المذكرة ان « عمل الحكومة العراقية هذا لا يفيد غير الصهاينة والاستعمار ، أرادت أم لم ترد » . واشارت المذكرة الى « ان الاستعمار والرجعية استاءا من بعث الحياة الحزبية واستاءا من عصبتنا بصورة خاصة » . ثم استعرضت مذكرة قادة العصبة انجازات عصبة مكافحة الصهيونية ، التي تسببت في استياء الاستعمار والرجعية ، وحصرتها فيما يلي : « ١ ــ قاطعت لجنة التحقيق الانكلو ــ امريكية ، وفضحت الاغراض التي تألفت من أجلها هذه اللجنة ، وقد صرح لنا معالي وزير الداخلية السابق باستياء الحكومة من موقفنا من لجنة التحقيق . ٢ ــ طالبنا بعرض قضية فلسطين على مجلس الامن ، بينما يريد الاستعمار وتريد الحكومة العراقية حصر هذه القضية في ذمة الحكومة البريطانية ، صاحبة الانتداب وخالقة الصهيونية . ٣ ــ طالبنا بعدم الاعتراف بالانتداب على فلسطين ، وبالوعد الذي قطعته بريطانيا للصهاينة بشكل عملي ، وذلك بعدم الاعتراف بحكومة الانتداب وبقطع العلاقات معها ، وغلق الحدود في وجه الجيش البريطاني المتنقل بين العراق وفلسطين . ٤ ــ طالبنا ان ينظم الدفاع عن فلسطين على أساس شعبي ، يعتمد على قوانا الداخلية وعلى حقنا الدولي وأن تنبذ السياسة القديمة التي سارت عليها الحكومات العراقية وهي سياسة (حسن الظن بالمستعمرين) وانتظار حل مشاكلنا الوطنية على ايدي (لجانهم التحقيقية) وموائدهم المستديرة ! ٥ ــ طلبنا دعوة المنظمات الشعبية الديمقراطية في البلاد العربية جميعها الى عقد مؤتمر لتنظيم الدفاع عن فلسطين ، بشكل يضمن اشراك جماهير الشعب في النضال الفعلي المجدي من اجل تحرير فلسطين والبلاد العربية . ٦ ــ عقدنا خلال أقل من ثلاثة اشهر ، اجتماعات شعبية عامة من أجل تحرير فلسطين ، أكثر مما عقد في العراق خلال العشر سنوات الماضية . وحضر هذه الاجتماعات الالوف من المواطنين المتحمسين الذين اشتركوا ، فعلا ، في أكثر القرارات التي اتخذتها العصبة . ٧ ــ زعزعنا النفوذ الاستعماري والغمناه في أهم قاعدة اجتماعية يستند اليها ، وهي (الاقليات) الدينية والقومية التي طالما استغل وجودها للتفريق بين صفوف الشعب الواحد ولاستخدام طائفة ضد اخرى . فالنعاث العصبة من الوسط اليهودي ضربة للاستعمار الانكلو ــ امريكي ــ الصهيوني ، الذي نصب نفسه حاميا ومدافعا عن يهود العالم . ٨ ــ احتلت جريدتنا (العصبة) ، منذ أول صدورها ، منزلتها المحببة المرموقة عند جمهور القراء الذين ساعدوها وآزروها وعملوا على نشرها ، حتى أوشكت ان تحتل المكان الاول ــ ان لم تحتله فعلا ــ بين الصحف المحلية من حيث المادة وكمية المطبوع . ٩ ــ أوضحت (العصبة) في مقالاتها القضية الفلسطينية بشكل علمي واقعي ، وجردتها من جميع ما علق بها من تشويهات وتلفيقات المستعمرين ، وعرت الصهيونية واظهرتها على حقيقتها ، كحركة استعمارية عنصرية واداة للاستعمار الانكلو ــ امريكي . وفضحت أغراض الاستعمارين الامريكي والانكليزي ، والروابط التي تربطهما بالصهيونية . كما فضحت العوامل المساعدة والمشجعة للصهيونية . ودعت الى توحيد جهود المواطنين في جبهة موحدة لمكافحة الاستعمار والصهيونية » .

وبعد ، لعل من الامور غير المستهجنة أن تصدر حكومة نوري السعيد حكمها بالسجن المؤبد على يوسف هارون زلخة ، بدعوى انه يترأس عصبة للكفاح من اجل الصهيونية ، لا ضدها . نعم ، هكذا فسرت حكومة الطاغية اسم العصبة التي كافحت الصهيونية ، والى هذه الدرجة وصل الامر بالحكومة العراقية التي فعلت ذلك ، في الوقت الذي رحلت

فيه مائة وثلاثين الف يهودي من العـــراق الى اسرائيل ، في عامـــي ١٩٤٩ و١٩٥٠ وتقاضت ـــ فيما قيل ـــ عشرة دنانير عن كل مهاجر يصل الى اسرائيل !

* لمزيد من التفاطيل راجـع **تاريخ الاحـزاب السياسية في العراق ١٩٤٦ ـــ ١٩٥٨** ، رسالة ماجستير ، لعبد الرزاق المطلق الفهد ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٠ . وراجع مقالنا « الاحزاب الشيوعية العربية وقضية فلسطين » الصادر ضمن كتاب **المقاومة الفلسطينيـــة ـــ الواقـــع والتوقعات** ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، تموز (يوليو) ١٩٧١ .

١ ـــ الشرطة العامة ، التحقيقات الجنائية ، **موسوعة سرية خاصـــة بالحزب الشيوعـــي السوري** ، ١٩٤٩ ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ . ولمزيد من التفاصيل عن اوضاع اليهود في العراق ، راجع **يهود البلاد العربية** ، تاليف الدكتور علي ابراهيم عبده وخيرية قاسمية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧١ .

٢ ـــ نشرت الصحف العراقية نص الخطاب يوم ١٩٤٥/١٢/٢٨ .

٣ ـــ جريدة **الزمان** البغدادية ، ١٩٤٦/٣/٨ ، أوردها الفهد في رسالته ، ص ١٤ .

٤ ـــ الفهد ، **المصدر السابق** ، ص ٤٦ .

٥ ـــ الفهد ، **المصدر السابق** ، ص ٤٧ .

٦ ـــ الشرطة العامة ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٨ .

٧ ـــ رسائل العصبة **نحن نكافح في سبيل من ؟ وضد من نكافح ؟** مطبعة دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٤٦ ، ص ٣ .

٨ ـــ مجلة **الضمـــير** القاهرية ، العدد ٢٧٤ ، ١٩٤٥/١٠/١٧ ، من مقال (لن تمروا) ، بقلم خيري محمود ، ص ١ .

٩ ـــ **المصدر السابق** ، العدد ٢٧٥ ، ١٩٤٥/١٠/٢٤ ، ص ١١ .

١٠ ـــ مجلة **الفجر الجديد** القاهرية ، العدد ١٣ ، السنة الاولى ، ص ٨ .

١١ ـــ **المصدر السابق** ، العدد ٢٢ ، ١٩٤٦/٢/٢٠ ، ص ١٤ .

١٢ ـــ **المصدر السابق** ، العـــدد ٢٨ ، السنة الاولى ، ١٩٤٦/٤/٣ ، ص ٢ .

١٣ ـــ **المصدر السابق** ، العدد نفســه ، والصفحة نفسها .

١٤ ـــ **المصدر السابق** ، العدد الثامن والثلاثون ، السنة الثانية ، ١٩٤٦/٦/١٢ ، ص ٢٤ .

١٥ ـــ مجلة **ام درمان** القاهرية ، العدد ٢٧ ، ١٩٤٦/٧/١ ، ص ١٨ .

١٦ ـــ **المصدر السابق** ، العدد نفسه ، ص ٢ و١٨ .

١٧ ـــ مجلة **الفجر الجديد** القاهرية ، من مقال (صوت العراق ـــ في شرقنا العربي موجـــات اضطهاد !) العدد ٤١ ، السنة الثـــانية ، ١٩٤٦/٧/٣ ، ص ٧ .

١٨ ـــ **المصدر السابق** ، العدد نفسه ، ص ١٨ و١٩ .

المجلس الاميركي لليهودية

دراسة في البديل اليهودي للصهيونية

بقلـــم

الدكتور اسعد رزوق

من منشورات مركز الابحاث في م.ت.ف.

ص.ب ١٦٩١ ، بيروت

٢٦٦ صفحة

٢ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في اوروبـــه ، ٢٥٠ ق.ل. في سائـــر الـــدول

الطبقة العاملة الفلسطينية واليهودية وتنظيماتها (١٩١٨ ــ ١٩٣٩)

عمار الطالبي

على كثرة الدراسات والابحاث التي تناولت تاريخ القضية الفلسطينية وتطوراتها ، مع تعدد الكتابات التي انصرفت لدراسة هذا القطاع الجماهيري او ذاك من الشعب الفلسطيني ، وهذا الحزب او ذاك ، فان الطبقة العاملة العربية في فلسطين ، وتنظيماتها السياسية والنقابية ، لم تحظ بعد بالاهتمام الكافي تاريخا وتقييما . واكثر من ذلك فان تاريخ الطبقة العاملة وتطورها وتعابيرها السياسية والاجتماعية والثقافية ، لم يكتب بعد . وما زال الغموض يكتنف قطاعا جماهيريا اخذ تاثيره بالاتساع سياسيا واجتماعيا وعدديا وخاصة في العقد الرابع من هذا القرن وحتى كارثة ١٩٤٨ .

وكانت « شؤون فلسطينية » قد نشرت في العدد الخامس (تشرين الثاني ١٩٧١) « ملاحظات حول اوضاع الطبقة العاملة العربية في فلسطين في عهد الانتداب » وتنشر هنا مقالا اخر يتناول ذات الموضوع من جوانب اخرى . بيد ان « شؤون فلسطينية » ما زالت تعتقد ان هذا الموضوع بحاجة الى مزيد من الدراسة والمتابعة التاريخية ، ولا يمكن لمقالة او اثنتين ان تقول الكلمة الاخيرة فيه . لذلك تدعو المطلة النقابيين الفلسطينيين الذين كانت لهم تجربة عملية في النقابات العربية في فلسطين قبل ١٩٤٨ ، والباحثين والكتاب العرب الى متابعة كتابة تاريخ الطبقة العاملة الفلسطينية ومؤسساتها واوضاعها ، وبتقديم الوثائق والشهادات المتصلة بهذا الموضوع في هذه الفترة او تلك .

شكلت فلسطين والشرق الاوسط عموما جزءا من عالم المستعمرات ، نظرا الى ان التخلف كان يترجم نفسه في مستوى الانتاجية المنخفضة ، بالقياس الى انتاجية البلدان الصناعية ، ولم يبلغ متوسط دخل الفرد في الشرق الاوسط في عام ١٩٣٩ اكثر من ربع او سبع متوسط الدخل بالنسبة الى الغرب . هذا الفارق يتجلى ايضا في تراوح الاجور ، فالمهاجرون اليهود الغربيون يفرضون ويحصلون على اجور تتناسب مع مستوى الحياة في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، اي على اجور مرتفعة جدا قياسا الى الاجور المدفوعة في المنطقة . ان العمال اليهود الذين ينافسون اليد العاملة المحلية الاكثر رخصا ، كانوا مضطرين الى مقاومة استخدام العمال العرب في فروع النشاط الاقتصادي اليهودي ، الامر الذي ادى الى تشكل اقتصاد يهودي مغلق ، ومن ثم بدون منافسة فعالة من الاقتصاد العربي القائم الى جانبه .

بسبب مركزة رؤوس الاموال والنسبة المرتفعة من العمال المختصين في القطاع الاقتصادي اليهودي ، فان « اليشوف » كانت تساهم في عام ١٩٤٤ بـ ٥٩٫٧ ٪ من الدخل القومي في البلاد ، رغم انها تمثل اقل من ثلث السكان ، ان حصة التجمعات السكانية اليهودية كانت اكثر ارتفاعا في غالبية القطاعات الاقتصادية ، وخاصة القطاعات

الحديثة منها مثل الصناعة والتجارة والبناء والمواصلات . وبشكل عام كان متوسط الدخل للفرد قد وصل عام ١٩٤٤ الى ٣٠٠ جنيه فلسطيني عند اليهود مقابل ١٦٥ جنيها فقط عند العرب كما يبين ذلك الجدول رقم ١ (١).

جدول رقم (١)

متوسط الدخل للسكان العرب واليهود بالجنية الفلسطيني (١٩٤٤)

الفروع	اليهود	العرب
الزراعة	٣٧٩	١٣٤
الصناعة	٣٦٤	٢٥٤
البناء	٣٠٠	١٤٥
الجيش	١٢١	١٢١
الاستخدام المدني والعسكري	١٧١	١٠٤
النقل والمواصلات	٤٠٠	٢٣٣
التجارة والمال	٣٧٠	٢٣٨
البوليس والادارة	٢٢٥	١٥٠
متفرقات	١٢٤	١٨٢
المتوسط	٣٠٠	١٦٥

وما من شك ان سلطات الانتداب البريطاني كانت تمارس تحيزا واضحا بصدد المطالب الصهيونية المتعلقة بمضاعفة معايير اجور العاملين اليهود . كما ان العمال اليهود من ذوي الاصل الاوروبي كانوا متجمعين في الهستدروت ، على العكس من العمال العرب وجزء من العمال اليهود الشرقيين الذين كانوا عموما غير منظمين وخاصة في فترات الانتداب المتقدمة . ومن ثم لم يكن الاخيرون قادرين على الحصول على اجور معادلة . ان التفاوت الهائل في اجور كلا المجموعتين (العربية واليهودية) يماثل بشكل واضح مع التفاوت في الاجور بين الاوروبيين والسكان الاصليين في المستعمرات (راجع جدول رقم ٢) .

جدول رقم (٢)

الاجور اليومية المدفوعة للعمال الراشدين (ذكور) بالمليمات الفلسطينية لعام ١٩٣٥

نوع العمل	العرب واليهود الشرقيون	اليهود الاوروبيون
١ — العمل الزراعي		
عمال حراثة الارض	٨٠ — ١٢٠	٢٥٠ — ٤٠٠
قاطفو البرتقال	١٢٠ — ٢٠٠	٢٢٠ — ٢٢٥
٢ — العمل الصناعي		
عمال المحاجر (المهرة)	٢٠٠ — ٣٠٠	٤٠٠ — ٦٠٠
عمال المحاجر (غير المهرة)	١٠٠ — ١٤٠	٣٥٠ — ٤٠٠
عمال البناء (المهرة)	٥٠٠ — ٦٠٠	٦٠٠ — ٧٠٠
الفعلة	١٠٠ — ١٨٠	٣٥٠ — ٤٠٠
٣ — المصالح الحكومية		
عمال رصف الشوارع	١٢٠ — ٤٠٠	٢٥٠ — ٥٠٠
الفعلة	٧٠ — ٢٠٠	١٢٠ — ٤٠٠

Le Sionisme Contre Israël, N. Weinstock (Maspero, 1969, Paris), p. 185.

ظل هذا السلم المزدوج للاجور قائما طوال فترة الانتداب ، ففي عام ١٩٤٦ مثلا كان النجار العربي او اليهودي الشرقي يكسب ٨٥٠ مليما في اليوم ، بينما زميله الاوروبي ١١٠٠ مليم(٢) . بيد انه من الضروري ان نسارع للقول بأن التقارب المغري لعقد مقارنة بين الصهيونية والاستعمار الكلاسيكي هو خاطىء ، نظرا للانعطافة الغريبة التي اتخذتها المغامرة الصهيونية بعيد الموجة الثانية من الهجرة — والتي كان شعارها العمل اليهودي — ، ذلك ان الانغراس الصهيوني في فلسطين اخذ شكل الاستعاضة عن السكان العرب بيد عاملة يهودية . لقد نتج عن ذلك ان الصهيونية بمفهومها ذاته تنطوي على عملية خلق طبقة عاملة صهيونية ومن ثم ترفض تشغيل البروليتاريا العربية . وبهذا المعنى تندرج الهجرة اليهودية ضمن النظام الاستعماري باعتمادها على عملية نزع املاك السكان العرب الفلسطينيين، وهو الانتزاع الذي كان يتم على مرأى السلطات البريطانية المتواطئة ومسمعها . الا أن عملية النهب هذه لم تكن مصحوبة بفرز اجتماعي مشابه لما حصل في المستعمرات السكانية مثل الجزائر وافريقيا السوداء ، حيث يقوم اقتصاد القطاع الاستعماري من الفه الى يائه على استغلال السكان الاصليين . ان اليهود في فلسطين قد شرعوا في التحول الى امة عبرانية جديدة على غرار النموذج الرأسمالي التقليدي : برجوازية سائدة وبروليتاريا .

ومن بين ٢١٢ الف مهاجر يهودي في البلاد عام ١٩٣٤ ، كان ٢٨،٨٪ منهم منخرطين في الصناعة والحرف، اما عدد اجراء قطاع الصناعة العربية فقد كان ٢١ الفا(٣). وان مقارنة توزع السكان النشطين اقتصاديا ، تعكس الطابع الصناعي والحديث للسكان اليهود ، والبنية الزراعية للمجتمع العربي (راجع جدول رقم ٣) .

جدول رقم (٣)

التقسيم المهني للسكان عام ١٩٣١

الفروع	يهود	عرب
الزراعة	١٩،١٪	٥٩،٠٪
الصناعة	٣٠،٦٪	١١،٩٪
النقل	٥،١٪	٦،٠٪
التجارة	١٣،٨٪	٨،٤٪
الادارة	٢،٠٪	١،٣٪
المهن الحرة	١١،٦٪	٢،٣٪
الخدمات الخاصة	٥،٣٪	٣،٢٪
متفرقات	١٢،٥٪	٦،٩٪

ان الشيكلين الجوهريين للاستعمار الصهيوني ، اللذين افصحا عن طابعهما المميز ، هما مبدأ تملك الاراضي عن طريق « الصندوق القومي اليهودي » ، وقاعدة « العمل اليهودي » . ومن ثم كان نمو الصناعة اليهودية مرهونا الى حد كبير بنشاط النقابات الصهيونية « الهستدروت » .

لقد أسست الهستدروت « الاتحاد العام للعمال اليهود في فلسطين » في حيفا سنة ١٩٢٠ ، وكانت يومذاك تعد ٤٤٣٣ عضوا . وقد مثلت منذ لحظة انطلاقها ملامح فريدة وبهذا الصدد عبر احد قادة الحركة العمالية الصهيونية « **ان الامر لا يتعلق — بالنسبة للهستدروت — بتنظيم الطبقة اليهودية فقط ، بل بخلقها وتشكيلها وغرسها في فلسطين** » (٤). وبكلمة اخرى ، فان هدف الهستدروت لم يكن الدفاع عن مصالح العمال اليهود فحسب ، بل ان هدفها الاكثر تحديدا والحاحا ، هو تحقيق الاستعمار الصهيوني

في فلسطين . فهي اذن نقابة قومية واداة طيعة وواعية في يد الصهيونية . وهي حسب عبارات نظامها الاساسي « تتخذ واجبا عليها تكوين نموذج جديد للعامل اليهودي ، كحصيلة لاستعمار فلسطين » . وضمن هذا الفهم ، وهذا التوجيه ، نمت الهستدروت بسرعة ، فانتقلت من ١٥٢٧٥ منخرطا في عام ١٩٢٦ الى ٢٥٣٧٨ منخرطا عام ١٩٣٠ ، ثم الى ٨٥٠٨١٨ في عام ١٩٣٦ .

لقد مـــدت نشاطها الى كل المجـــالات الاقتصادية واصبحت العمود الفقري للمشروع الصهيوني ، ونظرا الى اهدافها الصهيونية فقد شرعت في ممارسة نشاط واسع ومتعدد الاشكال يستهدف خلق القاعدة الاقتصادية للدولة اليهودية المقبلـــة . وهكذا احـــاطت الحركة العمالية اليهودية نفسها بشبكة من المؤسسات والخدمـــات العامة : صندوق المرض والعجز ، بورصة العمل ، شركة مقاولات ، شركة بيع المنتجات الزراعية ، تعاونية البيع بالجملة ، شبكة مدارس عمالية الخ . لقد اوكلت عملية تنسيق جميع النشاطات الاقتصادية الى هيئة خاصة اسمها جمعية العمال . ان الخدمات الاقتصادية التي تقدمها الهستدروت لم تقتصر على ما مر ، فهناك عدد من الشركات والمؤسسات التابعة لها ، مثل شركة الاستيطان العمالي « نير » شركة تعاون عمالي متبادل ، تعاونية الاسكان ، شبكة من المصارف ، شركة تأمين كانت تعمل بفضل الاسهام المالي من الحركة الصهيونية في الخارج . دون ان ننسى ان الهستدروت كانت تشرف ايضـــا على منظمة الدفـــاع اليهودي « الهاجاناه » .

وقد استطاعت النقابة الصهيونية ، بفضل هذه النشاطـــات ان تحتل بسرعة مكـــان الصدارة ، ان لم نقل موقعا احتكاريا في الاقتصاد ، فالهستدروت هي المستخدم الاكثر اهمية بعد الحكومة ، ودفعت سياستهـــا لتمكين الطبقة العاملـــة اليهودية التي بصدد التكون من قاعدة اقتصادية ضرورية فخلقت التعاونيات الانتاجية ، ووفرت فرص العمل للمهاجرين ، وضمنت شركاتها تسويق المنتجات اليهوديـــة . ان سبب هـــذا التوسع الاخطبوطي للهستدروت في مجالات غريبة كليا عن النقابة والمفهوم النقابي يعود اساسا الى السياسة الصهيونية الاستعمارية .

وهكذا نجد الشعارات الملبية لهذه السياسة ، فشعار « العمـــل اليهودي » هو معادل لشعار « الانتاج اليهودي » . وهي الشعارات التي تهدف الى الترويج لبيع منتجات الاقتصاد الصهيوني في القطاع اليهودي على حساب الانتاج العربـــي وللاضرار بـــه لانه كان ينافسه بأسعار كلفته المربحة . ولكن كما ان « العمل اليهودي » يعني عمليا طرد اليد العاملة العربية من المشاريع اليهودية ، فأن « الانتاج اليهودي » يترجم نفسه في الحياة اليومية بالمقاطعة المنظمة للبضائع العربية . لذلك ونتيجة لهذه السياسة ، فان مجرد اشاعة في عام ١٩٤٤ مثلا بأن احـــد المقاهي اليهودية في تل ابيب قـــد استخدم بعض العمال العرب تثير تجمعا يهوديا معاديا يعد الاف المتظاهرين ، ويجد الفلاح العربي ذات المقاومة ، اذا ما تحدى المقاطعة اليهودية وحاول بيع منتجاته الزراعية في السوق اليهودية ويطرد من هناك بعنف(٥) .

كانت الهستدروت هي الاداة الاساسية للتمييز العنصري الاقتصادي الذي مارستـــه الصهيونية ضد الفلاحـــين العرب . وهذا يتطلب مـــن كل عضو في هذه النقابـــة الصهيونية ، ان يلتزم بدفـــع ضريبتين اجباريتين : اولا : ضريبـــة من اجل « العمـــل اليهودي » تصب في صندوق تنظيم الاضرابات ، وتسهم في جهود الهستدروت الرامية الى منع تشغيل العمال العرب ، ليس في المؤسسات اليهودية فقط وانما في البريطانيـــة والخدمات العامة . وثانيا : ضريبة من اجل « الانتاج اليهودي » ، اي من اجل تنظيم مقاطعة الانتاج العربي . ومن الامور الجديرة بالانتباه ان اي حزب من احزاب «اليسار» الاسرائيلي ، بما في ذلك حزب المابام ، لم يعترض ، حتى ولو شكليا ، على حرمان العمال

العرب من العمل ، ومقاطعة منتوجات الفلاحين العرب . ولم يمنع اي من هذه الاحزاب عن دفع هاتين الضريبتين العنصريتين للهستدروت(٦) .

وهكذا فان منافسة اليد العاملة اليهودية لليد العاملة الفلسطينية ذات الاصول الريفية غير المنظمة ، والتي كانت من الخصاصة والبؤس بحيث تقبل بأجور شبه رمزية ، لم تكن منافسة حرة ونزيهة . بل ان شروطها كانت تمنع وتكبح اليد العاملة العربية الفلسطينية من ان تتكون وفق القوانين التاريخية لتشكل الطبقة العاملة في البلاد تقليديا .

وعلى هذا النحو تكون سياسة التمييز العنصري ضد العمال الفلسطينيين ، التي مارستها الهستدروت شبيهة تماما بالتمييز العنصري الاستعماري الذي مارسته نقابات الاممية الثانية في المستعمرات . لقد سبق لمندوبي الاحزاب العمالية في اكثر بلدان المستعمرات الاوروبية ان تحدثوا في مؤتمر الاممية الثانية ١٩٠٧ ، المعروف بمؤتمر شتوتغارت عن « الخطر » الذي تمثله اليد العاملة المحلية في منافسة اليد العاملة الاوروبية والامريكية !

ان ممارسة الهستدروت العنصرية ضد العمال العرب لم تكن كما قد تبدو في الظاهر لصالح البروليتاريا اليهودية في الدرجة الاولى ، بل لصالح البرجوازية اليهودية الصناعية الناشئة في فلسطين بين ١٩١٨ — ١٩٣٩ بشكل اساسي . وبمعنى من المعاني تبدو الهستدروت اقرب في ايديولوجيتها وسياستها العامة الى النسوية الطبقية التي توظف في التحليل الاخير لصالح البرجوازية اليهودية . فلقد كانت تمنع العمال اليهود في القطاع الاقتصادي اليهودي من شن اي اضراب مطلبي بحجة ان ذلك من شأنه الاضرار بالهدف النهائي للصهيونية . كما ان الراسماليين وخاصة البريطانيين لم يدعوا الفرصة تفلت منهم ، لقد استغلوا ببراعة فائقة التمييز العنصري الاقتصادي ضد العمال الفلسطينيين ، ولعل ابرز مثل على هذا الاستغلال هو سلوك شركة التبغ الانجلو — امريكية التي عمدت الى وضع مشروعين منفصلين ، احدهما لتزويد السوق اليهودية « مانسبرو » والاخر لتزويد السوق العربية « قرمان وديك وسلتي » ، وكان كلا المشروعين يربط بديماغوجية بين بيع السجائر وتملق المشاعر القومية الصهيونية مرة ، والعربية مرة اخرى ، حسب الظرف وشروط العرض والطلب(٧) .

ان العمال الفلسطينيين الذين استبعدوا قسرا من سوق العرض والطلب البشرية ، لم يكن امامهم الا ان يتزاحموا بالمناكب على عروض الشغل الضئيلة التي كان يتيحها الاقتصاد الفلسطيني الضعيف ، خاصة في القطاع الزراعي . وبما ان العمال المستغلين بفظاظة لم يكونوا منظمين ، فان المنافسة الفوضوية على العمل جعلت اجورهم تتدنى باضطراد . اما العدد الضئيل من النقابات المختلطة التي انشئت في العشرينات واقتصرت على قطاع الادارة والخدمات العامة في المدن المختلطة التي يتواجد فيها العرب واليهود بكثافة ، فانها ظلت هامشية وغير فعالة بتاتا لا في الدفاع عن مصالح العمال العرب ، ولا عن المصالح الحقيقية للعمال اليهود انفسهم(٨) .

ان الهستدروت في حالتين استثنائيتين قد قبلت في صفوفها عمالا عربا ، اذ حيث فشلت في مقاطعة العمال العرب عمدت الى انشاء فروع عربية لها لم تتجاوز على كل حال فرعين ، فقد اسس اولهما في حيفا عام ١٩٢٩ ، وثانيهما في القدس عام ١٩٣٤(٩) .

وقد استهدفت الهستدروت عمال البلديات والادارة والمشاريع ، المسيرة برأسمال غير يهودي ، وهي بالضبط اماكن العمل التي لم تنجح الهستدروت تماما في منع العمال العرب الفلسطينيين من الدخول اليها . لقد ارادت بذلك ان تضرب عصفورين بحجر واحد ، اولا : سعت لتمويه طابعها العنصري ، ثانيا : فرض المبادىء الصهيونية التي هي جوهر هذه النقابة على العمال العرب الذين ينخرطون فيها . لكنها لم تنجح الا نادرا

وجزئيا ، لان غالبية العمال العرب كانت واعية الطابع العنصري الاستعماري لهذه النقابة الصهيونية التي ترفض حتى مجرد حقهم في منافسة اليد العاملة اليهودية في سوق العمل .

لقد غيرت الهستدروت خلال الحرب العالمية الثانية تكتيكها — دون ان تغير طبيعتها — بهدف مكافحة نفوذ النقابات الوطنية الفلسطينية . فاعلنت عن قبولها تشغيل نسبة معينة من العمال الفلسطينيين في الاشغال التي تنفذها فروعها . واستطاعت بالنتيجة ان تنشط فرعها العربي الذي اوكلت اليه احتكار تشغيل اليد العاملة العربية . لكن هذه الخدعة التكتيكية لم تصمد أمام الممارسة : فمشاريع الاشغال العامة التابعة للهستدروت المسماة (سوليل بونيه) مارست التمييز العنصري في الاجور بين العمال العرب واليهود(١٠) .

خلال فترة ما بين الحربين العالميتين وجدت ثلاثة احزاب يسارية صهيونية . « لكن لا يمكن اعتبارها تنظيمات عمالية مستقلة بالمعنى الحقيقي للكلمة . وذلك بسبب تبنيها للبرنامج الصهيوني ، بل للمنظمة الصهيونية نفسها ؛ واندماجها بالمجتمع الصهيوني والعلاقات الوثيقة التي تشدها الى الهستدروت . ما يمكن ان نتحدث عنه في افضل الاحوال هو عن اتجاهات عمالية في صلب جهاز صهيوني لا مركزي . ان الجناح العمالي للحركة الصهيونية المصاب بالغارغرينا القومية يشارك بشكل دائم في الوحدة المقدسة مع البرجوازية »(١١) .

لم يتضمن برنامج أي حزب من هذه الاحزاب الصهيونية اي مطلب يتعلق بالمصالح المستقلة للطبقة العاملة . لقد كان قادتها جميعا مشدودين الى قطار المنظمة الصهيونية لبناء الوطن القومي اليهودي .

ثمة ميزة اخرى تشاطر فيها الاحزاب العمالية الصهيونية ، الاحزاب البرجوازية الصهيونية ، وهي الانتماء الى المنظمة الصهيونية العالمية ، حيث لم تكن هذه الاحزاب الا فرعا فلسطينيا لها . ان ما يفسر ارتباط الاحزاب اليسارية الصهيونية بهذه المنظمة هو واقع اعطائها الاولوية للاهداف القومية الصهيونية على الصراع الطبقي الفعلي ، كما ان واقع كونها مقصورة على اليهود فقط ، يعبر بوضوح عن جوهرها الصهيوني الصارخ ، علما بأن جميع الاحزاب العمالية ، فضلا عن النقابات لا تعير أية أهمية لجنسية العمال الذين ينضوون تحت لوائها . وهذا ليس الا مجرد برهان آخر على اعطاء هذه الاحزاب الاولوية للايديولوجية الصهيونية على المبادىء الاشتراكية .

لقد كان اعتماد الحركة العمالية الصهيونية على الهستدروت ، التي تكونت عناصرها اساسا في المستعمرات الجماعية . ان الاوهام الاشتراكية التي ارتبطت بالكيبوتسات بددها الوقائع والتطورات ، ذلك ان حركة الكيبوتس « لم تكن ابدا تمثل اي تهديد للبرجوازية الصهيونية ، وانما على العكس »(١٢) ، فقد استخدمتها البرجوازية الصهيونية كورقة دعائية في اوساط اليسار العالمي . وقد تكفلت الوكالة اليهودية ، المشكلة من كبار الرأسماليين اليهود في العالم ، بتمويل «هذه الواحات الاشتراكية في صحراء رأسمالية» . ونجد ان المستعمرات الزراعية اليهودية قد شكلت اثناء الثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ كتائب الدفاع الوقائي ، اي استهدفت العدوان على القرى العربية بحجة التصدي سلفا لاحتمالات هجوم ثوار فلسطين . وهكذا اضطلعت هذه المستعمرات الزراعية بدور ارهابي بارز تجلى ذلك في الوحدات المتحركة بقيادة اسحق صادي . « ان الجناح العمالي للحركة الصهيونية هو الذي مارس ضغوطا على الهاجاناه لكي تتخلى عن سياسة الدفاع السلبي أزاء ثورة ١٩٣٩ (...) ان نخبة المقاتلين في وحدات الهاجاناه كانت تشارك في الحملات اليهودية — البريطانية التي نظمها الكابتن وينجيت . ففي سنة ١٩٣٩ قامت وحدات خاصة من الهاجاناه بسلسلة من الغزوات ضد القرى العربية . لقد كانت فرق

وبحيث تقوم بشكل مستمر بتصفية العرب (المشبوهين) ، رغم ان مهمتها الاساسية كانت حراسة انابيب شركة بترول العراق ، لحساب الامبريالية البريطانية (...) وهكذا فان تشويه النضال العربي الوطني التحرري المعادي للصهيونية ، من طرف الاخيرة ، والتصريحات الديماغوجية للاقطاعيين العرب قد أدت الى تعزيز تعاون العمال اليهود مع السلطات البريطانية »(١٣).

اسس العمال العرب في عام ١٩٢٥ بحيفا، جمعية العمال العرب الفلسطينيين، ولم تلبث ان امتدت فروعها الى عدد من المدن الاخرى . وقد سبق ان العمال العرب قاموا منذ ١٩٢٠ بجملة من النشاطات ذات الطبيعة التضامنية عندما بدأ عمال سكة حديد حيفا بجمع التبرعات لمساعدة العمال المرضى وعائلات المتوفين منهم. وفي عام ١٩٢٥ تقدم عمال سكة الحديد بطلب لتسجيل ناد خيري لهم . وفي آب ١٩٢٥ ، وبعد مضي ثلاثة اشهر على تقديم العمال طلب تسجيل جمعية العمال المذكورة آنفا استجيب لطلبهم . وقد تضمن النظام الاساسي للجمعية جملة من الاهداف النقابية والاجتماعية والحياتية وفقا للنظام والقانون وبدون اي تعرض للامور السياسية والدينية(١٤). وقد بقيت نقابة السكك الحديدية محور نقابات الجمعية ، اذ كان هذا المرفق (السكك الحديدية) موضع صراع مع السياسة النقابية الصهيونية الهادفة الى استخدام العمال اليهود في الادارة وفي الاعمال الفنية دون العمال العرب .

ولم تلبث الجمعية ان تمكنت من تحقيق بعض المكتسبات المادية للعمال مثل زيادة الاجور وتحديد ساعات العمل ، كما اسهمت في بعض النشاطات الثقافية والوطنية . وعقدت مؤتمرها الاول في ١١ كانون الثاني عام ١٩٣٠ في مدينة حيفا ، فشارك ٦١٠ اعضاء كمندوبين لـ ٣٠٢٠ عضوا من مختلف انحاء البلاد(١٥). وقامت فيما بعد بافتتاح مدرسة ليلية مجانية لتعليم العمال الامين . وقد تميزت المرحلة عموما بكثرة الاضرابات التي استهدفت تحسين اوضاع العمال المعيشية . ولم تلبث ان اصبح لها فروع في عشر مدن فلسطينية توزعت أعضاء الجمعية الذين بلغ عددهم نحو أحد عشر الف عضو(١٦). اما العمال الزراعيون وخاصة العمال الموسميين ، فلم يكونوا منظمين على الاطلاق ، وكانت المنافسة شديدة بينهم وبين الحوارنة الوافدين من سوريا بحثا عن العمل بأدنى مستويات الاجور ، كما طرات المنافسة ذاتها مع عمال التراحيل الاكثر بؤسا القادمين من الريف المصري .

مع انتفاضة العام ١٩٣٥ ، كانت اوضاع العمال الفلسطينيين تزداد بؤسا ، اذ ان سياسة « العمل اليهودي » أدت الى المزيد من التسريح للعمال الفلسطينيين ، ليس فقط من المؤسسات اليهودية وانما من المؤسسات العامة والخدمات . واصبح التسريح بالجملة مظهرا من الازمة الوطنية العامة لذلك كان لمساهمة العمال العرب في اضراب ستة الاشهر ١٩٣٦ ، طابع طبقي واضح بالاضافة الى طبيعة التحرك الجماهيري الوطني . لم تقف سلطات الانتداب ساكنة ازاء التسريح العمالي بالجملة فقط ، بل انها عملت الى اعتقال العديد من الكوادر النقابية العربية في جمعية العمال ، ولم تستجب الى اي من مطالبها . وهكذا اضطرت الجمعية الى اقفال ابوابها اثناء الاضراب العام . وهناك تقديرات ان الجمعية قد تأثرت جدا بسبب الاضراب ولم يتجاوز عدد اعضائها خمسة آلاف عامل عام ١٩٣٦ . ومن المؤكد أن الجمعية قد شلت تماما طوال عامين ، اي حتى عام ١٩٣٨ حين افرج عن قادتها النقابيين في ظروف انحسار الثورة وازدياد القمع ضراوة والاوضاع الاقتصادية في القطاع العربي سوءا . وقد بقيت الامور على هذه الحال حتى عشية الحرب العالمية الثانية اذ انخفض عدد اعضاء الجمعية في مطلع ١٩٤٠ الى ما يقرب المئتي عضو(١٧).

بيد أن ظروف الحرب الثانية عادت فاكسبت الحركة العمالية امكانات موضوعية وذاتية للنهوض مجددا ، ويعبر عن ذلك جليا مؤتمر عام ١٩٤٣ لعمال المعسكرات ، حيث كان مندوبو المؤتمر يمثلون ٢٨٠٠٠ عامل وقد تمكنت الجمعية من فتح ما يقارب الثلاثين فرعا لها في انحاء مختلفة من فلسطين وبلغ اعضاء هذه الفروع ٣٥٢١٧ عاملا(١٨) .

ان الامور الاكثر دلالة هي ان جمعية العمال العرب استطاعت ان تشترك في مؤتمر نقابات العمال الدولي الذي عقد في السادس من شباط ١٩٤٥ ، بدلا من الهستدروت الذي كان عضوا يمثل الحركة العمالية في فلسطين . ان هذا الكسب السياسي قد سبب ازعاجا حقيقيا للهستدروت الذي حاول عبثا التقليل من شأن جمعية العمال العربية والتأثير ضدها بين أعضاء المؤتمر(١٩) .

ان الانقسام العمودي بين العمال الفلسطينيين والعمال اليهود كان شبه كامل ، فالعمال العرب منخرطون في نقاباتهم الخاصة ما عدا قلة قليلة كانت منضوية في فروع الهستدروت المخصصة للعرب والمار ذكرها . فيما كان للعمال اليهود نقابتهم الخاصة الهستدروت واحزابهم الخاصة ، الاحزاب الصهيونية اليسارية .

التنظيم الوحيد الذي كان يجمع بين العمال العرب والعمال اليهود هو الحزب الشيوعي في فلسطين . ان الكوادر العليا لهذا الحزب كانت في معظمها يهودية . وهذا ما جعل اعضاء الحزب من العرب قليلي العدد جدا . كما أن الايديولوجيا السائدة ، القومية والدينية بين العمال الفلسطينيين كانت ايضا سببا اضافيا لابتعاد العمال الفلسطينيين عن الحزب الشيوعي . هذان العاملان كانا يجعلان الشيوعيين الفلسطينيين القلائل « معزولين » ومنبوذين(٢٠) . اما العمال اليهود الذين ينتمون للحزب الشيوعي فانهم غالبا ما كانوا يهاجرون من فلسطين بمجرد ما يعون وضعهم الحرج كمستعمرين ، لكونهم قد هاجروا غالبا تحت تأثير الدعاية الصهيونية . فقد كانت عودتهم الى الاوطان التي هاجروا منها المخرج الوحيد لهم ، بصفتهم شيوعيين واعداء للاستعمار ، من التناقض الذي كانوا يواجهونه .

من جهة اخرى كانت حكومة الانتداب تهجر جبرا كل من يثبت لديها انه يهودي شيوعي . وكانت « تحرم دخول الاراضي الفلسطينية على المهاجرين المشبوهين بالبلشفية »(٢١) . بيد ان قيادة الحزب الشيوعي لم تكن قيادة اممية ، لقد كانت خاضعة لتأثيرات الايديولوجية الصهيونية السائدة من جهة وللماضي الصهيوني لعدد كبير من مناضلي الحزب الذين غالبا ما مروا ، عبر مسيرتهم نحو الحزب الشيوعي ، بالاحزاب الصهيونية اليسارية . وهنا نجد علة عدم الاستقرار في حجم الشيوعيين ، هذا الاستقرار الذي كان ينحسر باستمرار في قوة الحزب(٢٢) .

ان نقطة الضعف الاساسية في الحزب الشيوعي الفلسطيني هي تكونه كنتيجة للاندماج في صلب الحزب العمالي الاشتراكي ، هذا الاندماج الذي حصل في سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ بين اقصى يسار البوعيلي تسيون في فلسطين ، وبين عدد كبير من الفرق الصغيرة التي كانت قد انفصلت عن البوعيلي تسيون في اوروبا الشرقية . كان الحزب العمالي الاشتراكي يعلن بأنه من انصار ايديولوجية « البروليتاريا الصهيونية » وهو لذلك لم يكن يختلف اختلافا جذريا عن برنامج الاحزاب الصهيونية اليسارية . وليس من باب الصدفة ان الحزب لم ينضم فورا للاممية الثالثة ، كما ان الحزب العمالي الاشتراكي ساهم في المؤتمر التأسيسي للهستدروت حيث حصل على سبعة مقاعد من مجموع ٨٧ مقعدا ، وكان يحبذ استخدام اليديش لكن مطالب دعائية فعالة قادته الى التخلي عن اليديش واستعمال العبرية .

لقد توصل القادة الصهاينة من جهة وسلطات الانتداب من جهة ثانية ، الى ان الحزب

العمالي الاشتراكي هو المسؤول عن حوادث اذار ١٩٢١ ، ومن ثم ترحيل ابعاد قادته الاربعة عشر من فلسطين الى الاتحاد السوفيتي . ان ضعف تماسك الحزب النظري والتناقضات الداخلية غير المحلولة في صفوفه والقمع البوليسي الذي بدأ يتعرض له بعيد ابعاد قيادته خارج البلاد ، ادت الى عدم قدرة الحزب على الصمود امام ازمته العامة . وهكذا انهار الحزب كميا ونوعيا في اقل من ثلاث سنوات ، وهكذا اصبح اعضاء الحزب سنة ١٩٢٤ ٨٠ عضوا بعد ان كان عدد الشيوعيين (عربا ويهودا) في سنة ١٩٢١ قد ناهز ٣٠٠ عضو(٢٢).

منذ ذلك التاريخ تحول الحزب الى السرية ، واصبح اعضاؤه ملاحقين . لكن بنية الحزب القومية المتنافرة (عرب ــ يهود) وتأثر الاعضاء العرب بالمشاعر القومية وخضوع عدد هام من الاعضاء اليهود لتأثيرات الصهيونية ، ثم خضوع الحزب ككل لسياسة ستالين المتقلبة ، كل هذه العوامل جعلت الخلافات الداخلية تتفجر بسبب هذا الحدث او ذاك ضمن سلسلة الاحداث التي كانت تهز فلسطين بعنف . واهم انفجار انجر اليه الحزب هو انشقاق ١٩٢٢ الذي انتهى في سنة ١٩٢٣ الى الوحدة مجددا وعلى اسس جديدة . فقد صادق مؤتمر الحزب في ١٩٢٣ على خط جديد معاد كليا للصهيونية . لقد رفض بيان المؤتمر « الصهيونية البروليتارية » التي كانت شعار الحزب في السنوات الماضية وقطع كل علاقاته بيسار البوعيلي تسيون . وفي هذا المؤتمر تغير اسم الحزب : من الحزب العمالي الاشتراكي الى الحزب الشيوعي في فلسطين ، وبعد اعلان الحزب تغير اسمه ، تم قبوله من طرف اللجنة التنفيذية للاممية الثالثة في موسكو كعضو فيها .

ادت هذه التحولات الايديولوجية الى توجه الحزب في سياسته الجديدة الى الجماهير العربية الفلسطينية ، بشكل اساسي ، تحت شعار « على الحزب ان يغادر الغيتو اليهودي »(٢٤). وكان من الهستدروت ان طردت « الجناح العمالي » او المعارضة الشيوعية القائمة داخلها لخط الاخيرة المعادي للصهيونية ، والتي انتهت الى « تعريب » الحزب الشيوعي وانتمائه للاممية الثالثة . واعلنت الهستدروت عن تصديها في المستقبل لكل معارضة داخلية تتبنى خطا مشابها .

وهكذا اتجه الحزب الى العرب والى اليهود الشرقيين الذين ظلوا طوال السنوات الماضية مهملين وظلت لهم احزابهم ونقاباتهم الخاصة المنفصلة عن نقابات اليهود الوافدين من اوروبا الشرقية والغربية واحزابهم . كما اتجه الحزب في دعايته نحو الفلاحين لتحريضهم على عدم بيع اراضيهم للصهاينة(٢٥). بيد ان نقطة الضعف في الحزب بقيت قائمة ، وهي قلة الاعضاء العرب فيه .

ومع عام ١٩٢٨ انقسم الحزب من جديد . لكن هذا الانقسام لم يؤثر في الحزب ككل ، نظرا للازمة الاقتصادية الخانقة التي كانت تدفع الى صفوفه باعداد كبيرة . الا ان الانقسام الخطير جاء في العام التالي الذي كان تتويجا مباشرا لموقف الحزب من احداث ١٩٢٩ التي وصفها الحزب بأنها « ثورة معادية للامبريالية حولها اعوان الامبريالية الى فتنة ضد اليهود »(٢٦). ومن الواضح ان هذا التقييم لاحداث ١٩٢٩ كان نتيجة لضغوط مكتب الاممية الثالثة على الحزب . ان الحزب قد هالته الاحداث في البداية الى حد انه اعطى الاوامر لمناضليه ليشاركوا في وحدات الدفاع الذاتي جنبا الى جنب مع الهاجاناه ، هذا القرار الذي اتخذ بموافقة القائد الشيوعي التشيكي سميرال ، مبعوث الاممية الذي كان ابان الاحداث مقيما في فلسطين(٢٧). وقد ادان مكتب الاممية الثالثة ضمنا هذا الموقف ، عبر ادانته لموقف الحزب الشيوعي من الاحداث .

لقد اعتبرت الاممية الثالثة احداث ١٩٢٩ ثورة فلاحين حقيقية ، رغم ان بعض القوى الرجعية كانت على رأسها في المرحلة الاولى لانطلاقها . وقد اشار مكتب الاممية الى

الشعارات التي كان على الحزب الشيوعي ان يرفعها مثل : « احتلال الارض ، تشكيل اللجان الثورية من الفلاحين والبدو ، الثورة الزراعية .. الخ » كما انتقد بيان الاممية الثالثة الحزب الشيوعي في فلسطين لعدم تمكنه من الانغراس بين جماهير الفلاحين الفلسطينيين العرب . وقد اكدت الاممية الثالثة على ان هذا العجز الذي اصاب الحزب ناتج عن سوء نية قيادة الحزب ، ووجهت مجددا تعليماتها الى القيادة بـ « تعريب الحزب من اسفل الى اعلى »(٢٨) .

ومن المعروف ان لينين في مؤتمر باكو ١٩٢٠ للاحزاب الشيوعية في افريقيا واسيا قد وجه النقد المرير للحزب الشيوعي المصري لان قيادته لم تكن نابعة من الاغلبية ، بل من الاقليات الطائفية . وطالب لينين الاحزاب الشيوعية في آسيا وافريقيا بأن تحمل على رأسها قيادات من الاغلبيات القومية لا من الاقليات القومية . لان ذلك هو احد الشروط التي تجعل هذه الاحزاب جماهيرية ، لا احزابا طائفية او اقلية معزولة عن أوسع الجماهير الشعبية .

ومن جهة اخرى حذرت وثيقة الاممية الحزب الشيوعي في فلسطين من التعاون مع البوعيلي تسيون الذي « اندمج بالفاشية » واشارت الاممية الى ضرورة تشكيل اتحاد يضم جميع الاحزاب الشيوعية في جميع الاقطار العربية(٢٩) . ومنذ هذه الحقبة اصبح الحزب الشيوعي الفلسطيني يدعم باستمرار الحركة الوطنية الفلسطينية الى حد أنه اصبح ذيلا لحزب الاستقلال الذي كان يمثل الاتجاه الاكثر تقدما في الحركة الوطنية الفلسطينية رغم ان قيادته ، كان يغلب عليها الطابع الاقطاعي العائلي .

اثناء ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ رفع الحزب الشيوعي شعار « التحقوا بحركة التحرر العربي » . وكان اعضاء الحزب يعدون الالف . وقد دعم الحزب بدون ادنى تحفظ نقدي، المفتي وقادة الحركة الوطنية الفلسطينية . ودعا الحزب اليشيف (التجمع البشري اليهودي في فلسطين قبيل تكوين اسرائيل) الى المشاركة في الثورة ضد المهاجرين اليهود ، واكثر من ذلك قام مناضلو الحزب انفسهم بمحاولات تخريب لمبنى الهستدروت في حيفا وتل أبيب . وقد جاء في تعميم صادر عن اللجنة المركزية للحزب في عام ١٩٣٦ « ان القنابل التي قذفت على نقابة العمال في حيفا ، القاها اعضاء من الحزب الشيوعي الفلسطيني حسب اوامر صدرت اليهم من اللجنة المركزية للحزب »(٣٠) .

ان هذا الخط الجديد للحزب ، قد دفع بالشيوعيين اليهود الى الانسحاب من الحزب بكثافة ، خاصة عام ١٩٣٧ حيث اثار دعم الحزب للحاج امين الحسيني ، انشقاقا خطيرا داخل الحزب . وادى فيما ادى اليه الى تمرد فروع بكاملها عن الحزب كما هي الحال مع فرع تل ابيب وقد تم فصلها من الحزب بتهمة عدم الانضباط . كما ادت السياسة ، غير النقدية للحزب ازاء الاحزاب القومية ان عدد كوادره العربية ، تخلت عنه وانضمت الى حزب الاستقلال ◎ اما السلطات البريطانية فقد واصلت بدورها نفي اعضاء الحزب من اليهود الى خارج البلاد ، في الوقت الذي لم تر أي مبرر لتقوم بذات الشيء ازاء اي قائد صهيوني اشتراكي .

عشية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) كان عدد اعضاء الحزب من اليهود نحو ٣٠٠ عضو ، يضاف اليهم حفنة من الكوادر العربية(٣١) .

ان الصورة الاجمالية لمسيرة الحركة العمالية الفلسطينية واليهودية فيما بين الحربين العالميتين (١٩١٨ — ١٩٣٩) تتميز بالضعف العددي والنوعي ، الكفاحي والتنظيمي . لكن برغم كل ضعفها تبقى النقطة اللامعة للطبقة العاملة الفلسطينية مشاركتها الفعالة في اضراب عام ١٩٣٦ المجيد الذي دام ستة شهور .

الحواشي :

١ — N. Weinstock, *Le Sionisme Contre Israël*, (Maspero, 1969), p. 183.

٢ — لاخذ صورة اكثر تفصيلا راجع : **النظام الاقتصادي في فلسطين** (بيروت ١٩٣٩) ، الفصل الخامس . جدول رقم ٢٧ صفحة ٣٧٢ .

٣ — شؤون فلسطينية ، العدد الخامس (تشرين الثاني ١٩٧١) « ملاحظات حول اوضاع الطبقة العربية العاملة في فلسطين في عهد الانتداب » . لهاني حوراني ص ١١٩ — ١٢٤ .

٤ — Tony Cliff, *The Struggle in the Middle East*, International Socialism Pamphlet, (London, 1967), Richard Williams - Thompson, *The Palestine Problem* (London 1946), p. 81.

٥ — **نفس المصدر السابق** ص ٨١ .

٦ — **نفس المصدر السابق** ص ٨١ .

٧ — *Le Rôl du Sionisme ou le Moyen Orient au Carfour*. (Paris, 1968), p. 19.

٨ — **نفس المصدر السابق** ص ٢٣ .

٩ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٠ .

١٠ — **المصدر السابق** ، ص ١٨٩ .

١١ — **المصدر السابق** ، ص ١٩٠ .

١٢ — **المصدر السابق** ، ص ١٩٤ .

١٣ — **المصدر السابق** ، ص ١٩٤ .

١٤ — علي عناد خريس ، **الحركة النقابية العمالية في الاردن** ، (عمان ١٩٥٧) ، ص ٤٣ — ٤٤ .

١٥ — **المصدر السابق** ص ٤٦ ، كذلك راجع المقالة المنشورة في مجلة **شؤون فلسطينية** في العدد المذكور انفا .

١٦ — **المصدر السابق** ، ص ٤٦ .

١٧ — **المصدر السابق** ، ص ٤٧ — ٤٨ .

١٨ — **المصدر السابق** ، ص ٤٦ .

١٩ — راجع **المصدر السابق** ص ٤٩ ، كذلك مجلة **شؤون فلسطينية** العدد الخامس .

٢٠ — W. Z. Laqueur, *Communism and Nationalism in the Middle East*, (London, 1956) p. 73.

٢١ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٦ .

٢٢ — لكوير ، **نفس المصدر** ، ص ٧٣ .

٢٣ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٦ .

٢٤ — لكوير ، **نفس المصدر** ، ص ٧٦ — ٧٧ .

٢٥ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٧ .
راجع ايضا الدراسة الهامة : الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة ١٩٢٩ في فلسطين بقلم ا. شلشتر ترجمة رياض يونس في **دراسات عربية** ، السنة السادسة العدد العاشر آب ١٩٧٠ ، ص ٢ — ٣٩ .

٢٦ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٨ .

٢٧ — Joseph Berger, *La ruptune avec les Communistes*. (Ed. les Nouveaux Cahiers, Paris) Vol. 13-14, pp. 34-38.

٢٨ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٨ .
راجع ايضا الوثيقة الصادرة عن المؤتمر السابق للحزب الشيوعي الفلسطيني « مهمات الحزب الشيوعي الفلسطيني في الاراضي » والتي حازت استجابة وصدى لتوصيات مكتب الاممية الثالثة (الكومنترن) والمنشورة في : **الاممية الشيوعية والثورة العربية وثائق ١٩٣١** (دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٠) ص ١٢١ — ١٧٣ .

٢٩ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٩ .

٣٠ — كلف ، **نفس المصدر** ، ص ٢٣ .

٣١ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ٢٠٠ .

الأدب العبري المعاصر وتكريس التوسع الصهيوني

رشاد الشامي

في اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ ، والانتصار المفاجيء الذي احرزته اسرائيل ، وحققت بفضله توسعا اقليميا جديدا في الاراضي العربية عبر كل من مصر وسوريا والاردن ، عمت الحياة الثقافية في اسرائيل ظاهرة جديرة بالملاحظة والمتابعة والتحليل ، حفلت بها صفحات الملاحق الادبية الاسبوعية للصحف العبرية — وقد كانت هذه الظاهرة هي وضع الادب العبري ، ان جاز القول ، في قفص الاتهام ومحاكمته بقصد اخذ ما يجب أن يؤخذ عليه ، واضافة ما يجب أن يضاف لصالحه ، وكان موضوع المحاكمة هو : « كيف حدث في الواقع الاسرائيلي المعاصر انه بدلا من ان يسير الشاعر أمام الجندي أن سار الجندي أمام الشاعر ؟ كيف حدث أن الشحنة من الرغبة العميقة لدى الشعب نحو التوسع وراء الحدود الخضراء ، وهي الشحنة التي طفت اليوم على السطح — كيف حدث أن هذه الشحنة لم تظهر من قبل ولم تجد لها صدى وتعبيرا في انتاج الكثيرين من ادباء اسرائيل ؟ » .

وقد حاولت هذه الاسئلة التي طرحها المدعي العام الادبي ضد الادب الاسرائيلي ان تبحث عن اجابة للسبب الذي جعل « قانون الشاعر » الذي يتلقى وحيه من حقيقة هي فيما وراء مصالح الساعة لا يفرض نفسه على « قانون الديبلوماسي » الذي يتحدد وفقا لمتطلبات الساعة ، وانما حدث العكس ، وهو استجابة الشعراء والادباء لما حققه « قانون الديبلوماسي » ، و « قانون الحرب » ، وبدأوا يهللون للقدس والخليل ونهر الاردن والجولان وسيناء مهبط الوحي الموسوي من واقع أن ذلك قد فرض عليهم، ولكنهم لم يسبقوا العسكريين اليه بخيالهم ، وذلك فيما عدا نفر قليل منهم .

لقد كانت الاحتجاجات صارخة لان بعض الادباء الاسرائيليين وضعوا فواصل بين الروح والمادة ، وبين الموضوعات الابدية والموضوعات الوقتية . لقد كان المطلوب من الاديب أو الشاعر الاسرائيلي أن يستجيب تماما لمتطلبات التوسع الصهيوني ، وكما يسير القائد امام جنوده ودباباته ويصيح صيحته العسكرية « ورائي » ، كان على الشاعر أن ينطق بنفس المعنى في منظومات تخترق حدود الارض التي اغتصبتها اسرائيل قبل ٥ حزيران الى المناطق الجديدة التي احتلها جيش الدفاع الاسرائيلي ، والتي يتضمنها « المزمور القديم » ، الذي تغنى بتلك الحدود ، وربما بما هو ابعد منها ، وتخطى بذلك ، حسبما يعتقد من عقدوا هذه المحاكمة ، رؤوس الكثيرين ، ومن هم ممتازون من بين ادباء اسرائيل ، وجعل قصائدهم في المؤخرة .

وقد كانت صحيفة « معريف » الاسرائيلية المسائية والواسعة الانتشار من اولى الصحف التي اولت هذا الموضوع اهتماما خاصا ، وافردت له الصفحات . وقد عقدت المحررة جئولا كوهين مع نخبة من ادباء وشعراء اسرائيل ممن يشكلون تيارات الادب العبري المعاصر تمثيلا حقا لانهم هم الذين يحددون ملامحه واتجاهاته ، حلقة مناقشة نشرتها الصحيفة في اعدادها الاسبوعية : ١٩٦٨/١٠/٦ ، ١٩٦٨/١٠/١٣ ، ١٩٦٨/١٠/١٨ ،

٢٥/١٠/١٩٦٨ ، ١/١١/١٩٦٨ ، ١٨/١٢/١٩٦٨ . واشترك في هذه الحلقة من ادباء وشعراء اسرائيل المعاصرين ، ابراهام شلونسكي ، وحييم جوري ، والبروفسور ياروح كورتسفيل* ، وعاموس عوز ، وموشي شامير ، واسحق شيلاف ، وبنيامين جلاي ، وموشي دور ، وموشي براجر ، ويعقوب اورلاند ، وعزرا زوسمان . ونشرت المناقشة تحت عنوان : « هل قال أدبنا هو الاخر « ورائي ! » » ، ووجهت خلالها لهذه المجموعة عدة اسئلة ضمنتها كل ما أثارته الدعوى ضد الادب العبري في اسرائيل قبل ٥ حزيران ، وضد المناخ الادبي العام في اسرائيل .

وأول هذه الاسئلة واهمها ، ذلك السؤال الذي اخترنا تناوله لما يحويه من دلالات كثيرة بالنسبة لدور الادب العبري في الحياة والمجتمع الاسرائيلي ، من ناحية ، وبالنسبة لموقف الادب العبري من قضايا التوسع الصهيوني ، من ناحية أخرى . يقول السؤال : كيف حدث في رأيك أن الادب في اسرائيل لم يقل — ان جاز لنا أن نستخدم بالمفهوم الرمزي جدا ذلك الاصطلاح الشعبي الشائع — «ورائي!» ؟ كيف حدث — فيما عدا أ.ص.ج. (أوري تسفي جرينبرج)(١) وقليلين آخرين — ان وصلنا الى أجواء طبيعية قديمة حديثة في حياتنا دون أن يسبقنا أو يواكبنا اليها شعر شعراء اسرائيل ؟ وهذا السؤال على هذه الصيغة يكرس نية العدوان والتوسع المسبقة عند اسرائيل لتحقيق اطماعها التوسعية في العالم العربي مرحلة اثر مرحلة . فالسؤال يحوي في فحواه مأخذا على الادب العبري ، ليس في عمومه ، ولكن بالنسبة لبعض تياراته ، لانه لم يكن متسقا مع حدود هذه الاطماع التوسعية ، ولم يسبق بخياله آلة العدوان المحققة للتوسع ، ولم يتغن بتلك المناطق التي تم احتلالها الا بعد أن أصبحت واقعا ملموسا محققا بقوة السلاح . وهذا الموقف هو استمرار طبيعي للسمة التي ميزت الادب العبري الحديث منذ بداية مواكبته لمرحلة الاحياء القومي اليهودي ، وهي سمة الادب المجند . فقد كان الادب العبري منذ عصر الاحياء القومي اليهودي في نهاية القرن التاسع عشر في اساسه ادبا قائما على الدعوة الايديولوجية الصهيونية ، وكانت الصفة الاساسية له هي انه ادب مجند يخدم اهداف الفكر التوسعي والعدواني الصهيوني ويخضع لمتطلباته . وعلى هذا الاساس فان أي انتاج ادبي ، شعري او نثري ، لاي اديب يهودي او اسرائيلي ، كان يحكم عليه بهذا المعيار ، وكان يعتبر أدبا قوميا بقدر ما يحققه في سبيل العودة الى صهيون (في مرحلة الهجرات) ، أو بقدر ما يكرس اغتصاب فلسطين العربية وقيام الدولة اليهودية (ابان قيام الدولة) ، أو بقدر ما يكرس التوسع الصهيوني في البلاد العربية (بعد قيام الدولة) . وعلى هذا الاساس مثلا اعتبر الشاعر اليهودي الروسي حييم نحمان بياليك (١٨٧٣ — ١٩٣٤) شاعرا للقومية اليهودية ، لانه ثار في شعره على الشتات اليهودي ، وعلى حياة المنفى ، وحفز في احدى قصائده ، وهي قصيدة « في مدينة الذبح » اليهود الى اقامة حركة « الدفاع الذاتي » بعد مذابح كيشنيف عام ١٩٠٣ ، واحيا كنوز التراث العبري الكلاسيكي ووضعها في خدمة الاحياء القومي الصهيوني . ومن بعده ظهر جيل كامل من الادباء والشعراء الذين ساروا في خط تكريس قيام الدولة ، واطماع التوسع الصهيوني أمثال : ابراهام شلونسكي(٢) ، وناتان الترمان ، وأورى تسفى جرينبرج وغيرهم ممن سبقوا بخيالهم طلقات المدافع ، وصنعوا العنصرية بأحرفهم ، والتوسعية بكلماتهم ، والعدوانية بقصائدهم .

واذا عدنا الى هذه الحلقة من المناقشة حول السؤال المطروح لوجدنا أمامنا ان أدباء اسرائيل يكادون يمثلون تيارا واحدا ، مع بعض الاختلافات هنا او هناك ، ولكنها ليست اختلافات جذرية تصل الى حد تقسيمهم الى معسكرين . ان الاديب عاموس عوز(٣) ،

---

* توفي في أواخر شهر اغسطس ١٩٧٢ .

على سبيل المثال - يرفض فكرة ان يكون « الادب المجند » كنوع من انواع الادب الشرعي والحيوي ؛ هو النوع الوحيد ؛ ويحتج على ما يسميه « التفسير العدواني الذي يريد ان يعثر على « روح العصر » أو « روح الامة » حيث همـــا غير موجودين ، وحينما لا يفلح هذا التفسير في العثور على هذه الارواح، او في ادخالها الى داخل النص فانه يرفضه». وايستنادا الى هذا فانه يأخذ موقفا جديدا من تفسير كل ما اصطلح على تسميته بـــانه « أدب قومي » او «أدب دعوة صهيوني» . فهو مثلا يرى ان القضايا التي تناولها بياليك في شعره وفسرت على انها قضايا قومية ؛ هي في الحقيقة « احتجاج شخصي ضد نظم العالم .. » . ويرى كذلك ان برينر الذي مالوا الى اعتبار قصصه مرآة للجيل او صرخة غضب وشق طريق ، « يحكى عن يهودي ممزق الى قطع واسمه برينر » . وقصص س. يزهار التي تقدم حتى اليوم على انها مقدمات لبحث العلاقات الاسرائيلية العربية ، يراها عوز باعتبارها « مجرد قصة عن يهود ويهود »، واكثر من ذلك « عما بين يهودي تساب ونفسه المزقة » .

وعوز بتفسيره هذا انما يرفض توظيف الادب لخدمة غرض او أيديولوجية ، ويرى ان كل ما ينطق به الشاعر او يكتبه الاديب ، انما هو انعكاس لذاته ، ولذاته فقط ، وليس لاي شيء اخر . وعلى هذا الاساس فانه يرى « ان القصيدة او القصة ليست مصنوعة من افكار ولا حتى من حادثة ، ولكنها مصنوعة ، اولا وقبل كـــل شيء ، من كلمـــات ومن جمل » . وفي مواجهة السؤال المطروح يحدد موقفا قاطعا يرفض به أن يخضع لمتطلبات الادب المجند ، فيقـــول : « انني لم اظهر مع مغني التاريخ لانه يهمني اقـــل مما يهمني الافراد ، ولو حاولت ان اتحدث باسمه لكنت مزيفا » . وهكذا يحدد عاموس عوز موقفه باعتباره ممن تجاوزوا في الادب العبري التعبير عن « النحن » ، وانتقلوا الى الاهتمـــام « بالأنا » ، بالفرد وصراعاته ومأساته مع نفسه ، رافضا بذلـــك أن يكون مزيفا ، وهو بذلك يعكس اتجاها كاملا بدأ يظهر في الادب العبري المعاصر منذ الستينـــات تبرز فيه أسماء لادباء مثل ابراهام بن يهوشع ، وعماليا كهنا كرمون ، ويهودا عميحي وغيرهم .

أما موشي شامير(٤) فهو يرى ان الادب العبري « ساعد كثيرا ، وفق أحسن قوته ، على خلق الاحساس بالارتباط الجذري للجيل ببلاده دون ارتباط بحدود هذه البلاد » ، ويرى كذلـــك أن « المناقشة الـــدائرة بين رجال « أرض اسرائيـــل الكاملة » والمدافعين عن الانسحاب ، ليست حول مسألة ما اذا كان الحق في الخليل بل هو ما اذا كان لنا الحق في تل ابيب وحولده ومشمر هاعيمك .. » . وهنا يقف موشي شامير موقفا يحاول فيه التوفيق بين توظيف الادب لتخطي الحدود الراهنة بعد التوسع ، وبـــين اقتصاره على تكريس ما هو واقع والتغني به وتأصيله في النفس الاسرائيلية . وعلى هـــذا الاساس فانه يرى ان وظيفة الادب هي أن يقول « هنا » و « هـــا هو » و « الان » . ولكن هذه المحاولة التوفيقية لا تتضمن اي نوع من الرفض لما يحققه العمل العسكري من تـــوسع اقليمي ، لان شامير لا يرى ان هنـــاك اي تعـــارض او تناقض بين ما يحققه الجيش الاسرائيلي انطلاقا من النداء « ورائي » ، وبين دور الادب العبري في « خلق الاحساس بالارتباط الجذري للجيل ببلاده دون ارتباط بحدود هذه البلاد » .

وبعد ذلك فان مجموعة الادباء الذين تحدثوا بعد موشي شامير وهم : اسحق شيلاف ، وبنيامين جلاي(٥)، وموشي دور(٦)، وموشي بزاجر ، يشكلون تقريبا خطا فكريا ومنهجيا واحدا . انهم جميعا يتفقون على ان « التاناخ » (العهد القديم) هو مصدر الوحي الذي يستقون منه ارتباطهم بأرض فلسطين وفق حدودها التاريخية التي حددهـــا لهم الوعد الالهي الوارد فيه ، ولذا فهم ليسوا في حاجة بعد ، ولا يرون ان هناك حاجة الى أي مثير شعري اخر يتخطى بهم الحـــدود الخضراء نحو حدود التوسع الجديـــدة المرسومة في الخريطة الصهيونية وفقا لما حدده لهم مغني المزامير وصاحب المرثيات . وهؤلاء الادباء

هم من ممثلي ادب الدعوة او الادب المجند ، وبصفة خاصة اسحق شيلاف ، عضو حركة « ارض اسرائيل الكاملة » واشد المتعصبين لتحقيق التوسع الصهيوني فيما يسمى بحدود اسرائيل التاريخية .

واخيرا فان النص الكامل لموقف هؤلاء الادباء والشعراء من هذه القضية يلقي ضوءا اشمل على اتجاهات الادب العبري المعاصر وعلى التيارات المختلفة التي توجد فيه وعلى موقف هذه التيارات من قضية الخضوع لمتطلبات الايديولوجية الصهيونية وفكرها التوسعي ومواكبة منطق العدوان الاسرائيلي وتغلغله في الارض العربية دون سند من الحق او القانون .

النص الحرفي لردود الادباء على السؤال

« مغني التاريخ يهمني أقل مما يهمني الافراد »

عاموس عوز :

طوال فترة طويلة جدا ، وطوال كل سنوات جيل الاحياء ، وفترة الاستيطان في البلاد ، سادت لدينا وجهة النظر المؤمنة بأن الادب هو قوة تسير أمام المعسكر ، ووجهة النظر المؤمنة بأن الاديب هو وريث النبي ، ومعنى هذا أنه الشخص الذي يناجي القوى التي لم يعتد عليها البشر العاديون مثل « روح الامة » و « حتمية التاريخ » و « حلم الاجيال » .. الخ . وقد استبدت وجهة النظر هذه أسسها من أن الاشخاص العلمانيين بيننا قد نموا من خلال ثقافة دينية لم تعرف من الادب سوى الادب الديني ، ولم تعرف من الادباء سوى أولئك الادباء الذين يتوجهون الى روح القدس بالصلاة والتوسل والاجلال والمديح . ومن الغريب انه حتى الثوريين الماركسيين واخرين من الذين كانوا بيننا كانوا شركاء في وجهة النظر هذه التي تبناها الثورية الماركسية هي الاخرى وهي : أن الاديب هو مبعوث ومرشد . وحتى يومنا هذا ما زال بيننا أشخاص يتجادلون مع القصيدة كما لو كان في المنظومات تحريض ما ، ويتجادلون مع الرواية كما لو كانت خطابا سياسيا في حفلة ... وفي خلال جيل البعث القومي كان هناك ادباء تحدد موقفهم الادبي على هذا النحو وكان هناك ادباء وشعراء تحدد موقفهم على نحو غير هذا ، ولكن مفسريهم فسروهم على اعتبار انهم كتبوا من اجل الجدل الفكري . وسوف أقدم ثلاثة نماذج منهم : قصيدة « في مدينة الذبح » التي كتبها بياليك ظللنا لمدة جيلين ننظر اليها باعتبار انها صرخة من الشاعر من أجل « الدفاع الذاتي » وكوعظ ضد « حرب الفئران واختباء البق » . ولكنني حينما اقرا هذه القصيدة اليوم وحينما ادرسها كمدرس للادب فانني اجد فيها احتجاجا شخصيا ضد نظم العالم ، ذلك العالم الذي فيه : « أشرقت الشمس وازهرت الشجرة وذبح الجزار » ، وهذا من طبيعة الامور . والمثال الثاني قصص برينر(٧) التي مالوا الى اعتبارها مرآة للجيل او صرخة غضب وشق طريق . والحقيقة ان برنار يحكي عن يهودي ممزق الى قطع واسمه برينر .

و « خربة خزعة » التي كتبها « يزهار » تقدم الينا حتى اليوم على انها مقدمات لبحث العلاقات الاسرائيلية — العربية . وفي الحقيقة فان هذه القصة ليس فيها اي اشارة لذلك ، وهي مجرد قصة عن يهود ويهود ، واكثر من ذلك : عما بين يهودي شاب ونفسه المزقة . والحقيقة هي انه في جيل الاحياء كانت الحلقة التاريخية الاجمالية والحلقة البيوجرافية تشكلان حلقة واحدة لا انفصال فيها ، وذلك لان الثورة المثيرة التراجيدية التي مرت على معظم الشعب اليهودي — مرت على الفرد ، وبالاخص على الفرد الحساس . لذلك فقد اعتدنا جميعا على أن نعتبر الادب « المجند » أو الادب الذي « يعكس وجه الجيل » هو النوع الوحيد من الادب ، وربما كنا بذلك شركاء في وجهة النظر الثقافية لكثير من الشعوب في أوقات الثورة .

والشيء الذي أقوله هو أن « الادب المجند » هو نوع أدبي شرعي وحيوي ، ولكنه ليس النوع الوحيد . وانا أعارض التفسير العدواني الذي يريد أن يعثر على « روح العصر » أو « روح الامة » حيث هما غير موجودين ، وحينما لا يفلح هذا التفسير في العثور على هذه الارواح أو في ادخالها الى داخل النص فانها ترفضه .

الى أي مدى يتخلل أي انتاج روح عصره — ان هذا الامر من الممكن أن نحدده فقط من خلال ثقب فكر الاجيال . ففي أوائل القرن التاسع عشر اهتزت الارض في روسيا وكتبت عشرات الروايات . وقد وجد دستوفيسكي انه

من الصواب ان يحكي ، على سبيل المثال ، عن طالب مهتز الفكر من الدرجة الثالثة في ضاحية منعزلة من الدرجة الرابعة ، يرتكب جريمة قتل من الدرجة الخامسة — وبالرغم من هذا فقد استوعب وشكل روح العصر اكثر الف مرة من اولئك الذين تناولوا القياصرة والثوريين . ومن الممكن ان نقول هذا ايضا عن « فلوبير » وعن قصته « الام بوفاري » . وقد أمسك تيار ادبي في النثر العبري في السنوات الاخيرة بطرف الخيط الذي تركه له ادباء مثل جنسين وبرينر وعجنون، ووفقا لتفسير ليس حقيقيا بالذات و « ايديولوجي جماعي » لكتابات هؤلاء الكتاب كان هناك اتجاه نحو « ضواحي الواقع » ، وأهملت محاولة امساك « الثور الواقعي » من قرنيه . لقد خلع الاديب رداء النبي وكف عن تناول الامة واختار تناول الاشخاص ، وكف عن تناول التاريخ والكينونة القائمة ، واختار تناول قوى الفرد وحالات الوجود المقررة والثابتة والتي لا تتكرر . لقد كف الاديب عن أن يكون مجرد عارض واختار أن يكون قصاصا . الى اي مدى نجح هؤلاء الادباء في استيعاب كل سلسلة الجبال في العصر حسب انعكاسها في شظية زجاجية لركن واحد من أركان الحياة — من الممكن أن تكون الاجابة على هذا السؤال من اخر الاجيال . لست اعتقد ان العصر يمكنه أن يكتشف « روح عصره » . لقد كنت أريد أن أؤكد أنه ليست هناك على هذا النحو أية ثورة في الادب العبري ، ولكن ما يوجد فيه هو كشف واعادة تفسير لما كنت أسميه « الخيط الرفيع » في شعر بياليك و أ. ص. ج. السابق وشتيانبرج(٨) وفوجل ونثر برينر وبرديتشفيسكي(٩) وجنسين وعجنون . واذا كان هناك تجديد في النثر وفي الشعر في السنوات الاخيرة بالمقارنة بالشعر والنثر في « جيل البالماخ » على سبيل المثال فان هذا قد حدث في المجال الذي كنت أطلق عليه : مسئولية جديدة للكلمات . لقد ساد بين مجموعة من الشعراء والادباء الشبان الاحساس بأن القصيدة او القصة ليست مصنوعة من أفكار ولا حتى من حادثة ، ولكنها مصنوعة أولا وقبل كل شيء من كلمات ومن جمل .

ولم يكن هناك « سير أمام المعسكر » لان هؤلاء الادباء والشعراء تخلوا مدركين وواعين عن الحث على السير أمام المعسكر . انهم ربما يكونون قد احسوا بأنهم لا يعرفون الى أين يجب على المعسكر أن يسير وفضلوا ان يسيروا وسط المعسكر وربما في ذيله . وانا نفسي لا أسير أمام اي معسكر لانني « لا اسمع أصواتا » او « أوامر » . انني لم اظهر مع مغني التاريخ لانه يهمني أقل مما يهمني الافراد ، ولو حاولت ان اتحدث باسمه لكنت مزيفا .

موشي شامير : الادب لا يقول ورائي بل يقول هنا وها هو والان ويجب ألا نطلب منه اكثر من ذلك

ان هذا السؤال يغيظني من حيث المبدأ لانه قائم على الخطأ في فهم العلاقة بين الادب والحياة . ومما يؤسف له أنه يفسر تفسيرا غير صحيح كذلك مغزى النداء الذي يقول « ورائي » الذي يميز الفرد في جيش الدفاع الاسرائيلي . وسوف أبدأ بهذا . ان النداء الذي يقول « ورائي ! » مرتبط بالعلاقات بين القائد ومأموريه في التدريبات وفي واقع الجيش وأساسا بالطبع في ميدان القتال . ومعناه : التمسك والاخلاص من جانب المقاتلين في أعقاب قدوة شخصية مثالية من قائدهم . ومما يبعث على سعادتنا ان هذا النداء (حتى في نطاق جيش الدفاع الاسرائيلي) لا يتضمن آراء سياسية وعقيدة دينية ومغزى خاص في غمار الحياة او وجهة نظر في الموضوعات الثقافية .. الخ. ان قوته وقيمته تكمنان — مثل قوة جيش الدفاع الاسرائيلي وقيمته — في انه داخل مجتمع ديموقراطي مفتوح ومتعدد الالوان يمكن من التركيز الاقصى لكل القوى في ساعة الضرورة وفي وقت الخطر — لدرجة التضحية بالنفس — من أجل حرب الدفاع عن الشعب . وليس أكثر من هذا ولا ينبغي أن يكون أكثر من هذا .

وبنفس القدر الذي نقول به أن لدينا « كل الشعب جيش » فانه صحيح كذلك وبنفس القدر ان نقول — وهو مما يثير الغبطة — أن كل الجيش عندنا شعب .

والادب العبري لا يمكنه بالطبع الا يكون عاملا اجتماعيا مثله مثل أي أدب في العالم . والادب العبري يوجد أمامه طريق واحد فقط ونسبة تأثيره الروحي تنطوي هنا على كيفيته الفنية — والطريق هو اعطاء حرية مطلقة وطبيعية للتعبير الحقيقي والاصيل لكل هذا القوس المتعدد الالوان من حياة الانسان من المجتمع الاسرائيلي . واذا كان هناك في هذا الادب شاعر او شاعران يدفعهم الحماس النفسي الداخلي الحقيقي عندهم الى الثغني بنبوءة نداء « ورائي ! » — فان هذا الامر يكون ملموسا في نوعية نتاجهم . انه لا بد من قوة شاعرية هائلة

ـ مثل تلك التي عند أ. ص. ج ـ حتى يمكن أن تخرج قصيدة كهذه بسلام من محنة الاتزان وان كانت في نهاية الامر ستكون على قدم المساواة ـ في قلب القارىء ـ مع قصيدة غنائية منطوية على نفسها ومتدثرة بالسر الوجود وحيرة الكينونة .

وما هو أهم من هذا اننا لن نتمكن ابدا من تحديد اي الاثنين « سيرتفع » اكثر الى الكيان الروحي للمجتمع الذي أنتج فيه ومن أجله .

هل « العمود السابع » الذي يكتبه « ناتان الترمان »(١) فعل من اجل تعليم الجيل وتشكيل الشكل الخاص الاصيل للشاب الاسرائيلي اكثر مما فعله باب « بهجة العيون » على سبيل المثال ؟

وبالنسبة للادب الفني ـ أعتقد انه فعل ما هو ربما أهم من تحديد هذه الاهداف أو غيرها لتقدم جيش الدفاع الاسرائيلي خلال حرب دفاعه : لقد ساعد كثيرا ، وفق أحسن قوته ، على خلق الاحساس بالارتباط الجذري للجيل ببلاده دون ارتباط بحدود هذه البلاد . وهذا الامر لم يتم وفق خطة منظمة ـ بل وفق مضمون طبيعي للحياة على ما هي عليه . وهنا من الممكن التحدث عن مجموع شامل ، بالتأكيد ، لتأثير جيل كامل في الادب ـ وان كان يشتمل انتاجات مختلفة تماما للمؤلفين الذين يناقض كل منهم الاخر احيانا في طابعه ووجهة نظره .

هذه هي قوة الادب ـ وهذه هي عقدة تأثيره ـ حيث أنه دون قصد وبميزان عناصر مختلفة ومتباعدة ودون خط أيديولوجي موجه ـ يكشف رويدا رويدا عن الاسس الخفية للعامل المشترك وللعامل الدائم ـ وهو يكشف بواسطة ذلك عن العامل صاحب التأثير .

ان الشيء المشترك العميق في الادب العبري لابناء الجيل هو الاحساس بالوطن . ان هذا الاحساس لا يمكن لاحد أن يسلبه اياه . ان هذا الاحساس هو احساس التبعية المتبادلة بين اليهودي وبلده ـ الاحساس الذي يمكن لكل التبريرات الايديولوجية أن تتقدم وتفسره وتؤيده ـ ولكنها لا يمكن أن تدعي حق الابوة عليه .

ان حقيقة انه ليس لدي اليوم أي احساس بالغربة تجاه أرض حبرون (الخليل) ـ هذه الحقيقة نابعة من انه لم يكن عندي احساس بالغربة تجاه تل أبيب . حتى في المجال السياسي فانني أعتقد ان المناقشة الدائرة بين رجال « أرض اسرائيل الكاملة » والمدافعين عن الانسحاب ، ليست حول مسألة ما اذا كان لنا الحق في الخليل بل حول ما اذا كان لنا الحق في تل أبيب وحولداه ومشمر هايمك . ولنأخذ على سبيل المثال انتاج سن. يزهار . انه من الناحية الايديولوجية يعتبر من كبار المتشككين عندنا . ولكننا جميعا نعرف السر ، لان البطل الرئيسي في انتاجه ليس الفتى ذا الشكوك الشخصية وليس كذلك بالطبع النموذج المتشكك في حد ذاته ـ بل طبيعة البلاد . ان التطهر والوضوح الذي يحدث في القصة العادية بواسطة الحادثة ـ يحدث عند يزهار بواسطة السير نحو الطبيعة ، نحو الوجود ، نحو السماء ـ وهي الاشياء التي يعود منها البطل شخصا اخر . وحينما ينتهي شخص من قراءة قصة ليزهار ـ ربما تبقى فيه همهمة من الشك ، ولكن تبقى فيه وبقوة اكبر بكثير نداوة حب طبيعة البلاد وانماتها والسعادة النابعة من الامتزاج بها . ان الادب لا يقول حينئذ : « ورائي ! » ، بل يقول « هنا » و « ها هو » و « الان » . ووفق رأيي يجب الا نطلب منه اكثر من ذلك .

اسحق شيلاف : الادب لم يحقق هدفه وهو : المحافظة على جذوة الاشواق الى اسرائيل الكاملة

يكفيني أن اذكر هنا ما قلته في « المائدة المربعة » التي عقدت منذ حوالي خمس سنوات حول موضوع « كيف نتحدث مع العرب » والذي تناولت فيه مع المشتركين في المناقشة مشكلة الحدود .

لقد كتبت حينئذ وقلت « علينا أن نعلم الشباب على أساس أرض اسرائيل الكاملة . وهذا الامر لا بد وأن يتم بواسطة الآباء ، ورياض الاطفال ، والمدرس ، والموجه في حركة الشباب ، والقائد في الجيش . وقد استطاع أن يقوم بهذا الدور أحسن من كل هؤلاء الادب العبري . ولكن هنا حدث شيء غريب ومحطم . لقد اجتمعت في ذلك الحين لجنة خططت للحدود على الورق ، وهي الحدود التي أخذت في الاعتبار الفرد اليهودي والامكانيات ، وقد بدأ أدبنا العبري يتلاءم مع خريطتها . ومن المحتمل ان تكون هناك حتمية سياسية تفرض علينا حتى الان ، الا يسير أي يهودي الى الجنوب من رامات راحيل والى الشرق من جبل صهيون ، ولكن كيف لا تسير أية

قصيدة او اي قصة في هذه الاتجاهات ــ هذا ما لا أفهمه على الاطلاق. ان اتفاقية الهدنة اصبحت عندنا بمثابة الكلمة الاخيرة ليس فقط في المجال العسكري بل كذلك بالنسبة لحركة الخيال الادبي . لقد اصبحت حدود الهدنة هي الحدود المحركة لنا وحدود اشواقنا ورغباتنا . وفيما وراء هذه الحدود ــ ليست لنا اي مطالب واي اشواق واي احلام واي قصيدة .

ان هدف الادب يجب ان يكون مختلفا تماما . ان عليه أن يحافظ على جذوة الاشواق تجاه كل ما فقدناه وتجاه كل مناظر الشرق التي يحكى عنها في « عهدنا القديم » . على الادب أن يشعل نار المعارضة لهذا الاستئصال المريع الذي فرضوه على جسد البلاد رغما عنها ورغما عن طبيعتها .

ان على الادب ان يعلم ابناء يهودا شريعة البلاد الكبرى والكاملة وأن يعدهم بالتغيير الحاسم في الايـام القادمة . »

لقد كنت مقتنعا من قبل بأن « التغيير الحاسم » (أي الجولة الثالثة وتحرير البلاد) سوف يأتي حتما ، وسعيت من اجل ادخال الوعي بهذا التغيير في القلوب . وقد كتبت الاشعار التي اعتبرت في حينها من قبيل الخزعبلات والتي يسخرون منها الان . وانني اذكر انهم اتهموني بأنني داعية حرب ، ولكن اتضح انني لم احرض بما فيه الكفاية . حقا ، أكثر مما اثرت هنا الاشعار اثر الرب الذي أثقل قلب فرعون وقلب سيحون وعوج للمرة الثانية في التاريخ . وأحيانا يستولي علي الفزع من فكرة : ماذا كان سيحدث لو أن الملك حسين استجاب لطلب اشكول ولم يتدخل في الحرب ؟

لقد كنا حينئذ سنصعد مرة اخرى على سطح نوتردام من اجل أن نطل من هناك على المدينة القديمة ونستمر في تلقي سيل القناصة الشهري من رجال الفيلق الاردني الذين على الاسوار ، ولم تكن أية قصيدة او اية قصة لتغير من الموقف .

وليس في هذا بالطبع أي تعد على اولئك الذين لم يكتبوا قصائد وقصصا عن البلاد التي وراء الحدود . واذا كانوا وفق أقوالهم قد اجتازوا البلاد طولا وعرضا حينما كانوا في « البالماخ » واحسوا تحت اقدامهم ببلاد واحدة كاملة وغير مجزأة وغير محظورة على أحد ــ فأين كانت ذكرياتهم عن هذه البلاد ؟ وأين كانت اشواقهم اليها ؟ ان الاماكن الواردة في اشعارهم وقصصهم هي من الاماكن الموجودة دائما في المجال المتاح وليست وراء الحدود . اننا نجد في هذه المؤلفات اسماء الكثير من « الكيبوتسيم » (الحقيقية والوهمية) ، وذكريات الطفولة في أحياء المدن المتاحة وفق القانون الخاص بتوطين اليهود ، ولكننا لا نكاد نجد اسماء مثل حبرون (الخليل) واريحا وشكيم (نابلس) ... والان ، الان فقط اكتشفوا فجأة هذه الاماكن في خريطتهم النفسية . ان هذا الامر لم يحدث قبل أن يفرضها جيش الدفاع الاسرائيلي في خرائط الـ ١٠٠،٠٠٠ والـ ٥٠،٠٠٠ (مقياس الرسم) الخاصة به ... واذا كان أحدهم قد تقدم ووصل في انتاجه حتى « الحدود » ــ فانه في هذه اللحظة لا يضف الا الجانب التراجيدي الذي في الحدود وعدم المنطق الذي فيها دون أن يثير الرغبة الواضحة لعبور الحدود والقضاء على المأساة وعدم المنطقية .

بنيامين جلاي : المحرك الاول هو العمل ومن بعده يأتي الشعر

انني اعتقد أنه توجد كل الانواع من « ورائي ! » ، ومثلما توجد سبعة أنواع وطبقات من السموات فربما كانت هناك سبعة أنواع من « ورائي ! » . وربما كانت « ورائي » السابعة هي تلك التي تقال بالكلمات ، وهي « ورائي » الفلسفية الادبية التي ليس لها غطاء من القدوة الشخصية ، ومن أجل « ورائي » كهذه ربما لا يجب حتى التحرك من على الكرسي أو مغادرة السرير ، لان الانسان يمكنه أن يقول بصورة رمزية : « ورائي بمحبة اسرائيل » و« ورائي بالانسانية » ... الخ .

و« ورائي » الاعلى او الاولى هي تلك الخاصة بالقدوة الشخصية . ومثال ذلك ما يقوله بن جوريون : « ورائي الى النقب » ــ وقد سار « في المقدمة » . وورائي الاكثر علوا هي تلك التي تقال في اللحظة الحقيقية من الصدام مع الموت ، وفي المحنة التي لا تتكرر ولا تعود ، والتي ربما يكون من المستحيل ان يقال فيها « ورائي » مرتين ، ولذلك فان المقارنة بينها وبين « ورائي » الخاصة بالشعراء هي مثل المقارنة بين الوقوف الذي في الساعة والوقوف الذي في الغابة .

واذا سألنا : ما الذي يسبق الآخر — العمل البطولي أم القصيدة ؟ حينئذ سنرى : لقد كان هناك البطل اليوناني أخيلس ، ثم جاء هوميروس الشاعر وكتب قصة أخيلس . وبعد ذلك يقولون ان الكسندر المقدوني لم يتحرك بدون انتاج هوميروس لانه أراد أن يكون هو أخيلس الثاني . وبعد ذلك جاء بلوتراك وكتب حياة الكسندر المقدوني . وبعد ذلك جاء نابليون — الذي أحب بلوتراك للغاية ... ما الذي نراه حينئذ ؟ نوع من التتابع . الشعر يأتي في أعقاب العمل ، والبطل والعمل البطولي يأتيان في أعقاب الشعر وهلم جرا . ولكننا اذا سألنا مع كل هذا ، ما هو المحرك الاول ؟ — فانني أقول : ان البطولة تأتي أولا ، والتضحية والاصالة — وبعد ذلك يأتي الشعر والدليل على ذلك قصيدة « دبورة » (قصيدة تمجد البطولة في العهد القديم) وكل القدوات الكبيرة .

وأنا أعتقد أن شبابنا ليسوا — حسبما قال ذات مرة أوري تسفي جرينبرج ، بحق ، ولكن عن موضوع آخر وبمناسبة موضوع آخر — مثل أولئك « الذين يقفزون الى وسط التاريخ » كما لو كان لا يوجد شيء قبل هذا ولا شيء بعده . ان شبابنا قد تعلم أولا وقبل كل شيء على « العهد القديم » وعلى تقاليد بطولة المكابيين ، وعلى أعياد اسرائيل وكل الشعر والبطولة التي تحويها ، وكذلك على الشعر الحديث ، وقد أعطى كل هذا لشبابنا المثل ، ولكن لا بد من أن نفترض أنه ستأتي انتاجات أكبر بكثير في اعقاب اعمال هذا الشاب .

واذا كان الحديث عن أجواء طبيعية فان هناك أجواء طبيعية في الجغرافيا وفي التاريخ وكذلك في الادب وحتى اللغة هي الاخرى عبارة عن منظر طبيعي ، كذلك فان الادراك اليهودي هو جو طبيعي ، كما أنه توجد اجواء طبيعة انسانية . لقد نقل الادب العبري القارىء العبري عبر كل هذه الاجواء الطبيعية . لقد نقله عبر الاجواء الطبيعية لفلسطين والقدس — والشاعر « ترني » ، على سبيل المثال هو اللا — تروبادور لشعر القدس ، وفي شعر شعراء « البالماخ » كذلك يوجد الكثير من الاجواء الطبيعية للبلاد .

« هل عدنا اليوم الى أجواء جديدة — قديمة ؟ — ولكن من ذا الذي يعرف حقا متى يعود ، أو متى بالتحديد سيكف عن العودة في أي مرة ... انني اذكر قصيدة تغنيت بها لكنعان منذ ٢٥ سنة اثناء الحرب العالمية الثانية . والقصيدة تسير على النحو التالي :

كنعان أيا كنعان ،
في نابلس وفي بيت لحم ،
أشجار الزيتون القديمة تصدر خشخشة
وهناك في الجنوب
هبت العواصف ،
وتنبأ العرافون .
طرق كثيرة تؤدي الى روما
وطرق كثيرة توجد للقلب
وضيف البيت هو واحد أوحد
ومن يحل عليه — يهاجر
لذلك يعوي هناك ابن آوى في وحشية
ونتسلق في كل يوم قمة التل
ونطلق الدخان في حلقات لا حصر لها
ونتطلع نحو طريق بئر سبع .

من أجل أي شيء ولماذا أعود فاشتاق في هذه القصيدة لهذا الجو ؟ ربما كان هذا بسبب الجو « التاناخي » (نسبة الى « العهد القديم ») الموجود في داخلي ، ولكن هذا يثبت انني أيضا لست من ابناء ارض اسرائيل الكاملة ، لانه في اللحظة التي لا يوجد فيها جبل جريزيم وعيبال في الحدود الاقليمية للدولة — فانهما يكونان موجودين في داخل قلبي وسيظلان كذلك دائما ابدا في ارض اسرائيل الخاصة بي .

موشي دور : هل صاح مؤلف سفر أيوب قائلا : « ورائي ! » ؟
ان الادب يهتم باتجاه الفرد

سنتدرج في الاجابة حسب تسلسل الصعوبات : هل من وظائف الادب عامة — اذا كانت له وظيفة سوى مهمة « أن يكون طيبا بقدر الامكان » — ان يقول « ورائي ! » أهل يلقى على عاتق الادب هدف اجتماعي — سياسي محدد ، عليه أن يحققه ؟ وهل من المحتمل أن نجعل المشكلة على النحو الذي تعرض به الان ، بعد كل الدروس التي تعلمناها مما يجري في البلاد الديكتاتورية ؟

لست أعتقد ان الاديب يجب أن يرغرف على أجنحة السحاب معفى من أي اتصال بالعالم الخارجي . ان انفصالا كهذا عن عالم الانسان يؤدي في نهايته الى أدب أنيمي مصاب بفقر الدم ، ويتغذى فقط على الحدود الذاتية للاديب . ولكن في الوقت نفسه محظور على الادب ألا يقدم رقبته لاي نوع من الاملاء . ان الفن الخلاق — من ناحية تناوله الجهات «الرسمية» او «الحزبية» بأشكالها المختلفة — هو منه ذو سيادة ومستقل تماما . انه يجب ألا يتلقى أوامر أو توجيهات من جانب أي شخص خارج نطاقه . ان قضية عدم عزل الاديب عن خضم الحياة ، هي قضية يجب أن يعرضها هو على نفسه ، والاديب نفسه هو الذي يحكم الى مدى يستجيب لهـا (اتجاهات الانتاج الحقيقية بالطبع المنفصلة والبعيدة عن « المؤثر » الخارجي) . ان اي سياسي من المحظور عليه أن يدخل بأحذيته الى مجالات حرية الفن سواء كان « يساريا » او « يمينيا » او متوجا باطارات أخرى. ان هذه الحرية لا تقل في قدسيتها عن حرية الجامعات ، وان كان هناك شك في ان عدد الادباء الحقيقيين كبير الى الحد الذي يتيح تنظيم موكب احتجاجي معقول واحد .

وبالنسبة لصلب الموضوع : لست أعرف ما اذا كان للادب اليوم تأثير مبدئي (أساسي) قوي للدرجة التي يجعل بها الكتائب تقف على أقدامها ويساعدها في التشكيل القتالي الى ميدان الحرب . ان تأثير الادب معروف، أولا وقبل كل شيء ، في المجال الفردي ، وعمله يتم بواسطـة أدوات ملتزمة . انه يبتعـد عن الدعايـة (البروباجندا) : ليس من المحتمل عمل كيفية مثالية مع الاستعانة بأساليب « التلطيف الشعري » . ان الشعر سيضعف بمرور الوقت وسيتخلى التلطيف . وهنا أصل الى ا. ص. ج (أوري تسفي جرينبرج) ، الذي يقوم على اعتبار انه الشاعر الذي قال « ورائي » بقوة والكل يمدحه على ذلك . انني اعتبر نفسي من بين مقدري ومبجلي الشاعر « أوري تسفي جرينبرج » الذي يعتبر من مطاحل الشعر العبري ، ولكنني باي حال مـن الاحوال ، لست أعد من بين مقدري الايديولوجي والدعائي ا.ص.ج. ان هذا من حقي كمواطن في دولة حرة. ويبدو لي أن أولئك الذين تربوا في أحضان شعر ا. ص. ج. من بين الجمهور اليهودي وينظرون اليه باعتباره موجها ورائيا ، قد تأثروا أساسا من تلك المجموعات الشعرية الخاصة به والتي تعتبر في نظري مجموعة فكرية أساسا . لقد تعلموا على أسس المنشورات السياسية المنقوطة التي كتبها ، ولم يتعلموا على اساس شعره الحقيقي . وبالطبع فان ا. ص. ج يتميز بمقدرة كبيرة كرجل دعائي — وهي تلك المقدرة نفسها التي تراءت له حينما أراد التعبير عن افكار وخلجات « بو علي تسيون » (عمال صهيون) — وكل من يقرأ ثمرة مقدرة هذه الدعاية لا يمكنه أن ينكر العبقرية التي يقدمها للعالم ، ولكن هذا ليس شعرا ، بل دعاية — دعاية براقة ، مليئة بالقوة ، وفياضة ، وعنيفة ، ولكنها أولا وأخيرا ليست الا دعاية .

ومن يحب شعر ا. ص. ج — دون التنكر للاسس الفكرية الموجودة به ، حسبما هي موجودة في محصوله الدعائي ، وان كانت النسب مختلفة هناك تماما — ليس هو بالذات ذلك الشخص الذي يتخلل حياته نداء « ورائي » الموجود في شعر ا. ص. ج لدرجة انه يقوم ويقول مجيبا : « ها أنذا » . ان الامور معقدة ، وصور الوجود في الشعر والحياة هي الاخرى معقدة ، وليس من السهل عمل عمليات تصنيف ووضع فواصل. ان الادب لا يصل حتى « الخطوط الخضراء » ويقف عندها . ان الادب لا يأخذ في الاعتبار الحدود المادية وذلك لانه نتيجة روح الانسان ، ولذا فليس من مهامه أن يصرخ في الدبابات . ان الادب قائم على الانسان الفرد ، وينبع منه ويتحرك من داخله ونحوه . ان محبة البلاد (فلسطين) هي أولا وقبل كل شيء ، موضوع الفرد كما أن المجموع من المستحيل أن يكون مجموعا ما لم يتجمع أفراده معا ويشكلوه . واذا لم يشعر الفرد بهذا الحب الذي يعتبر فعلا متعديا لما أطلق عليه تشرنيخوفسكي (شاعر عبري ١٨٧٥ — ١٩٤٤) : « الانسان هو خلاصة جو وطنه » فان أي أصوات نفيرية او عمليات قرع للاجراس من « الادب المجند » (أو باسلوب آخر :

الادب المخول من السلطة) لن تحركه من مكانه .

ان اسرائيل بالنسبة لي ، هي أولا وقبل كل شيء وجود نفسي وجسماني (مادي) عميق لانني على ارضها رأيت نور العالم وفي أحوائها تربيت وكذلك نشجت وليس لي وطن غيرها ، ليس على شكل علة الحنين للوطن قبيا وراء البحار ، وليس على صورة « الشرائح اليهودية » التي تعبر عن الاشواق الطبيعية لمن استاصلوا أو استؤصلوا من هناك وتخرب بيت ابيهم . ان أرض اسرائيل بالنسبة لي هي بلد واحد لانها لم تكن على شاكلة أخرى اطلاقا . ولم يكن أ. ص. ج هو الذي طبع لي هذا الاحساس المضموني . انها الارض هي التي فعلت هذا . ان اصحاحات « التاناخ » (العهد القديم) التي خلقت العلقات الروحية التي ربطتني بماضي شعبي هي التي زودت الرباط العقلاني المطلوب لابن قطر معين من البلاد من أجل تمييز آثار آبائه في الرمال . ولكن صلة الولادة والنمو والتشكيل قد سبقت البناء العقلاني .

وفي « العهد القديم » توجد اصحاحات شعرية رائعة ، ولكن قوتها تنبع أولا وقبل كل شيء من كونها انتاجا فنيا كبيرا وذا صفات انسانية عميقة . وتوجد في « العهد القديم » كذلك أجزاء أخرى سيئة من الناحية الفنية — وكذلك من الناحية الانسانية — وتأثيرها على نفس القارىء اقل بكثير جدا . هل صاح مؤلف سفر أيوب قائلا « ورائي ! » . هل جاء شاعر « نشيد الانشاد » بالجموع الى مهد محبوبته ؟ الم يرق مؤلف مراثي داود على يهوناثان دماء قلبه على صديقه الاوحد الذي لا شبيه ولا مثيل له ؟ وهل تأملات « الجامعة » الحكيمة في يأسها واليائسة في ادراكها ، ألفت بناء على أوامر من السلطة ومن المباييم (اتباع حزب المباي) في حقل الثقافة ، أم طغت وارتفعت من خلال التبصر الصافي والهادىء والتراجيدي لرجل عبري خلال تجربة حياته هو وتجربة حياة الآخرين من خلال زاوية تأمله الخاصة به ؟

وتوجد في « العهد القديم » بصراحة فصول أخرى من التاريخ السياسي ولكنها ليست هي التي استولت على قرائه في كل عصر على وجه البسيطة : لقد ظلت تلك الفصول على ما كانت عليه منذ بدايتها — مجرد تاريخ سياسي لا أقل ولا أكثر من هذا — ولست أستهين بأهميتها . انها تكمل بالنسبة لي ما وضعته وتناولته الفصول الاخرى بواسطة اللمحات الانسانية الفنية التي تحويها ولكنها لا يمكن ان تحل محلها . ومن المفهوم بالنسبة للقارىء العبري ان « العهد القديم » هو دائما بمثابة « وأيضا » : وثيقة فنية وانسانية سامية المكانة بطاقة الهوية التاريخية الخاصة به ولو لم تكن به الصفات التي حافظت عليه عبر كل دورات الزمن ، وهي تلك الصفات الفنية الانسانية العجيبة ، لما أمكن الحفاظ على بطاقة الهوية الا في المتاحف الاثرية . وعلى أي حال من الاحوال فانه لم يكن هناك ميثاق متقد في الحياة الابدية له ابعاد واقعية ندية مثل ذلك النواح على الاجواء القديمة وعلى أجواء تجددنا .

وهذه الحياة الابدية — لم تأت من « توجيهات » ولا من « منشورات » ولا من « ورائي ! » .

وبالاضافة الى هذا : فان وعيي في عصارة عظامي بوحدة أرض — اسرائيل — وراء حدود هذا الواقع الراهن أو غيره — لم يحجب عن عيني رؤية وجود الامة الثانية بفضل أحفاد الاحفاد ، وليس بفضل السيادة على أرضها . لقد اعتقدت وتلقيت هذا الاعتقاد بالقبول ، بأن الحق ، ولو حتى حق آبائي الذي هو أقدم وأعمق من جميع الحقوق لا يلغي حقا . ومن أجل ذلك لم اكن في حاجة الى نظريات تدلل على ان أولئك المقيمين هم أحفاد آبائي الذين امتزجوا بالمحتلين وطمست معالمهم ، ان قوتي تكمن في قدرتي على صد الذين ينقضون لابادتي ، ولكن قوتي تكمن في الوقت نفسه في قدرتي على الحفاظ على صورة الانسان بداخلي ، وعلى المحافظة على الارث الانساني المتمثل في الكتب القديمة . هذه هي ميزتي ، وهذه أيضا هي حكمة الحياة وحكمة الدولة وحكمة الشعب .

موشي براجر : هناك كتاب واحد فقط وهو «التاناخ» (العهد القديم) الذي قال «ورائي!» وقد رد عليه الواقع وسيرد عليه قائلا « آمين ! »

ان السؤال الخاص بنداء الامر : « ورائي » مرهون من أساسه بمعرفة صلاحية ومقدرة فرض سيادة صاحب النداء — وهذا يعتبر في نظري بمثابة المحك لنفس موقف الادب العبري المعاصر .

ان اليهودية الاصيلة تميز بين اصلاحين منفصلين هما : « التوراة » و« الحكمة » . وقد قيل عن ذلك : « هناك

حكمة بين « الجوييم » (الشعوب الكافرة) في هذا — أما أنه توجد «توراة» بينهم — فلا تثق في هذا ».

ان كلمة « توراة » مصدرها وكذلك أصلها اللغوي جاء من « تعليم » : و « لتعليم بني اسرائيل » . ان غاية التوراة وهدفها هما : « التعلم والتعليم ، والمحافظة والعمل والتنفيذ » . هذه هي الصفة المميزة لشعب اسرائيل عبر التاريخ : التوراة المرتبطة بالحياة والتي تشكل وتصوغ الحياة اليومية ، « الخطوات » مع « الشرائع النظرية » (الهالاخوت) مندمجة معا .

ومن هنا فان الاستنتاج الذي يكون وفقا لمفاهيم اليهودية هو انه لا يوجد بالفعل رجل — توراة ، حتى ولو كان هذا الرجل عبقريا في التوراة ما لم ينفذ بالكامل مبدأ التحقيق الذاتي ولا يوجه اعماله واخطاءه وفق شرائع وأوامر التوراة .

و« الحكمة » في مقابل هذا تتميز بالتعامل الحر المحبب نحو المعقول ، فمن الممكن ان تؤخذ في الاعتبار على أنك « حكيم » واضح وان تعيش عكس كل مبادىء « الحكمة » . ومضمون الحكمة غير محدد هنا بالمرة : هل هي تشتمل على صفات المعرفة والمنطق والبصيرة النافذة أم انها عبارة عن مستوى من المعرفة والخبرة في المجالات الروحية ، أم ان الحكمة تبلور تجربة علمية — اختبارية لا دعوى لها .

في كل هذه النماذج لا يرى « صاحب الحكمة » نفسه على الاطلاق باعتبار انه مأمور بأن يتصرف وفق توجيهات كل « الحكم » التي ينادي بها . يكفي الحكمة ان تعتبر (ثلاثية المغزى) كتسلية ذهنية وكمصدر للمتع الروحية وكأداة لاثراء الحياة ولاستغلال ظروفها لاقصى حد .

ولذلك فان هناك تحذيرا يقول : « الحكماء هم للشر » . ولا داعي لان نذكر حكماء الاخلاق من بين الشعوب لان من بينهم من هم في المرتبة الاولى في تاريخ الحضارة بينما كانت حياتهم الشخصية نموذجا لعدم الاخلاق ، واكثر من هذا فانهم بالذات من خلال الانغماس في متاهات الانحلال والتدهور وتدمير الاسس والمعايير قد استقوا « الحماس الاخلاقي » المقنع للغاية .

وبالنسبة للادب الاسرائيلي وأبعاد تأثيره ، فان الاختبار الحاسم هو ، من أين يستلهم وحيه ومعرفة قيمته : هل من مصادر التوراة والايمان أم من آبار الحكمة والمعرفة المحترفة ؟

اذا كان هناك كتاب يقول « ورائي » وسيظل يقولها ، وسار الواقع بالفعل وراءه وما زال يسير ، فان هذا الكتاب هو « كتاب الكتب » (التاناخ) وكل الادب اليهودي الذي ولد حوله ومشبعا بروحه . ان جذور المشكلة تكمن حينئذ من صورة تعامل الادب الاسرائيلي مع « التاناخ » (العهد القديم) والعلاقة بينهما . والخيار واحد ولا يقبل التأويل : اما التاناخ — كالكتب المقدسة وكمصدر وحي لقدسية الحياة (ومنه ايضا : سمو الحياة ، ومعنى الحياة ، وسرور الحياة) ، وكصك للنسب الخاص بالشعب المختار ، وكصك لشراء الارض الموعودة ، وكأداة توصية ، وكجسر للرسالة الروحية اليهودية من « بداية الخلق » حتى « نهاية الايام » ، أو معاذ الله ، العكس من ذلك ، أي « التاناخ » — كتجميع ليست فيه قدسية الانتاجات الادبية المختلفة والمتنوعة كذلك والنسبية الى حد ما في قيمتها المؤكدة ، وكمجموعة شهادات وتاريخات تاريخية موثوق بها أقل أو أكثر ، وكحقيبة « لنصوص » قديمة موضوعة تحت تصرف « ناقدي العهد القديم » الذين يعينون انفسهم ويتوجون انفسهم من أجل تنفيذ التدريبات الجدلية كافة بما فيها الكفاية ، وعمليات الحذف والتعديلات ، وكذلك التحليلات الجائرة الغريبة للغاية لهذه « النصوص » .

أن هذا التناول العلماني « للتاناخ » وهذا التناول المدروس لكتاب الكتب هو كل خطأ الادب العبري منذ ايام « الهسكلاه » (حركة التنوير اليهودية) حتى أيامنا هذه . لقد اعترفت كل الشعوب بأن الشعب اليهودي هو « شعب الكتاب » ، وليس معنى هذا انه الشعب « الذي يحب » الادب او « الذي ينتج » الادب ، لان هذه الاشياء وجدت كذلك بين مئات الامم الحضارية . ان معنى « شعب الكتاب » انه الشعب الذي يعيش وفقا للكتاب ، وان الكتاب والامة يشكلان مضمونا واحدا . وليس هناك شعب أكد اتصاله بالكتاب ، وبمتعة التفكير مثلما عبر عنها صاحب « المزامير » : « اصبحت قوانينك لي مزامير » — هذا هو « لحن الجمارا » الذي لا مثيل له في العالم .

ان علاقة اليهودي بالكتاب قد تجلت في القبلة المرتعشة لصفحة ممزقة قطعت من الكتاب وسقطت على الارض ،

ورعيها اليهودي باصابع الحب وحافظ عليها الى ان اخوها في احتمال الدفن معه في مقبرته، كما يدفنون الانسان الذي خلق على نفس المثال . ان كتابا كهذا ، كل مضمونه وغايته كان : « ورائي ! » ، وهذا هو الاختلاف الخارق بين « التوراة » و« الحكمة » : ان التوراة تقدم « المعرفة » و« طريقة الحياة » لان لها الصلاحية العليا لذلك ، و« الحكمة » تعرض « رواية » للقراءة ، و« مقالة ادبية » للمتعة ، ودراسات الطبيعة للفائدة العملية ، واذا تجرأت على صياغة وجهات نظر فلسفية خلقية — فان القارىء المتطوع يمكنه ان يسأل — في اللحظة التي لا يحلو له ان يتصرف وفقا لمبادىء علم الاخلاق — : « من نصبك قيما ؟ » .

واذا لم يكن هناك على الاطلاق مصدر للوحي الاخلاقي غير « العهد القديم » — فان لنا ولشعب اسرائيل ، يعتبر « العهد القديم » هو مصدر الوحي الروحي الذي يضم كافة الحياة ، وكافة الشرائع التي بين الانسان والهه وصديقه وشعبه وبلده والعالم كله . ان الادب اليهودي المنعزل عن جذور « العهد القديم » يكون منعزلا كذلك عن جذور الواقع اليهودي المتصل بالحاضر أيضا ، وبالتالي فانه لا يمكن ان يقول « ورائي ! » .

---

١ — **أوري تسفي جرينبرج** : شاعر اسرائيلي . ولد عام ١٨٩٤ في جاليسيا ، وما زال على قيد الحياة . من أشهر قصائده قصيدة « مانيفستو » التي تعبر عن خراب العالم بقيمه . هاجر الى فلسطين ١٩٢٣ ، وكان من المقربين الى « كتيبة العمل » . وفي نهاية العشرينات حدث تحول في وجهة نظره الايديولوجية ، وأعرب عن خيبة أمله في هدوء الزعامة الصهيونية واليشوفية ، وتقرب من الحركة الاصلاحية (حركة جابوتنسكي) . كان عضو الكنيست الاول عن حزب حيروت الارهابي . مشهور بأنه فاشيستي، وهو من زعماء حركة « أرض اسرائيل الكاملة » التي تعارض الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، وتطالب كذلك بالمزيد من الاحتلال حتى استكمال « ارض اسرائيل » بحدودها التاريخية المزعومة .

٢ — **ابراهام شلونسكي** : شاعر ومترجم . ولد في ١٩٠٠/٣/٦ في روسيا . هاجر الى فلسطين عام ١٩١٢ . بدأ النشر في مجلة « هشيلواح » عام ١٩١٩ . عاد الى فلسطين مرة اخرى بعد جولة في الخارج عام ١٩٢١ ، وعمل عامل طرق وعامل بناء . انضم وترأس تيارات شابة في الادب العبري المعاصر تركزت حول المجلات الادبية « كتونيم » (كتابات) و« طوريم » (سطور) . رئس تحرير الملحق الادبي لصحيفة هآرتس خلال السنوات ١٩٢٨ — ١٩٤٢ . من مؤسسي مجموعة الشعراء الشبان «يحداف» (سويا) عام ١٩٤٢ . مؤسس ورئيس تحرير دار نشر « هشومير هتسعير » ، و« مكتبة العمال » ، ورئيس تحرير مجلة «عتيم» (أزمنة) الملحق الادبي لصحيفة «عل همشمار» (الصحيفة الصهيونية اليسارية) ، ورئيس تحرير « اورلوجين » المجلة الادبية . نشر الكثير من المجموعات الشعرية ، وترجم الكثير من انتاج جوركي وبلوك ودنكان وهوجو وانسكي وتروتسكي وبرخت وجوجول وشولوخوف وبوشكين وشكسبير وغيرهم . نال العديد من الجوائز الادبية .

٣ — **عاموس عوز** : من مواليد القدس عام ١٩٣٩ . درس في الجامعة العبرية الادب والفلسفة وتخرج عام ١٩٦٤ . حصل على الماجستير من جامعة اكسفورد عام ١٩٧٠ . عضو كيبوتس حولداه منذ عام ١٩٥٧ . يعمل مدرسا في المدرسة الثانوية في الكيبوتس . خدم في « الناحال » (شباب الطليعة) ، ومن الاعضاء العاملين في كيبوتس « من هيسود » ٦٢ — ١٩٦٤ . عمل استاذا زائرا في كلية سانت كروز بجامعة اكسفورد عام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ . نشر مجموعة قصص قصيرة بعنوان « بلاد ابن آوى » (١٩٦٥) . صدرت له الروايات : « مكان آخر » (١٩٦٦) ، و« ميخائيل الخاص بي » (١٩٦٨) ، وعشرات من الكتابات والمقالات في الصحافة الاسرائيلية وخارج البلاد .

٤ — **موشي شامير** : أديب ، وكاتب مسرحي وصحفي . عضو اكاديمية اللغة العبرية . مندوب قسم الاستيعاب التابع للوكالة اليهودية في انجلترا . ولد في ١٩٢١/٩/١٥ في صفد . عضو كيبوتس مشمر هاعيمك . خدم في البالماح . مؤسس المجلة الناطقة بلسان الجيش الاسرائيلي « بمحنيه » . عضو تحرير صحيفة « أومر » عام ١٩٥١ . كان له عمود خاص في صحيفة

«ال همشمار» وبعد ذلك في صحيفة «معاريف» (رئيس تحرير الباب الادبي في « معاريف ») . مؤلف الروايات : « ذاهتب في الحقـــول » (جائزة اوسشكين عام ١٩٤٨) ، و« بكلتا يديه » (جائزة برينر) ، و« ملك اللحم والدم » ، و « حروب بن أور » (جائزة بياليك ١٩٥٥) ، و« نهاية العالم » ، و« البعجلة الخامسة » ، و« منزل في حالة جيدة » و« الوريث » . وبعد حرب ١٩٦٧ كتب كتابا بعنوان « حياة شعب اسماعيل » عن العلاقات بين العرب واليهود . مثلت له مسرحيات عديدة . .

٥ ــ **بنيامين جلاي** : أديب . ولد في ١٩٢١/٤/١٠ في روسيا . هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٦ . تعلم في تل أبيب . خدم في سلاح الطيران البريطاني في الحرب العالمية الثانية ، وعمل مستشارا للصحافة ، في بلدية حيفا عام ١٩٦٢ . وله عمود دائم في صحيفة معريف بعنوان « عن فنجان قهوة مقلوب » . من كتبه الشعرية : « الشعب الروحي » (١٩٤٦) ، و« الماكرين » (١٩٤٩) ، و« العودة الثالثة » (١٩٥٣) ، و« علـــى شاطىء الرحمة » (١٩٥٨) ، و« رحلة الى الشمال » (١٩٦٨) ، و« جدل الخمر في فناء ارميلوس السابع عشر ملك « فيليبو » (١٩٦٨) . حصل على جائزة برينـــر ، وجائزة فيخمان ، وجائزة انا فرانك ، وجائزة لمدان لادب الاطفال . كتب بعض القصص والروايات للاطفال .

٦ ــ **موشي دور** : صحفي . عضو تحرير صحيفة « معريف » منذ عام ١٩٥٤ ــ ١٩٥٨ . ولد في ١٩٣٢/٢/٩ في تل أبيب . درس في جامعة القدس ، وتل أبيب قسم العلوم السياسية . صاحب عمود أدبي في صحيفـــة حزب المابام « عـــل همشمار » . عضـــو نقابة الادباء ونقابـــة الصحفيين . رئيس جمعية الملحنين والمؤلفين (أكوم) .

٧ ــ **جوزيف حييم برينر** : كاتب وروائي عبري (١٨٨١ ــ ١٩٢١) . تتخلل جميع رواياتـــه شخصية واحدة تلقى مصيرا واحدا على الدوام : بدايات فاشلة في معترك الحياة تتبعها المساعي الخائبة التي تترك مرارة في النفس ونقمة على العالم أجمع . صور الحياة الفلسطينية بأسلوب واقعي . مزج في حياته بين الحركة العمالية ومطامع الاستعمار الصهيوني .

٨ ــ **يعقوب شتايبرج** : (١٨٨٧ ــ ١٩٤٣) . شاعر وأديب اجتماعي وسياسي .

٩ ــ **ميخا يوسف بردیتشفیسکي** : (١٨٦٥ ــ ١٩٢١) . كان من المتأثرين بفلسفة نيتشه ، وطالب بتغيير القيم اليهودية والتخلص من نير الماضي اليهودي بكل ما يمثله من تخلف وخنق لغرائز الانسان وروحـــه . اعتبر ان العودة للطبيعة والفرد خلاصة للثورة القومية .

١٠ ــ **ناتان الترمان** : (١٩١٠ ــ ١٩٧٠) . هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٥ . انضم الى جماعة شلونسكي التي اشاعت روحا جديدة في جيل الشعر التالي لعصر بياليك ، نشر كتابه الاول « كواكب في الخارج » عام ١٩٤١ ، وبالرغم من انه استقبل بصمت الا انه غير مؤخرا ، ربما اكثر من اي كتاب آخر ، وجه الشعر العبري في فلسطين . اشتهر الى جوار الترمان الشاعر ، الترمان الاجتماعي السياسي الذي كان يعبر عن نفسه مرة كل اسبوع في منظومات « العمود السابع » في داغار ، بعد قيام الدولة اصبح شاعرها القومي ورجل المؤسسة الحاكمة .

مراجعـــات

الدكتور يهوشافاط هاركابي ، تيارات في السياسة والاجتماع العربي بعد حزيران ١٩٦٧ ، (دار النشر العربي ، تل ابيب ١٩٧١) .

من المعروف ان سلطات الاحتلال تحاول القيام بنشاط اعلامي و « تثقيفي » في الضفة الغربية وقطاع غزة (على جميع المستويات) بين صفوف السكان العرب لخدمة اهدافها ، وكان اخر عمل في هذا الميدان صدور كتاب من وضع الخبير الاسرائيلي في الشؤون العربية ي. هاركابي تحت عنوان « تيارات في السياسة والاجتماع العربي بعد حزيران ١٩٦٧ » . وقد وجدنا انه من المفيد اطلاع القارىء العربي على انموذج هام لهذا النوع من النشاط الذي تقوم به الدوائر الاسرائيلية في الاراضي المحتلة . كما هو معلوم كان هاركابي مديرا عاما للمخابرات العسكرية الاسرائيلية وهو يشغل الآن منصب استاذ في الجامعة العبرية . والكتاب من اصدار دار النشر العربي في تل ابيب وهي مؤسسة تابعة للهستدروت . يضم كتاب هاركابي مجموعة مختارات من الكتابات العربية التي صدرت بعد حزيران ١٩٦٧ حول موضوع الهزيمة العربية واسبابها وطبيعة الصراع العربي الاسرائيلي ، بالاضافة الى مقدمة طويلة بقلمه مكرسة لدراسة ما يسميه بالتيارات الفكرية العربية التي برزت في تفسير الهزيمة وتحليلها وفهمها واقتراح السبل لتخطيها . وكان هاركابي قد نشر الترجمة العبرية لمعظم هذه المختارات مع مقدمته المذكورة في كتاب عنوانه « العبرة التي استخلصها العرب من هزيمتهم » اما في الطبعة العربية فقد ادخل هاركابي بعض التعديلات واضافات ملحقا قصيرا موجها للقارىء العربي ، كما اضافت دار النشر مقدمة خاصة بها تحت عنوان « التيار السادس » قاصدة بذلك الاشارة الى ما تسميه بوادر ظهور تيار عربي جديد ازاء الصراع مع اسرائيل غير التيارات الخمسة التي حددها هاركابي في مقدمته . والمقصود بذلك هو التشديد على الاصوات الداعية للتفاهم مع اسرائيل والاعتراف بها والعمل معها على « ازدهار المنطقة » في المستقبل .

ان اول ما نلاحظه حول هذا الكتاب هو انه يريد تقديم صورة معينة للقراء العرب تحت الاحتلال لموجة النقد والنقد الذاتي التي حمل لواءها عدد من الكتاب والمثقفين في العالم العربي (من اتجاهات سياسية وايديولوجية متعددة) بعد هزيمة حزيران وذلك من خلال منظار اسرائيلي يشدد على ان الموجة ليست الا مسألة تيارات متعددة تتنازع فيما بينها وتحاول شد المجتمع العربي باتجاهات متضاربة ومتعاكسة وكان كل تيار منها يقف على قدم المساواة مع غيره من التيارات من حيث الاهمية والتأثير والمقدرة على التعبير عن الحركة الموضوعية للعوامل الفاعلة باتجاه تخطي واقع الهزيمة وتجاوزه . ومن ناحية ثانية نجد ان تحليل هاركابي لا يرتبط بصورة واضحة بالنصوص التي يوردها من مؤلفات الكتاب العرب، اي ان المقدمة ليست محاولة لتحليل هذه النصوص بل تركز على تصنيف التيارات الفكرية السائدة (من وجهة نظره) في الفكر العربي السياسي بدون الاشارة بالضرورة الى علاقة هذا التصنيف بالنماذج التي يقدمها في صلب الكتاب . على سبيل المثال لا يذكر هاركابي فيما اذا كان يعتبر ما أورده من كتابة ادونيس حول الهزيمة العربية داخلا في التيار الثوري او الاصلاحي ، والشيء نفسه ينطبق على ما اورده من كتابات ناجي علوش . كذلك يستشهد هاركابي في مقدمته بعدد من الكتاب والكتب (مثل سعد جمعة وفاضل الجمالي واحمد بهاء الدين وجبران شامية ...) بدون ان يورد لهم اية مقتطفات في كتابه . وهنا لا بد من تعريف القارىء بالمختارات التي انتقاها هاركابي ليعرضها في مؤلفه : جزء كبير من كتاب صلاح الدين المنجد « اعمدة النكبة »،

اجزاء من كتابي « النقد الذاتي بعد الهزيمة » وكتاب قسطنطين زريق « معنى النكبة مجددا » ، « بيان ه حزيران » لادونيس (مجلة «الاداب» ، آب ١٩٦٧) ، مقال ناجي علوش « جدل الهزيمة والنصر » (« دراسات عربية » ، ٢ ايلول ١٩٦٧) ، قطعة لعبد الرحمن البزاز بعنوان « كيف يربح العرب العرب ! » (في مجموعة حول النكبة الحاضرة) ، مقال لابراهيم عامر « الدعايات العربية في الميزان » (الاداب ، تشرين الاول ١٩٦٧) ، ومقالان لكل من سيسيل وجورج حوراني عنوان الاول « لحظة المصارحة » (« النهار » ، ١٢ آب ١٩٦٧) وعنوان الثاني « العرب واليهود في فلسطين : نظرة اخلاقية » (« القضايا المعاصرة »، صيف ١٩٦٩) . ولا اعتقد انه من قبيل الصدفة ان تكون اطول المقتطفات التي اختارها هاركابي مأخوذة من كتاب « اعمدة النكبة » للمنجد الذي يضعه هاركابي ضمن الاتجاه الاسلامي المحافظ ويبدي اهتماما كبيرا بمؤلفه على الرغم من انه ، ضمن حدود معلوماتنا ، لا يوجد اية اشارة تبين ان كتاب المنجد قد استقطب اهتماما خاصا في الاوساط الثقافية والسياسية (رسمية كانت ام شعبية) الفاعلة في الحياة العربية او انه مارس تأثيرا مهما من اي نوع كان في صفوف الانتليجنسيا العربية تجلى في مناقشات حول الاراء الرجعية المحض التي طرحها المنجد في كتابه . وينطبق هذا الاعتبار على عدد لا بأس به من المقتطفات التي ضمنها هاركابي في كتابه مثل مقالة سيسيل حوراني « لحظة المصارحة » التي خرجت على سطح الفكر السياسي العربي مثل الفقاعة وتبددت بسرعة ولم تترك اي اثر او تستقطب اي اهتمام وطواها النسيان بسرعة ليعود الان هاركابي الى احيائها وتقديمها الى القراء في الضفة الغربية وكأن ما جاء فيها من آراء مطروح بصورة جدية وملحة على الفكر العربي .

يستخلص هاركابي من متابعته لحركة الفكر السياسي العربي بعد هزيمة ١٩٦٧ وجود خمسة تيارات متنازعة هي :

(١) التيار الاصلاحي (اي الليبرالي) الذي يرجع الهزيمة الى ضعف المجتمع العربي وتخلفه ويدعو الى ادخال تعديلات جذرية وعميقة عليه (اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا) والى انظمة حكم ليبرالية . كما يرى اصحاب هذا التيار ان التغيير المطلوب لا يمكن ان يأتي الا بصورة تدريجية وبطيئة وعلى اساس تراكم الانجازات عبر عدة اجيال متعاقبة . ولا يوضح هاركابي اي من المقتطفات في كتابه تمثل التيار الاصلاحي الا انه بامكاننا الاستدلال الى انه يعتبر قسطنطين زريق والاخوين سيسيل وجورج حوراني من المنتمين اليه. اما الاسماء المحددة التي يذكرها في مناقشته لهذا التيار فهي احمد بهاء الدين وجبران شامية . ويبدو ان اهتمام هاركابي بالتيار الاصلاحي نابع من كونه ينقد واقع المجتمع العربي بمنطق من لا يرى مخرجا من المازق الراهن الا عبر مرحلة طويلة من البناء على طريقة النماذج الغربية والرأسمالية في التقدم، مما يعني على الصعيد السياسي (ولو ضمنا) انه لا بد من ايجاد صيغة تفاهم وتعايش مع اسرائيل الى ان يتم اصلاح المجتمع العربي واعداده اعدادا كافيا لمواجهة اسرائيل في المستقبل البعيد وغير المحدد . بعبارة اخرى تجميد كل نضال وكفاح ضد العدو الى أجل غير مسمى حتى تتحقق هذه المشاريع الطوباوية . كذلك يهتم هاركابي بهذا التيار بسبب معاداته للشيوعية وللفكر الاشتراكي ولانتشار الوعي الثوري في المنطقة ، وبسبب عدم تصديه للامبريالية واضراره على الفصل بين المعركة ضد اسرائيل من جهة وبين المصالح الامبريالية في الوطن ومصالح الطبقات الرجعية المحلية المرتبطة بها من جهة ثانية .

(٢) التيار الثوري الذي يقول عنه هاركابي بانه يدعو الى ضرورة قيام ثورة شاملة تؤدي الى اجراء تغيير جذري في جميع مجالات الحياة العربية ، وبانه لا يقيم وزنا كبيرا للثورة الرسمية التي يمثلها بعض انظمة الحكم العربية ولا يقبل بفكرة التغيير الاصلاحي التدريجي للمجتمع . وفي معرض مناقشته لهذا التيار يذكر هاركابي إسم كل من نديم البيطار والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واسمي أنا . يقوم هاركابي بعملية تسفيه وتشويه لافكار وآراء من يسميهم باصحاب التيار الثوري بصورة فجة وبذائية وبدون اية محاولة لتغطية محاولته بشيء من « الرصانة » او « العلمية » او « العقلانية » ولو كانت كلها من النوع الزيف . مثلا لا يذكر هاركابي شيئا عن الانتماء السياسي والايديولوجي لبعض الاطراف (على أقل تعديل) في التيار الثوري بهدف اظهار « ثوريتهم » على انها نوع من الغضبة المثالية الكبيرة التي تريد حل المشاكل والمعضلات دفعة واحدة ومن خلال حدث سحري

الشعب « الثوري » ، وعلى انها لا تسعى الى اية وجهة نظر او برامج اجنبية بعيدة البلاش « لذلك » يتكلم هاركابي عن التيار الثوري بصورة جوفاء تبقى معلقة في الهواء مع تعمد عدم الاشارة الى الالتزام النضالي لقسم كبير من هذا التيار (كما يحدده هو) بالماركسية اللينينية لان مثل هذه الاشارة سوف تعطي التيار هوية من نوع معين يريد هاركابي تجريده منها ليتمكن من تسفيهه وتنفيهه بصورة بدائية وفجة . على هذا الاساس يشدد هاركابي في القول على ان اصحاب التيار الثوري يريدون احداث التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية كافة في المجتمع العربي ، بالاضافة الى تحرير فلسطين وهزيمة الاستعمار فورا ودفعة واحدة بفضل حدث تاريخي رائع هو الثورة (ص ٤٤) . حتى لو سلمنا بقدر من السذاجة في تفكير بعض المنسوبين الى التيار الثوري فان احدا منهم لم يصل الى هذا الحد من الاسفاف في تصوير الثورة على انها زلزلة سحرية ضخمة تحل المشاكل والمعضلات كافة بضربة واحدة نورية تتحقق بواسطتها كل « الاهداف معا » على حد تعبير المؤلف . هذا تشويه متعمد من قبل هاركابي لانه يعرف قبل غيره ان ما من طرف يشدد على اهمية النضال الطويل المدى على طريق الثورة ، واهمية الكفاح المستمر على اسس استراتيجية من اجل بناء المجتمع الاشتراكي الجديد وهزيمة الامبريالية مثل الطرف الثوري الذي يتهمه مؤلفنا بالبحث عن الحلول الفورية للمشاكل . ومن المآخذ التي يسجلها هاركابي على التيار الثوري في العالم العربي (أ) قوله (أي التيار) بأن بقاء انظمة الحكم الرجعية يمنع اي تعاون عربي حقيقي ضد اسرائيل بسبب ارتباط هذه الانظمة بالاستعمار القيم على اسرائيل وخضوعها لضغوطه (ص ٤٤). (ب) قوله بأن مسؤولية الهزيمة تقع الى حد بعيد على عاتق القيادة الطبقية للبورجوازية الصغيرة وليس على عاتق الجماهير الشعبية عامة (ص ٤٩) . (ج) وضع جميع الاعباء والمشاكل على اكتاف « الثورية » و« قوى الجماهير » و« الحتمية التاريخية » دون اختبار هذه العناصر اختبارا فعليا (ص ٥١) .

نكتفي هنا بالقول ان هاركابي بالتأكيد لا يخادع نفسه وانما يخادع القراء العرب في الارض المحتلة لان اكتاف « الثورية » و« قوى الجماهير » و« الحتمية التاريخية » قد تم اختبارها فعلا في

كما ان « الحتمية التاريخية » بمضامينها الثورية لا تعني — كما يحاول ان يوحي هاركابي — الاستسلام لنوع من القضاء والقدر الذي سيجلب معه النصر المحتم ، بل تعني ، من جملة ما تعنيه ، ان الاتجاه التاريخي الذي سيسود المستقبل هو حتما لصالح كفاح الشعوب وانتصارها ضد سيطرة الاقلية الطبقية الحاكمة والاحتكارات الامبريالية المستغلة من الطبيعي جدا ان يلاقي التيار الثوري معاملة تشويهية من هذا النوع على يد هاركابي .

(٣) التيار الاسلامي الذي يدعو الى اصلاح الامة عن طريق الدعوة السلفية في العودة الى القيم الاسلامية القديمة . والممثل الرئيسي لهذا الاتجاه في النصوص الواردة في الكتاب هو صلاح الدين المنجد . اما الاسماء التي يوردها المؤلف في شرحه لمواقف التيار الاسلامي فهي فاضل الجمالي ومحمد جمعة وا . طيباوي . ويهتم هاركابي بهذا التيار من حيث معاداته الشرسة للاشتراكية وحركة التحرير العربي عامة ، ونظرته الاستعلائية للجماهير (الغوغاء حسب تعبيرهم) وموالاته الصريحة للعالم الرأسمالي ، والولايات المتحدة خاصة . على سبيل المثال يقول هاركابي في وصف التيار الاسلامي : « يمتاز هذا التيار بميله الى وجهة النظر الارستقراطية فهو لا يتملق الشعب تحت ستار من الشعبية . ورواده يتذمرون من ان الغوغاء من الناس قد سيطروا على المجتمع العربي ومن ان الديماغوجية المتطرفة قد سادت وطغت . ويرى هؤلاء انه يجب منح الشعب قيادة جديدة ومثلا اخلاقيا يحتذى به » . (ص ٥٤) .

(٤) التيار الحاكم . يشير هاركابي بهذا الصدد الى النزعة الرسمية في التقليل من اهمية الانتصار الاسرائيلي وفي تفسير الهزيمة العربية على اساس عوامل طارئة وعرضية لا تمس جوهر انظمة الحكم نفسها والاسس الاجتماعية القائمة عليها . وليس في مناقشة هاركابي لهذا التيار اي جديد يضاف الى ما قاله النقاد العرب انفسهم (خاصة من اصحاب المدرسة الثورية) في تفنيد مزاعم هذا الاتجاه .

(٥) تيار فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية الذي ينسب اليه هاركابي القول بأن وجود اسرائيل هو سبب الضعف العربي كله وانه طالما بقيت اسرائيل

قائمة فان كل علاج للاصلاح الداخلي يقوم بـه العرب هو عبث في عبث (ص ٢٧) . واضح ان هذا الاسلوب في عرض وجهة النظر الفلسطينية التي تمثلها فتح مغرق في التبسيطية والفجاجة . اذ انه صحيح ان اسرائيل هي سبب رئيسي (وليس السبب الوحيد) من اسباب الضعف العربي الا ان فتح لا تستنتج من ذلك بأن كل محاولة لمعالجة الوضع العربي واصلاحه ، كي يصبح بمستوى التحدي الذي تطرحه اسرائيل ، هي عبث في عبث. يريد هاركابي عرض وجهة نظر فتح بشكل يوقعها في حلقة مفرغة لا مخرج منها : اسرائيل هي سبب الضعف العربي ، كل محاولة لاصلاح هذا الضعف بدون ازالة اسرائيل فاشلة لا محالة ، لكن من المستحيل ازالة اسرائيل والضعف العربي قائم على حاله ، فاذن اسرائيل باقية والضعف العربي باق معها ، فلا حول ولا ... ولا لزوم لان نكرر بأنه لا فتح ولا غيرها يلتزم بمثل هذا المنطق في فكره وعمله . وبطبيعة الحال لا يدخل هاركابي في معطفاته المختارة أية كتابات تمثل اتجاه فتح ومنظمة التحرير في الفكر السياسي العربي الراهن .

اما التيار السادس الذي تتكلم عنه مقدمة الناشر فلا يتعدى كونه محاولة لمخاطبة القارىء العربي في الارض المحتلة على اساس القول له ان التيارات الخمسة السائدة في العالم العربي ، كما عرضها هاركابي ، فاشلة ولا أمل يرجى منها ، فلا بد اذن من البحث عن تيار جديد يتخطاها باتجاه البحث عن امكانات التفاهم مع اسرائيل والتعاون معها على اسس جديدة مع التشديد على دور الفلسطينيين في احقاق هذا التقارب . ويذكر الكتاب اسماء شخصيات مثل محمد الجعبري وحمدي كنعان وحمدي التاجي الفاروقي وعزيز شحادة وانور نسيبه ومحمد ابو شلباية واحمد برهم باعتبارها اخذت تتجه نحو تصور جديد للقضية الفلسطينية (أي التيار السادس) لانها لا ترى اي جدوى من مواصلة النزاع المسلح وتفضل الحل السلمي الذي يعترف بوجود اسرائيل وفي حقها بالبقاء بشكل مستقل . عندما نذكر ان معظم هذه الاسماء في الضفة المحتلة برزت في مجال الدعوة للتفاهم مع اسرائيل على اساس قيام الدولة الفلسطينية يتبين لنا ان كتاب هاركابي ليس بعيدا في مراميه عن اعداد الجو لقيام هذه الدولة ان شعرت اسرائيل بأن الحاجة تدعو الى ذلك للخروج بالنزاع في المنطقة من مأزقه الحالي .

صادق جلال العظم

David Ben-Gurion, **Israel: A Personal History**
(Funk and Wagnalls, New York, 1971).

ان هذا الكتاب مؤلف ضخم ، وذلك لاسباب كثيرة. فهو كبير وطويل جدا اذ يضم ٨٢٨ صفحة . وهناك شخصية المؤلف الذي هو احد المؤسسين الرئيسيين لدولة اسرائيل ، وبكل تأكيد الرجل الذي بنى اسرائيل منذ قيامها اكثر من اي شخص آخر . وهناك حقيقة ان بن غوريون لا يكتب عن موضوع غريب كدراساته الفلسفية مثلا وانما هو يكتب عن العاطفة التي هيمنت على حياته والاحداث التي شارك فيها عادة كشخصية قيادية بارزة . وهناك أخيرا الموضوع البارز وهو الحركة الصهيونية الغريبة والسرية تقريبا التي برزت من غيتوات أوروبه الشرقية والتي مدت اطرافها وأمسكت بأرض فلسطين وفي الوقت ذاته امتصت ولاء الجماعات اليهودية وثروتها في العالم بأسره . انه موضوع ضخم ، وربما كان اعظم قصة جريمة كتبت اطلاقا . انها قصة صحيحة برمتها . وفوق هذا وعلى الرغم منه فليس الكتاب عملا ضخما ، بل هو أبعد ما يكون عن ذلك .

وليس من السهل قراءة الكتاب بأكمله ولا شك ان قلائل من الناس يقرأونه فعلا من أوله الى آخره ، وكاتب هذه المراجعة ليس من هؤلاء القلائل . وهناك عدة اسباب لصعوبة قراءة الكتاب . إلا ان قراءته ضرورية لاي شخص مهتم حقا وجديا بالقضية الفلسطينية ، وعلى الاقل تقرأ الصفحات الاربعمئة الاولى بانتباه ، وتصفح البقية . ان ترتيب الحقائق عند بن غوريون ، ومعظمها جديد ، مهم ، وكذلك وجهة نظره شكلا ومضمونا . ولكن الاهم من ذلك هو الصورة

لقضية ما جدي الحياة ليس من جانبه فقط بل من جانب العشرات والمئات من الصهيونيين الاخرين ايضا . ان شرطه للنجاح في مهمة الاستيلاء على بلد وبناء دولة فيه بسيط جدا : ليس العمل عمل هواة جزئيا وانما هو تفرغ تام للعمل الدؤوب الذي لا يعرف الكلل ، واخضاع تام للعديد من الوسائل في سبيل هدف واحد بعيدا عن المسائل الاخلاقية . وأفضل عنوان كان يجب ان يطلق على هذا الكتاب هو : « أهمية الا تكون انسانا لطيفا ومهذبا » .

وهناك عدة اسباب تحول دون نجاح الكتاب في ان يكون عملا ضخما : في المقام الاول ، فان اسلوبه مربك ، فهو « كتاريخ شخصي » عبارة عن رواية شخصية ولكنها مكتوبة في صورة غير شخصية . وكونه كذلك لا يحقق لنفسه النجاح لا كرواية تاريخية ولا كسيرة ذاتية . ومما يثير الضجر والملل ان بن غوريون يشير الى نفسه باسم « رئيس الوزراء » . وحسب ما اذكر ليس هناك اي زعيم كتب سيرته الذاتية مستخدما ضمير الغائب لان ذلك يثير السخرية . وسبب آخر من اسباب فشل الكتاب انه طويل جدا ، فقد ضمنه بن غوريون نصوص الخطابات المهمة وغير المهمة التي القاها وكذلك كل مذكرة كتبها . ولان بن غوريون يجعل ، في شكل مخطط ، من دولة اسرائيل او بالاحرى من حكومتها موضوعا لكتابه بقدر ما يجعلها موضوعا لسيرة حياته فاننا نجد عشرات الصفحات المملة التي تبدو وكأنها صفحات من الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية : فنحن لسنا بحاجة الى شخص مثل بن غوريون ليعطينا ارقام الهجرة للعام ١٩٥٨ او ليخبرنا عن عدد البيوت الجديدة التي بنيت في العام ١٩٥٦ . كما انه لم يكن منطقيا ان بن غوريون (الذي يصرح باحتقاره لتعدد الاحزاب السياسية في اسرائيل) يضيع صفحات كثيرة في وصف مناورات تلك الاحزاب التي لا تنتهي وبتفصيل دقيق .

الا أن هناك موضوعا واحدا يعالجه الكتاب ويبدو فيه شخصيا جدا ، ذلك ما يسمى « قضية لافون » التي وقف فيها بن غوريون الى جانب المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ضد لافون وزير الدفاع آنذاك وليفي اشكول . وكتب بن غوريون مطولا عن هذه الحادثة ولكن بطريقة تكشف فقط ان بن غوريون

ولا يرجع فشل الكتاب الى انه يحتوي على حقائق كثيرة جدا وانما الى كونه لا يضم الكثير منها والى كونه يغفل حقائق كثيرة أخرى . ان الموضوع الذي يعالجه بن غوريون بأعظم تفصيل هو احداث ١٩٤٧ و١٩٤٨ . ولكن ما هي القيمة التاريخية لرواية تقدم وصفا مفصلا للهجوم العربي على القافلة اليهودية المتجهة الى جبل سكوبس ولا تقول كلمة واحدة عن المجزرة التي ارتكبها الصهيونيون ضد سكان قرية دير ياسين العربية ؟ وما هي القيمة التاريخية لرواية يسردها احد المحركين الرئيسيين للعدوان على السويس في العام ١٩٥٦ عن ذلك العدوان دون ان تقول كلمة واحدة عن الترتيبات السرية التي قام بها بن غوريون في التواطؤ البريطاني — الفرنسي آنذاك ؟ وليست رواية بن غوريون حول هذا الموضوع غير تامة فحسب بل انها ساذجة الى حد اثارة الضحك . ففي حين يخصص ٥٣ صفحة للحديث عن فضيحة لافون يترك ٣٥ صفحة فقط للحديث عن مسألة السويس . ولا توجد ايضا كلمة واحدة عن محاولات بن غوريون المتكررة والفاشلة لدخول منظمة معاهدة شمال الاطلسي أو لتحقيق تحالفات ثنائية مع بريطانيا ثم مع فرنسه وبعد ذلك مع الولايات المتحدة . ولا يقول كلمة واحدة كذلك عن محاولته الناجحة في احكام الصلات مع ايران والحبشة والتي اصبحت عاملا من أعظم العوامل أهمية في سياسة اسرائيل شرق الاوسطية .

وبما ان بن غوريون غير صادق الى حد كبير من حيث طبعه للحقيقة فانه لا يثير استغرابنا أن يكون غير صادق الى الحد ذاته من حيث طرحه امورا بسيطة خاطئة . وهكذا فانه يكرر الكذبة الفاضحة بأن الفلسطينيين تركوا بيوتهم في ١٩٤٧ — ١٩٤٨ وفقا للاوامر التي صدرت اليهم من الهيئة العربية العليا . وهو يكرر حتى الكذبة الصارخة بأن اسرائيل انما قامت بهجوم مضاد فقط للدفاع عن نفسها في الخامس من حزيران ١٩٦٧ لان القاذفات والدبابات المصرية شوهدت وهي تتقدم لمهاجمة اسرائيل . وبسبب هذه الاخطاء التاريخية في الاقرار والالغاء يكاد كتاب بن غوريون يصبح مجرد واجهة دعائية مؤثرة جدا . ويجب ان يعلم بن غوريون قبل أي انسان آخر ان هذه هي حقيقة كتابه .

لماذا اذن يقوم شخص واعي وعملي مثل بن غوريون بوضع مثل تلك التلفيقات التي حفل بها كتابه ؟ ربما يكون سبب ذلك ان بن غوريون يعتقد ان الكثير من الحقيقة قد قيل في سيرته « الرسمية » التي وضعها ميخائيل بار زوهار في كتاب « النبي المسلح » وانه يشعر ان الوقت قد حان لمزيد من الاطراء . وقد يكون من الطبيعي ايضا لبن غوريون « كوطني اسرائيلي » ان يحاول اعطاء انطباع جيد عن بلده قدر استطاعته وبكل ما لديه من سلطان . ان ذلك يشكل رغبة طبيعية لدى بن غوريون واسرائيل لا كوسيلة لغاية وانما كغاية في حد ذاتها . انه جزء من مبرر وجود اسرائيل التي لا ترى في الدعاية المناسبة أمرا ثانويا وانما ضرورة قومية .

ان ما ترتكز عليه الدولة اليهودية من ظلم ولا انسانية يمكن التغاضي عنه او اغفاله او تناسيه اذا امكن فقط تبيان ان اسرائيل هي دولة من نوع خاص جدا وان الاسرائيليين شعب خاص جدا لا يخطئون ابدا ويجب ان يغفر لهم اذا أخطأوا . وهناك طبعا الخرافة القديمة القائلة بأن اليهود هم شعب الله المختار ، الا أنها لا تجد كثيرا من الاذان الصاغية في عصرنا الحاضر والبعيد عن الايمان الديني . وعليه فان الاسرائيليين ليسوا مجرد شعب مختار وانما يجب اظهارهم ، لضرورات سياسية ، على أنهم نوع جديد من « الشعب المختار » . ولقد قيل إن اسرائيل لا يمكن ان تكون دولة مثل باقي الدول ، بل يجب أن تكون استثنائية لان لها رسالة خاصة تحققها وهي بمثابة النور للعالم وخاصة العالم الافرو ـ آسيوي . وكان بن غوريون دوما من دعاة هذه الفكرة الرئيسيين ، فقد قال في كانون الثاني ١٩٤٩ وبعد اسبوع من وقف القتال : « سنستطيع انجاز هذه الرسالة فقط اذا مبانا الى ابعد حد الميزة الوحيدة التي نتمتع بها وهي ارادة الشعب اليهودي الادبية والفكرية » . ولاحظ استخدامه كلمة « الادبية » . وفي الجزء النهائي من الكتاب حول المستقبل وميراث الامة الفريدة يشير بن غوريون مرارا وتكرارا الى فكرة الفرادة والتفوق اليهوديين . فهو يتحدث عن « الميزة المتفوقة للامة العبرية » ويقول « ان مستقبل اسرائيل سيعتمد على الحفاظ على هذا التفوق وتعزيزه اكثر من اعتماده على اي شيء آخر » .

ويحاول بن غوريون في هذا الكتاب اقناع الاسرائيليين وغيرهم بهذا التفوق العنصري الفريد . ولذلك فانه من المستحيل ، لاسباب تتعلق بوجود الدولة والوجود القومي ، ان يعترف بن غوريون بأن اليهود الاسرائيليين اذنبوا بارتكابهم اعمالا وحشية مثل مجزرة دير ياسين وطرد الشعب الفلسطيني من ارضه . ويستحيل ان يعترف بأن اليهود الاسرائيليين يمكن ان يكونوا مخادعين وخائنين بحيث يلعبون دورا حقيرا في خدمة المعتدين البريطانيين والفرنسيين وفقا لمعاهدة سرية . ويستحيل ان يصف بن غوريون « اشتراكية » اسرائيل في الوقت الذي تتحالف فيه مع قوتين محليتين خاضعتين لحكم امبراطورين يرتكزان على القمع ومعرضين للتداعي والسقوط . ومن المستحيل ان يعترف بأن اسرائيل ربحت حرب حزيران ١٩٦٧ بسبب « هجوم تسللي جبان » . واذا اعترف بن غوريون بهذه الحقائق لما بقي هناك سبب للمجيء باسرائيل الى الوجود ما دامت دولة مثل سائر الدول بل هي اكثر وحشية وقسوة من غيرها . اما اذا اغفل الظلم الذي ترتكز عليه اسرائيل فانه يترتب على ذلك اظهار الاسرائيليين على انهم شعب خاص ، بلا خوف او شعور باللوم او الخزي ، واقناع الاسرائيليين انفسهم وغيرهم بذلك وتلك كانت هي الامور التي حذقها بن غوريون . ان القول بأن لاسرائيل عيوبها المعنوية لا يعتبر نقدا غير اخلاقي فقط بل خيانة عظمى بالنسبة لشخص مثل بن غوريون .

ان اكاذيب بن غوريون وغيره من رجال الدعاية الاسرائيليين والصهيونيين ليست مجرد اكاذيب دعائية تريد ان تضفي بريقا على الاشياء وانما هي اكاذيب اساسية تحمي صميم الوجود الصهيوني ذاته . ان تبيان الحقيقة قد يلحق العار بالدعائي العادي ولكنه يقضي على الصهيوني . ولهذا السبب يغالي الاسرائيليون والصهيونيون في التأكد من ان حقيقتهم لن تظهر ابدا . وهذا الخوف الصهيوني الفعلي من الحقيقة هو احد اقوى مصادر الامل في مستقبل هذا الجزء من العالم . لان الحقيقة سوف تظهر .

جودفري هـ. جانسن

شاهد من هذا العصر : يوميات شهيد قتل في مجزرة الاردن ـ ايلول ١٩٧٠
رسوم ضياء العزاوي (بغداد ، ١٩٧٢) .

من قلة قليلة من الفنانين التشكيليين العرب ، تشغل اعمال ضياء العزاوي مساحة كبيرة من الهواجس والهموم العربية الراهنة ، التي وهي تنتقل الى اصبغة والوان ، اي الى لغة التشكيل ، تكتسب حضورها من ابتعادها بضع خطوات عن المباشرة واللازمات والهوامش والتفاصيل التي تغلف وتحيط بهذا الشكل او ذاك لوحة الحياة العربية . اي انه باقترابه منا ، لا تستهويه سهولة تقبل الاشياء كما تعلن عن نفسها ، انه يختبرها ، يمحصها ، ينقحها ، واحيانا كثيرة يرفضها ، ليس لانه يستنكف معايشتها كأمور واقعية ، بل لانه يدرك عن تمرس ، طابع الوهم والادعاء ، احيانا التشكل الطارىء للاشياء في اللحظات الراهنة ، وهو هنا يبتعد عن الخفة والابتسهال والتملق ، ويتسلح بحس تجريبي تجعل معالجاته تقترب من الجوهري ومن العام في الحياة العربية المعاصرة ، هموما ووجودا ، نافيا ولافظا الاجزاء الميتة منها ، غير حافل بما تتسربل به اشياؤنا المعاصرة من ادعاءات او نيات او اشكال لم يثبت له صحة تحققها . لذلك تبدو اعمال ضياء العزاوي مثيرة لنوع من الشعور والحدس المباشر بأنه يمتد في الماضي اكثر مما هو يرى في الحاضر ، وبتعبير آخر انه يدرس اكثر مما يحس ويعاني ويعايش . ان هذا الشعور ازاء اعمال ضياء لا يخلو من مبرر موضوعي . انه فعلا ولاسباب جد محقة ، ينفعل ما يوحي بهذا الشعور عن تصميم واع . ان الانسان العربي الراهن ، ليس هو كليا الذي يقدمه لنا المجتمع المشهدي القائم ، اي مجتمع السوق والبضاعة وتقسيم العمل ، ففي داخل الانسان العربي الراهن يمتد التاريخ اكثر مما يبدو لنا فعل الحاضر ، وهو اذن حصيلة ذلك الامتداد في الماضي وهذا الولوج في الحاضر ، ومن ثم تتشكل حقيقة الانسان العربي بمقدار التفاعل الجاري فعلا بين ما هو تاريخي وراهن ، وهي الحقيقة التي لا تقدمها النظرة الساكنة في لوحة الحياة العربية ، والتي يبدو فيها الانسان العربي فاقدا لذاكرته . وواقع الامر ان ضياء العزاوي يحقق معالجاته التشكيلية ، عبر هذه النظرة الصارمة للواقع . وكثيرون هم الذين توقفوا في تعاملهم مع انتاج ضياء عند المعالجة التشكيلية فحسب ، التي تمتاز بجمالية خاصة . وكثيرون هم النقاد الذين تحت وطأة ثقافة وتقاليد فنية سائدة مارسوا مواقف انبهار امام صنعة ضياء وتقنيته . واعتقد انهم — اي جمهور صالونات العرض والنقاد — ظلوا أسرى الفهم الدارج للوحة الفنية ، كبناء وكحلية . مضافا الى ذلك ان ابجدية ضياء العزاوي الفنية تنتمي الى اصول الارث البصري العريض الكامن في المنطقة . لذلك يفهمون لوحاته كصدى معاصر لهذا الارث .

ما من شك ان جزالة لوحات ضياء العزاوي اللونية والشكلية تتضمن قدرة لا يستهان بها على اغواء المتفرج . وبالنسبة لي شخصيا استهوتني لمسة ضياء العزاوي الى حد كبير ، واجد من الصعب علي ان افصل اعجابي التقني بانتاجه عن ذكريات الطفولة مع كل رموز الشرق التي مثلتها عندي قطعة سجاد قديمة .

ان الكتاب الذي نحن بصدده ، والذي يضمن رواية ضياء العزاوي لذكرات تركها مقاتل اثناء احداث ايلول ١٩٧٠ في عمان ، نموذج لحركته في الحياة والثقافة العربية المعاصرة ، وكشف لرؤيته فيها . فقد تضمن الكتاب نحو ٧٠ تخطيطا يرافق السرد النثري لاحداث القتال في احد جبال عجلون « الحسين » من زاوية رؤية مقاتل وشاهد على ما حدث في أيلول . بيد ان هذه الرسوم ليست مجرد Illustrations لهذه المذكرات . وليست مجرد سرد تقليدي يواكب السرد النثري ويقف على هامشها . انها رواية جديدة بريشة ضياء العزاوي تغني اليوميات التي تركها المقاتل وتقف الى جانبها . والواقع ان المذكرات التي تركها المقاتل تتضمن عناصر الاثارة الحسية ، رغم عيوبها وركاكاتها الانشائية ، فهي قد خضعت الى شيء من التركيب لاغراض صحفية افقدتها شيئا من عفويتها وطزاجتها كانطباعات مباشرة على الاحداث .

وعلى النحو الذي يسلكه السرد النثري تتابع تخطيطات ضياء ، مقدمة تكوينات منوعة لمقاتلين في حالة انتباه ، واستعداد لحدث مرتقب . ان هذه التكوينات تتضمن اوضاعا منتخبة لمقاتلين يحاطون بأسلحتهم الفردية ، أو هم يشرعونها ، ويمتزج التخطيط بالكتابة اللغوية ، المشتقة من مادة

اليوميات ، التي تعطي التكوين العام للوحة جمالية الحرف العربي بالاضافة الى الدلالة اللغوية للكلمات المقتبسة .

ومع انتقال اليوميات الى الصدام بين الجيش والسلطة من جهة والمقاومة والجماهير من جهة اخرى ، تنقل رسوم ضياء لحظات الكمون للمدرعات ، ضحايا القصف الرجعي ، الاشتباك مع الاليات وقصفها بأسلحة الار. بي. جي.

وتتتالى صور يتعايش داخلها الموت والجثث الممزقة مع قامات المقاتلين المديدة وصمودهم . ان الجثث الممددة ، واطراف الاليات ، والازهار ، وكتابات مثل « وكنت اسمع انينا في كل مكان حين طلب مني ان اعود الى .. » و« فجأة يفقد الموت معناه وينتاب المرء شعور بأن الناس انما يرتاحون على قارعة الطريق .. » تصبغ رسوم ضياء بسواد المأساة . وتتكرر في كثير منها ثنائيات الموت والصمود : الجثث المتراكمة والمقاتل المنتصب بيقظة . مع تصاعد القتال ، وازدياد الاوضاع سواء ، فان صور الاطراف المبتورة ، الاجساد الممزقة ، القصف العشوائي ، والضحايا من المدنيين والاطفال تقطع تواصلها لحظات البطولة والصمود من المقاتلين حتى نهاية اليوميات .

والواقع انه من الصعوبة بمكان ان نعطي هذا الكشف التصويري لليوميات حقه ، اذ يحول دون ذلك محدودية التعبير النثري عن احتواء التعبير التشكيلي ، وهي الصعوبة التي يعاني منها النقد عموما . واكتفي بأن اشير الى ان ضياء العزاوي قدم عبر الكتاب صورة عن تجاربه وتنقيحاته الاسلوبية ، التي نعهدها فيه . فكثافة انتاجه وتنوعه ، تعكس سعيه الدائب للتجربة وللتنقيح ، وهو هنا يختار موضوعا قريبا من اهتماماته ، فالانسان في انتاج العزاوي له مركز الاستقطاب ، ومأساة كتلك التي عرفها الشعب في الاردن في ايلول ١٩٧٠ تعطيه فرصة تفجير الدفق الدافىء والحزين الذي يكتسي تصويره . ان الموت ، كما الحب ، عند العزاوي موضوع حميم يقربه من البؤس العام الذي يظلل الانسان في المنطقة . وهو حتى في اكثر لوحاته اشراقا ينطوي عن هاجس خوف وعن حدس مطبوع بنذر غامضة تدفعه الى جعل اجساده مؤتلفة ومتعانقة او مشدودة الى بعضها البعض بنوع من التقية والعزاء ازاء العالم الراهن . من هنا اجد في رسوم الكتاب اكثر التصميمات التي تداولت المقاومة والفدائي جمالا ، وابعدها عن الافتعال وعن الكليشيه . واكثرها حبا للانسان المقاتل . ان جماليتها ، ليست تحصيلا لتقنية متمكنة ، فقط ، انها ترجيع وتجل شعري لمشاعر حب الجماهير تشف عن بنية نضالية ، اكتسبت صياغتها وابجديتها من موقف متقدم ومن احساس بمادة القضية التي يعالجها ، لذلك فان رسوم العزاوي تنطوي على اضافات شكلية وعلى جمالية خاصة مستمدة ، بدون مباشرة فجة ، من هيئة المقاتل ، كوفيته ، ملابسه ، سلاحه . فيما وجهه يختصر — كما هو متوقع — في عينين فحسب .

ولا ارغب — اخيرا — في ان يفوتني التنويه بالنص الانجليزي لليوميات النثرية الذي كتبه جبرا ابراهيم جبرا ، الذي تمتع برقة وسلاسة اضفت على اليوميات ، متانة مباشرة وتماسكا عفويا . وان الاخراج الطباعي ، وبعض التضمينات النثرية ، كمقاطع من اغاني المقاومة ومقتطفات من التقارير الصحفية عن مجزرة عمان ، منحت الكتاب مزايا اخرى تستحق التسجيل .

هاني حوراني

تيسير النابلسي ، حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ ،
(مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٧٢) .

يتوقع المرء ، بعد القاء نظرة على عنوان كتاب السيد تيسير النابلسي ، احد امرين : الاطلاع على دراسة احصائية منظمة لاعداد اليهود المهاجرين الى اسرائيل واعداد النازحين (الهجرة المعاكسة)، او دراسة تحليلية لاوضاع الهجرة والهجرة المضادة من والى اسرائيل ، واسبابهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ولكن جاء بحث السيد النابلسي لا علاقة له بالدراسة الاحصائية ، او بالدراسة التحليلية العلمية التي كنا نتوخاها من الكتاب . فالنابلسي يقول في مقدمة بحثه « ان اهمية المواجهة في ميدان الهجرة كانت الحافز لهذا الكتاب ليسهم في بحث الجوانب المختلفة للهجرة اليهودية وقضاياها في المرحلة الراهنة » . فهل اسهم المؤلف ، حقا ، في بحث الجوانب المختلفة للهجرة اليهودية ، وهل بحث في قضايا مرحلتها الراهنة ؟

عند الحديث عن حركة الهجرة الى اسرائيل بعد عدوان ١٩٦٧ يبدأ المؤلف بالقاء نظرة عامة على حركة الهجرة ، ويعرض ارقام المهاجرين الى اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ الى عام ١٩٧٠ ، ويعرض لنا ايضا الارقام التي تنشرها الجهات الاسرائيلية الرسمية بالاضافة الى تصريحات الرسميين المتعلقة بهذه الهجرة . وينتقل المؤلف بعد هذا التمهيد ليعرض الارقام نفسها بصورة تفصيلية ، موزعة في جداول مختلفة ، وذلك حسب البلاد التي قدم منها المهاجرون وحسب المهنة والجنس والعمر .

ومن قراءة الفقرات المخصصة في كتابه لمعالجة دوافع الهجرة من الولايات المتحدة الاميركية ومن دول اوروبا الغربية الاخرى ، ولمعالجة « عوامل ضعف الهجرة من الولايات المتحدة الاميركية وكنده وعودة المهاجرين ثانية الى الولايات المتحدة » ، يفهم من هذه القراءة انه لا خطر من هجرة يهود الولايات المتحدة الى اسرائيل ، وان دور هذه الهجرة في تقوية بناء الدولة الاسرائيلية ودعمه ضعيف ومحدود . فالمؤلف يقول — بعد اخفاق الحركة الصهيونية في احاطة اليهود في الولايات المتحدة الاميركية بجو نفسي للمدى الذي يدفعهم للهجرة — يقول ان دوافع الهجرة من الولايات المتحدة الى فلسطين المحتلة « تبقى محدودة ببعض البواعث الدينية والسياسية والعسكرية » . ويعتبر المؤلف ان الدافع الديني « من ابرز دوافع الهجرة الحالية من الولايات المتحدة ... حيث يضمن هؤلاء المهاجرون لانفسهم ولاولادهم ان يظلوا يهودا مخلصين » . ما دامت نسبة المهاجرين الى عدد اليهود في الولايات المتحدة الاميركية « تعتبر اقل نسبة هجرة من اي قطر اخر ، اذ انها تقل عن (٠,٤٣ ٪) من يهود الولايات المتحدة » فليس هناك ما يدعو الى القلق والخوف . ويلفت المؤلف الانتباه الى ارتفاع نسبة الهجرة من الدول الاخرى ، مثل اميركه الجنوبية والاتحاد السوفياتي ودول اوروبا الغربية والدول العربية ، وبعض الدول المختلفة الاخرى من شمال افريقيا . وتبدو اهتمامات المؤلف محصورة في دراسة الهجرة كميا ، وليس في دراستها نوعيا . فعلى الرغم من ذكر الكاتب لكفاءات المهاجرين الدائمين او المؤقتين من الاميركيين ، فهو لا يحلل ابعاد الدور الذي تقوم به هذه الكفاءات المهاجرة في بناء الهيكل الاقتصادي والعسكري لدولة اسرائيل . فهو يذكر ان (١٢٥) اسرة اميركية هاجرت الى اسرائيل بعد عام ١٩٦٧ ، « وان ٢٦ من افراد هذه الاسر متخصص في شؤون الطيران الحربي ، و ٢٦ منهم من الطيارين العسكريين السابقين ، و ١٨ من مهندسي الرادار » بالاضافة الى عدد لا بأس به من خبراء عمليات التشويش على الرادار . ويذكر المؤلف ايضا ان « من بين مئات المهاجرين من الولايات المتحدة عددا من الفنيين والمهندسين الذين هاجروا بسبب تخفيض برنامج الفضاء الاميركي » ، و « ان المشروع الذري والصناعات الهندسية والالكترونية بجانب مطار اللد قد طعمت بكثير من الخبرات الاميركية » . على الرغم من كل ذلك يعتبر المؤلف ان الدافع الديني « من ابرز دوافع الهجرة الحالية من الولايات المتحدة » الى اسرائيل .

تحت عنوان « الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي » يذكر المؤلف ان هجرة يهود الاتحاد السوفياتي قبل عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، كانت « تتم بشكل محدود جدا وفي نطاق برنامج جمع شمل العائلات بالنسبة للمتقدمين بالسن ... » . ويذكر المؤلف ايضا ما تردده الصحف الاسرائيلية احيانا من اخبار « مفادها ان الاتحاد

السوفياتي سيسمح بهجرة يهود روسية الى اسرائيل بعد انسحاب اسرائيل الى حدود الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ » . يمكن القول ان كلمات المؤلف هذه هي كل ما خصصه للحديث عن هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي ، وان القسم المتبقي من معالجته لموضوع هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي اتى على شكل (ريبورتاج) صحفي ، جمع فيه المؤلف ما تنشره الصحف اليومية من تصريحات وتعليقات للمسؤولين ، وجاءت معالجته لهجرة يهود الاتحاد السوفياتي سردا لحملات الصحف الاسرائيلية على الاتحاد السوفياتي ولردود الاتحاد السوفياتي على هذه الحملات . والمؤلف ، بذلك ، لم يتحدث عن هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي ، ولا كيف تتم ؟ وتحت اية ظروف ؟ وما هي الدوافع والاسباب ؟ وما هو مستقبل الهجرة ؟ وما علاقة هذا المستقبل مع التسوية السياسية لازمة الشرق الاوسط نظرا للدور الكبير الذي يقوم به الاتحاد السوفياتي فيها ؟

يفرد المؤلف من كتابه فصلا كاملا لمعالجة حركة الهجرة المعاكسة (النزوح) ودوافعها . وجاء هذا الفصل ، كغيره من الفصول ، ناقصا ومشوها . فعلى الرغم من ذكر المؤلف لاعداد النازحين من اليهود بعد عام ١٩٦٧ ، فهو يصر على تخصيص عدة صفحات من هذا الفصل للحديث عن حركة النزوح خلال الفترة من ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ ، بينما موضوع بحثه هو حركة الهجرة اليهودية بعد عام ١٩٦٧ . ونعني هنا انه من الافضل لو تحدث عن حركة النزوح قبل عام ١٩٦٧ بشيء من الايجاز والتلميح . ويوجز المؤلف في نهاية الفصل اسباب الهجرة المعاكسة باسباب ثلاثة : « اسباب امنية : الخطر من نشوب قتال وعدم استقرار الدولة الاسرائيلية ، اسباب اقتصادية : ابرزها توفر فرص اقتصادية افضل في الخارج ، اسباب اجتماعية : تتعلق بفشل استيعاب المهاجرين واندماجهم في المجتمع الجديد اسكانا - ولغة وثقافة » . مما لا شك فيه ان هذه الاسباب جوهرية واساسية ، الا ان المؤلف وقع في مغالطات عديدة في اثناء بحثه لهذه الاسباب بالتفصيل . اذ بعد ان وضح للشعوب العربية فشل الاعلام العربي قبل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ — وهذا لا يعني انه ناجح في يومنا هذا — نجد من يقر ويعترف « بايجابيات الاعلام العربي » . فيقول المؤلف بهذا الخصوص ان من « ايجابيات الاعلام العربي الموجه ضد العدو الصهيوني في فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٦٧ ، رغم سلبياته العديدة ، انه ركز الشعور بالخطر على مصير الدولة الصهيونية والسكان واثار فيهم اشد القلق ، وكان هذا دافعا لمزيد من الهجرة المعاكسة » . فاذا ركزت « ايجابيات الاعلام العربي » الشعور بالخطر على مصير الدولة الصهيونية فسلبيات هذا الاعلام ركزت الشعور بالخطر على مصير الدول العربية منذ حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . واذا كان من نتائج « ايجابيات الاعلام العربي » انها اثارت القلق في نفوس السكان اليهود مما دفعهم الى المزيد من الهجرة المعاكسة ، فحرب حزيران ونتائجها زادت من معدلات الهجرة الى اسرائيل وخفضت معدلات الهجرة المعاكسة . ولنر معا اقتراح السيد المؤلف بالجهاز الاعلامي المطلوب ، فهو يرى « ان قيمة اي عمل اعلامي » بخصوص التاثير في حركة الهجرة اليهودية من فلسطين الى الخارج « تعتمد اولا على استمرار الكفاح المسلح ضد الوجود الصهيوني الغاصب على ارض فلسطين » . ولكن ، هل غاب من ذهن المؤلف ان يذكر دور الاعلام المهم في خلق الكفاح المسلح وزرعه في ارض فلسطين ؟ لعل في نظرة خاطفة على النتائج التي حققها الاعلام العربي بشأن المقاومة المسلحة في غزة اجابة على هذا السؤال . وعلى الرغم من حديث المؤلف عن « توفر فرص اقتصادية افضل » خارج اسرائيل ، فهو لا يخبرنا بالفرص الاقتصادية الاسوأ داخل اسرائيل .

القسم الثاني من بحث المؤلف النابلسي يتعلق بقضايا الهجرة ، يتحدث فيه عن قضايا استيعاب المهاجرين وتنظيم الوزارات والدوائر التي تشرف على الاستيعاب ، وعرض المشاكل الرئيسية التي تواجه عملية استيعاب المهاجرين الجدد وانجازات دوائر الاستيعاب ونفقاتها ، الى ان يخلص المؤلف الى الحديث عن « الاساليب المختلفة لاستجلاب المهاجرين » . وجاء معظم حديثه في هذا الفصل لا علاقة له بالبحث موضوع الكتاب . فالمؤلف يتحدث في معظم كتابه عن الاساليب المختلفة لترغيب وترهيب يهود العالم للهجرة الى اسرائيل منذ نشأتها . وهذا ليس له علاقة « بحركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ » وهو عنوان الكتاب . وعلى الرغم من تكرار المؤلف للمواد والمعلومات في اكثر من موضع في كتابه ، فهو لا يشرح لنا اسباب اسكان المهاجرين في مناطق مختلفة ودوافع هذا

الاسكان ، فهو يذكر مثلا استيطان « ٦٦٪ من المهاجرين الجدد في المنطقة الساحلية واستوطن الباقون مناطق التنمية وفي مدينة القدس ، وتم توزيع الـ ٣٤٪ الباقية في مناطق اخرى » ، الا انه لا يذكر لنا اسباب هذا التوزيع ودوافعه الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

يختتم المؤلف بحثه بتحليل العوامل التي تساعد على الهجرة لاسرائيل ، ويربط تصاعد ، او هبوط ، الخط البياني للهجرة « باستمرار حالة الحرب او قيام حالة هدوء في هذه المنطقة » . هذا صحيح الى حد بعيد ، الا ان يستبعد المؤلف « الدافع الاقتصادي » للهجرة الى اسرائيل فهذا ما لا نوافق عليه . فهو يعتقد ان اغلبية اليهود الساحقة تعيش مستوى معيشيا عاليا ، « ولهذا فمن المستبعد ان يكون للعامل الاقتصادي اي تأثير في تحريك هجرة واسعة » الى اسرائيل . بينما ، في راينا ، ان الاضطهاد الذي تعاني منه الطبقة العمالية — ومنها العمال اليهود — في البلدان الرأسمالية ، تلتقطه الايديولوجية الصهيونية في البلدان الرأسمالية لتحوله في اذهان العمال اليهود الى اضطهاد عنصري موجه ضدهم بالذات . وتطرح الصهيونية امام هؤلاء بأن الحل الوحيد يكمن بالخلاص النهائي من الاضطهاد والتوجه الى اسرائيل حيث يستعيد اليهودي مكانته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على ارضه .. هذا ويمكن ان نضيف ان البطالة المنتشرة في الولايات المتحدة ودول اوروبا الغربية بنسب متفاوتة بالاضافة الى ارتفاع مستوى الاسعار ومستوى المعيشة في هذه البلدان ، يمتد تأثير ذلك حتى يمس الحالة المعيشية ليهود البلاد الرأسمالية ، مما يقوي حافز الهجرة عندهم . ويمكن ان نضيف ايضا ان الحرب العسكرية الاقتصادية غير المجدية التي تقودها الولايات المتحدة الامريكية في فيتنام ، تدفع يهود الولايات المتحدة الى الهرب من الجندية في الجيش الامريكي الى كندا ومن ثم اللجوء الى اسرائيل خلاصا من ويلات الحرب الفيتنامية . هذا عن العامل الاقتصادي في دفع هجرة اليهود الى اسرائيل من الدول الرأسمالية (الغنية) . ولم يتحدث المؤلف عن دور العامل الاقتصادي وراء الهجرة اليهودية من البلدان المتخلفة ، اذ لا يمكن تغافل ذلك على الاطلاق . فالاضطرابات السياسية والعسكرية في البلدان المتخلفة تؤدي الى احد امرين : اما الى قمع الجماهير واستغلال قوى العمل وفوضى الانتاج وعدم الاستقرار المعيشي والحياتي والتخلف الثقافي والفكري والفقر الشديد والايديولوجي والمالي للسكان ، مما يدفع اليهود من سكان هذه البلاد الى البحث عن الاستقرار والتخلص من كل ذلك بالهرب خارج البلاد وبالهجرة الى اسرائيل بتشجيع من الانظمة الحاكمة في تلك البلاد ، او تؤدي الى انتصار القوى الوطنية في البلاد المتخلفة ، اذ تبدأ الصهيونية باستغلال حالة التخلف الثقافي والسياسي لنسبة كبيرة من السكان اليهود في تلك البلاد ، فتصور لهم انتصار الحركات الوطنية والاشتراكية على انه مؤشر لمزيد من الفوضى ، فتعمل على دفعهم للهجرة بسرعة كبيرة .

ولا يرى المؤلف في الدافع الديني اي اثر على حركة الهجرة ، « وحتى الانتماء للفكرة والعقيدة الصهيونية .. لم يستطع ان يحرك هجرة اليهود على نطاق واسع » . بل ان الذي يحرك هجرة واسعة في رأي المؤلف ، « هو عامل الضغط والاكراه والخوف من الاضطهاد والشعور بالعداء والاحتقار » . ليس المهم ان نعرف اذا كانت الهجرة تتم على نطاق واسع او ضيق ، فالاهم ان نحلل الهجرة الحاصلة نوعيا وليس كميا . وبما ان المؤلف لا يرى الا « عامل الضغط والاكراه والخوف من الاضطهاد .. » وراء حركة هجرة اليهود الى اسرائيل ، فهذا ليس كل الحقيقة . فهناك عوامل عديدة اخرى تساعد على الهجرة الى اسرائيل ، اولها ، الدعم الصهيوني العالمي الذي تقدمه الصهيونية الى اسرائيل عبر مؤسساتها الاقتصادية القائمة في العالم ، وعبر نفوذها السياسي العالمي ، وعبر ما تملكه من اسهم ضخمة في وسائل الاعلام التجارية العالمية (صحف ، وكالات ، اذاعات محلية) ، اذ تعمل الصهيونية على تصوير اسرائيل في ذهن اليهودي على انها الدولة النموذجية الوحيدة . ثانيها ، الانتصارات العسكرية الاسرائيلية ، حيث ان نشوة الانتصار في اعقاب كل حرب تدفع بالعديد من اليهود للهجرة الى اسرائيل لتأكدهم اليقين من القوة والقدرة العسكرية الاسرائيلية . فاعداد المهاجرين في الاعوام التي تلت حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ زادت بنسب ملحوظة وبلغت عام ١٩٧٠ ما يزيد عن نسبة عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ معا . وثالثها ، دعم الدول الرأسمالية لاسرائيل ، حيث تعتبر اسرائيل موطنا اقتصاديا خصبا للاحتكارات والشركات الرأسمالية العالمية

وتمثل الاستثمارات الرأسمالية الاجنبية جزءا مهما من القطاع الخاص الصناعي الاسرائيلي . فالرهان على استمرار الدعم الرأسمالي والاطمئنان الى القوة التي تمثلها الدول الرأسمالية يشجع يهود العالم على الهجرة والسكن في اسرائيل .

دراسة المؤلف جاءت بعيدة كل البعد عن النظرة التحليلية لواقع الهجرة اليهودية ، كما انها ليست دراسة احصائية منظمة لحركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ . ان الدراسة ليست اكثر من جمع لتصريحات وبيانات اطلقها مسؤولون في اسرائيل ، ونشرتها الصحف والنشرات الاسرائيلية الرسمية حاول المؤلف ربطها ببعضها بعضا، فجاءت دراسته متناقضة في اكثر من موضع ، واكثر من مكان .

مصطفى كركوتي

عبد المنعم سعد ، السينما والتواجد العربي في المؤتمرات الدولية
(القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للسينمائيين ، ١٩٧٢).

يحاول المؤلف في هذا البحث مناقشة اهمية الفيلم السينمائي واهمية الارشيف لسينما القضية الفلسطينية . كذلك ما يمكن ان يلعبه فيلم القضية في مجال مهرجانات السينما . انه لمن المفيد جدا تنبيه مؤسسات القطاع العام في عالمنا العربي الى تخصيص جانب من نتاجاتها السينمائية لقضية فلسطين . ولكن تقديم بحث وتعميمه يحتاج في ذات الوقت للتوغل في سبيل توضيح نوعية الافلام واساليبها ، بمعنى اي الافلام اكثر ملاءمة للتعامل مع الواقع ومنحه بعدا يحتوي وجهات نظر حركة المقاومة الفلسطينية .

في مقدمة الكراس الذي يقع في ٣٥ صفحة من القطع المتوسط (رونيو) يوضح المؤلف وبشكل تقريري ، الصراع المتصاعد بين الدول العربية واسرائيل ، وان هذا الصراع يستلزم تصدي الامة العربية للاعلام الصهيوني عبر الفيلم السينمائي ، كذلك يعتقد المؤلف ان الشعب العربي هو في صراع ضد الامبريالية والصهيونية العالمية، دون ان يشير الى خطورة الرجعية العربية ودورها الخطير في تفتيت القوى الوطنية واضعاف دورها في المعركة ، لان نضال الشعب العربي هو نضال ازاء ثالوث الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية . يقول المؤلف « .. وبصرف النظر عن اشتراك الدول العربية في بعض المهرجانات السينمائية الدولية بالافلام الروائية التي تجسد المستوى الحضاري والثقافي للامة العربية ، فان ما يهمنا في هذه المرحلة ، التركيز على انتاج الافلام التسجيلية والقصيرة ، التي تستطيع جميع الدول العربية بلا استثناء — حتى التي لا تنتج الافلام الروائية ، او التي لا يوجد بها صناعة سينما بالمفهوم الفني — ان تشترك بها في هذه المؤتمرات » . يبدو ان المؤلف واقع في اعتقاد سهولة الفيلم التسجيلي ، وانه لا يعدو كونه تسجيلا لما يدور في الواقع . الفيلم التسجيلي هو الفيلم الذي يتعامل مع الواقع لا الذي يصوره فحسب . وهو ايضا انتقاء وتاطير ضمن وجهة نظر علمية مدركة ضمن موضوع يخضع للتنامي ويوجد حالات من الانتباه ويدعو لاتخاذ موقف ازاءها ، موقف منحاز كليا . ان اي مؤسسة من مؤسسات القطاع العام لا يمكنها ان تقيم صناعة سينما روائية متقدمة دون ان يكون لها اساس تسجيلي متين ومتطور . يعود المؤلف فيقول في صفحة ٤ « ولا شك ان احسن وسيلة سريعة فعالة هو الاشتراك في هذه المهرجانات بالفيلم التسجيلي ، اذا ما تعذر وجود فيلم روائي يصلح او يساهم عرضه في خدمة اهداف القضية الفلسطينية » . في هذا يعتبر المؤلف ان الفيلم الروائي هو الاهم ، وفي حالة تعذره لا باس من المساهمة بالفيلم التسجيلي ، في حين يدرك كل المعنيين بشؤون السينما في العالم اهمية الفيلم التسجيلي ليس في عكس واقع حركات التحرر فحسب بل في اضافة معنى جديد للواقع من خلال عملية الانتقاء والفرز والتعليق . ثم كيف تنتج سينما القطاع العام العربية افلاما تسجيلية عن القضية

الفلسطينية ، وبالسهولة التي اعتقدها المؤلف !! ان تقديم اعمال تسجيلية عن القضية الفلسطينية تتطلب مغادرة اروقة الاستوديوهات ومعايشة القضية في مواقعها والاندماج كليا فيها والا فان الاشرطة ستاتي باهتة وعابرة .

بعد ان يستعرض لنا المؤلف مهرجانات السينما التي تعنى بالافلام التسجيلية يوضح وجهة نظره في اهمية الفيلم ضمن القضية الفلسطينية . لنقرأ ما يقوله بالنص « قبل الحديث عن دور الفيلم السينمائي في قضية فلسطين ، ينبغي الاشارة — في لمحة سريعة — الى ماهية الفيلم التسجيلي بمفهومه الفني .. وتطوره . بين الفيلم التسجيلي والفيلم الروائي اختلاف جوهري متشعب النواحي ، فالفيلم الروائي غايته اولا — وقبل كل شيء — الربح المادي ، والعكس تماما مع الافلام التسجيلية والقصيرة فلم يكن الربح يوما اساس تلك الافلام . ومن ثم نجد ان الدول في جميع بقاع الارض هي التي تقوم بانتاج مثل هذا النوع من الافلام » . لا ادري اي فهم لدور السينما عبر الفيلم الروائي يدور في ذهن المؤلف واية قناعة دعت مؤسسة السينمائيين في مصر لتعميم مثل هذا الرأي . اذا كان الهدف من انتاج الفيلم الروائي هو الربح المادي فان ذلك يتعلق بانتاج مؤسسات القطاع الخاص كونها مؤسسات تجارية ، اما مؤسسات القطاع العام فانها تنشأ بدوافع واهداف فكرية بحتة ، وان كل قرارات التأسيس في الاسباب الموجبة لتشريع قوانين مؤسسات القطاع العام السينمائية تشير الى أهمية الفيلم السينمائي واستخدامه كوسيلة فكرية واعلامية ، اما اذا ما در هذا الفيلم او ذاك ايرادات جيدة لشباك التذاكر فانما بسبب قدرة الفيلم على التعبير عن تطلعات اوسع الجماهير ومدى امكانية كادره الفني في تحقيق شريط متماسك الوحدات . فالتوجه الفكري في السينما هو الاساس وليس شباك التذاكر ، لذلك فان اكداس الاشرطة من تلك التي استهدفت الشباك قد اخفقت في هدفها ، وما اندماج كثير من كبريات شركات الانتاج العالمية في بعضها البعض الا الدليل على هذا . لقد حاول الكثير انتاج افلام روائية عن القضية الفلسطينية لحساب القطاع الخاص وفي فترة اندلاع الثورة المسلحة وتلاحم الجماهير العربية مع الانطلاقة ، لكن كل ما انتج من افلام قد اخفق فيما استهدفه لانه لم يكن قد عبر عن القضية الفلسطينية بصدق ولان كل هذه الافلام قد شوهت شخصية الفدائي ضمن اجواء لا تمت الى واقع الشعب الفلسطيني وواقع حركة المقاومة بشيء .

يشير المؤلف في صفحة (٨) الى قادة حركة الفيلم التسجيلي ، ونسي ان يذكر الهولندي (يوريس ايفانس) الذي جال العالم في تحقيق افلام تسجيلية اذ اخرج اول افلامه عام ١٩١١ عندما كان عمره ثلاثة عشر عاما فقط . والسوفياتي (دزيجا فيرتوف) مكون جماعة (سينما — عين) الذي اعلن في بيانه عن ضرورة هجرة الاستوديو والتوجه الى الحياة . كما اشار الى ان (كافالكانتي) هو فرنسي بينما هذا المخرج برازيلي ولد عام ١٨٩٧ ويعتبر من اهم السينمائيين المعاصرين في العالم . لكنه عمل فترة في فرنسا كمهندس ديكور ثم تحول الى مخرج عام ١٩٢٦ بفيلم (لا شيء سوى الساعات) تبعه (جي دي موباسان) . كما اعتبر بودوفكين وازنشتاين من التسجيليين بينما هما مخرجان روائيان معروفان .

وفي محاولة من المؤلف لتحديد ابعاد النظرة للموقف العربي الاسرائيلي لجأ الى نشر النقاط العشر التي حددها عبد الناصر في مؤتمر البرلمانيين الدولي المنعقد في القاهرة بين (٢ — ٥ شباط ١٩٧٠) ، وبعد ان ينشر هذه النقاط يعود الى القول « ان اسلوب الدعاية بالافلام هو الذي يحدد مصير الحروب » . لا يمكن ان يعتقد اي انسان فيمن عالم التكنولوجيا والصراع القائم بين الشعوب المكافحة والامبريالية ان مصير الحروب يتحدد باسلوب الدعاية بالافلام والا لوجدنا نسبة الاعتمادات في ميزانيات كل الدول تزيد في مجال السينما عن اعتمادات الوزارات العسكرية ! السينما ليست اكثر من اداة تسهم في بث الوعي وفي عملية التنبيه وفي فضح العلاقات الزائفة وتأكيد حالة الصراع الطبقي وتصعيده لتسهم بدورها عبر هذا في عملية التغيير والتطور . ولكن اشارة المؤلف بخصوص التهيئة الاعلامية للصهيونية قبل حرب يونيو (١٩٦٧) كانت ذكية . يقول المؤلف في صفحة (١٧) « قبل معركة يونيو ١٩٦٧ غزت اوروبا افلام عن اضطهاد النازية لهم ... مما ساعد على تكوين رأي عالمي يساندهم ويتعاطف معهم » . بل ان اسرائيل تنهج في سياستها الاعلامية عن طريق السينما ، نهج المانيا النازية وتسير في خطاها . فقبل ان يجتاح الالمان النرويج ، ابان

الحرب العالمية الثانية ، بفترة قصيرة دعوا علنية القوم في اوسلو الى عرض سينمائي خاص حيث شاهدوا الفيلم الالماني عن الحملة البولندية ، وعرضوا جزءا من هذا الفيلم في نهاية الفيلم الامريكي ، الاعداء الذين ننتظرهم ، وأوحى الفيلم بفكرة عن اثر الحرب على النرويجيين الآمنين المحبين للسلام . هذه هي الطريقة النازية في استغلال السينما في الحروب ، وهي الطريقة التي تتعامل بها اسرائيل اليوم » .

يحاول المؤلف ان يحدد عشر قضايا كمادة للفيلم التسجيلي عن القضية الفلسطينية : القضية الاولى (تطور القضية الفلسطينية) ويقترح فيها عرض الموضوع بدءا من مؤتمر بال ١٨٩٧ حتى ١٩٤٨ ، ويريد المؤلف تصوير الشعب الفلسطيني ونضاله المسلح من اجل تحرير الارض من الاستعمار الصهيوني المتحالف مع الامبريالية العالمية ولاقامة الدولة الديمقراطية . القضية الثانية — شرعية المقاومة الفلسطينية — فيلم يتناول شرعية الكفاح المسلح من خلال تعرية التآمر الذي حدث ضد الشعب الفلسطيني منذ وعد بلفور حتى قرار الامم المتحدة عام ١٩٤٧ لمعارضتها لحق الشعوب في تقرير المصير . القضية الثالثة — نظام الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية المحتلة منذ عدوان ١٩٦٧ — يتناول هذا الفيلم ما انتهجته اسرائيل من اجراءات ادارية ضمن الاراضي المحتلة في عدوان ١٩٦٧ ومخالفة ذلك للاتفاقات والقوانين الدولية وذلك باصدارها مثلا قانون الاحكام الادارية والمحاكم المدنية وانشاء المستعمرات لاستيطان رعاياها على حساب تشريد عشرات الالوف من المواطنين ونسف المنازل ضمن اجراءات ارهابية . القضية الرابعة — قرارات الامم المتحدة عن اللاجئين الفلسطينيين — فيلم يتناول قرار الجمعية العامة بالسماح للاجئين الراغبين في العودة الى منازلهم ، ورفضهم للعودة دون الاعتراف بحقهم الكامل ، وتوضيح موقف اسرائيل من قرارات هيئة الامم المتحدة . القضية الخامسة — آثار اغلاق القناة على اقتصاديات عدد كبير من الدول — فيلم يوضح اهمية القناة كشريان مائي للتجارة العالمية بين الشرق والغرب، خاصة البترول بين مصادر انتاجه واسواق استهلاكه ، وشرح اهمية هذه القناة منذ افتتاحها في ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ حتى اغلاقها في ٥ يونيو ١٩٦٧ وتأثير ذلك على الصناعة في اوروبا الغربية والدول النامية في آسيا وافريقيا . القضية السادسة — حرب يونيو ، ودلالتها وتطوراتها — فيلم عن جوانب حرب يونيو ودوافعها وكونها ليست صراع حدود بين دولتين ، انما هناك اولويات مهيأة للعدوان وضحت في التوتر والاستفزاز في عام ١٩٦٦ على سوريا والاردن . القضية السابعة — اثر الاوضاع الناتجة عن حرب يونيو على السلام العالمي — فيلم يوضح الانتهاك الذي قامت به اسرائيل للقانون الدولي وليثاق الامم المتحدة ولاتفاقيات الهدنة ، ومن خلال هذا الخرق يوضح الفيلم الموقف الحتمي والطبيعي للمقاومة، الامر الذي سيدفع الى مواقف لاطراف خارج الصراع المباشر مما يشكل تهديدا للسلام العالمي . القضية الثامنة — سياسة اسرائيل من وجهة نظر القانون الدولي والاعلان العالمي لحقوق الانسان — فيلم يعرض استيلاء اسرائيل على مساحات واسعة من اراضي العرب بأساليب العنف وطرد السكان العرب وراء خطوط الهدنة كما حدث في مذبحة كفرقاسم التي راح ضحيتها ٥١ عربيا بينهم ١٢ امراة وعشرة اطفال . واستعراض السياسة التي انتهجتها اسرائيل ما بين ٤٨ — ١٩٦٧ في خرقها القانون الدولي ومبادىء حقوق الانسان . القضية التاسعة — العدوان تهديد للسلام العالمي — فيلم عن طبيعة عدوان ١٩٦٧ باعتباره حصيلة مؤامرة الامبريالية الامريكية ضد الشعوب العربية باعتبارها احدى فصائل حركة التحرر الوطني . وعلى اثر هذا العدوان وعقب الرفض الاسرائيلي لتنفيذ قرارات الامم المتحدة فان الوضع في الشرق الاوسط صار يهدد السلام العالمي من خلال الصراعات الدولية ومواقفها من الاطراف المتصارعة . القضية العاشرة — سياسة اسرائيل في ضوء القانون الدولي — يتعرض هذا الفيلم الى انتهاكات الاسرائيليين للقوانين والعرف بجرائمهم واعتبارهم المقاومة حركة غير شرعية خلافا للقوانين والمقررات الواردة في معاهدة لاهاي عام ١٨٩٩ ومعاهدة جنيف عام ١٩٤٩ في حق الشعوب باللجوء الى الكفاح المسلح ضد اي غزو .

هذا المنهاج السينمائي المطروح للعمل والذي يحتاج انتاجه دون شك الى دراسات ووثائق وارشيف سينمائي ، متناول من وجهة نظر رسمية يبغي المؤلف من ورائها مخاطبة الراي العام العالمي من وجهة قانونية لادانة اسرائيل وادانة الامبريالية

بقيادة الولايات المتحدة . والمنهاج المقترح على العموم لا بأس به اذا ما نفذته مؤسسات القطاع العام السينمائية العربية لانه كما ارى اعلى طموح يمكن ان تلتزم بها انطلاقا من طبيعة بنيتها الطبقية . اما السينمائي الثوري الذي يعيش ازمة الصراع داخل وطنه ويدرك ابعاد القضية الفلسطينية ضمن الواقع الطبقي في المنطقة فان رؤيته السينمائية تأخذ ابعادا واضحة لا تحدها مواثيق جنيف وقرارات الامم المتحدة المرمية خارجا ضمن ما هو حاصل في المنطقة . ان ثمة اشرطة بموضوعات كثيرة يجب تحقيقها عن علاقة حركة المقاومة الفلسطينية ، باعتبارها حركة مسلحة ، بالواقع السياسي العربي وكذلك بالجماهير العربية واساليب نضالها والتحامها بحركة المقاومة ، كذلك الشخصية الفلسطينية التي تناثرت في اقطار عدة وتكاد تفقد ملامحها وعاداتها وتقاليدها وتراثها ولغتها . فالفلسطيني الذي يعيش في العراق صار يكتسب بمرور الوقت ملامح الشخصية العراقية ، وفي سوريا ملامح الشخصية السورية ، وهكذا ، وفي هذا عملية اغتيال انسانية بشعة . هنا تأتي اهمية الفيلم السينمائي في تسجيل خصائص الشخصية الفلسطينية ، وعرض مثل هذه الافلام يعني تأكيد هذه الخصائص عند المشاهد الفلسطيني.

ان سعة القضية الفلسطينية وجزئياتها تتطلب تجنيد امكانات السينمائيين الشباب واتاحة الفرصة لهم لتحقيق الاشرطة وتعميمها . ولكن الواقع يمكن في بعض الحالات ان يتجه (موضوعيا) بعكس التيار المتقدم فيعثره ولو لفترة وحتى يتم التفاعل بينهما . المطلوب مثلا من مؤسسات القطاع العام عمل دورات تدريبية في السينما للشباب الفلسطيني.

هذه مسألة قد تبدو بسيطة وسهلة التحقيق ، ولكن ما هو حاصل ان مجال السينما ضمن المعركة يكاد يخلو من الشباب الفلسطيني . الارشيف السينمائي المركزي ، المفروض ان يكون قد انجز منذ زمن لا سيما وان قرارات عدة قد اتخذت بهذا الشأن ، ولكن ما هو حاصل ان اي سينمائي شاب يحتاج الى وثيقة سينمائية فانه يتعذر عليه الحصول عليها الا عبر مكاتب الارشيف الاجنبية .

وفي هذا الخصوص يشير مؤلف الكراس (او كانت التقرير) الى ما جاء في توصيات لقاء السينمائيين والتلفزيونيين العرب المنعقد في مهرجان لايبزيغ في شهر نوفمبر ١٩٦٩ — العمل على ايجاد ارشيف سينمائي عربي مركزي يضم موادا من الوطن العربي ومن خارجه عن القضية الفلسطينية ويكون مفتوحا امام السينمائيين والتلفزيونيين العرب — ويواصل المؤلف اقتراحاته في تجميع الافلام المنتجة عن القضية والاحتفاظ بنسخ منها (٣٥ و ١٦ ملم) والاتصال بالهيئات والمؤسسات السينمائية الاجنبية التي صورت افلاما او لقطات عن القضية وشرائها بغية ايداعها في الارشيف . وينهي تقريره بضرورة تنسيق عرض الافلام الخاصة بالقضية الفلسطينية في مهرجانات السينما . وكما اوضحنا فان عدد المهرجانات يبلغ ٧٣ مهرجانا في العام اي بمعدل مهرجان واحد كل خمسة ايام . ومفيد ان نجد في نهاية الكراس اسماء المهرجانات وعناوينها ومواعيد انعقادها . في الختام نقول انه رغم وقوع المؤلف باخطاء وارباكات فكرية الا ان جهده في كتابة التقرير يعتبر على الاقل عملية تنبيه لمؤسسات القطاع العام السينمائية في ادراك اهمية التوجه نحو القضية الفلسطينية عبر افلامها التي كانت مغرقة بفهم مثالي للواقع وعبر اشكال سينمائية مستهلكة وتقليدية .

قاسم حول

رسالتان

كانت « شؤون فلسطينية » قد نشرت في العدد الماضي ثلاثة آراء حول المؤتمر الاخير لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين .. وبينما كانت طباعة العدد الحالي على وشك الانتهاء ، وصلنا راي آخر من الاخ عبد الرحمن غنيم . وعملا بحرية النشر ، وبضرورة عرض مختلف وجهات النظر الاساسية حول هذا الموضوع الهام ، ننشر هذا الرأي الجديد الذي يمثل ، كما بالنسبة للآراء السابقة ، وجهة نظر صاحبه . وتامل شؤون فلسطينية ان يتبلور الحوار الدائر حول اتحاد الكتاب الفلسطينيين في نتائج ايجابية مثمرة وان يتجاوز الحساسيات والعواطف الشخصية والتنظيمية . هذا وقد ابحنا لانفسنا اجراء بعض التعديلات على ما كتبه الاخ عبد الرحمن غنيم بالنظر الى وصول المادة متاخرة جدا فنرجو العذر من الاخ غنيم .

شؤون فلسطينية

الرسالة الاولى

رأي آخر في المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

تضمن العدد الماضي من « شؤون فلسطينية » ثلاثة آراء حول مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ساهم فيها الاساتذة : بلال الحسن وشفيق الحوت وناجي علوش . ولقد تباينت الآراء حول المؤتمر ، وطرحت وقائع ، بعضهـا صحيح ، وكثير منهـا — وخاصة مما ذكره ناجي علوش — لا يمت الى الحقيقة بصلة . مثلما طرح ناجي علوش آراء ، اقل ما يمكن ان توصف به هو انها محاولة لتبرير كل المخالفات التي يتحمل هو شخصيا الجزء الاكبر منها . وكانت اول مظاهر هذه المحاولات ، محاولة تفضيل « المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين » على المؤتمرين الاول والثاني للاتحاد العام لكتاب فلسطين ، كتبرير للدور الذي لعبته « اللجنة التحضيرية » دونما سند قانوني ، مستندا في هذا التفضيل الى أمرين : اولهما ، ضخامة مؤتمر الكتاب والصحفيين الذي عقد في بيروت مقارنا بمؤتمر اتحاد كتاب فلسطين في غزة والقاهرة . وثانيهما ، ان المؤتمر الذي عقد في بيروت ضم ادباء وصحافيين ، بينمـا ضمت المؤتمرات السابقـة — حسب زعمه — ادباء فقط !

ان التفوق العددي ، والذي نجـم عن اعطـاء العضوية في المؤتمر لمن يستحق ومن لا يستحق ، ومن التسهيلات المالية التي أعطيت لوفود بعض المنظمات في المؤتمر ، بالاضافة الى المبالغ الكبيرة التي وضعت تحت تصرف اللجنة التحضيرية ، لا يمكن أن يكون مبررا لاضفاء صفة الشرعية على مؤتمر دعت الى عقده ، واشرفت على عقده لجنة غير شرعية ، بشكل تكوينها اعتداء على اتحاد قائم، له نظامه الاساسي ومؤسساته . ويعرف السيد ناجي علوش انه يضم اكثر من مائة وعشرين كاتبا لا مجال للتشكيك بحقهم في عضويته ، وان مسؤولية ضمهم لا تقع على امانته العامة وهيئاته الادارية ، وانما تقع على الجهة المسؤولة في المنظمة ، والتي حجبت كل عون من الاتحاد ، ولم تمنحه امكانية عقد مؤتمر جديد ، بينما كان المرحوم خيري حماد ورفاقه في الامانة يناضلون من أجل تطوير الاتحاد ، وعقد مؤتمر جديد موسع له. ولقد كان ناجي علوش واحدا ممن أسهموا في اضعاف الاتحاد ، حين راح يبرر تلك المخصصات الهزيلة للغاية التي سمحت بها اللجنة التنفيذية لعقد مؤتمر ثالث للاتحاد ، فاحتجت الامانة العامة بانها لا تغطي نفقات المؤتمر، وطلبت زيادتها ، فلم تستجب اللجنـة التنفيذية

لطلبها ، اذ كان ناجي علوش في مقدمة الذين يطلبون من الامانة العامة ان تقبل بالمبلغ الرمزي لتغطية نفقات المؤتمر ، وان تعقد المؤتمر في مخيم الوحدات ، والا عد مؤتمرا بورجوازيا مترفعا على الجماهير .. وكنا نود لو انه ضرب المثل على صدق تلك الحملة الظالمة على المرحوم خيري حماد وصحبه ، بعقد مؤتمر الكتاب والصحفيين في أحد مخيمات اللاجئين في لبنان أو سوريه بدلا من عقده في بيروت ، ولكنه لم يفعل !

ثم ان ضعف الاتحاد السابق — اذا كان ضعفه ذاتيا حقا لا نتيجة مضايقته ومحاصرته — لا تتحمل مسؤوليته أمانته العامة ، وانما تتحمل مسؤوليته هيئاته الادارية ، والتي كان على رأسها ناجي علوش (في الاردن) ، وعبدالله الحوراني (في دمشق) ، وعابدين بسيسو (في الكويت) ، وهارون هاشم رشيد (في القاهرة) .

فليعترف هؤلاء بأسباب ضعف الاتحاد ، بدلا من ان يتحامل بعضهم على الامانة العامة بغية الدفاع عن الجهة التي شلت الاتحاد ، وحالت دون تطويره عامدة متعمدة ، حين فشلت في احتوائه بالطرق الدستورية .

اما الحجة الثانية ، فمردود عليها ، اذ ان اتحاد الكتاب الفلسطينيين كان يضم في صفوفه الكتاب الصحفيين ، وكان نظامه الاساسي ينص على ذلك صراحة . ولكنه لم يكن يضم مدعي الكتابة ، او تقبل أمانته العامة لنفسها بأن تمنح العضوية لمن لا تنطبق عليه الشروط ، بينما كان البعض يتقدم بعشرات الطلبات التي تضم من يستحق ومن لا يستحق ، فاذا اعترضت الامانة العامة على أحد هذه الطلبات ، عد اعتراضها جريمة ، لان عليها أن تقبل بها دون نقاش .. مثلما قبلت اللجنة التحضيرية بعضوية من وردت أسماؤهم في برقيات من مكاتب المنظمة أو معتمدي بعض هذه الجهات دون ان تتوقف عند أي اسم من الاسماء . وكان من الطبيعي أن يكتشف الذين حضروا المؤتمر ، انه كان مؤتمر كتاب وصحفيين وقراء ايضا .. الا ناجي علوش الذي يصر على أنهم كانوا كتابا وصحفيين ، وان الايام ستؤكد « أن عدد الادباء والكتاب والصحفيين الفلسطينيين اكبر من المشاركين في المؤتمر كثيرا » ، بعد أن مهد بالقول ان أحدا من الكتاب والصحفيين في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب لم يأت الى المؤتمر ، وبعد أن استبعد السعودية من عداد الاقطار التي جاء منها كتاب وصحفيون .. للدلالة على فكرته ، مع أن هذا التمهيد لم يكن صحيحا ، بدليل اننا نعرف انه جاء من ليبيا مثلا : ياسر محمود وعبد المجيد فايز ، وجاء من السعودية فواز عيد .. فحتى في مثل هذه المسألة يخفي ناجي علوش الحقائق !

ان شهادات الاثبات التي يقدمها ناجي علوش يبدو انها جميعا غير صحيحة ، حتى تشكيلة اللجنة التحضيرية كما قدمها ، وعقب عليها لم تخل طريقته في التحدث عنها من التزييف المقصود ، حين حرص على تعداد أسماء أعضائها ، وأضاف أنها « تمثل أجيالا مختلفة ، واتجاهات مختلفة » وتضم « عددا من كتابنا وصحفيينا الكبار » . فهذه الصفات تخفي حقيقة أن كتابنا وصحفيينا الكبار قد قاطعوها ، وان تمثيل الاتجاهات المختلفة لم يكن منسجما بحيث اعطيت احدى التنظيمات من البداية اغلبية مطلقة ، لتصبح اللجنة تحت سيطرتها المطلقة ، وهي أمور عاد ناجي علوش ليفضحها ، من حيث هو يحاول الدفاع عن لجنته التحضيرية . فكم هو مثير اعترافه القائل « حين بدأت اللجنة التحضيرية تجتمع اكتشفنا ان نصابنا لا يزيد دائما عن النصف زائد واحد » .. فالنصف زائد واحد ، نستطيع استخلاص اسماء ثمانية منهم كانوا يجتمعون باستمرار ، ويضاف اليهم واحد او اثنان من الاخرين ، الذين حضروا اجتماعا او اثنين ثم انفضوا عن اللجنة ، بينما قاطع ثلاثة آخرون اللجنة مقاطعة تامة . فما هي انتماءات المجتمعين والتزاماتهم؟ ولماذا قاطع الاخرون اللجنة ، او حضروا اجتماعا أو اثنين ، وذهبوا ؟! ألم يكن ذلك بعد ان اكتشفوا اتجاه النوايا من جهة ؟ وبعد ان عرفوا ان تكليفهم تضمن أكذوبة سافرة حين ورد في مطلعه أن اللجنة التحضيرية شكلت بناء على قرار من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية دون ان يكون هناك اي قرار! لكن ناجي علوش يتهم هؤلاء جميعا بالاهمال .. وهذا الاتهام ضروري بالطبع ، لتبرير الفرمان اللاحق الذي صدر عن رئيس دائرة الاعلام والتوجيه القومي والقاضي باعتبار قرارات اللجنة نافذة مهما كان عدد الاعضاء الذين يحضرون اجتماعاتها !

ورغم موقف الكتاب السلبي من اللجنة ، استمرت اللجنة في عملها ، زاعمة أنها تمثل ارادة الكتاب وكان من المستحيل الا يقود هذا المنطق الى

الانشقاق ، فقد كان تشكيل اللجنة التحضيرية بحد ذاته عملا انشقاقيا في اتحاد الكتاب . لكن ناجي علوش لا يريد الاعتراف بهذه الحقيقة ، وانما يسوق الاتهام للاخرين ، بأنهم يتفرجون وأن اللجنة التحضيرية (المصغرة طبعا) ولجنة العمل المنبثقة عنها (وهي جميعا من « فتح ») « تحس انها وحدها تعمل » . وكأنما موقفهم السلبي ناجم عن اهمالهم واجتهاد لجنته ، لا عن تحفظهم على الدور الذي تمارسه اللجنة ...

فالآخرون لم يكونوا متفرجين ، بل كانوا قسمين : قسم يدافع عن الشرعية المعتدى عليها ، وقسم يرفض محاولة الاحتواء التي ركبت اللجنة التحضيرية لتنفذها . ولقد توج القسم الاول تصديه بمفاجأة اللجنة التحضيرية بعقد المؤتمر الثالث لاتحاد كتاب فلسطين في القاهرة في مطلع آب ١٩٧٢ ، هذا المؤتمر الذي بلغت حساسية الساعين الى السيطرة على اتحاد الكتاب من خلال لجنتهم التحضيرية تجاهه حد محاولة اقتحامه بالقوة ، واستخدام العنف في تشتيته ، لولا أن تدخلت سلطات الامن المصرية لحمايته !

وبالنسبة للصاعقة ، فلقد حددت موقفها منذ الاعلان عن تشكيل اللجنة التحضيرية بأنها مع الشرعية وضد محاولة الاحتواء . وبوسع من يريد التأكد من اعتراض الصاعقة على طريقة تشكيل اللجنة التحضيرية العودة الى العدد (١٣١) من مجلة « الطلائع » الصادر يوم ١٩٧٢/٥/٢٩ ، بعد أقل من اسبوع من تشكيل اللجنة التحضيرية ، رغم اننا لم نكن قد عرفنا بعد ان الذين ابتدعوا هذه اللجنة اطلقوا اكذوبتين تستوجبان المحاسبة ، أولاهما أن اللجنة التنفيذية قررت حل الاتحاد القائم ، وثانيهما ، ان اللجنة التحضيرية شكلت بناء على قرار من اللجنة التنفيذية ، وذلك بغية تجريد المعارضين من أسلحتهم . لكن الامور ما لبثت أن توضحت .. وأصبح على المعارضين للاعتداء على الشرعية النقابية ، ومحاولة احتواء الاتحاد وتركيبه مؤتمره ان يفعلوا شيئا .. ولقد تحركوا بالفعل .. حين سلك السيد عودة بطرس عودة الطريق القانوني ، الذي يفاجىء في نهايته اللجنة التحضيرية بعقد المؤتمر الثالث للاتحاد من الاعضاء الذين سددوا اشتراكاتهم فعلا بعد اعطائهم المهلة القانونية المحددة في النظام الاساسي .. وحين تحركت الصاعقة لتضغط باتجاه الحيلولة دون تكريس الانشقاق الذي قاد اليه تشكيل اللجنة التحضيرية ، فحصلت على موافقة الامانة العامة الجديدة للاتحاد على عقد المؤتمر الموسع في بيروت الذي كانت تعد له اللجنة التحضيرية ، شريطة أن يمول من قبل منظمة التحرير الفلسطينية (والجدير بالذكر ان المؤتمر الذي عقد لم يمول من المنظمة) وان تمارس الامانة العامة صلاحياتها القانونية في قبول طلبات انتساب الاعضاء الجدد ، وفي الدعوة للمؤتمر ... واخذنا نبذل الجهود لدى دائرة الاعلام والتوجيه القومي ، ولدى اللجنة التحضيرية ، لايجاد مخرج من الازمة. لكننا لم نقابل أي تجاوب ، بل راح « اعلام الوحدة الوطنية » — المشروع منه وغير المشروع — يشن حملة قاسية من الافتراءات على المؤتمر الثالث للاتحاد ، ويزعم عدم شرعيته ، وفي هذه المرة اطلق هذا الاعلام اكذوبة جديدة يحاول بها اضفاء صفة الشرعية على اللجنة التحضيرية ، حين زعم ان اللجنة شكلت بناء على مقررات مجلس الاعلام المركزي . ولم نعمد الى الرد على الحملة الظالمة الكاذبة المفترية بمثلها ، بل تحملنا وتحملنا لعلنا ننقذ وحدة الاتحاد من التمزق .

فماذا كانت نتيجة تعنت اللجنة التحضيرية ؟ يعترف ناجي علوش ان الاعتراض على لجنته التحضيرية أصبح عاما ، وانها أصبحت على وشك الفشل ، حين يقول : « وحين اقترب موعد المؤتمر بدأت المنظمات الفدائية ترمي بثقلها . قال بعضهم ان فتح تعمل للسيطرة على المؤتمر ، وطالب آخرون بضمانات تقنعهم بأن اللجنة التحضيرية غير متحيزة، واخذت اللجنة التحضيرية تواجه الصعوبات ، وبدأت تحس ان المؤتمر سيجهض قبل أن يبدأ » . إن هذا الاعتراف يفسر سر المناورات اللاحقة . فبعد ثلاثة اسابيع من التجاهل المطلق لمحاولات الصاعقة لايجاد مخرج من الازمة يحول دون انشقاق الاتحاد ، جرى لقاء بيننا وبين ناجي علوش ، اتفق فيه على مخرج من الازمة على النحو التالي :

١ — تشكل لجنة خماسية من المنظمات الفدائية الممثلة في اللجنة التنفيذية تكون لها صلاحيات البت النهائي في طلبات الانتساب الجديدة للاتحاد ، وبرنامج المؤتمر . ٢ — توافق الامانة العامة للاتحاد تلقائيا على ما تقره اللجنة الخماسية ، وتتولى الدعوة الى المؤتمر وفق ما ينص عليه النظام الاساسي للاتحاد .

ورغم انه تم التوصل الى الاتفاق على هذه الصيغة

قبل ثلاثة عشر يوما تقريبا من انعقاد المؤتمر ، فقد أخذت اللجنة التحضيرية تتهرب من تنفيذها ، وتزعم ان الصيغة التي أبلغت بها ووافقت عليها مختلفة عن الصيغة التي ذكرناها آنفا ، ولم يبلغنا ناجي علوش بالموافقة النهائية على هذه الصيغة الا قبل ثلاثة ايام من انعقاد المؤتمر بغية وضع اللجنة الخماسية امام الامر الواقع ، وافقادها زمام المبادرة . ومن هنا يتضح لنا مدى الخطأ فيما ساقه ناجي علوش حول اللجنة الخماسية ، حين قال بأنه « كان من نتيجة هذه الاتصالات ان نشأت لجنة خماسية تمثل المنظمات الخمس ، مهمتها مساعدة اللجنة التحضيرية ومراقبة أعمالها ، كي لا تنحرف أو تتحيز . ولقد لعب انشاء هذه اللجنة دورا في بلبلة اللجنة التحضيرية وفي عرقلة اعمالها، وفي اجبارها على اتخاذ مواقف وقرارات كانت اللجنة التحضيرية لا تريدها » .

هنا .. من المناسب ان نتوقف لنعطي القارىء صورة عن الحقيقة بتفاصيلها .. وبيننا وبين ناجي علوش شهادة ثلاثة من اعضاء اللجنة يمكن اللجوء اليهم ، وهم ممثلو الديمقراطية والشعبية وجبهة التحرير العربية .

أولا ، ان القول بأن مهمة اللجنة الخماسية مساعدة اللجنة التحضيرية ، ومراقبة اعمالها مخالف لصيغة الاتفاق الذي تم الالتقاء على أساسه ، لان معناه ان اللجنة الخماسية ليست المرجع النهائي في اتخاذ القرارات .. وانما ستذوب ارادتها في ارادة اللجنة التحضيرية التي أمنت فيها اغلبية من « فتح » .. اذ ان قبول صيغة ناجي علوش يعني ان يكون لفتح عشرة مقابل اربعة من أعضاء اللجنة الخماسية ، بينما العكس يعني ان صلاحيات اللجنة الخماسية هي صلاحيات مطلقة بالنسبة للجنة التحضيرية .

ثانيا ، لقد اجتمعت اللجنة الخماسية ، وراجعت كشوف اسماء المنتسبين الى الاتحاد التي كانت اللجنة التحضيرية قد أقرتها ، وناقشت الاسماء المجهولة من بينها ، وأقرت القوائم رافضة بعض الاسماء . وبدا ان كل شيء يسير على ما يرام ، الى ان جاء اجتماع المساء ، لنجد ان اللجنة التحضيرية تحفظت على اسماء حوالي الاربعين من مقدمي طلبات الانتساب من سوريه ، بحجج اوهى من أن تقبل .. فالشاعر أو الاديب ان لم يكن عاملا في الصحافة تحفظوا عليه، والكاتب او الاديب الى كان مشكوكا بتحفظ عليه، وفي حالات اخرى الحالات تحفظوا على واحد بدعوى انه في السجن وهو ليس سجينا !! وناقشت اللجنة الخماسية هذه الطلبات ، وأقرت من بينها ثلاثين طلبا وأحالتها الى اللجنة التحضيرية للتنفيذ ، فجاء الصباح لتثور ثائرة اللجنة التحضيرية ، وتتمرد على قرار اللجنة الخماسية .

فوفق القوائم التي تم اقرارها من اللجنة الخماسية ، ليقفل باب الانتساب في نهاية ذلك اليوم قدرت اللجنة التحضيرية انه يمكن لتحالف الضاغطة مع المستقلين او اي فصيل فدائي آخر ، ان يفشل خطة اللجنة التحضيرية في احتواء الاتحاد ، وهذا هو سر البلبلة التي تحدث عنها ناجي علوش وسر القرارات والمواقف التي أجبرت اللجنة التحضيرية على اتخاذها حتى لا تفلت اللعبة من يدها .. والا ، فليحدد لنا السيد ناجي علوش على وجه التحديد هذه القرارات والمواقف ...

اما نحن ، فنستطيع تحديدها بكل جلاء ، وقد فضحناها امام المؤتمر ، ولم يملك ناجي علوش امكانية الرد :

١ — عمدت اللجنة التحضيرية الى عدم توجيه الدعوة الى أعضاء الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين الاصلاء رغم قرار اللجنة الخماسية بتوجيه الدعوة فورا لهم وتأمين سفرهم ، ورغم تزويد اللجنة التحضيرية بأسمائهم ، فحرمت بذلك عددا كبيرا من الكتاب المستقلين من حضور المؤتمر .

٢ — عمدت اللجنة التحضيرية الى طلب كشوف احتياطية من بعض المكاتب بأسماء اشخاص يمكن ادخالهم المؤتمر اذا اقتضى الامر للمشاركة في التصويت ، وحرصت على ادراج اسمائهم في القائمة التي قدمت الى رئاسة المؤتمر . وقد زاد عدد هؤلاء على المائة مما ادى الى رفع عدد المنتسبين في كشوف اللجنة التحضيرية الى حوالي ٤٧٥ عضوا ، بينما لم يتجاوز عدد من أقرتهم اللجنة الخماسية الثلاثمائة عضو .

٣ — كان هناك تعمد واضح في عدم تمكين البعض من الحضور الى المؤتمر ، وذلك بتوجيه الدعوة اليهم متأخرة ، او عدم تأمين بطاقات السفر لهم .

ثالثا ، لقد اعتبرنا تمرد اللجنة التحضيرية على اللجنة الخماسية ، اخلالا بالاتفاق .. لا نستثني معه الحضور الى المؤتمر ، لكن ميل المنظمات الفدائية الاخرى الى التفاهم بأي شكل ، والجبهة

دون انعكاس موضوع اتحاد الكتاب على قضية الوحدة الوطنية ، ثم تأكيدات « فتح » بالالتزام بقائمة ائتلافية يلتزم بانتخابها الجميع ، جعلتنا نذهب الى المؤتمر . فمسألة الامانة العامة ، اذن ، اصبحت محور المؤتمر ، لان اللجنة التحضيرية ركبت المؤتمر ، بشكل تستطيع فيه « فتح » ان تحقق سيطرة مطلقة على المؤتمر اذا شاءت ، وذلك بتمردها على اللجنة الخماسية على النحو الذي ذكرنا . ومررنا على حقول الالغام في المؤتمر .. مررنا عليها ضابطين اعصابنا ، محاولين الحيلولة دون تفجيره رغم ان كل شيء في خط سيره كان يستدعي هذا التفجير .. لاننا نشعر بأنه من العار ان يبدأ كتاب شعبنا وصحفيوه الانشقاق .

.. وكان موضوع « القائمة الائتلافية » التي يلتزم بها الجميع ، هو وحده الذي يجعلنا نحتمل الاستمرار في المؤتمر . الى ان جاءت معركة تشكيل القائمة الائتلافية .. ونقول معركة لان ناجي علوش ، رغم دعواه بأنه لا يرى موضوع الامانة العامة مهما ، وانه شخصيا ضد نظام الكوتا التنظيمية ، استنكف عن الحوار عند البحث في تشكيلها اكثر من مرة ، وانسحب اكثر من مرة ، وامتدت احدى هذه المرات اكثر من ساعة .. لان هناك اسماء معينة اراد فرضها في القائمة بأي شكل من الاشكال ، رغم ان الضعف البادي في القائمة جاء نتيجة فرض هذه الاسماء ..

اذن ، فقد كان ناجي علوش ولجنته ، يعبثون بنا طوال الوقت .. وكانوا يناورون طوال الوقت .. فهذا هو مدلول كلماته .. فالمؤتمر الذي يمكن ان ينفجر في اية لحظة بسبب عدم شرعيته ، ولقد اقر ناجي علوش داخله بانعدام هذه الشرعية ، يجب ان ينجح بتحويل موضوع القائمة الائتلافية الى طعم للاخرين ، يجعلهم يتنازلون امام التجاوزات الى ان تتم الانتخابات .

وهكذا جرت اللعبة المرسومة ، فالقائمتان الاضافيتان اللتان رشحتا الى جانب القائمة الائتلافية ، انطلقت احداها من موقف الصدق ، ومحاولة طرح قائمة نموذجية تتجاوز عيوب القائمة الائتلافية ، وكانت تلك هي القائمة التي طرحها الاستاذ شفيق الحوت .. ولو كانت ارادتنا حرة عند التصويت ، ومتحللين من التزامنا كما فعل غيرنا ، لما انتخبنا غير تلك القائمة . اما القائمة الاخرى ، فقد جرى دفعها من قبل اللجنة التحضيرية بقصد اختراق اللائحة بأسماء معينة .. ولا تنقصنا الدلائل على اثبات صحة هذا الامر رغم محاولات ناجي علوش لنفي ذلك . واخترقت القائمة الائتلافية بثلاثة اسماء .. اسماء من ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ هنا يتهرب ناجي علوش من توضيح الحقيقة .

ان المؤتمر يجب ان ينجح .. وناجي علوش يجب ان يصبح امينا عاما ! هذا هو الجواب ... ولكن الذين يريدون للمؤتمر ان ينجح لان نجاحه معجزة، لم يستطيعوا ان يلتزموا بأي عهد قطعوه على انفسهم ، فخرجوا على الالتزام بالقائمة الائتلافية، وزيفوا عملية التصويت ، مثلما زيفوا عملية الفرز. وكان على رئيس لجنة الرقابة ، بعد ان كشف للرئاسة عن وجود التزييف ان يسكت ، باسم الوحدة الوطنية وباسم سمعة ثورتنا المصانة . وكان على الاستاذ رئيس المؤتمر ، الذي لم يستطع الا ان يكشف في الليل عن التزييف ، الا ان يسكت في اليوم التالي ، من اجل الوحدة الوطنية ، ومن اجل سمعة ثورتنا المصانة .. وكان علينا نحن ايضا ان نطمئن الضارعين بنا الا نفجر الجلسة الختامية ، وان نسمح بلفلفة المؤتمر ، وفي مقدمتهم ناجي علوش ، اننا ندرك ان الموقف لا يحتمل ، واننا سنبارك للفائزين بفوزهم ... ولكننا نرفض التسوية المقترحة والتي تقضي بحلول عبد الرحمن فنيم محل ماجد ابو شرار (لان هذا هو الاسم الذي طرحوه لاجراء التسوية) ، ونطلب فقط ان يكون الامين العام وامين السر مستقلين . وكان رد ناجي علوش ان الامانة ستستقيل ، لتسمي اللجنة التنفيذية امانة مؤقتة تدعو لعقد مؤتمر جديد بعد ستة اشهر .. وقلنا له هذا هو الحل الامثل ، وما زلنا نطالبه واعضاء الامانة بالاستقالة لافساح المجال امام الحل الامثل الذي اقترحه علينا هو قبل الجلسة الختامية ، حتى لا نفجر المؤتمر .

وتدليلا على حسن نوايانا غادرنا الجلسة قبل الختام .. لنفاجأ بتتويج لسلسلة المناورات باعلان امانة تسوية رغم رفضنا لها من حيث المبدأ، وباقالة الدكتور انيس صايغ رغم انفه ، ليوضع مكانه عبد الرحمن فنيم رغم انفه ايضا ..

واذا كانت طاقة احتمالنا قد استوعبت كل المناورات السابقة ، فليس بمقدورنا ان نحتمل اكثر ، حتى ولو انطبقت السماء على الارض .

لقد عنيناها على انها «صرخة» ترمي الى الايقاع بين الصاعقة والمستقلين ، والى تحطيم سمعة ممثل الصاعقة الذي احل محل الدكتور انيس صايغ الذي اصبح بنجاحه في عمله ، وبتضحيته ، رمزا يعتز به شعبنا كله . لقد رفضنا ان ينسحب ماجد ابو شرار لصالحنا ، فكيف احلوا لانفسهم ان يسحبوا الدكتور انيس صايغ ليحل محله ممثلنا ؟! وأعلنا عدم اعترافنا بأمانة التسوية - ، وما زلنا عند ما أعلناه .. وسنبقى عنده ..

اننا نقولها بكل وضوح: ان احتمال عودة الصاعقة غير وارد مطلقا .. والحل الوحيد هو ان ينفذ ماجي هلوش وعده بالاستقالة ، لتصبح اللجنة التنفيذية امانة مؤقتة من المستقلين ، تضع كل شيء في نصابه ، خاصة وانه يوجد اليوم اتجاهان: احدهما هو الشرعي والمعترف به منا ، ومن اتحاد الكتاب العرب واتحاد الكتاب الاسيويين الافريقيين ، وثانيهما غير شرعي ، وجاء نتيجة سلسلة من المخالفات .

ولا يمكن لنا الا ان نكون مع الشرعية ، ومع الصدق الثوري ، ومع الوحدة الوطنية .

عبد الرحمن غنيم

الرسالة الثانية : وداعا يا فلسطين !!

كان آخر ما اكتحل به ناظري من غزة ، في زيارة تمت بها مؤخرا ، نظرات خاطفة القيتها عليها من سيارة الجيب العسكرية الاسرائيلية التي كانت تمضي بي مسرعة في الطريق الى عسقلان ، حيث اخذت « للتحقيق » معي . وقد بترت زيارتي بغتة في الساعة الخامسة من صباح ٦ تشرين الاول (أكتوبر) عندما انتهرتني من وهدة سبات عميق طرقات شديدة متلاحقة ، على باب غرفتي في « بيت المنار » . وكنت قد قدمت الى غزة من القدس في صباح الرابع من تشرين الاول لامضي في القطاع فترة أربعة أيام أو خمسة . وكانت منطقة القطاع قد عادت مؤخرا ، بعد فترة من الهدوء غير المعهود، الى روتينها اليومي المعتاد من هجمات الفدائيين المسلحة ، وفرض منع التجول على بعض الاتحاء ، وتفتيش المساكن ، والاعتقالات ، وتشديد اجراءات الامن بصورة عامة . ولم اتمالك نفسي من الشعور بالدهشة والاستغراب عندما فتحت الباب ووجدت أنني قبالة ثلاثة من رجال الامن الاسرائيليين وبصحبتهم احدى المجندات . وبادروني قائلين : « لدينا اوامر بالتفتيش !! » . وسرعان ما اندفعوا الى داخل الغرفة، وشرعوا على الفور في التفتيش والتنقيب والتبيش في الادراج والخزائن وتحت السرير وحتى بين طيات المخدات والفراش والبطانيات . وكانوا في غاية اليقظة وعلى قدر غير ضئيل من الفظاظة في تلك الساعة المبكرة من الصباح . وعندما اقتادتني المجندة الى الحمام لاجراء تفتيش جسدي دقيق القيت نظرة عابرة من النافذة واذا بصري يقع تماما على وجه جندي منتصب على سطوح الكاراج مصوبا سلاحه الرشاش باتجاه غرفتي .

وقد اثارت كل هذه المظاهر التي احاطوني بها في نفسي مزيجا من مشاعر السخف والاشمئزاز . فما الذي كان هؤلاء الرجال يبحثون عنه ؟ وماذا كانوا يخشون ان تصنع امرأة ، عزلاء ما زالت بردائ النوم تعاني من النعاس ، من نافذة في الطابق الثاني تطل على حديقة مسورة علما بأن اثنين من الرجال الذين في الغرفة كانا مسلحين ، وحتى لو لم يكونوا مسلحين فماذا كان بوسعي ان اصنع ضد اربعة اشخاص اشداء كهؤلاء .

وقد خطر ببالي والمجندة التي تأزر بثنورة مبنى تتفحص جسدي تفحصا دقيقا انهم ربما ظنوا انني اخبيء في غرفتي بعض القنابل او المتفجرات .

فهل كان يدور بخلدهم أن بوسع المرء أن يجتاز محنة الخلاص من اجراءات الامن والحواجز المزدوجة — الاردنية والاسرائيلية — ويعبر جسر اللنبي الى المناطق المحتلة ويحوزته اسلحة فتاكة ؟

لقد انتهى التفتيش ، وأمرت بأن ارتدي ملابسي ، سيأخذونني معهم الى عسقلان للتحقيق معي .

لقد كان لدي موعد في قطاع غزة الساعة التاسعة صباحا ، وهو موعد كنت أود أن لا اتخلف عنه .

وكنت في تلك الساعة المبكرة أعاني من النعاس ، وأشعر بالبرد، وتتوق نفسي الى فنجان من القهوة. ولكن في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر الثامن من تشرين الاول (اكتوبر) ، ناولني ضابط الأمن الاسرائيلي جواز سفري بينما سيارة الباص تتحرك من موقع التفتيش على الجانب الاسرائيلي من جسر اللنبي . لقد « أبعدت » الى الضفة الشرقية . وفي الصباح التالي ، في عمان ، تلقيت تأكيدا لامر كان قد نقل لي شفهيا وهو انني غير مرغوب في وجودي في الاردن .

اما في مقر قوات الامن العام في عسقلان فقد تعرضت لتحقيق مطول وقد نمت نبرة المحقق بأنه ضابط عالي الرتبة في المخابرات الاسرائيلية . وقد قال وهو يغادر غرفة التحقيق أنه سيطلب سيارة لتنقلني عبر الجسر الى شرق الاردن . ولكن بعد انقضاء ساعتين ، أخذت الى مكتب آخر حيث كتب ضابط الشرطة شيئا باللغة العبرية على بطاقة ، وأبلغني أنني سأظل موقوفة في النظارة مدة يومين او ثلاثة لاجراء المزيد من التحقيق .

— « وما هي تهمتي ؟ » سألته . — « اتصالات مشبوهة مع ارهابيين » . — « وأين سأوقف ؟ » — « في زنزانة ، هنا » . لقد كان التحقيق طويلا ، مضجرا ، عقيما ، وبلا طائل . وكان اجمالا بمثابة تكرار للتحقيق الذي تعرضت له قبل عشرة ايام من ذلك التاريخ في مقر الامن العام الاردني في عمان .

وقد انتهت كلا جولتي التحقيق بذات التهمة الغامضة : « اتصالات مشبوهة مع ارهابيين » . لقد اعتبر المحققون في كلا الطرفين ان هناك ما يثير الشبهات في قيام صحفية مقيمة في مصر بزيارة الاردن و« اسرائيل » من حين الى آخر ... وأظهر كلا الطرفين المحققين تصميما على اثبات ان لي اتصالات مع « الارهابيين » وأيلول الاسود ونشاطات تتصل بالارهابيين . وكلا الطرفين حظرا علي حق الرجوع بسبب التهمة الملفقة عن اتصالاتي وارتباطاتي المزعومة مع العرب والفلسطينيين . وفي كلتا الحالتين لم تورد اسماء احد من هؤلاء « الارهابيين » الذين زعموا انني أتصل بهم ، كما لم يجر التحقيق معي حول نشاطات او اتصالات معينة او محددة أجريتها خلال زياراتي . ولم تظهر المخابرات الاردنية اي اهتمام، ولو من ناحية شكلية ولذر الرماد في العيون ، بتحري امكانية وجود اتصالات لي مع اسرائيليين او اية « علاقات مشبوهة » مع عدو الاردن !!! . لقد بدا لي ان مخاوف الاردن وهواجسها لا تعدو كونها امتدادا لمخاوف اسرائيل وهواجسها ... ولقد بدا لي ان التحقيق لدى كلا الطرفين متفاهم عليه في عملية تنسيق مشتركة .

ولم أندهش كثيرا عندما قال لي ضابط الامن العام الاسرائيلي انه حالما نفرغ من التحقيق معك «سوف نتصل بالاردنيين لنرى ان كانوا يسمحون لك بالرجوع عبر جسر اللنبي » !! وعندئذ تمتمت في نفسي ، لا غرابة ان يعج العالم العربي بمهمات واشاعات عن وجود تواطؤ بين اسرائيل وانظمة عربية معينة ، وعن وجود خيانات وصفقات بيع بالجملة الخ ... وقد بدا لي ان الاسرائيليين منطقيون وصادقون مع انفسهم على الاقل من حيث تحديدهم لهوية عدوهم ، وتسخير كل جهودهم في ملاحقة هذا العدو ومطاردته والحق الهزيمة به .

وقد كانت زيارتي للقدس والضفة الغربية وقطاع غزه ، وان بترت عنوة ، كافية لتكوين صورة عن الاوضاع فيها تختلف في جوانب أساسية عن الصورة البهيجة المشرقة التي يعرضها الاسرائيليون والتي تردد صداها في الغرب ، على نطاق واسع، الوفود الزائرة للمناطق المحتلة من بعثات تقصي الحقائق وجماعات السواح والحجاج الذين يتحركون وفق برنامج تعده لهم السلطات وتحت اشرافها ... ان الفلسطينيين في القدس والضفة الغربية يصيبهم الملل والضجر الى حد التقزز والغثيان عندما يقرأون ويسمعون بأنهم قد ركنوا الى الطمأنينة والهدوء قانعين راضين بالعيش تحت الحكم الإسرائيلي . فالسجون الاسرائيلية المكتظة « بالارهابيين » الفلسطينيين ، ومئات المنازل التي يجري نسفها وطرد سكانها ، وآلاف المبعدين الى شرق الاردن ، وآلاف الافدنة من الاراضي العربية المصادرة ، والمستوطنات اليهودية شبه العسكرية التي أقيمت في الاماكن الاستراتيجية من المناطق المحتلة لتقطيع أوصالها ، والاحياء التي تشبه القلاع التي اقامها الاسرائيليون على الاراضي العربية في ما يدعونه « القدس الكبرى » ، والدوريات الاسرائيلية المسلحة المتنقلة الفظة والمنتشرة في كل مكان — كل هذه ومئات غيرها من الشواهد التي لا يلحظها عابر السبيل تروي حقيقة « قبول » الفلسطينيين « بهدوء » و« رفق » حكم

واحدة من أعتى الالات الحربية في عالمنا اليوم !!

لقد ورد في الصحافة الاسرائيلية ان اسرائيل قد أصيبت « بصدمة » عندما تبين لديها ان سكان المناطق المحتلة قد شعروا بالابتهاج لحصيلة عملية ميونيخ الفدائية . ولكن الفلسطينيين يوضحون موقفهم قائلين : « اننا لم نبتهج لمقتل الرياضيين الاسرائيليين **بحد ذاته** ، بل ان مبعث ابتهاجنا هو موقف رجالنا الذين عندما أيقنوا أنهم تعرضوا للخديعة رفضوا ان يذبحوا ذبح الخراف . لقد أطلق رجالنا النار دفاعا عن النفس بعد ان حصد الاثنان ثلاثة من الفدائيين » .

وكان الابتهاج قد شاع بين سكان المناطق المحتلة في وقت سابق من هذه السنة عندما أقدم اربعة من الفدائيين على اختطاف طائرة الى مطار اللد في محاولة لتأمين الافراج عن عدد من آلاف الفلسطينيين المحتجزين في السجون الاسرائيلية . ولكن الفرح سرعان ما انقلب الى غيظ وأسى عندما خدع الاسرائيليون الفدائيين ، مستغلين راية الصليب الاحمر الدولي ، وقتلوا اثنين منهم . وكذلك عندما قام ثلاثة من المسلحين اليابانيين ، بعد اسابيع قليلة من حادث طائرة السابينا ، « بالانتقام لفدائيينا » في الموقع ذاته عم الابتهاج مرة اخرى السكان ، وان كان قد شاب هذا الابتهاج « شعور بالاسف لان بعض الضحايا كانوا من غير الإسرائيليين » .

هذا ، ولم يخف سكان القدس الشرقية شعورهم بالارتياح والرضى عندما انفجرت قنبلة في مخزن « السوبر سول » في القدس الغربية في اليوم التالي لوصولي القدس في زيارتي الاخيرة هذه .

وعندما أقام الاسرائيليون في عيد رأس سنتهم الجديدة صلوات الاستسقاء داعين لهطول المطر كانت ردة فعل الفلسطينيين : « فليعم الجفاف ويشتد ، حتى وان لحق بمواسم محاصيلنا القحط » . وقد قال لي محام من القدس : « اننا نقبع تحت حكم الاسرائيليين مثلما رضخت جميع الشعوب المقهورة والمستعمرة عبر التاريخ ، شأن الاوروبيين تحت الاحتلال النازي ، والهنود في ظل الحكم البريطاني ، وسكان افريقيا الجنوبية السود تحت وطأة سيطرة البيض » .

ومن ناحية اخرى ، تستمر في القدس العربية وفي المدينة القديمة عملية التحويل والتهويد بخطوات محمومة ودون وازع من حياء او خجل ، اذ تجري على قدم وساق عمليات مصادرة الممتلكات والاراضي واخلائها من سكانها عنوة ، وتبدل الممتلكات العربية وتشييد عمارات مكانها وفق طراز « الاستعمار الجديد » . وعندما يرفض العرب بعناد تسليم بيوتهم التي تقرر مصادرتها ، وعندما يرفضون استلام التعويض المقرر عنها ، ويصرون على حقهم في مواصلة العيش في القدس ، تتحرك فرق النسف عندما تعطى لها الاشارة ، لتعمل في البيوت المصادرة هدما وتدميرا . فهذا ما حدث مؤخرا قبل اسابيع معدودة من زيارتي هذه مع محمد عبدالله الصواف الخباز في ما يدعونه الحي اليهودي داخل المدينة القديمة . فقد تلقى الصواف أمرا باخلاء بيته الذي يشاركه السكنى فيه ٢٦ من افراد عائلته ، فرفض الامر بالاخلاء واحتج عليه لدى السلطات الاسرائيلية . وقد ابرز لي رسالتين تلقاهما من المسؤولين الاسرائيليين ، احداهما من وزير الدفاع موشي دايان والثانية من رئيسة الوزراء غولدا مئير ، وكلا الرسالتين تؤكدان له انه ما من احد لديه الحق في طرده هو واسرته من منزلهم . ولكن بعد انقضاء زهاء اربع وعشرين ساعة جرى طرده هو وعائلته من بيتهم العربي العتيق الذي استحال في دقائق معدودة الى كومة من الركام .

وفي منازل اخرى في تلك المنطقة ابرزت لي العائلات العربية رزما من الاشعارات التي تلقوها من السلطات الاسرائيلية للحضور الى دار البلدية « ليتلافوا اتخاذ العقوبات القانونية بحقهم » . وقد جرى اشعارهم باخلاء بيوتهم في بادىء الامر في عام ١٩٦٨ عندما تم اتخاذ القرار بمصادرتها . ولكنهم تجاهلوا ذلك الامر كما تجاهلوا ما تلاه من اشعارات واستدعاءات للمثول امام السلطات المختصة . فهم متشبثون ببيوتهم وبحقوقهم آملين أن يحل السلام أو أن تحدث معجزة ما لتنقذهم قبل ان تهوي المقصلة على رقابهم !! وهم يقولون انهم لن يخلوا بيوتهم الا اذا طردوا منها بالقوة .

الكآبة والتجهم ... الصمت الذي ينم عن الخوف او الشعور بالعجز ... والغيظ المكتوم ... والتعاون المحدود مع العدو فيما يثبت أودهم ويحفظهم على قيد الحياة ... هذه جميعها مما يعتبرها الاسرائيليون وأعوانهم او بعض الزوار الاغرار او المغرضين المتحاملين على انها كناية عن قبول سكان المناطق المحتلة بالاوضاع ورضاهم عنها .

وانها اغارة على تواطؤهم وتعاونهم مع السلطات ومظهر للتعايش السلمي بينهم وبين الاسرائيليين . بيد انه لا يمكن خنق الحقيقة خنقا تاما ، اذ كثيرا ما تنفلت التعابير عنها في ردود الفعل التلقائية للاحداث ، كما تبدو للمراقب شواهد عليها في كل لحظة في شوارع المناطق المحتلة ، اذ يلمسها المرء في الابتسامات الساخرة ، وفي النظرات ، وفي الشتائم المكتومة ، كما يتم الاعراب جهارا عن هذه الحقيقة اثناء المناقشات والاحاديث مع الاصدقاء الموثوق بهم ، كما انها تبدو من خلال مظاهر المقاومة السلبية من أولئك الذين يتجاهلون أوامر قوات الاحتلال ولا ينصاعون لها الا تحت طائلة التهديد بالحبس والتوقيف .

ما زال قطاع غزة مستعص على السلطات الاسرائيلية . فرغم الشبكة الدقيقة من اجراءات الامن الصارمة التي اقامها الاسرائيليون في القطاع، والتي ما انفكوا يدخلون عليها التعديلات والتحسينات طوال السنوات الخمس والنصف التي انقضت على الاحتلال إبيلغوا بها حد الاتقان التام والكمال في ميدان ضبط الامن والسيطرة على الاوضاع ، ما زال الفدائيون قادرين على اثبات وجودهم في القطاع ، سواء بالقاء القنابل اليدوية ، او بمهاجمة السيارات والدوريات المسلحة الاسرائيلية او بالقيام باعمال التخريب . وكل الاجراءات والخطط الجهنمية التي نفذها الاسرائيليون في القطاع لم تفت في عضد المقاومة وفشلت في تحقيق الغاية التي توختها السلطات الاسرائيلية الا وهي استئصال النشاط الفدائي من قطاع غزة كليا . ولم يجد السلطات الاسرائيلية نفعا كل ما اقدمت عليه من اجراءات سواء كانت تعزيز قوات الامن والشرطة او اللجوء الى اضطهاد السكان بقسوة وفظاظة او حملات الابعاد والنفي الجماعي او عمليات الاعتقال والحبس والعقاب الجماعي ، وتفريق السكان وتشتيتهم داخل القطاع ، ومصادرة الاراضي لتقام عليها الكيبوتزات والمستوطنات اليهودية العسكرية منها وشبه العسكرية ، والقيام بقطع الاشجار والاسيجة لتعرية سطح الارض ، واشغال الالاف من سكان قطاع غزة بالعمل خارج القطاع سواء في الضفة الغربية او في اسرائيل ذاتها... كل هذه الاجراءات فشلت في تحقيق الغاية المنشودة ... صحيح انه تم حصر نطاق اعمال المقاومة المسلحة في القطاع والتخفيف من حدتها بصورة ملموسة ، بيد ان اعمال العنف ما زالت تحدث من حين الى آخر بصورة تكفي لابقاء قوات الامن الاسرائيلية في القطاع في حالة استنفار دائم طوال ساعات النهار والليل كما انها جعلت من القطاع منطقة مجرمة على الزوار الاسرائيليين والاجانب . فقد حدث في الليلة السابقة لوصولي الى قطاع غزة هجوم بالقنابل اليدوية في شارع عمر المختار . وتلا هذا الهجوم اعلان حظر التجول وعمليات تفتيش من بيت الى بيت ، واعتقال من وقعت عليهم القرعة للتحقيق معهم . وفي اليوم التالي فرض حظر التجول على مخيم الشاطىء ، فاستنادا للشائعات التي سرت في مدينة غزة ، قام احدهم بخط عبارة « ايلول الاسود » على زوارق الصيد الراسية على الشاطىء . وفي اليوم التالي دوى صوت انفجار في شارع عمر المختار فمزق السكينة المخيمة على المكان عند ساعة الافطار . وقد صادف ان كنت في بيت قريب من موقع الانفجار حيث كنت ازور بعض الاصدقاء . واعقب الانفجار اطلاق زخات من نيران الاسلحة الرشاشة، ووقع خطوات مكتومة لمشاة كانوا يسرعون الخطى نحو بيوتهم خوفا من التعرض للقبض عليهم وبالتالي المعاناة من الاجراءات المألوفة وهي استدعاؤهم الى مقر الامن العام لاستنطاقهم . وخرجت سيدة تعدو مسرعة من بيت مجاور ، اذ ان زوجها اصيب بجراح وحمل الى المستشفى . وقد اخبرني مضيفي ان الرجل المصاب هو بائع الخلوف المسن في شارع المختار .

وقد سألنا شابا كان يقف عند عتبة بيته « هل اصابته شظية » ، فاجابنا قائلا : « كلا ، لقد ضربه احد الجنود الاسرائيليين على وجهه بعقب بندقيته » .

تتعاقب الطلقات ، ثم تظهر رؤوس تطل خلسة خلال خيوط النور المتسرب من الابواب التي كانت تفتح بحذر وتقوم سيارات الجيب والشرطة الاسرائيلية بسد منافذ الزقاق . ويهمس رجل وهو يمر مسرع الخطى : « لقد حاصروا شارع المختار » . سكون ، ثم يجتاز رجل الزقاق بخطى وئيدة قادما من جهة شارع عمر المختار .

ويتحرك الرجل كمن يمشي في نومه ، وتشخص عيناه باتجاه نهاية الزقاق حيث ينعطف في اتجاه المقبرة . وكان يحمل بين يديه رزمة صغيرة مجللة بشال . انه طفل ميت . وكان يلحق بالرجل فتى

يحمل مصباح علاء الدين وآخر يحمل معولا ومجرفة .

وعدت بخواطري الى مشهد دارت حوادثه في مقبرة أخرى بغزة حيث تسنى لي مراقبة ذاك الحدث صباح يوم وصولي . كنت في أحد مخيمات اللاجئين وقد تحلقت حولي جمهرة من الاطفال المتلئين حماسة وانفعالا . وزعق الاطفال من حولي بأصواتهم الحادة : هل شاهدت « القبور المتحركة » ، « اعجوبة مقبرة الشجاعية » ، « انهم الفدائيون ... قبورهم تتحرك . اذهبي الى المقبرة » .

انا لست ممن يؤمنون بالمعجزات . غير اني ذهبت، برفقة بعض الاصدقاء من القدس ، الى مقبرة الشجاعية من باب اولى لان المعجزة ، أيا كان أسلوب صنعها وتحقيقها هي متنفس مرغوب فيه لكسر حدة رتابة الحياة اليومية القاتمة في ظل الاحتلال . كانت هنالك حشود من الناس تحيط بالأفرحة الحجرية الاربعة المتباعدة والتي كانت تتسامق فوق مستوى صفوف القبور الكثيرة الاخرى المتواضعة التي لم تعد كونها اكواما ترابية مسواة باليد . وارشدنا غلامان الى اول تلك « القبور المتحركة » فشقفنا طريقنا خلال جموع الزائرين ، الذين اصبحوا يحجون الى هذه القبور . وقد اوضحوا لنا قائلين : « شواهد القبور تتحرك » ، « سوف ترون » كنت اقرأ اسم الشهيد المنقوش على شاهد قبره — حسين محمد سلمان ابو حنتوش — عندما ادركت ان شاهد القبر كان يميل قليلا من جهة الى اخرى . وانتقلنا بعدها من قبر الى آخر ، فتبين لنا ان القبور الاربعة جميعها « تتحرك » متمايلة كبندول الساعة تارة نحو اليمين واخرى نحو اليسار ، وفي احدى الحالات الى الامام والخلف. وكان الزوار والحجاج يقطعون صلواتهم وتأملاتهم واحاديثهم الهامسة ليسألونا اذا كنا « قد شاهدنا » وليتناقشوا في سر هذه الظاهرة .

وقد رووا ان صبيا صغيرا كان اول من اكتشف ظاهرة تحرك شواهد القبور قبل نحو ثلاثة اسابيع، وسرعان ما ذاع الخبر ، واخذ الناس يتوافدون الى المقبرة من مدينة غزة في بادىء الامر ، ثم من القطاع بأجمعه وحتى من القدس والضفة الغربية. وفسر البعض تلك الظاهرة على انها معجزة . فالفدائيون الاربعة يتململون في قبورهم «ويتكلمون» أنهم يحاولون أن ينقلوا الينا رسالة ما. أما البعض الآخر ، فقد خالها امارة او رسالة من الله . وتساءلت عما كان يقوله الفدائيون او الله . فاجابوني قائلين : ان الفدائيين يحثون الناس على مواصلة النضال وتأدية الرسالة او لعلهم كانوا يقولون « آن اوان العمل » . كما قالوا : ان الله بهذا يطمئن الناس بأن الفدائيين لم يموتوا وان الخلود هو نصيب اولئك الذين يضحون بارواحهم . وان الله يحث الناس على الصمود والمقاومة .

ولم يكن عنصر الاعجاز الخارق للطبيعة في هذه الظاهرة هو الذي استأثر بالقسط الاوفر من اهتمامي — وهي ظاهرة ناتجة عن خدعة بصرية تسببها الظلال المتحركة للاغصان المتدلية فوق القبور — بل ان ما استأثر باهتمامي هو التأويلات التي يسبغها أهالي غزة على هذه الظاهرة . فتلك التأويلات انما تعكس حقيقة مشاعر سكان المناطق المحتلة وحالتهم النفسية . فقدان الثقة بعالمنا هذا بما فيه من قوى وهيئات دنيوية ، وفقدان الثقة بالانظمة العربية وجيوشها ، وبالدول الـ... وهيئة الامم المتحدة ، مثلما ان هذه التأويلات هي الهام لمشاعر الايمان والامل بالانتصار المحتوم « للانسان المستضعف » والقومية والنضال والتضحية . ومضت سيارة الجيب مسرعة في شارع المختار في طريقنا الى عسقلان : سيارات، وهدوء، ولا اشارة تنبىء بأعمال العنف التي جرت في الليلة السابقة . وتساءلت لدى مرورنا بمقر الامن العام : ترى كم من الناس قد سيقوا الى هذا المقر لاستجوابهم ومن ثم احتجزوا واوقنوا أوكم من الغزاويين قد امضى ليلة مشهدا قلقا على مصير احد ابنائه او والديه او ذويه او بسبب ترقبه طرقة على الباب قد تعني تفتيشا روتينيا او زيارة لمقر الامن العام للتحقيق معه — وهي قد تنتهي بالافراج عنه بعد احتجازه بضعة ساعات ولربما امتدت اياما او شهورا او سنينا . وعندما مررنا بنهاية الطريق المؤدية الى مقبرة الشجاعية ساءلت نفسي هل ما زال الفدائيون يتململون في قبورهم ؟ ترى هل سيتسنى لهم يوما أن يخلدوا الى السكينة هانئين مطمئنين ؟

ايرين بيسون

شـــهريات

(١) المقـــاومة الفلســـطينية

على امتداد الشهر الماضي (١١ ايلول ـــ ١٠ ت ١) عاش العمل الفلسطيني اصداء عملية ميونيخ ، وخاصة الاصداء المقصودة الهادفة الى استغـــلال العملية ، لتنفيذ مهمات اخـــرى تحت غطائهـــا . واتخذت هذه الاصداء طابع حملة دولية ضد العمل الفدائي ، وضد « العرب » في بعـــض البلدان ، سنتناول منها ما يمس حركة المقاومة بشكل مباشر .

اصداء عملية ميونيخ : بعد مضي ايام على عملية ميونيخ ، نشرت في الولايات المتحدة واسرائيل ، وفي وقت متقارب ، معلومات عـــن منظمة ايلول الاســود ، كان من الواضـــح تماما ان الهيئـــات الرسمية العليا تتعمد نشرها ، وذلك لربط منظمة ايلول الاسود بقيادات المقاومة الفلسطينية بشكل مباشر ، ولدرس ردود الفعل التي تظهر تعليقا على هذه المعلومات ، لاختبار مدى صحتها . ففي ١١ ايلول نشر الصحفي الامريكي « جاك اندرسون » مقالا في صحيفة « الواشنطن بوست » عن منظمة ايلول الاسود اعترف ان المعلومات الواردة فيـــه مأخوذة من الاستخبارات الامريكية ، وذكر في هذا المقال ان هدف المنظمة الاول هو اغتيال الملـــك حسين ، وان زعيمها يدعى فخري العمري ، وهو يقيم في محلة صبرا ببيروت تحت حراسة مشددة . وبعد يومين (١٣ ايلول) ، نشر الصحفي نفسه مقالا لخص فيه تقريرا مقدما من السفير الامريكـــي في لبنان الى وزارة الخارجية الامريكية حول اوضاع الفدائيـــين . ويبرز تقرير السفير بشكل واضـــح الرغبة في تحريض السلطة اللبنانية على الفدائيين اذ يقول ان هدف نشاط الفدائيين تحريض اسرائيل على ضرب القرى اللبنانية لاثـــارة الاهالي ضـــد الجيش . وان السلطات اللبنانية لا تستطيع دخول اي مخيم من مخيمات اللاجئـــين الخمسة عشر . ويضيف ان لبنان لا يستطيع التصرف كالملك حسين تجاه الفدائيين ، وان المسؤولين فيه ينتظرون حلا بطريقة مـــا . ولكنـــه قـــدم في تقريـــره صـــورة « كاريكاتورية » عن وضع الفدائيين في لبنان توحي بأن ضربهم والتخلص منهم امر ممكن .

وبعد هذه المعلومـــات الامريكية ، بدأت صحـــف اسرائيل بنشر اخبار تضرب على الوتر نفســـه ، فنشرت صحيفة « يديعوت احرونوت » معلومـــات تقول (١٤ ايلول) ان علي سلامه هو الذي ينسق نشاطات ايلول الاسود ، يعاونه في هذه المهمة كل من ابو اياد ، ابو يوسف ، ابو جهاد ، ابو مازن ، من كبار قادة فتح . وفي اليوم التالي (١٥ ايلول) قالت صحيفة معاريف ان زعيم منظمة ايلول الاسود هو غازي الحسيني ابن القائد الفلسطيني الشهير عبد القادر الحسيني .

وفي الوقت الذي كانت تنشر فيه هذه المعلومـــات ، اجتمعت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بدمشق واصدرت بيانا سياسيا (١٤ ايلول) اكدت فيه عدم مسؤوليتهـــا عن اعمـــال منظمة ايلول الاسود ، ولكنها قالت انها تلفت نظر العالم الـــى ضرورة تفهم دوافع الشبان الذين قاموا بالعملية . كما اصدرت منظمة ايلول الاسود نفسها بيانا نفت فيه ما نشر عن اسماء قيادتها ، داعية الصحـــف واجهزة الاعـــلام ، الى عـــدم تضخيم دورها ، والالتزام بالموضوعية فيما ينشر عنها . ولكن هذين البيانـــين لم يسكتـــا رغبة الدوائـــر الامريكيـــة والاسرائيلية في اقامة صلة مباشرة بين قيـــادات المقاومة ومنظمة ايلول الاسود ، واستمرت الحملة الاعلامية والاجراءات العملية التي تلتها ، علـــى أساس هذا الربط بين الجهتين . وعلى اساس ذلك قامت المانيا الغربية باتخاذ اجراءات شديدة ضد العرب المقيمين في اراضيهـــا ، او الراغبـــين في زيارتها . فلاحقت عددا كبيرا من الطلبة ، وطردت دبلوماسيين عربا عاملين في أجهزة الجـــامعـــة

العربيـة (عبد الله الافرنجي) ، واغلقت فرعي اتحاد الطلاب واتحاد العمال الفلسطينيين هناك ، ومنعت المسافرين العرب من الدخول الى اراضيها. ورد الطلاب العرب على هذه الاجراءات بالاعتصام، وبتنظيم تظاهرة شاركت بها قوى المانية يسارية . كذلك جرت في الوقت نفسه اعتصامات في فرنسا وبيروت تجاوبا مع اعتصام المانيا واحتجاجا علـى الاجراءات المتخذة .

اما في الولايات المتحدة ، فبالاضافة الى الاجراءات المماثلة لاجراءات المانيا الغربية ، قامت السلطات الامريكية بتخطي قواعد القانون الدولي ، حـين منعت ديبلوماسيين عربا مـن دخول الولايـات المتحدة ، لحضور الدورة الحالية للامم المتحـدة. وطبقت ذلك على نائب رئيس الوفد السوري، وعلى مدير مكتب الجامعة العربية في مدينة دالاس .

اما في الامم المتحدة نفسها فقـد تقدم فالدهايم في الثامن من ايلول بمشروع قرار حـول الارهاب ، داعيا الى ادراجه على جدول اعمـال الجمعيـة العامة . وقد رفضت الدول العربية ومجموعة الدول الافريقية مشروع القرار ، لانهـا رات في صياغته ، تأييدا لاسرائيل من جهة ، ومساسا بحق حركات التحرر في النضال من جهة اخـرى . وأمام الجدل الواسع الـذي اثاره الموضـوع ، عقدت تسوية من بندين : البند الاول ان يعـدل مشروع القرار بحيث لا يقتصر على بحث عمليات الارهاب ، بل يبحث ايضا الاسباب التي تنتجها . والبند الثاني ان يحول بحث الموضوع من الجمعية العامة الى اللجنة القانونية . وهذا يعني حسب تقاليد الأمم المتحدة ، ان البحث لن يأخذ صفـة الاستعجال ، وذلك حتى تستوعب الاجتهادات كافة حول تعريف الارهاب وتحديد انواعه ، والفروقات بين دوافعه .

العدوان الاسرائيلي على لبنان : في الوقت الـذي كانت فيه الدوائر الامريكية والاسرائيليـة تسرب معلوماتها وشائعاتها الى الصحف ، كانت الاجواء العربية الاسرائيلية مليئة بالتوتر ، وبرزت دلائـل عديدة تشير الى اعتداءات اسرائيلية محتملة على سوريا ولبنان . ابرز هذه الدلائل التي اجمعت عليها الدوائر الصحفية والرسمية ، ومن بينهـا الدوائر الفلسطينية :

١ ــ الحشود والتحركات العسكرية الاسرائيليـة غير الاعتيادية على الحدود مع سوريـا ولبنان ، وتكرار تحليق الطائرات في القرى والمدن اللبنانية .

٢ ــ ابراز الصحف الاسرائيلية لانباء حالة التوتر، ولانباء منع المدنيين وسياراتهم من الاقتراب مـن مناطق الحدود .

٣ ــ الفيتو الامريكي في مجلس الامن الذي افشل مشروع القرار الداعي لادانة اسرائيل بعد غاراتها الوحشية على القرى ومخيمـات اللاجئين يوم ٨ ايلول . وقد فسر الفيتو الامريكي ، على انه بمثابة ضوء اخضر لاسرائيل للتحرك في المنطقة .

وكعـادة اسرائيل الدائمـة اثناء التحضـير لاي عدوان ، بدأت في ابراز نشاطات الفدائيين وتسريب انبائها لوكالات الانباء العالمية ، بينما تفرض علـى هذه الانباء حظرا شبه كامل حين يكون من خطتها ان تبقى الحدود هادئة . ففي ١٤ ايلول قال ناطق عسكري اسرائيلي ان اشتباكا مع الفدائيين وقع عند حدود لبنـان اصيب فيه جنديان اسرائيليـان بجراح . وفي اليوم التالي قال الناطق ان جنديين اسرائيليين قتلا وجرح ثالث في اشتباك مع الفدائيين في الجولان . ثم سربت المصادر العسكرية لوكالات الانباء في الوقت نفسه اخبارا عن خمسة حوادث في منطقة الجولان ، ارفقت بتعليـق يتوقع حدوث « تطورات خطيرة جدا » على الحدود مع سوريا . ولم يكد يمضي عـلى تسريب هذه الانباء اربـع وعشرون ساعة ، حتى بدأت اسرائيل فجر السادس عشر من ايلول هجوما واسعا على جنوب لبنـان تغلغل الى مسافة ٢٠ كلم ، وهي ابعد مسافـة تغلغلت اليها القوات الاسرائيلية حتى الان . وقد دام هذا الهجوم اربعين ساعة ، وشاركت في صده قوات حركة المقاومة والجيش اللبناني . خسرت فيه المقاومة ٢٠ شهيدا ، وخسر الجيش اللبناني ١٨ شهيدا ، و ٤٦ جريحا ، اضافة الى ٨٠ شهيدا مدنيا . وقد اعلنت اسرائيل في البداية ان هدفهـا تمشيط قرى جنوب لبنان من الفدائيين ، ولكنها ما لبثت ان قالت بصراحة ان هدفها من الهجوم الغاء اتفاق القاهرة المعقود بـين المقاومة والسلطـة اللبنانية .

حين بدأ الهجوم الاسرائيلي اصدر مجلس الوزراء اللبناني قرارا اعلن فيه فرض حالة الطوارىء. وعلى ضوء هذا القرار ، اصدرت قيادة الجيش اللبناني سلسلة من التعليمات يشمل تنفيذها العمل الفدائي . وخلق ذلك حالة متوترة بين السلطـة والمقاومة ، جعلت احتمال الاصطدام واردا بقوة.

لقد اعتبرت المقاومة تعليمات الجيش اللبناني بمثابة انذار ، وقامت اذاعة المقاومة التي تبث من سوريا بمهاجمة هذا الانذار الذي كان ينص على ما يلي كما نقلته وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » في ١٩٧٢/٩/١٧ :

« بلاغ خاص
الى جميع قوى الامن :
— المديرية العامة لقوى الامن الداخلي
— المديرية العامة للامن العام
والى اللجنة السياسية العليا الفلسطينية في لبنان

عملا باحكام المرسوم رقم ٣٩٩١ تاريخ ١٩٧٢/٩/١٦ وعملا باحكام المرسوم الاشتراعي رقم ٥٢ عن اعلان حالة الطوارىء او المنطقة العسكرية الصادر في ٥ آب ١٩٦٧ تبلغ قيادة الجيش بموجب السلطات المعطاة لها وفقا لاحكام المرسومين المنوه عنهما اعلاه ما يأتي :
تمركز فصائل المقاومة :

اولا : في القطاعات الحدودية : يمنع تمركز فصائل المقاومة .

١ — في القطاع الشرقي « العرقوب »
١١ — جنوبي طريق شبعا — حاصبيا
١٢ — داخل القرى وحتى مسافة ٢ كلم منها كحد ادنى .

٢ — في بقعة راشيا الوادي :
— داخل القرى وحتى مسافة ٢ كلم منها كحد ادنى .

٣ — في القطاع الاوسط :
٣١ — يمنع دخول القطاع الاوسط لاية عناصر جديدة من فصائل المقاومة .
٣٢ — تخلى جميع قرى هذا القطاع من عناصر فصائل المقاومة الموجودة فيها وحتى مسافة ٢ كلم منها كحد ادنى .

٤ — في قطاع النبطية :
يحافظ على الوضع القائم بوجود عناصر فصائل المقاومة داخل المخيم .

٥ — في القطاع الغربي :
— يمنع تمركز عناصر فصائل المقاومة وجنودهم في القطاع الغربي وخارج المخيمات فيه .

٧ — في منطقة البقاع :
— يمنع تمركز عناصر فصائل المقاومة ووجودهم في منطقة البقاع وخارج المخيمات الموجودة فيها .

٨ — في منطقة جبل لبنان :
— يمنع تمركز عناصر فصائل المقاومة ووجودهم في منطقة جبل لبنان وخارج المخيمات الموجودة فيها .

ثانيا — التجول :
١ — في القطاعات :
— يمنع التجول بالسلاح واللباس المرقط او السير الا لعناصر الكفاح المسلح وبعد التنسيق مع مركز ارتباط الاركان العامة لشؤون الفلسطينيين العسكرية .

٢ — خارج المخيمات كافة : مماثل لاعلاه .

ثالثا : الاجراءات : — يتعرض للتوقيف والاحالة امام القضاء العسكري كل من لا يتقيد باحكام هذا البلاغ .

رابعا : — التنفيذ :

يعمل بهذا البلاغ اعتبارا من الساعة السادسة من صباح نهار الاحد الموافق في ١٩٧٢/٩/١٧ . وتكلف جميع قوى الجيش والامن الداخلي والامن العام تنفيذ احكام هذا البلاغ .

التوقيع
العماد غانم قائد الجيش »

ولكن السيد صائب سلام ما لبث ان نفى بسرعة أن يكون الجيش قد وجه اي انذار للفدائيين . ثم تكرر هذا النفي في مناسبات عديدة لاحقة . ولكن كل ذلك لم يلغ حالة التوتر السائدة التي ارتفعت حدتها الى درجة استدعت قيام أكثر من جهة عربية بالتدخل لتهدئة الوضع ، ومع تكتم الطرفين ، المقاومة والنظام اللبناني ، في الحديث عما دار في الاجتماعات المغلقة ، الا انه من الممكن تسجيل الملاحظات التالية :

١ — لقد خلت الصحف اللبنانية طوال الفترة التي اعلنت فيها حالة الطوارىء (الفيت في ٤ ت ١ باستثناء منطقة الجنوب) من أي اشارة الى العمل الفدائي ، وشمل ذلك جميع نشاطات ومظاهر وجود العمل الفدائي في لبنان ، ومن ضمنها نشاطاته وانباء تشييع شهدائه ، في معارك التصدي للهجوم الاسرائيلي .

٢ — اقدام حواجز السلطة المقامة على الطرقات بمراقبة تنقلات الفدائيين واحتجازهم .

٣ — انتشار جو من القلق العام دفع رئيس

الوزراء الى نفي وجود انذار موجه للفدائيين (١٧ ايلول) ، وقيام وزير الخارجية بابلاغ السفراء العرب ان حالة الطوارىء ليست موجهة ضد المقاومة (١٨ ايلول) . ومن جهة اخرى دفع هذا الجو القلق مشيعي جنازة شهداء المقاومة في بيروت (١٥ الفا) الى رفع شعارات تطالب بالغاء حالة الطوارىء ، كما دفع مشيعي جنازة شهداء المقاومة في صيدا الى رفع شعار يقول « لا ، لا ، للانذار » (١٩ ايلول) .

٤ ــ وصل محمود رياض ، الامين العام للجامعة العربية ، الى بيروت ، وعقد اجتماعات متواصلة مع المسؤولين اللبنانيين ، ومع قادة المقاومة ، انتهت باجتماع ثلاثي ، في ٢٠ ايلول ، قال محمود رياض على اثره للصحافيين ، انه يسافر وهو متفائل .

٥ ــ ظهر اثناء ذلك كله بوضوح ، ان الطرفين اللبناني والفلسطيني حريصان على عدم الاصطدام. فقد اعلن صائب سلام اكثر من مرة ، انه لن يكون هناك اي صدام . واعلنت المقاومة اكثر من مرة انها تتفهم خصوصية الساحة اللبنانية ، والظروف التي تحيط بلبنان .

٦ ــ كانت اوضح اشارة فلسطينية لجو التوتر القائم ما ورد على لسان السيد زهير محسن عضو اللجنة التنفيذية حين قال ان هناك توترا بين الدولة والمقاومة « اتخذ طابعا اكثر حدة وتأزما اذ ترافق مع محاولات لفرض اجراءات وقيود لا يمكن قبولها » واضاف ان « المقاومة ستظل تحرص الى ابعد الحدود على معالجة كل الاشكالات الطارئة بالحوار الايجابي والاتصالات الودية ... واننا نتفهم واقع لبنان ، ونطالب من لبنان ان يتفهم واقع الفلسطينيين » (٢٠ ايلول) . وعلى اثر هذه الوقائع اعلنت مصادر مطلعة للصحافة يوم ٢١ ايلول انه تم التوصل الى صيغة تعاون بين المقاومة والنظام تقوم على اساس الاستمرار في تجميد النشاط الفدائي ، وتمركز القوات الفدائية خارج المدن والقرى . ولكن يبدو ان استمرار فرض حالة الطوارىء ، واستمرار اعمال الحواجز على الطرقات ، ابقت جو التوتر قائما بالرغم من الاتفاق الذي تم التوصل اليه . ولذلك فقد استمر الحوار ، واستمرت اللقاءات حتى ٢٥ ايلول ، حيث اعلن ان جو التوتر قد انتهى ، وان لجنتين فنيتين قد انتقلتا الى الجنوب لوضع الاتفاق موضع التنفيذ .

وعلى اثر ذلك برز حادثان كان لهما دلالة سياسية واضحة ، الحدث الاول قيام السيد صائب سلام بجولة في مناطق جنوب لبنان ، جرى فيها اعداد استقبالات « رسمية » له ، ابلغ اثناءها بان الاهالي يرغبون ببقاء الجيش وبخروج الفدائيين . والحدث الثاني قيام السيد ياسر عرفات على رأس وفد فلسطيني بزيارة عدد من الشخصيات السياسية اللبنانية المعروفة برفضها لاتفاق القاهرة (شمعون ــ ادة ــ الجميل) ، كما قام ايضا بزيارة كل من السيد كامل الاسعد ، وموسى الصدر ، والمفتي حسن خالد . وقد كان اهم هذه اللقاءات الاجتماع الذي تم بين الرئيس فرنجية وياسر عرفات ، وسعد العبد الله وزير الدفاع الكويتي ، وذلك بناء على وساطة كويتية ، قيل انها كانت معنية بازالة فجوة كانت موجودة اضافة الى ازالة التوتر العام في العلاقات . وبذلك انتهت جولة جديدة من جولات التأزم بين المقاومة الفلسطينية والنظام اللبناني ، في ظل ظروف سياسية وعسكرية صعبة ومعقدة .

حكومة المنفى : في الخطاب الذي القاه في الذكرى الثانية لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، فاجأ الرئيس السادات الجميع بدعوته الى تشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة ، وباعلانه استعداد مصر للاعتراف بهذه الحكومة اذا ما شكلت . وعلى الفور برزت اسئلة عديدة حول ما اذا كان الرئيس السادات قد اقترح هذا الموضوع بمبادرة منه ، ام بناء على بحث مسبق مع قيادات المقاومة . وبينما اعلنت معلومات صحفية ان السادات بحث اقتراحه مع بعض القيادات ، قالت مصادر المقاومة ان احدا من قادتها لم يكن على علم مسبق بالاقتراح ، وانها كانت تفضل لو احاطها الرئيس السادات علما بالموضوع قبل اعلانه . وحول الموقف الرسمي الذي سيتخذ قالت هذه المصادر انه من الضروري التشاور مع بعض الانظمة العربية قبل الاعلان عنه .

وقد لوحظ ان اللجنة التنفيذية ، وفصائل المقاومة كافة ، اتبعت تكتيكا سياسيا يتلخص بنقطتين :

١ ــ التمهل في رفض الاقتراح .

٢ ــ صياغة الرفض بطريقة لا تفتح جدلا او معركة سياسية مع القاهرة .

وكان وراء هذا الموقف كما يبدو رغبة المقاومة في تجنيب الاجواء التي ساءت بينها وبين النظام المصري عشية الموافقة على مبادرة روجرز عام ١٩٧٠ ، وقناعتها بأن المبادرة مصرية محضة ، لا تعكس اجواء دولية تسعى بالاتجاه نفسه ، ويمكن بالتالي حصر الموضوع وحله ضمن هذا الاطار .

وبالفعل فقد تأخر صدور اي موقف رسمي عن منظمة التحرير حتى ٢ ت ١ ، حيث صدر بيان بعد اجتماع للجنة التنفيذية رفض الاقتراح بشكل غير مباشر حين قال ان اللجنة قررت دعم الكيان الفلسطيني المتمثل بمنظمة التحرير الفلسطينية. وفي الوقت نفسه الذي اذيع فيه هذا البيان وصل الى القاهرة وفد رسمي برئاسة السيد خالد الفاهوم وعضوية خالد الحسن وسامي العطاري وحامد ابو ستة ، وعقد اجتماعين ، الاول مع سيد مرعي الامين العام للاتحاد الاشتراكي ، والثاني مع الرئيس السادات (٧ ت ١) ، وصدر عن هذا الاجتماع بيان جاء فيه ان الرئيس المصري اكد « ان الشعب الفلسطيني ممثلا بمنظمة التحرير هو صاحب الحق في تقرير مواقفه » . وقد فسرت هذه الاشارة الى منظمة التحرير ، على انها تتضمن موافقة الرئيس السادات على موقف اللجنة التنفيذية . وكان قد سبق للرئيس السادات ان اعلن في مقابلة مع مجلة الحوادث اللبنانية انه اقترح حكومة المنفى قبل الاتصال بالفلسطينيين . وبذلك اعتبرت المسألة منتهية ، دون ان تولد اي حساسيات .

أما : ما يتعلق بالمناقشات الداخلية ، فقد كان هناك اجماع بين الفصائل الفدائية على ضرورة الالتزام بالتكتيك الذي اعلن ونفذ . وحين انفردت الجبهة الشعبية ، باذاعة بيان صحفي (٣٠ ايلول) يعلن رفضها لحكومة المنفى قالت انها لمست « من خلال اتصالاتها الاولية بفصائل المقاومة الاخرى ان هناك اجماعا على رفض المشروع » .

الرسائل الملغومة : وعلى صعيد اعمال العنف ، شهدت هذه الفترة وصول عدد كبير من الرسائل الملغومة الى السفارات الاسرائيلية في الخارج ، والى داخل اسرائيل نفسها . وكشف النقاب عن هذه الرسائل حين انفجرت احداها في يد موظف كبير في سفارة اسرائيل بلندن ادت الى مقتله ، واصابة موظف اخر بجراح يوم ١٩ ايلول . وأعلن في الوقت نفسه ان هذه الرسالة واحدة من تسع رسائل كانت موجهة الى موظفي السفارة . وعلى أثر ذلك بدأ الاعلان عن وصول رسائل اخرى الى السفارات الاسرائيلية شملت مساحة واسعة من العالم قدر عددها بأكثر من ستين رسالة ، جرى كشف معظمها بعد الاحتياطات الواسعة التي اتخذت .

هذا وقد أعلنت المصادر الاسرائيلية ان الرسائل الملغومة التي اكتشفت كانت تحمل رسائل موقعة باسم منظمة ايلول الاسود ، ولكن المنظمة لم تصدر اي بيان يعلن مسؤوليتها عن الرسائل .

وبالمقابل وقع انفجار في مكتبة متخصصة ببيع الكتب المتعلقة بالقضية الفلسطينية في باريس (٤ ت ١) أحدث اضرارا طفيفة ، واعلنت حركة صهيونية تدعى « حركة مسادا للعمل والدفاع » انها مسؤولة عن الحادث . وفي ٨ ت ١ القيت في بيروت متفجرتان على مكتب منظمة التحرير وعلى مكتب فدائي بمخيم شاتيلا ، احدثا اضرارا طفيفة، وعلق مصدر فلسطيني قائلا ان الاسلوب يكشف عن الفاعلين ، وفهم ذلك على انه اتهام للمخابرات الاردنية بتدبير الحادث .

أما داخل الاراضي المحتلة فقد وقع انفجار كبير يوم ٢٩ ايلول في اكبر مخزن للتموين (سوبر ماركت) في مدينة القدس ، ادى الى اصابة ثلاثة اشخاص بجراح ، واعتقل على اثر الحادث ١٣٠ عربيا للتحقيق معهم .

بلال الحسن

ملحق : تقرير عن معركة القطاع الاوسط

امام التعتيم الاعلامي الذي صاحب ، واعقب ، معارك الاربعين ساعة التي ابتدأت صباح (الساعة الخامسة) ١٩٧٢/٩/١٦ في القطاع الاوسط في جنوب لبنان ، لا بد من وقفة نتناول تلك المعارك من ثلاث زوايا : الزاوية السياسية ، والزاوية العسكرية ، والزاوية الخاصة بالحقيقة التاريخية

اولا : **الزاوية السياسية** : لقد كان طابع الغزو العسكري الصهيوني على القطاع الاوسط ابعد ما يكون عن طابع العمليات العسكرية ضد القوات العسكرية المقابلة . ويستند هذا الرأي على الحقائق التالية : (أ) عدم توجل قوات العدو من آلياتها لمطاردة الفدائيين او التوجه الى مواقعهم ، الا في الحالات التي كانوا يدخلون فيها قرية اخلى الفدائيون ضواحيها (المرجع : مقابلة « مع آمر الفصيل الذي تصدى للهجوم على مجدل سلم » — كراسة « حرب الاربعين ساعة » — منظمة التحرير الفلسطينية —) ، (ب) تركيز النار على الاهالي ، وعمليات تمشيط لمساكن المدنيين مصحوبة بمختلف الاجراءات الارهابية (المرجع السابق) ، (ج) معارك الصدام مع الفدائيين تمت بمبادرة القوات الفدائية (المرجع السابق) .

كان العدو يعرف سلفا انه لن يستطيع مفاجأة الفدائيين بهجوم يقوم به في ذلك التاريخ ، فقد كانت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قد اصدرت بيانا ، عقب اجتماعها في ٧٢/٩/١٤ ، تعلن فيه عن توقع العدوان ، وتدعو الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة . ولهذا ، فمن غير المنطقي ان يكون العدو قد هدف من عدوانه الظفر بالفدائيين وضربهم ، ما دام الغزو اصبح متوقعا ، وما دامت القوات الفدائية المحدودة العدد في القطاع الاوسط قد استنفرت وانتشرت . وفي هذه الحالة ، من غير الممكن القيام بعمليات عسكرية بالقوات البرية الا عن طريق ترجلها من آلياتها لصعود الجبال ونزول الاودية بحثا عن الوحدات الفدائية الفوارية وهذا الذي لم يحدث ، اذ توجهت الاليات الى القرى حيث السكان العزل من السلاح ، لتوجه ضرباتها ، فالمقصود ، اذن ، الهدف السياسي الذي يرمي الى ارهاب اهالي القطاع الاوسط وتحريضهم ضد العمل الفدائي ، اي وضع الجماهير بين خيارين اما التعاطف مع العمل الفدائي والنزول تحت سيف ارهاب اسود بيد جيش العدو الصهيوني ، واما التحرك ضد العمل الفدائي والمطالبة باخراجه من الجنوب نهائيا بل من ارض لبنان كلها ، تحت التهديد بعودة ذلك الارهاب — بكل ما تحمل الكلمة من معنى . هذا من جهة ، اما من الجهة الاخرى ، فممارسة ضغط على السلطات اللبنانية لتتخذ الموقف نفسه .

ثانيا : **الزاوية العسكرية** : يلاحظ من مختلف البلاغات العسكرية التي صدرت عن المقاومة وتلك التي صدرت عن الناطق العسكري اللبناني ، ان الملامح الاساسية للحركة التكتيكية لقوات العدو ، خلافا لعملياته السابقة ، تبدو في عدم استخدامه نيران الطيران بصورة رئيسية كمقدمة للحركة التكتيكية للقوات البرية وكجزء منها ، وذلك راجع لسببين رئيسيين : (١) طابع القوات الفدائية المتواجدة في القطاع الاوسط (محدودة ، عددها ، انتشارها ، حسن تمويهها ، وكثرة حركتها — وبالمناسبة ، لم تتعرض قوات الفدائيين في القطاع الاوسط منذ عام ١٩٦٩ لاية غارة جوية) . (٢) طابع الهدف الذي تحركت الحملة الصهيونية لتحقيقه . في الواقع ، لم يتصف الطيران خلال تلك الغزوة سوى اربعة مواقع وهي : (١) بيت ياحسون (٢) الجمجمة (٣) بير السلاسل (٤) سيارة تحمل مدفع ١٠٦ بين السلطانية وبير السلاسل . وكانت هذه النقاط كلها للجيش اللبناني تصدت لاليات العدو بمدافع ١٠٦ . ومن هنا يكون دور الطيران في هذا الغزو قد تحدد في تأمين حماية لتقدم الاليات ، ولكن لم تكن نيرانه الشرط المسبق لتقدمها ، فضلا عن دوره الاستطلاعي والتوجيهي . ولهذا يمكن الاستنتاج ان تخطيط العدو ارتكز على توقع دخول منطقة خالية من مواقع دفاعية محددة تحتاج لقصف جوي مركز يمهد لهجوم الاليات .

لقد اتاحت هذه الظروف لقيادة القطاع الاوسط امتلاك زمام المبادرة في نصب كمائن لا يتوقعها العدو ، راحت تفاجئه بمدافع (ب ٧) المضادة للدبابات ، وذلك من مسافات لا تزيد على خمسين مترا مما عطل امكانية اشتراك الطيران في حماية الدبابات من الكوارث التي حلت بها . ولقد اتقنت الوحدات الفوارية المؤلفة من ٥ — ٧ فدائيين مسلحة بمدفع ب ٧ هذا التكتيك وقد اصابت نجاحات اكبر بكثير من احجامها ومستوى تسلحها .

ان دراسة تجربة هذه المعركة من ناحية نصب الكمائن ثم الانسحاب السريع بعد الصدام مع الدبابات المتقدمة ثم العودة لنصب كمائن جديدة او مطاردة اطراف من قوات العدو ، دون ان يتاح للعدو الافادة من طيرانه .. ان دراسة هذه التجربة سوف تسهم في اغناء فن التكتيك الفواري في ظروف التصدي لقوات آلية مدعومة بطيران نشط ودقيق ، اي ظروف التطورات التقنية الجديدة وسرعة

الحركة التكتيكية للقوات الآلية البرية وللطيران .

يقول الاخ القائد العسكري لقوات الثورة في القطاع الاوسط في جوابه على سؤال مراسل « فلسطين الثورة » — الاربعاء ، ٢٧ ايلول ١٩٧٢ ، صفحة ١٠ — : « لم يعد سرا ان وجودنا العسكري في القطاع الاوسط كما تنص عليه اتفاقية القاهرة والتفسيرات الملحقة به هو **وجود محدد** من حيث العدد ومواقع التواجد ، وبأن تسليح هذا القطاع لا يتجاوز الاسلحة الفردية الصغيرة وهو لهذا ليس قطاعا عسكريا يستطيع ان يقوم بمهمات دفاعية عن القرى او المنطقة ... مثل هذه المهمة تحتاج الى اعداد وتسليح وتكتيكات مختلفة . ولهذا فان خططنا لا تقوم على اساس الدفاع (الكلي) بل على اساس الدفاع (الموضعي) بهدف ايقاع اكبر خسائر ممكنة بالعدو ثم الانسحاب وشن غارات فدائية على مواقع وتحركات قوات العدو ، وهكذا فعلنا .

الذين يطالبوننا بالدفاع عن القطاع الاوسط ومنع العدو من دخوله لا يعرفون معنى حرب العصابات، ولا يعرفون وضع القطاع كما تحدده اتفاقية القاهرة . ثمة ثلاث موضوعات في هذا التصريح : (١) اعداد الفدائيين محدودة جدا ، كما ان الاسلحة فردية خفيفة فهو لهذا ليس قطاعا عسكريا دفاعيا بالمعنى المحدد للكلمة (دفاعي) ، (٢) الدفاع هو من طراز الدفاع الغواري — الموضعي المتحرك . (٣) التكتيك الهجومي هو شن غارات غوارية الطابع على مواقع العدو وتحركاته . وتعني هذه السمات الثلاث ان القوات الفدائية في القطاع الاوسط ، خلافا لمواقع اخرى ، ذات طابع الوحدات الغوارية المتحركة التي تتجنب المواجهة الواسعة وتقصر دفاعها على الدفاع « الموضعي » الجزئي المتنقل الذي يأخذ شكل الكمائن الدفاعية — الهجومية ، كما تقصر هجومها على الهجمات بوحدات صغيرة متفرقة تقررها كل وحدة غوارية زمانا ومكانا واسلوبا في اثناء سير المعركة .

ثالثا : **الزاوية الخاصة بالحقيقة التاريخية** : كان باستطاعة قوات الثورة الفلسطينية ، نظرا لمحدودية عددها وخبرتها ، ولمعرفتها المسبقة بالهجوم ، ولطبيعة الارض في القطاع الاوسط ، ان تستخفي تماما من وجه العدو ، وتتجنب اي صدام معه ، ولكنها قررت نصب الكمائن وشن الهجمات الغوارية طوال اربعين ساعة ، وحافظت على وتيرة تكتيكاتها الهجومية حتى مغادرة اخر آلية معادية ساحة المعركة ، وكانت نتيجة هذه الكمائن والهجمات « تدمير واعطاب عدد كبير من الدبابات والدروع ، امكن احصاء ١٣ منها احصاء دقيقا » (المصدر السابق ص ١١) فضلا عن اعداد من القتلى والجرحى ، لا تقل عن السبعين ، عدا الاليات التي دمرها الجيش اللبناني .

رغم كل ذلك ضرب ستار من الظلام على المعارك التي خاضها الفدائيون في تلك الحملة المعادية ، ولم يعرف الرأي العام الا بمعركة جويا ، بسبب وجود مراسلين اجانب في القرية في اثناء الاشتباك، ولكن الحقيقة ان معركة جويا التي وصفها المراسلون الاجانب بانها « جهنم فتحت نيرانها » على قوات العدو الصهيوني ، لم تكن قمة ما خاضه الفدائيون من معارك في تلك الحملة المعادية ، فقد كانت معارك عيناتا ومجدل سلم ، وقبريخا ، والرمادية، وصدقين لا تقل عنها ان لم تكن معركتا مجدل سلم وقبريخا اشد وطأة على العدو . مثلا لقد كانت معركة عيناتا اشتباكا مع قوات العدو دام ثلاث ساعات ونصف الساعة (من الساعة الثانية والنصف حتى السادسة من صباح اليوم التالي) وقد شلت الكمائن المتقدمة خارج عيناتا قوات الكوماندوز المادية ودمرت آليتين . اما معركة قبريخا فقد دمرت فيها آليتان في مشارف القرية . ثم فوجئت قوات العدو بعد دخولها ساحة البلد بحرب شوارع حقيقية دمرت فيها دبابة ثالثة .

السؤال الآن ، الا تستحق تلك البطولات تمزيق ستار التعتيم الاعلامي ، لتسلط الاضواء على تلك المعارك التي تؤكد امكانية القتال ، وتكرس ارادة القتال ، وتدفع بجماهيرنا الفلسطينية والعربية الى التحقق ، اكثر فاكثر ، من صحة استراتيجية حرب الشعب في مواجهة العدو الصهيوني الذي يريد تركيع وطننا العربي بالهراوة ؟

منير شفيق

١ ــ عدوان ١٦ ايلول على لبنان :

كانت الصحف قد أعلنت يوم ٩/١٥ بأن هناك عدوانا واسعا مرتقبا على لبنان ، استنادا الى معلومات « وفا » ، وكالة الانباء الفلسطينية . كما حملت الصحف ، في اليوم ذاته تصريحا لكمال جنبلاط، ادلى به ، بعد لقاء مع السفير السوفياتي، جاء فيه : « ابلغنا السفير ان الحالة خطرة جدا بالنسبة للبنان وسوريه والدول العربيـــــة . وخصوصا لبنان وسوريا » (المحرر ٧٢/٩/١٥). وكان ابا ايبان في هذا الوقت بالذات يرسـل مذكرات شخصية الى نحو اربعين وزير خارجية في العالم يلقي فيها مسؤولية « الارهاب » على سوريه ومصر ولبنان (النهار ٧٢/٩/١٦) . وهذا الاسلوب ، اسلوب تحميل الدول العربية مسؤولية ما يحدث ، ليس جديدا . انه اسلوب قديم ولكن القادة « الاسرائيليين » ما زالوا يعتبرونه الاسلوب الوحيد الناجع في ملاحقة المقاومة الفلسطينية ، وفي اخضاع الدول العربية . لقد اكد داميد اليعازر هذه الحقيقة ، معتبرا ان « ... تحميل الدول والحكومات العربية ... المسـؤولية » جـزء اساسي من استراتيجيته . وكان دايان اكثر وضوحا ، فلقد قال : « اما ان تتولى الحكومة اللبنانية مراقبة الفدائيين ومنعهم من العودة الى ارض فتح ... واما ان تتولى اسرائيل ذلك ، وفي هذه الحال فان ارض المرتوب ستمر فيها دوريات عسكرية اسرائيلية في شكل منتظم » . واشارت جولدا مئير الى القضية ذاتها قائلة : « ... ان اسرائيل مصممة على ضرب لبنـــان « مرة بعد مرة » اذا لم يلغ الوجود الفلسطيني من ارضه ... لن ننتظر كي يضربونا ... اننا سنهاجمهم حيث نعثر عليهم » (الجديد ، ٣٠٣ ، ٧٢/٩/٢٩). وكانت آخر « النظريات » التي اعلنت في هذا المجال نظرية حاييم هرتزوغ المعلق الرئيسي في اذاعة العدو . وترى هذه « النظرية »: « ان مجرد وجود الفلسطينيين في جنوب لبنان ، ولو لم يقوموا بأي نشاط كاف كي تدخل اسرائيل الاراضي اللبنانية وتهاجمهم » نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٠/١٢) .

وهدف دولة الاحتلال من هذه التصريحات والحملات الدعاوية واضح ومحدد : انه دفع الدول العربية الى تصفية المقاومة الفلسطينية تحت وطأة التهديد باجتياح اراضيها واحتلالها. الدول العربية مطالبة بأن تتحول الى اداة قمع وتصفية . والمثل الذي تتغنى به دولة الاحتلال هو مثل الاردن .. لماذا لا يفعل لبنان مع المقاومة ما فعله الاردن ؟ ودولة الاحتلال لا تحتاج الى مبررات: فليس من الضروري ان يكون هناك « مبررات » لعدوانها ، انها تعتدي ساعة تشاء ، وهي تعتدي حسب استراتيجيتهـا ووفق اهدافها . وما تريد سحقه الآن ليـس قاعدة مقاومة هنا او مركز قيادة هناك . انها تريد سحق ارادة القتال في المنطقة ، ليجد الاستسلام طريقه الى النفوس ، ومن ثم الى الواقع . ولكي يتحقق هذا لا بد من ان تصبح دولة الاحتلال سيدة المنطقة بلا منازع ، تحكمها من تل ابيب دون ان تحرك طائرة او جنديا ، تأمر فيمتثل الآخرون ، تومىء فيستجيبون .

ولقد اشار الاستاذ احمد بهاء الدين الى هذه الحقيقة قائلا : « ... مفزاه ان اسرائيل اصبح لها من السطوة في المنطقة ما يجعلها تستطيع باشارة من اصبعها ان تؤثر في تطورات داخلية تماما ، خاصة باقطار عربية شتى » . وذكر في هذا المجال رادارا لبنانيا طلبت دولة الاحتلال ايقافه عن العمل فتوقف ، كما ذكر مشروع ادة في اســتثمار ميــاه الانهر اللبنانية ، وكيف ان المشروع مجمد بسبب الخشية من دولة الاحتلال . ويضيف الاستاذ احمد بهاء الدين : « ان ارادة اسرائيل وارادة اميركا كلتيهما اصبحتا في وضع يتيح لهما ان يسمحا بهذا ولا يسمحا بذاك ، وان يؤثرا في مجريات الامور ، حتى الداخلية في هذا القطر العربي او ذاك . ومع مرور الزمن سوف تتسع الدائرة التي يمكن التأثير فيها على هذا النحو » (الاهرام ٧٢/٩/٢٤).

وما فعلته دولة الاحتلال صبيحة يوم ٧٢/٩/١٦ لا يخرج عن اطار هذه الاستراتيجية التي تستهدف اخضاع الارادة العربية من خلال التهديد ، فـان لم ينجح فبالعدوان .

وما كاد العدوان « الاسرائيلي » يبدأ حتى بـدأ رد الفعل اللبناني يأخذ ابعاده . وتمثل رد الفعل اللبناني فيما يلي :

اولا : اعلان حالة الطوارىء . ثانيا : توجيه انذار الى المقاومة ، يلغي اتفاق القاهرة عمليا . ثالثا : التركيز على دور الجيش اللبناني واغفال اية اشارة الى دور المقاومة . رابعا : فرض الرقابة على الصحف ووسائل الاعلام ومنعها من الاشارة الى كلمة المقاومة ، او كل ما يدل عليها .

وبدا واضحا ان هذه الاجراءات السريعة ، وخاصة اعلان حالة الطوارىء وتوجيه الانذار الى المقاومة ، جاءت ضمن خطة مبيتة ، وبالاتفاق مع اوساط دولية ، وانها أعدت سلفا ، وبهدف تصفية المقاومة في لبنان . وزاد من القناعة بهذا تركيز السلطة على دور الجيش ومقاومته وصموده واغفال دور المقاومة نهائيا ، ومحاولتها الغاء المقاومة من ذهن المواطن العادي بشطب كل ما يدل عليها من قاموس الاستخدام اليومي . كما لعب انتشار الحواجز العسكرية والحصار الذي فرض على قواعد المقاومة دورا كبيرا في تأزيم الموقف وايصال الامور الى حافة الصدام .

هل كانت السلطة تريد صداما في هذا الوقت بالذات ؟. ان السلطة كانت تريد تقليص حجم المقاومة في هذه المرحلة . وارادت ان تلجأ في ذلك الى : أ ـ استغلال ظروف العدوان والتهديد باجتلال اراضي الجنوب . ب ـ الضغط السياسي على المقاومة ، باستخدام وسائل الضغط المختلفة، ومنها التهديد بالصدام . ج ـ الصدام المحدود ، او الاشتباكات المحدودة ، اذا اقتضى الامر ، ويعود ذلك الى ان الصدام الشامل يحتاج الى تعبئة سياسية وعسكرية اكبر ، والى جو عربي اكثر ملاءمة ، والى مناخ داخلي اكثر تهيؤا ، وحتى يتهيأ كل ذلك يجري تقليص حجم المقاومة ودورها في لبنان عن طريق سلسلة من الضغوط ، ثم سلسلة من الاتفاقيات مع قيادة المقاومة .

وتركز اهتمام السلطة في هذه الجولة على قضيتين : الاولى ـ عدم استخدام الاراضي اللبنانية منطلقا لعمليات الحدود . الثانية ـ خروج قواعد المقاومة من القرى والمدن .

واهمية القضية الاولى تنبع من ان هذا الاتفاق يجمد قواعد المقاومة ، ويتركها فريسة الشعور بانها مجمدة ، لا تفعل شيئا . واذا كان هذا الوضع سيمزق المقاتل الرابض في قاعدته ، فانه سيترك المواطن يحس ان هذه القوات المجمدة لا جدوى من وجودها . اما فيما يتعلق بالقضية الثانية ، فان الخروج من المدن والقرى يزيد من عزلة المقاتلين ، ويضاعف من فرص الاستفراد بهم وضربهم . ان هدف الخروج من القرى والمدن في لبنان ، لا يختلف عن هدف نقل المقاتلين في الاردن الى احراج جرش وعجلون ، الخالية من السكان . وقد جرت تغطية القضية بستارين : الاول يبرز ضعف لبنان وعدم قدرته على المجابهة ، وعجز الدول العربية عن انتهاج سياسة دفاعية ناجعة . والثاني ، يبرز رغبة السكان في الجنوب في ان يعيشوا آمنين ، وان يكونوا في منجى من الانتقام الاسرائيلي .

وهكذا اصبح وجود « العمل الفدائي » في لبنان هو المشكلة . ولذلك فقد اخذ بعض الاصوات يطرح الحل . وها هو غسان تويني في افتتاحية للنهار يبادر بعد العدوان مباشرة الى طرح استراتيجية جديدة للمقاومة الفلسطينية تقوم على الاسس التالية : ١ ـ القوات العسكرية للمقاومة تتحول الى جزء من القوات النظامية العربية ، وتعمل ضمن استراتيجيتها . ٢ ـ تنتقل المقاومة الى العمل السري على طريقة ايلول الاسود . ومع ان هذه الافكار ليست جديدة ، اذ انها تمثل خطا معروفا داخل المقاومة وخارجها ، فقد بدأت تطرح من جديد طرحا واثقا ملحا . وكان بيير الجميل من الذين خاضوا غمار الحديث عن القضية في مؤتمر حزب الكتائب (النهار ، ٢٣/٩/٧٢) . وقد ركز الشيخ بيار الجميل على ثلاث قضايا اساسية : الاولى : ان تفرق المقاومة بين العمل الفدائي والعمل العسكري « على اساس ان العمل العسكري ليس اوانه ، ولهذا السبب كان « العمل الفدائي » وليس من مبرر للعمل الفدائي ، سوى هذا السبب تقريبا . بمعنى انه اذا استحال العمل الفدائي عملا عسكريا ، فقد مبرره الاساسي الوحيد ، وكان وبالا على نفسه وعلى قضيته وعلى العرب جميعا » . الثانية ـ ان لبنان هو الذي يحدد نوع مساعدته للمقاومة وحجمها « وينبغي ان تقبل المقاومة بالمساعدة التي يقدمها لبنان الى كفاحها العادل ، بنوع هذه المساعدة ومقدارها ، قبولا يكون اقرب الى الاقتناع منه الى التسليم بالامر الواقع ... دور لبنان في المعركة لا يحدد قياسا على حاجات المقاومة وهي كثيرة وحجمها يفوق حجم امكانات لبنان بأشواط » والمقاومة عندما تطالب مثلا بالعمل من

حدودنا » . . . انها تفرض علينا نوعا من انواع الاحتلال ، وتقودنا الى معركة بل الى معارك غير متكافئة مع اسرائيل نتيجتها خسارة الارض والكرامة وآخر ملاذ للمقاومة نفسها » . الثالثة : ان لبنان لا يريد التورط في صراع مع المقاومة . « واذا كانت اسرائيل تتوخى من انتقاماتها استدراجنا الى هذا الصراع فعبثا تحاول » . هذا ما يقوله الشيخ بيير . ويضيف : « لاننا ، بين هذه الانتقامات وبين حرب أهلية في بلادنا يكون الفلسطينيون طرفا فيها ، نفضل الحالة الاولى ، وهي شر كبير لكنه أهون الشرين ! واتفاق القاهرة ما كان الا تجت ضغط هذه الضرورة او هذا الاختيار الصعب » . ولكن الشيخ بيير يضيف قائلا : « لكنا نأمل الا تحاول المقاومة استغلال نقطة الضعف هذه بهذا الشكل او ذاك . أي ان تتخذ من خوفنا من الحرب الاهلية أداة لكي تنتزع منا ما تريده . لان حرصنا على الوحدة الداخلية يكون حرصا لا معنى له ، ساعة يصبح بدرجة الى التسليم بانهيار تام ! ».

وبعد ان يؤيد الشيخ الجميل اجراءات الدولة يحدد ما يسميه « التزاماتنا تجاه القضية وابنائها ، أيا كان تصرف المقاومة ، ومهما تمادت في تورطها واخطائها » . وهذه الالتزامات في رأيه « . . . اما ان تكون حلقة في خطة عربية شاملة متكاملة ، نشترك نحن في وضعها ، واما ان نتولى نحن تحديدها بأنفسنا ، بالتفاهم مع المقاومة اذا أمكن وأرادت هي نفسها هذا التفاهم طبعا ، اذ نكتفي باستيحاء ضميرنا ووجداننا وطاقات البلاد وامكاناتها وسلامتها » . ويلتقي هذا الخط مع الخط الذي طرحه غسان تويني ، وهو خط يريد ان يحدد للمقاومة طبيعة وجودها على الاراضي العربية اولا . وهو ثانيا يريد ان يقرر لها شكل عملها ونوع عملياتها . ثم — ثالثا — ان هذا الخط يريد ان يقنع المقاومة بأن لكل بلد عربي دورا هو يحدده على ضوء امكاناته . رابعا : وفوق هذا كله ، فان لبنان مستعد ان يمضي الى الحرب الاهلية ، اذا لم تتكيف المقاومة مع متطلبات وضعه .

ويستهدف هذا الخط تكييف ارادة المقاومة مع وضع الانظمة واخضاع قواها العسكرية الى خطة عربية شاملة ، وجعل قواها السياسية اقرب الى التمثيل الدبلوماسي منها الى التنظيم الشعبي . ويبرر هذا الخط نفسه بالحديث عن ضرورة « العمل الفدائي » ، وبالتعني بالسرية وبالتوازن الاسود . ولكن هذا الشعار يخفي وراءه حقيقة مهمة وهي ان هذا الخط يرفض العمل السري في الحقيقة ، وما تعنيه به الا من باب الخديعة ، وهو اذا كان يسعى للاستفادة من عملية كمبلة ميونيخ ، فما ذلك الا للضغط على القوى العالمية من اجل حل عاجل للقضية الفلسطينية . ولكن مثل هذا الحل يتطلب ان تتنازل المقاومة الفلسطينية عن مواقعها ومكتسباتها ، وان تدمر اعمدة قوتها ، وهو ما تعمل من اجله قوى مختلفة عربية وغير عربية . لان المقاومة اذا فعلت ذلك دخلت حلبة الحل الاستسلامي . وهو ما يراد لها . هذا ما طلبه لبنان الرسمي من المقاومة ، وما أيدته فيه قوى لبنانية معروفة . وبالمقابل كان هنالك موقف القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية والجماهير المساندة لها .

واليوم وبعد مرور شهر ، تبدو الازمة هادئة ، مع ان الوضع استمر كما كان . فهل يعني هذا ان الازمة قد انتهت ؟ لا طبعا . . .

ان ما حصل لا يعدو ان يكون عملية « تهدئة » . واذا كانت قد حصلت اجتماعات ولقاءات « . . . فحصيلة هذه اللقاءات لم تكن اكثر من « حوار » منع الصدام « مؤقتا » وجرى فيه استعراض « لوجهات النظر » دون الوصول الى نتيجة حاسمة ، وهذا يعني ان التوتر قد يعود في أية لحظة ، بالرغم من « النوايا الحسنة » و« الثقة المتبادلة » . ويعني ايضا — وبصراحة — ان المساعي التي بذلت ، بما في ذلك مساعي الكويت كانت مساعي تهدئة اكثر منها مساعي تسوية او حل نهائي . اذا فالوضع كله قابل للانفجار في أية لحظة ، وكل ما حدث حتى الان هو « تجميده » مؤقتا ريثما يجري البحث عن حل نهائي » (الحوادث ٧٢/١٠/٦) .

ولكن ما هو هذا الحل ؟ انه احد اثنين ، فاما ان تبقى المقاومة وتصبح طليعة وطن عربي مقاتل ، او ان تتكيف وتصبح جزءا من واقع الاستسلام الحالي . وبما ان تحول الوطن العربي الى وطن مقاتل قضية بحاجة الى الكثير من النضال والعرق والدم ، فان المقاومة ستواجه ازمات مقبلة اكثر حدة .

ان العدو يعرف نقاط ضعف السياسة العربية ، وهو لذلك سيعمد الى مزيد من الهجمات ، والى مزيد من التهديدات والضغوط . وسيزداد عدد

الذين يتظاهرون ، لانهم لا يريدون الفدائيين (الجريدة ١٥/١٠/٧٢) ، وستزداد صراحة الانظمة في اعلان عجزها عن مقاومة العدو . وستزداد الصراحة ، الى جانب ذلك ، في مطالبة المقاومة بالرحيل ...!

ان الاشهر الستة المقبلة اشهر خطرة ، ستعمل دولة الاحتلال خلالها على فرض امر واقع جديد ، جغرافي او سياسي او الاثنين معا ، لانها تريد ان تقدم لرئيس الولايات المتحدة الجديد خارطة جديدة يباركها . لقد انتهى عدوان السادس عشر من أيلول ، وهو يبدو الان ، وبعد شهر ، عدوانا فاشلا . ولكنه في الحقيقة بداية مرحلة جديدة من مراحل الصراع العربي — الاسرائيلي تريد لها دولة الاحتلال ان تنتهي بالاستسلام الكامل . ولكنها تريد لها ان تمر قبل ذلك ، عبر مقبرة المقاومة .

٢ — حكومة منفى فلسطينية :

بادر الرئيس السادات الى طرح موضوع حكومة المنفى . وحين سئل عن الاسباب اجاب :

« ... سبب الاقتراح ان هولدا مئير تنكر وجود الفلسطينيين . ومن الضروري ان نرد على هذا التحدي . فعندما تريد اسرائيل الغاء الشخصية الفلسطينية لا بد ان نؤكد هذه الشخصية ونعترف بها رسميا » . وحين سئل عما اذا كان اخذ رأي المنظمات الفلسطينية في الموضوع اجاب : « ... لم يحدث اي اتصال مع الفلسطينيين حول هذا الموضوع » (الحوادث ٦/١٠/٧٢) . فالاقتراح اذن لا يعدو ان يكون ردا على دولة الاحتلال التي تلغي الشخصية الفلسطينية . وهو من هذا الباب، وفي رأي الرئيس السادات ، خدمة للقضية الفلسطينية وللشخصية الفلسطينية المهددة بالالغاء.

ولكن الطابع الجديد للشخصية الفلسطينية طابع نضالي . ونستطيع ان نقول بأن انطلاقة يناير سنة ١٩٦٥ هي التي بعثت الشخصية الفلسطينية واعطتها محتواها ووجودها الحالي ، وعليه فان استمرار هذا النضال هو الذي يبلور هذه الشخصية ويحميها . وبما ان هذا النضال يتعرض للتآمر والملاحقة ، فان حمايته ، هي الوسيلة الوحيدة لمنع دولة الاحتلال وغيرها من الغاء الشخصية الفلسطينية . وماذا يمكن ان تفعل حكومة منفى لشعب الفلسطيني اذا ضربت قواه المنظمة والمسلحة ؟

لذلك فان المحافظة على الشخصية الفلسطينية تتطلب : ١ — حماية المقاومة الفلسطينية ومكتسباتها وانجازاتها ، وعلى رأسها قواها المنظمة والمسلحة . ٢ — حماية حق المقاومة الفلسطينية في الحركة ، وحقها في التنظيم والتسليح والتعبئة . ٣ — مساندتها ماديا ومعنويا ، لتكون قادرة على تصعيد نضالها ، وعلى احباط المؤامرات التي تحاك ضدها .

وحكومة المنفى عندما تطرح بعيدا عن هذا كله تقود الى « ... اقناع الفلسطينيين بدخول عالم الواقعية ، وهو العالم الذي تتحرك ضمنه الان الانظمة العربية المعنية مباشرة بالنزاع مع اسرائيل» (النهار ، العالم يكتشف الفلسطينيين ، عبدالكريم ابو النصر ، ١٠/١٠/٧٢) . ان الحرص على الشخصية الفلسطينية والقضية الفلسطينية يعني الحرص على طابعهما النضالي الثوري ، لانهما لا تتبلوران ولا تبرزان الا بالنضال عموما وبالنضال الشعبي المسلح خصوصا .

ناجي علوش

جاءت عملية أيلول الاسود في ميونيخ ، التي تابعها على شاشات التلفزيون مئات الملايين من المتفرجين في انحاء العالم ، لتزيد اهتمام الاوساط العالمية (والغربية منها بشكل خاص) بقضية فلسطين والشرق الاوسط . وبادرت المانيا الغربية باتخاذ اجراءات تعسفية ضد المواطنين العرب ، فحدت من حرية تنقلهم ودخولهم ، وطردت المئات منهم من العمال والطلبة ، وخلقت هذه الاجراءات والحملة الصحافية الرجعية جوا من العنصرية ضد العرب جعل احد المعلقين الفرنسيين يشبه بين وضع العرب الان في المانيا ووضع اليهود بعد امتطاء هتلر سدة الحكم عام ١٩٣٣ . وفي هذا الجو المشحون بالعنصرية والحقد ، والذي يرافق فترة الاعداد للانتخابات النيابية حيث يتبارى الحزبان الرئيسيان الاشتراكي الديموقراطي والديموقراطي المسيحي في اعلان « حرصهما على الامن الداخلي » ، اتخذت الحكومة الفيدرالية قرارا بمنع اتحادي طلبة وعمال فلسطين في المانيا بتاريخ ١٩٧٢/١٠/٤ ، وقامت شرطتها بمداهمة مقرات الاتحادين في جميع انحاء المانيا وباعتقال وطرد اكثر من مئة كادر من كوادرهما . وازاء حملة القمع هذه، أعلن عدد من الطلبة الفلسطينيين يوم ٩/٢٩ الاضراب عن الطعام في مقر الجامعة العربية في بون احتجاجا ، وشاركهم فيما بعد في الاضراب عدد من الطلبة الايرانيين . واستمر الاضراب عشرة ايام ، قامت خلالها عدة تظاهرات تضامن نظمتها الحركات اليسارية الالمانية والاجنبية كان اهمها تظاهرتي فرانكفورت يوم ٩/٢٩ ودورتموند يوم ١٠/٨ . وامتدت حركة الاحتجاج الى فرنسا حيث قام اكثر من ثلاثين طالبا عربيا وايرانيا بمبادرة من فرع اتحاد طلبة فلسطين بالاعتصام مضربين عن الطعام في مقر الجامعة العربية في باريس وذلك ابتداء من يوم ٩/ ١ ، وشاركت الحركات اليسارية الفرنسية في حملة الاحتجاج هذه . وقد عم السخط العالم الغربي ازاء هذا الجو الارهابي ، وطالبت الاوساط الشعبية وبعض الحكومات باتخاذ اجراءات مقاطعة ضد الواردات الالمانية ومعاملة مواطني المانيا الغربية بالمثل .

وقامت دول أوروبية اخرى كبلجيكا وهولندا وسويسرا باتخاذ اجراءات للحد من دخول المواطنين العرب ومراقبة تحركات منظماتهم النقابية خاصة بعد ان وردت السفارات الإسرائيلية في اوروبا والقارات الاخرى رسائل متفجرة نسبت الى أيلول الاسود وأدت الى مقتل ملحق زراعي اسرائيلي في لندن ، وبعد جرح ملحق اسرائيلي في سفارة بروكسل اطلق عليه النار مواطن مغربي . وحاولت الاوساط الاسرائيلية ان تصبغ هذا الجو بصبغة عنصرية ، فانتشرت تهديدات مزورة ضد الممتلكات اليهودية في أوروبا وشبت الحرائق المشبوهة في بعض البنايات التي يمتلكها يهود فرنسيون في باريس . والهدف من ذلك هو محاولة جديدة للخلط بين المقاومة الفلسطينية واللاسامية في اذهان المواطن الاوروبي الذي ما زال متأثرا بذكرى المجازر النازية ضد اليهود ، بالاضافة الى عملية ضغط على سلطات اوروبا الغربية لاتخاذ اجراءات قمعية ضد المواطنين الفلسطينيين والعرب اسوة بحكومة برانت في المانيا ، للتوغر على نفسها مثيلة الرد بالمثل الذي لن يسمح لها بالاستفادة كلية من الحملة . ورغما عن ذلك فقد قامت احدى المنظمات الصهيونية السرية (التي قيل انها مرتبطة بحزب حيروت) والتي تحمل اسم « مساده » بوضع عبوة متفجرة امام « مكتبة فلسطين » في باريس محدثة بعض الاضرار المادية ، ومثيرة احتجاجات خبيثة (على حد تعبير المنظمة نفسها) من قبل المنظمات الصهيونية الفرنسية والحكومة الاسرائيلية .

ويبدو ان لهذه الحملة علاقة بالمحاولات العربية الرسمية الرامية الى اقامة جسر مع دول السوق المشتركة ، على امل ان تلعب هذه دور الوسيط في ازمة الشرق الاوسط للضغط على امريكا لتغيير موقفها المؤيد بتشنج لسياسة الاحتلال الاسرائيلية وربما كانت فرنسا التي هي الحلقة الرئيسية في مجموعة دول السوق هي المقصودة أساسا في العملية هذه ، الا أن الحكومة الفرنسية على ما يبدو مدركة لابعاد العملية الاسرائيلية وما زالت تطمح الى لعب دور اكبر في ايجاد مخرج لما تسميه « الازمة الحالية في مشكلة الشرق الاوسط » ، في اطار طموحها للعب دور اساسي في حوض البحر المتوسط . وقد ركزت بعض التعليقات العربية والفلسطينية على هذا الجانب، وتجلى هذا الطموح

الفرنسي والاوروبي في تصريحين رئيسيين احدهما لجورج بومبيدو في مؤتمره الصحفي في ٩/٢١ الذي رد على سؤال حول عملية ميونيخ بالتأكيد على ان العملية وما يسماه « الارهاب » الفلسطيني التي ادانتها الحكومة الفرنسية بشدة « لا يمكن ان يتبعي ما لم يوجد حل للمشكلة الفلسطينية » . والتصريح الاخر لوزير خارجية بلجيكا هارمل في الجمعية العمومية للامم المتحدة يوم ١٠/٥ الذي أكد على ضرورة مساهمة « المجتمع الدولي في ازالة الاسباب التي تدفع الى اعمال يائسة ، وطالب بتحطيم الجمود الخطير الذي يحيط بقضية الشرق الاوسط وأبدى « استعداد اوروبا للمساهمة ، في حالة التوصل الى اتفاق سياسي ، في حل المسالة الاليمة للاجئي فلسطين » . الا ان الشعور يسود المحافل الاوروبية بأن أي تغيير في الموقف الامريكي لن يحدث قبل انتخابات الرئاسة الامريكية، وبالتالي أي ضغط على اسرائيل لا يمكن ان يتبلور الا في مطلع العام القادم ، رغم بعض الشائعات التي ترددت في القاهرة حول وجود مخطط امريكي جديد حائز على موافقة دول اوروبا ابلغ الى محمد حسنين هيكل اثناء اقامته الاخيرة في المانيا الغربية (وقد نفت القاهرة وجود مثل هذا المخطط) .

ومع اقتراب افتتاح الدورة السنوية للجمعية العمومية للامم المتحدة ، انتقلت أصداء عملية ميونيخ الى محافل المنظمات الدولية . فبعد الفيتو الامريكي على مشروع قرار صومالي — غيني — يوغوسلافي يدين اعتداءات اسرائيل على سوريا ولبنان بعد عملية ايلول الاسود مباشرة (وقد حاز المشروع على ١٣ صوتا وامتنعت باناما وصوتت الولايات المتحدة ضده) ، طالب كورت فالدهايم الامين العام للامم المتحدة بتسجيل ما سماه «موضوع الارهاب » على جدول اعمال الدورة . ودار النقاش مباشرة بعد افتتاح الدورة يوم ٩/١٩ حول هذا الاقتراح الذي عارضته الدول العربية وبعض الدول الافريقية والاشتراكية . لكن لجنة التوجيه المكونة من ممثلي ٢٥ دولة ، اقرت اقتراح فالدهايم بعد ان تنازل الاخير عن طرح الموضوع على الجمعية العمومية واكتفى بان يطرح على اللجنة القانونية . وقد صوتت ١٥ دولة الى جانب التسجيل ضد ٧ دول وامتناع ٢ وعدم مشاركة رئيس الدورة (الذي هو نائب وزير خارجية بولندا تربشنسكي) في التصويت. وحين احالة جدول الاعمال على الجمعية العمومية ، اقرت الاخيرة ايضا تسجيل موضوع « الارهاب » في نص مخفف صوتت الى جانبه ٦٦ دولة مقابل ٢٧ دولة معارضة وامتناع ٣٣ دولة . والدول المصوتة الى جانب التسجيل هي دول اوروبا الغربية كافة (بما فيها فرنسا واسبانيا واليونان) ودول أمريكا الشمالية والجنوبية (باستثناء كوبا وتشيلي) وعدد قليل من دول آسيا وافريقيا (بينها تركيا وايران) الى جانب اسرائيل بالطبع ودولة عربية واحدة هي الاردن . وصوتت ضد التسجيل معظم الدول العربية الى جانب بعض الدول الافريقية بالاضافة الى البانيا والصين وكوبا . وامتنعت عن التصويت دول اوروبا الشرقية والتشيلي وعدد من دول افريقيا وآسيا واربع دول عربية هي : البحرين ولبنان والسعودية وقطر .

وظهر منذ البدء ان الولايات المتحدة التي تزعمت حركة التشديد على موضوع « الارهاب » كانت تبتغي تحويل الانظار عن قضايا التحرر الرئيسية في العالم (وخاصة في فيتنام وفلسطين) حيث يمارس العنف الثوري ردا على العنف الامبريالي الرجعي ، والتركيز على مظهر هامشي من مظاهر الرد متمثل في عمليات اختطاف الطائرات واحتجاز الرهائن . وفي الوقت الذي تحاول فيه تغطية التناقض الرئيسي في العالم بين الامبريالية وحركات الشعوب الثائرة ، تبدو وكأنها حريصة على أمن المدنيين والاطفال وكأن مئات المدنيين والاطفال الذين يموتون يوميا تحت قنابلها في الهند الصينية ، ومئات المدنيين والاطفال الذين ماتوا ويموتون تحت قنابل عميلتها اسرائيل ليسوا من الفصيلة البشرية. ولا شك ان الحملة الامريكية الاسرائيلية الاخيرة تستهدف في النهاية استغلال هذا الموضوع للجم اية حركة تحررية في العالم ومن هنا تكمن خطورتها وضرورة التصدي لها بحزم . وجانب آخر خطير يكمن في تشديد بعض الاوساط الامبريالية (بما فيها امريكا نفسها) والرجعيات المختلفة على اهمية ايجاد حل سريع « لمشكلة اللاجئين » التي تشكل اساس ظاهرة الارهاب على حد تعبير هذه الاوساط . اي ان هذه الحملة تحمل في طياتها نوايا تصفوية ذات غلاف « انساني » خبيث .

وقد تجلت مواقف الدول كافة في خطابات ممثليها في الجمعية العمومية التي تعرضت معظمها « لقضية الشرق الاوسط » وموضوع « الارهاب » . وافتتح روجرز التدخلات بخطاب دار في ثلثيه (حسب تقدير صحيفة بريطانية) حول الموضوع الاخير ، وطالب

الوزير الامريكي يعقد اتفاقات دولية تقضي بمعاقبة مرتكبي عمليات اختطاف الطائرات واحتجاز الرهائن والتنسيق بين الدول في قمع « الارهابيين » . وتكلم اندريه غروميكو وزير خارجية اتحاد الجمهوريات السوفياتية عن « تأييد بلاده للنضال المشروع للشعب العربي الفلسطيني » لكنه اعرب عن عدم موافقته على « الاعمال الارهابية التي يقوم بها بعض العناصر في الحركة الفلسطينية والتي يستعملها الاسرائيليون لتبرير سياسة القرصنة التي ينتهجونها ضد الدول العربية » . وطرح موريس شومان وزير خارجية فرنسا فكرتين اساسيتين ، على حد تعبيره ، في مشكلة الشرق الاوسط هما « الجلاء عن الاراضي المحتلة ما عدا بعض التصحيحات الطفيفة » الى جانب « تقيد الدول المعنية كافة بالاصول المتعارف عليها في التعامل بين الدول ذات السيادة » . وعلق على عملية ميونيخ معلنا « رفض فرنسا للارهاب وتأييد كورت فالدهايم في محاولته وضع حد للعنف الاعمى » . وتكلم دوغلاس هيوم عن « اخراج السوفيات من مصر » وطالب اسرائيل بأن « تستفيد من هذه الخطوة التي تقرب المشكلة من الحل ». وجاءت التدخلات الاخرى في اطار موقف كل دولة من مجمل القضية الفلسطينية وتعرض الدولة ذاتها لحركات معارضة مسلحة . وتكلم مندوب الصين بين آخر المتكلمين يوم ١٠/٣ وشدد على تبني الصين « لاستعمال العنف الثوري من قبل الشعوب المضطهده في نضالها ضد عنف الامبرياليين والاستعمار القديم والجديد والعنصرية والصهيونية الاسرائيلية » واعلن وقوف الصين الى جانب المقاومة الفلسطينية لكنه اشار الى عدم موافقته على الاغتيالات والاختطافات كأسلوب نضال سياسي يسيء الى قضايا التحرر الوطني . ومن المتوقع ألا يؤدي النقاش في اللجنة القانونية وفي الجمعية العمومية الى أي قرار عملي نظرا لمعارضة عدد كبير من الدول للتنسيق على المستوى العالمي .

وعلى صعيد العلاقات العربية ـ السوفياتية ، تبلورت عناصر جديدة خلال شهر ايلول : اهمها توثيق العلاقات السوفياتية مع العراق وسوريا والمقاومة الفلسطينية ثم الاتجاه نحو اعادة الحوار السوفياتي المصري على امل تحسين العلاقات التي ساءت بشكل اكثر علانية منذ اخراج الخبراء السوفيات من مصر في شهر تموز الماضي .

في ٩/١٤ ، وصل احمد حسن البكر رئيس الجمهورية العراقية الى موسكو في زيارة رسمية دامت خمسة ايام تميزت بحرارة خاصة وانتهت ببيان مشترك يشمل القضايا المحلية والعالمية ولوحظ في البيان الفقرة الخاصة بالمقاومة الفلسطينية التي اشارت اليها الصحف الغربية على انها تطور نحو تأييد اكبر من جانب السوفيات . وقد جاء في هذه الفقرة « ان الجانبين اعلنا دعمهما المطلق لكفاح الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه المشروعة ، ويعتبران حركة المقاومة الفلسطينية جزءا يرتبط عضويا بحركة التحرر الوطني العربية ، واعلنا استمرارهما في تقديم الدعم المادي والمعنوي والمساندة السياسية والمعنوية لهذه الحركة » . واشار مراسل لوموند في موسكو معلقا على هذا البيان ان دعم الاتحاد السوفياتي قد ازداد بشكل ملحوظ للمقاومة الفلسطينية وخاصة لفتح والجبهة الشعبية . وكان تزايد الدعم السوفياتي الاكثر وضوحا لسوريا على اثر الشائعات الاخيرة التي توقعت عدوانا اسرائيليا على الاراضي السورية بعد اجتياح الجنوب اللبناني .

في ٩/٢٤ نشرت جريدة النهار خبرا مفاده ان جسرا جويا قام بين الجنوب السوفياتي ودمشق لنقل المعدات الحربية بما فيها الصواريخ . واضافت المصادر نفسها ان وفدا عسكريا وصل الى سوريا بهدف ابرام معاهدة عسكرية بين سوريا والاتحاد السوفياتي الا ان الاوساط الرسمية السورية نفت هذا النبأ . واعربت وزير الخارجية الامريكي ملفين ليرد على اثر هذه الشائعات عن « قلق اميركا المتزايد ازاء تدفق الاسلحة السوفياتية الى سوريا » . وقد اكدت جريدة البرافدا السوفياتية بتاريخ ٩/٢٩ خبر ارسال الاسلحة والخبراء وقالت « ان سوريا تتلقى الاسلحة الاكثر تطورا ، كما تتلقى مساعدة لتكوين كوادرها العسكرية » كما ذكرت ان الاتحاد السوفياتي يشارك في توسيع مرفأ اللاذقية وامتدحت بالمناسبة قادة حزب البعث في العراق وسوريا . وفي هذا التاريخ نفسه كان الفريق حافظ الاسد يقوم بزيارة سرية لموسكو عاد بعدها الى القاهرة ، مما دعا المراقبين الى اعتبار هذه الزيارة استهانا من الرئيس السوري في تحسين العلاقات المصرية السوفياتية .

وقد تبلورت محاولات التحسين هذه في اكثر من بادرة . فرغم بعض التصريحات الانتقادية لبعض

الاوساط الرسمية والصحفية المصرية الى جانب حملة العقيد القذافي المستمرة ضد الاتحاد السوفياتي واتهام النائب الناصري اللبناني نجاح واكيم بعد زيارة للقاهرة للسوفيات « بانهم افسدوا السلاح قبل مغادرتهم لمصر » و« بأن بين الخبراء بعض اليهود » (النهار ٩/١٣ وكريستشن ساينس مونيتر) ، توالت الوساطات وبوادر الانفراج . فقبل الفريق الاسد ، كان كمال جنبلاط قد مر بالقاهرة في طريقه الى موسكو لتسلم جائزة لينين للسلام وفسر هذا المرور بانه محاولة من النائب اللبناني للتوسط . وعاد السفير المصري بعد غياب دام اكثر من شهرين الى موسكو في ٩/٢٧ (الا ان السفير السوفياتي لم يعد الى القاهرة حتى كتابة هذه الكلمات) ، وقام عبدالقادر حاتم بزيارة رسمية الى موسكو لحضور احتفال ثقافي ، تقرر بعده ان يقوم رئيس الوزراء المصري عزيز صدقي بزيارة موسكو في ١٠/١٦ . وتناقلت بعض الصحف الاوروبية انباء تقول ان نجاح مهمة صدقي قد يؤدي الى لقاء بين السادات وبريجنيف في دمشق . كما قبل الرئيس السادات دعوة لزيارة براغ . وقد فسرت الدعوة بانها جزء من المحاولات الرامية الى اعادة تحسين العلاقات المصرية — السوفياتية . ويبدو ان السوفيات سيستمرون في سياستهم الحذرة التي تعتمد على استمرار التعاون الاقتصادي وتوفير قطع الغيار ، في الوقت نفسه الذي ينتقدون فيه تزايد نفوذ اليمين في العالم العربي (دون التعرض بشكل مباشر للحكومة المصرية) ويحذرون من اية اوهام قد تتولد حول امكانية طرح امريكا لحل عادل للمشكلة .

داود تلحمي

(٤) المناطق المحتلة

برزت في الاونة الاخيرة موضوعات في المناطق العربية المحتلة معظمها نابع من الطبيعة التوسعية لاسرائيل مثل حركة الاستيطان وقضية مشارف رفح وقضية الحرم الابراهيمي في الخليل ، وبعضها ناجم عن متطلبات ملحة مثل الدعوة لاقامة جامعة في الضفة الغربية واخرى في قطاع غزة ، واخر نابع من واقع نضالي مثل بعث المقاومة من جديد في القطاع بعد حملة الاقتلاع والتشريد والتهجير التي بدأت بها قوات الاحتلال في شهر تموز من العام الماضي .

لم يطرأ تقدم على التسوية السياسية التي تكشفت في شهر تموز الماضي بين سلطات الاحتلال والنظام الاردني ، والتي قام بدور الوسيط بها رجالات من الزعامة التقليدية في الضفة والقطاع ، مثل انور الخطيب حاكم القدس سابقا ورشاد الشوا رئيس بلدية غزة ، فقد عاد الوسيط الثاني الى غزة ليجد من يطلب منه الحساب على شكل القاء قنبلة وعبارات نارية على سيارته في محاولة لتصفيته ، اما الاول الذي استقبل « استقبال الملوك » في عمان فقد عاد هو الاخر بعد ان انهى المهمة الموكلة اليه دون ان يلاقي من يحاسبه الا الاسرائيليين الذين تلقوا منه تقريرا عن وساطته . وخلال ذلك كانت النقاشات تحتدم في اسرائيل حول « الثمن » الذي يمكن لاسرائيل ان تدفعه مقابل عقد اتفاق سلام مع الاردن او الدول العربية الاخرى ، وقد تضاربت المواقف حول «حجم الثمن» ففي حين تكتفي التيارات الفاعلة في حزب العمل بابقاء ثلث مساحة الضفة الغربية تحت السيطرة الاسرائيلية نجد ان الحزب الوطني المتدين «مفدال» وهو شريك في الائتلاف الحكومي يدعو الى ابقاء الضفة الغربية ككل تحت السيطرة الاسرائيلية اما الشريك الثالث في الائتلاف الحكومي (حزب مبام) فانه يكتفي بالقدس وبشريط امني على امتداد النهر وبتعديلات طفيفة على خطوط الهدنة (بالنسبة للضفة الغربية) . وقد افصحت رئيسة الوزراء غولدا مئير عند اشتداد الحوار حول السلام عن رأيها به قائلة : « هنالك مبادىء عدت معترفا بها من قبل الجميع وهنالك مبادىء اقرتها الحكومة بشكل واضح : العودة الى حدود الرابع من يونيو ، لا ، لن يتم ذلك ، لن نعود ! حدود جديدة ، حدود سلام مع تعديلات طفيفة — لا ، لا للتعديلات الطفيفة ! هنالك اماكن وخطوط ينبغي ان تكون التعديلات عليها كبيرة ، وهنالك اماكن لا تكون التعديلات عليها كبيرة ، ولكن ليست تعديلات طفيفة ... من الحماقة ان نقوم بلطرون هنا ولطرون هناك . ان الحكومة لم تعين الحدود ، ولكن الانسحاب من الجولان لن يتم ابدا ... اما التعديلات مع الاردن فينبغي ان تكون كبيرة ،

تعديلات كبيرة » (معاريف ٧٢/١/٨) . ويبدو ان من بين العوامل التي وقفت عثرة امام التسوية السياسية ، « التعديلات الكبيرة » التي تصر عليها رئيسة الحكومة الاسرائيلية .

حركة الاستيطان : سارت حركة الاستيطان في ثلاثة اتجاهات ، تعزيز المستوطنات القائمة ، واقامة مستوطنة جديدة ، واعداد مخططات لاقامة مستوطنات اخرى ، ففي مجال تعزيز المستوطنات القائمة ودعمها اقرت « لجنة المدراء العامين لشؤون المناطق » اقامة معامل جديدة في ضاحية كريات اربع في الخليل ، وفي العريش ، من بينها اقامة مطبعة اوفست في كريات اربع تصل تكاليفها ١،٤ مليون ليرة ، كما وسيقام معمل حدادة كبير في العريش . وهنالك خطة لتطوير مستوطنة « دى زهاب » في سيناء ، حيث ستضاف الى المستوطنة ٢٥٠ غرفة جديدة لاستقبال السياح كما وستقام منشآت اخرى تصل تكاليفها ٥،٥ مليون ليرة ، كما جاء على لسان وزير السياحة موشيه كول اثناء الاحتفال بمرور عام على تأسيس المستوطنة . ومن الجدير بالذكر ان احد شيوخ القبائل في سيناء ويدعى براك ابو عبد الله قد اعلن في هذه المناسبة « اننا باركنا المستوطنين اليهود ورحبنا بهم في واحة دهب وان دولة اسرائيل هي دولتنا ونحن مواطنوها » . وفي مجال خلق معالم جديدة ، اقيمت بتاريخ ٧٢/٨/٢٤ مستوطنة ناحال جيتيت في اراضي قرية عقربة الواقعة في منطقة نابلس بالقرب من الاغوار ، بعد ان قامت سلطات الاحتلال بالسيطرة على اجزاء واسعة من اراضي القرية ، ورش حقولها بالمواد السامة بواسطة طائرات سلاح الجو الاسرائيلي . اما في مجال المشاريع ، فقد ذكرت الاذاعة الاسرائيلية انه ستقام في هضبة الجولان وغور الاردن وشمال سيناء ست مستوطنات جديدة ، اثنتان منهما للمهاجرين القادمين من الاتحاد السوفييتي .

قضية مشارف رفح : ما زالت قضية مشارف رفح تشغل بال سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، ففي اعقاب رفض سكان المنطقة الذين اجلوا عن منازلهم بالقوة ومنعوا من العودة الى اماكنهم بعد ان تم تسييجها من اجل اقامة مستوطنات اسرائيلية هناك ورفضهم تلقي تعويضات عن اراضيهم وممتلكاتهم ، قامت سلطات الاحتلال بتعيين ضابط كبير برتبة عقيد « عوفيد بن داميد » الحاكم العسكري السابق لمدينة الخليل من اجل دراسة مشاكل بدو مشارف رفح وايجاد الحلول لها ، وتتمثل الحلول في دفعهم للموافقة على قبول التعويضات وتوطينهم من جديد في اماكن اخرى ، وقد بذل عوفيد جهودا من اجل «كسر مقاومة البدو» واخذت جهوده تسير في ثلاثة اتجاهات لحل القضية لمصلحة سلطات الاحتلال (١) بذل محاولات لاقناع شيوخ القبائل بالتعويض ، وذلك بعقد اجتماعات متكررة معهم بالتلويح بمبالغ كبيرة (٢) اتباع سياسة فرق تسد والعمل على تعميق الخلافات بين شيوخ القبائل مع ترويج اشاعات بأن سلطات الحكم العسكري تعتزم تنحية الشيخ سليمان الهاوا كبير شيوخ القبائل ورمز مقاومة مشاريع سلطات الاحتلال في مشارف رفح ، الذي اكتسب هيبة وسمعة وطنية في تصديه الجريء لهذه المشاريع ، كل ذلك من اجل بذر الشكوك في نفوس الشيوخ وابناء القبائل بغرض تطويعهم والحصول على موافقتهم على الامر الواقع . (٣) التخطيط لبناء مساكن دائمة للبدو في اماكن جديدة في الجنوب الشرقي لرفح ، سيتم في المرحلة الاولى بناء ٦٠ وحدة سكنية ، واذا ما نجحت سلطات الاحتلال في اقناع بعض السكان لقبول هذه الوحدات السكنية كبديل عن منازلهم واراضيهم ، ستقوم بانشاء وحدات سكنية اخرى ، هذا مع بذل نشاط لاستيعاب الايدي العاملة من بين صفوفهم في المزارع الاسرائيلية وفي مجال البناء ، والاكثر من ذلك كله هو اعتماد سلطات الاحتلال شبه الكلي على العمال البدو في اقامة المستوطنات الاسرائيلية في اراضيهم التي اجلوا عنها بالقوة بغرض خدمة المستوطنين الجدد ، ولعل هذا الامر هو احد التعابير الحادة عن الحركة الصهيونية ، تملك الارض وسيلة الانتاج الكبرى وتسخير ما تبقى من اهلها الاصليين لخدمة السكان الجدد ، هذا مع العلم ان سلطات الاحتلال اتخذت اجراءات مشددة لمنع دخول ابناء المنطقة الاصليين الى مزارعهم ، وبلغت هذه الاجراءات ذروتها عندما قامت طائرة اسرائيلية بمطاردة الفلاحين من ابناء المنطقة الذين تسللوا الى مزارعهم لجني ثمار حقولهم ، حيث قامت بهدم عرشهم التي تقيهم حرارة الشمس . ومن المعروف ان اهالي مشارف رفح كانوا قد بعثوا برسائل احتجاج الى « محكمة العدل العليا » في اسرائيل والى رئيس الدولة زلمان شازار والى رئيسة الحكومة ، طالبين فيها انصافهم واعادتهم

الى اراضيهم ، الا ان « محكمة العدل » تباطلت وتهربت من الموضوع على اساس انه موضوع ايمني ، اما رئيس الدولة فانه « لا يرى مكانا لتدخله في القضية » وفيما يتعلق برئيسة الوزراء فانها « توافق على ما يفعله الجيش الاسرائيلي ». وازاء هذا الضغط ضمد ابناء القبائل في رفضهم للتعويضات المقترحة التي يزداد حجمها يوما بعد يوم بغرض امتصاص النقمة ، ولا يزال الشيخ سليمان الحلو متمسكا بالمطلب العادل : العودة ورفض التعويض « وحتى لو مرت مئة سنة » كما يقول الشيخ الحلو « فاننا لن نتخلى عن الارض ولن نوافق على التعويضات »(دافار ٧٢/٩/٢٤).

المستوطنون والحرم الابراهيمي : تفجرت خلال شهر سبتمبر قضية ابطالها مستوطنون وضحيتها كالعادة عرب ، وحكمها سلطات الاحتلال ، وقد وصلت هذه القضية من الشدة لدرجة ان وجدت الحكومة الاسرائيلية ضرورة ادراجها في جلسة مجلس الوزراء لتداولها وايجاد الحلول لها . والسبب الرئيسي الذي يكمن وراء هذه القضية هو السبب نفسه الذي يكمن وراء قضية مشارف رفح : التوسع والسلب ، اقامة وقائع جديدة وازالة معالم قديمة .

تعود اصول القضية الى قصة الاستيطان الاسرائيلي في الخليل والى الترتيبات التي تمت الموافقة عليها بين سلطات الحكم العسكري من جهة وبين رئيس بلدية الخليل ورجال الدين الاسلامي من جهة اخرى بشأن القيام بالشعائر الدينية لمسلمي المدينة العرب ولمستوطني المدينة والزوار اليهود في الحرم الابراهيمي ، او كما يسميه الاسرائيليون « مغارة المكبيلا ». وبموجب هذا الاتفاق اصدر جهاز الحكم العسكري تعليمات تتطرق الى اوقات فتح الحرم امام المصلين المسلمين واوقات فتحه امام المصلين والزوار اليهود (سبع ساعات خلال اليوم) وكذلك الى سلوك الزوار في الحرم مع المحافظة على الهدوء بما يتلاءم وقدسية المكان ، وعدم حمل السلاح وعدم تناول الطعام داخله ، كما نصت التعليمات على منع ادخال الحيوانات داخل الحرم. ومن الواضح ان هذه التعليمات موجهة بشكل خاص الى الزوار اليهود وليس الى رواد المسجد من المسلمين .

وتضمن الاتفاق ايضا تخصيص مكان داخل الحرم لليهود وتخصيص مكان اخر للمسلمين ، وقد وافق المستوطنون اليهود في ذلك الوقت على هذه الترتيبات ، الا انهم في الاونة الاخيرة اصبحوا يحسون التوسع واخذوا يشكون من ضيق المكان المخصص لهم ويطالبون بتوسيعه ، وبما ان الاتفاق يحول دون ذلك ، قام المستوطنون بتجاوز الاتفاق وانتهاكه حين اخذوا يتوسعون في المسجد لخلق وقائع جديدة، الامر الذي ارغم سلطات الاحتلال على التدخل في القضية ، بيد ان المستوطنين لم يرتدعوا واخذوا يلجأون الى اساليب مخزية ومشينة ، فقد بدأوا باعمال السلب فاقدموا على سرقة بسط المسجد المعدة للصلاة واحذية المصلين المسلمين والممتلكات الموجودة في الحرم الابراهيمي ، كما اعترف بذلك المتحدث الرسمي باسم الحكم العسكري في الضفة الغربية ، ولم يكتف هؤلاء بالاعمال المشينة التي جعلت الكثير من المصلين يعودون الى بيوتهم حفاة، بل الحقوا اعمال السرقة والسلب بسلسلة من الاعتداءات المشفوعة بالغطرسة مثل الدس بأحذيتهم في الاماكن المعدة للمسلمين ، والاعتداء على شيخ المسجد الشيخ عاطف الحمودي مع توجيه الشتائم اليه . ولم يقتصر طيش المستوطنين وغطرستهم على الاحياء بل وصل الى درجة انتهاك حرمة الموتى ، فمن المعروف ان المسلمين يصلون على موتاهم داخل الحرم الابراهيمي ، غير ان ذلك لم يرق بعين المستوطنين «وقد هدد المستوطنون اكثر من مرة ، بقلب جنازات الموتى للمسلمين في اثناء طقوس الجنازة » (هآرتس ٧٢/٩/٥) .

عند ذلك وجد الحاكم العسكري نفسه مضطرا للتدخل وبذل محاولة لايقاف المستوطنين عند حدهم، خشية ان تنتشر اخبارهم المخزية وتسيء الى سمعة « الاحتلال الليبرالي » ، معترفا « بحدوث تجاوزات متكررة بواسطة مجموعة من بين المستوطنين » في الحرم الابراهيمي ، وعند ذاك برزت القضية ، ليست كقضية بين العرب والمستوطنين ، بل كقضية بين الحاكم العسكري والمستوطنين ! وقد اتخذ نشاط المستوطنين من اجل الاستيلاء على الحرم مسارين له : الاول يتمثل في ارسال مذكرات الى الجمهور الاسرائيلي والى اعضاء الحكومة والكنيست والثاني يتمثل في محاولة خلق وقائع جديدة لامتلاك الحرم الابراهيمي وجعله يهوديا صافيا لا نزاع حوله ، وتعترف صحيفة (هآرتس ٧٢/٩/١٢) بذلك بقولها : « حاول المستوطنون برئاسة الحاخام ليفنجر تدريجيا خلق امر واقع

لامتلاك اليهود الكامل للمكان بدون اية تحديدات او اعتبار للمسلمين ، وعندما ادرك القائمون على الحكم العسكري انه من المنتظر ان تقع اصطدامات في الحرم شرعوا في الحفاظ بدقة على جميع الاتفاقات التي اتخذت ، ورأى المستوطنون بذلك مساسا كبيرا بحقوق اليهود في المكان وبدأوا بأعمال مضادة متعمدة ، فعندما كان يطلب منهم خفض اصواتهم في الصلاة فعلوا العكس تماما ، كما حاولوا تجاوز المكان الضيق الذي خصص للصلاة » .

وكان من نتيجة صراع المستوطنين مع جهاز الحكم العسكري ان تحرك الحزب الوطني المتدين « مفدال » واخذ يطالب ويدعو الى ايجاد تسويات جديدة تأخذ بعين الاعتبار الحقوق المتساوية لليهود والمسلمين ، وهذا يعني حسب مطالب المفدال اعادة النظر في تخصيص الاماكن داخل الحرم ، وتسليم الحرم لليهود خلال اعيادهم ، وتسليمه للمسلمين خلال اعيادهم !! بيد ان « المساواة في الحقوق » في مكان يعتبر من ممتلكات الوقف الاسلامي ، ما هي الا سياسة مرحلية تمهيدا للسيطرة على الحرم كله .

جامعة في الضفة واخرى في القطاع : اشتدت الدعوة في الاونة الاخيرة لاقامة جامعة في الضفة الغربية واخرى في قطاع غزة ، وكانت هذه الدعوة قد برزت بشكل قوى للمرة الاولى في بداية عام ١٩٧١ بسبب الاوضاع القاسية التي يمر بها خريجو المدارس الثانوية لعدم وجود جامعة تأويهم ، الامر الذي يضع امامهم خيارات بعضها ليس سهلا مثل دخول الجامعة العبرية في القدس حيث انتسب عدد قليل اليها ، ودخول الجامعات العربية ، ولم يكن الامر سهلا بسبب عدد المقاعد المخصصة سلفا لابناء المناطق المحتلة ، ودخول الجامعات الاجنبية التي تتطلب عبئا ماليا . وكان من نتيجة ذلك وبمرور الزمن على الاحتلال ان اصبح عدد خريجي المدارس الثانوية كبيرا وغدا بمثابة قضية تبحث عن حل . وازاء ذلك ظهرت ثلاثة مواقف بارزة (١) موقف دعاة فكرة اقامة الجامعة ويقف وراءه بعض الشخصيات من الزعامة التقليدية مثل حمدي كنعان ومحمد علي الجعبري ، وشخصيات اخرى من انصار الكيان الفلسطيني (٢) موقف السلطة الاردنية الذي كان يتسم بالرفض المطلق لاقامة الجامعة خشية ان يؤدي هذا العمل الى بلورة الكيان الفلسطيني (٣) موقف سلطات الاحتلال الذي يتسم بالتأرجح والتذبذب بين قبول الفكرة ومعارضتها (للتوسع في هذا الموضوع انظر شؤون فلسطينية العدد الثالث ص ١٧٢) ، وكحل لهذه المواقف المتضاربة عقد مؤتمر في ١٩٧١/٤/١٥ في دار المعلمات في رام الله بحضور ٢٥ شخصا من افراد السلك التعليمي « لبحث المكان الذي ستقام فيه الجامعة ومصادر التمويل » وبعد مداولات استغرقت ٤ ساعات خرج المؤتمرون بقرار ينص على تشكيل لجنة مكونة من ١١ شخصا للعناية بشؤون التعليم في الضفة الغربية دون التطرق الى موضوع الجامعة ! ومن ثم خفت الاصوات المطالبة باقامة الجامعة ، الا ان وضع خريجي المدارس الثانوية ازداد سوءا فظهرت الدعوة من جديد في الفترة الاخرة ، ولم تقتصر هذه المرة على اقامة جامعة في الضفة الغربية فحسب بل ايضا في قطاع غزة . وقد طرأ تغير على الموقف الاردني حيث اصبح يدعم الفكرة حسب ما جاء على لسان انور نسيبه احد اركان النظام الاردني في الضفة ، اما موقف سلطات الاحتلال فقد اقترب الى الايجاب منه الى السلب .

ففي الضفة الغربية قدمت مجموعة من الشخصيات تتكون من رؤساء بلديات وعاملين في السلك التعليمي مذكرة الى جهاز الحكم العسكري من اجل السماح باقامة الجامعة ، وقد تشكلت لجنة تحضيرية من بين هذه الشخصيات برئاسة محمد الجعبري لمتابعة الموضوع . وستمول الجامعة حسب ما جاء على لسان الداعين لاقامتها باموال عربية حيث سترسل وفود الى دول الخليج والعالم العربي لهذا الغرض ، الا ان الجعبري صرح بانه « من المتوقع ان تساهم الحكومة الاسرائيلية بقسط كبير من الاموال اللازمة » وفيما يتعلق بالمكان الذي ستقيم فيه الجامعة فانه لا يزال قيد الدرس ، ومع ذلك فقد اعلن رئيس بلدية رام الله كريم خلف بان « المجلس البلدي في المدينة قد اقر بالاجماع فكرة اقامة الجامعة في رام الله لانها تقع في مركز الضفة الغربية ... وان البلدية خصصت قطعة ارض مساحتها ٢٠٠ دونم سيقام عليها هذا المشروع » وهنالك اتجاه اخر تؤيده سلطات الاحتلال يرمي الى اقامة جامعة تحتوي على اربعة اقسام ، قسم الدين في الخليل وقسم الاداب في رام الله وقسم الزراعة في طولكرم وقسم العلوم التطبيقية في نابلس .

وفي قطاع غزة تدم كل من الدكتور حيدر عبدالشافي، ومدير كلية غزة شفيق طرزي ، والمحامي ابراهيم ابو ستة مذكرة الى وزير الدفاع موشيه ديان بشأن اقامة جامعة في القطاع ، موضحين بانها ستقام بأموال عربية « وانها على إستعداد لقبول التبرعات من كل جانب على ان لا تكون مشروطة » وان الجامعة ستكون مستقلة ، وستقام في المرحلة الاولى فروع علمية — هندسة وطب وزراعة — وستبلغ التكاليف في المرحلة الاولى ٥ ملايين ليرة اسرائيلية . ويعتقد المبادرون انه اذا ما وافقت اسرائيل على مذكرتهم فان الجامعة ستقام خلال عامين .

عودة الروح والقبور الطائرة : اخذت المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة تبرز هنا وهناك بعد نحو عام من محاولات التصفية الرهيبة التي قامت بها سلطات الاحتلال ضد جماهير القطاع في اواخر شهر تموز من العام الماضي . وقد عبرت المقاومة عن إتساعها من جديد في عمليات وجهت ضد قوات الاحتلال سواء بوضع عبوات ناسفة في الطرق ام القاء قنابل يدوية ام اطلاق عيارات نارية على السيارات العسكرية . وربما كان التعبير القوي عن ظهورها من جديد هو محاولة تصفية رئيس بلدية غزة رشاد الشوا الذي كانت سلطات الاحتلال قد عينته في منصبه في شهر ايلول من العام الماضي تتويجا لسياسة الهدم والاقتلاع والتشريد بغرض خدمة اهدافها . وقد التجأ الشوا بعد هذه المحاولة الى الصمت ، ثم قرر تقديم استقالته في اليوم نفسه الذي كان قد تربع فيه على كرسي رئاسة المدينة في ٧١/٩/٢٣ تلافيا لما يخبئه المستقبل و « لكيلا يعرض حياته للخطر بسبب وظيفته » . وبالفعل قدم استقالته الى اعضاء المجلس البلدي الا ان هؤلاء بذلوا جهدا لثنيه عن قراره ولكنه اصر عليه فما كان من اعضاء المجلس الا ان قرروا بدورهم تقديم استقالتهم . وعند ذلك تخوفت سلطات الاحتلال من تردي الوضع لغير مصلحتها واجتمعت مع الشوا واقنعته بالبقاء في منصبه والعدول عن خطوته التي « ستفسر كمساعدة للفدائيين » .

وفي هذا الجو التي اخذت تبرز فيه المقاومة في القطاع ، اخذت في المقابل تبرز اساطير حول شهدائها تصل بهم الى مرتبة القديسين فقد نقل الصحفي الاسرائيلي عزرا يانوف خبرا في صحيفة معاريف (٧٢/٩/٢٦) مفاده ان اشاعات اخذت تتردد في قطاع غزة حول تحرك قبور اربعة شهداء من رجال المقاومة كانوا قد استشهدوا في معركة مع القوات الاسرائيلية قبل عام ، واضاف يانوف « ان عشرات من حي الشجاعية اقسموا بانهم شاهدوا بأم اعينهم حجارة القبور وهي تتحرك وان صخرة احد القبور صعدت الى ارتفاع عشرة امتار » وان قسما اخر من السكان شاهدوا « حجارة القبر وهي تطير نحو الشمس ، ثم عادت عند الاصيل وسدت القبر » ويقول يانوف ان خبر تحرك قبور الشهداء انتشر في القطاع بسرعة البرق واصبحت مقبرة الشهداء تستقبل خلال ثلاثة ايام فقط — الالاف من سكان القطاع من اقصى الجنوب الى اقصى الشمال ، وان الاشاعات ارتفعت الى درجة اليقين ، ويضيف « انه يوجد هناك من يطالب بتحويل القبور كمكان مقدس » وينهي الصحفي الاسرائيلي الخبر بقوله ان هنالك اعتقادا بأن « الاعجوبة » كان وراءها بعض الشبان الذين يسعون من وراء ذلك الى تثوير القطاع واستئناف العمل الفدائي في المنطقة . الى هنا تنتهي رواية الصحفي الاسرائيلي . واذا كان هنالك من تعليق حول اسطورة قبر الشهيد الطائر ، فيمكن القول انها تدل قبل كل شيء اخر ، برغم الخيال الخصب الذي يحيط بها ، على مدى مكانة الفدائي الشهيد في قلوب الجماهير ، ولا يعيب الاسطورة الخيال الخصب الذي يحيط بها ، خاصة اذا كانت نابعة من واقع نضالي خصب ، فهؤلاء الشهداء الاربعة وكثير غيرهم من شهداء القطاع تحولت مسيرة جنازتهم قبل عام الى تظاهرة ضد قوات الاحتلال التي حاولت التدخل في الجنازة ، وتصدت النسوة العربيات لهذا التدخل ورشقن رجال الداورية الاسرائيلية بالحجارة ، ثم تحولت الجنازة الى معركة بين الفدائيين وقوات الاحتلال .

ع٠م٠

(٥) الاقتصاد الاسرائيلي في النصف الأول من العام ١٩٧٢

تميزت الشهور الستة الاولى من العام ١٩٧٢ بارتفاع كبير في مستوى الاسعار وفي نفقات المعيشة وبنشاط غير عادي في قطاع البناء نتيجة لتدفق عدد جديد من المهاجرين اليهود . كما ان قطاع السياحة شهد نشاطا ملحوظا نتيجة للاستقرار السياسي والعسكرية على الجبهات العربية ، في حين ان القطاع الزراعي لا يزال يعاني نقصا من اليد العاملة . وتقول مجلة اسرائيل ايكونوميست انه نتيجة لتوظيف ٤٠ الف عامل عربي من الاراضي المحتلة في القطاع المذكور ، فان الضفة الغربية وقطاع غزة بدأتا تشعران بنقص في اليد العاملة لديها . وتركزت السياسة الاقتصادية في اسرائيل على محاولة السيطرة على ارتفاع مستوى الاسعار عن طريق تخفيف معدل زيادة كمية وسائل الدفع، غير ان هذه السياسة لن تظهر نتائجها قبل نهاية العام . فالارتفاع الكبير في مستوى الاسعار الذي حدث في النصف الاول من العام ١٩٧٢ هو نتيجة للزيادة الكبيرة في كمية وسائل الدفع التي حدثت في النصف الثاني من العام ١٩٧١ على اساس ان هنالك عادة فترة زمنية مدتها حوالي ستة اشهر تفصل بين الوقت الذي يتم فيه تنفيذ السياسة النقدية وبين الوقت الذي تترك فيه هذه السياسة آثارها على الاقتصاد ومستوى الاسعار .

وفيما يلي عرض موجز لاهم النشاطات في بعض قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي :

الزراعة : تقدمت الحكومة الاسرائيلية بطلب الحصول على قرض من البنك الدولي للانشاء والتعمير في حدود ٣٥ مليون دولار بقصد تمويل مشروع خمس السنوات للقطاع الزراعي . وتهدف السلطات الحكومية الى رفع قيمة التصديرات في الزراعة ومصادر المياه الى بليوني ليرة اسرائيلية خلال خمس السنوات بين عامي ١٩٧١ و ١٩٧٦ . أما الهدف الرئيسي من الخطة فهو رفع قيمة الانتاج الزراعي من ١٤٩ بليون ليرة اسرائيلية الى ٢٠٨ بليون ، اي بزيادة قدرها ٤١٪ . وقد رسمت الخطة على اساس زيادة الصادرات الزراعية بنسبة قدرها ١١٠٪ او ما يوازي ٨٦ مليون دولار سنويا . وتأمل السلطات الاسرائيلية في تحقيق الاهداف المحددة التالية : أ ـ زيادة انتاج الحمضيات بنسبة ٢٣٪ اي ما يساوي ١١٣ مليون ليرة اسرائيلية على اساس الاسعار الحالية ، ب ـ زيادة رقعة الارض المخصصة لاشجار الفواكه ١٢٪ وزيادة المنتوج بنسبة ٢٤٪ ، ج ـ زيادة انتاج الخضراوات بنسبة ٣١٪ ، د ـ التركيز على زيادة انتاج الالبان والدواجن بنسبة كبيرة .

ويلاحظ فيما يتعلق بالسياسة الزراعية ان الاهتمام ينصب حاليا على زيادة الانتاج من الاراضي المستصلحة حاليا وعلى توزيع مصادر هذا الانتاج، في حين ان السياسة الزراعية في فترة الستينات كانت تتجه اساسا الى زيادة رقعة الاراضي الزراعية ، ولا شك ان ذيول حرب حزيران قد فتحت افاقا جديدة امام القطاع الزراعي . فبعد ان كانت القوى العاملة تمثل العامل الانتاجي الاكثر ندرة بالنسبة للمعدات والالات الزراعية انقلب الوضع واصبحت القوى العاملة متوفرة اكثر من قبل وبأجور منخفضة اذا قورنت بمستويات الاجور في اسرائيل قبل الحرب . فقد ادى تشغيل عدد كبير من العمال العرب في القطاع الزراعي الى زيادة الانتاجية الحدية بنسبة كبيرة بعد ان شارف القطاع الزراعي خلال الفترة التي سبقت حرب حزيران الى الوصول الى حالة من التشبع مما يؤدي في النهاية الى تناقص في الانتاجية الحدية عملا « بقانون الغلة المتناقصة » . وعلى ضوء ما تقدم فان القطاع الزراعي بدأ يحتل اهمية متزايدة في الخطة الانمائية الاسرائيلية وهذا يفسر توجيه مزيد من الموارد الاقتصادية صوب هذا القطاع .

القطاع الصناعي : لعل اهم التطورات التي حدثت خلال النصف الاول من العام ١٩٧٢ هو ما اعلنه « بنحاس سابير » وزير المالية عن الخطة الخمسية لتنمية الصناعة في اسرائيل خلال الفترة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٦ . وقد صممت الخطة على اساس ان يكون مجموع الاستثمارات في حدود ٨٠٥ بليون ليرة اسرائيلية . اما الاهداف المعلنة فهي زيادة الانتاج بمعدل ٧٠٪ وامتصاص حوالي ٧٥،٠٠٠ عامل اضافي .

وقد شرح سابير الخطة مؤكدا انها تهدف الى ما يلي : أ ـ زيادة حجم الصادرات الصناعية وتنويعها وتنافسي في الاسواق العالمية . ب ـ

زيادة اليد العاملة وتنوع مهاراتها . ج ـ تصنيع الاماكن النائية في اسرائيل المحاذية للحدود العربية . د ـ زيادة حجم التثمرات الموجهة الى الابحاث والتطوير في الصناعة الاسرائيلية . هـ ـ تحسين الانتاجية الفردية للعامل الاسرائيلي . و ـ زيادة الانتاج الصناعي .

واذا ما قدر للخطة المشار اليها ان تنجح فان ذلك يعني تحقيق زيادة سنوية في الانتاج الصناعي قدرها ١١،٢ ٪ سنويا . اما الصادرات فان الهدف لتحسينها اكثر طموحا حيث تهدف الخطة الى زيادتها من ٧٥٠ مليون ليرة اسرائيلية الى ١٥٠٠ مليون ليرة . وحيث ان السياسة الصناعية الراهنة تهدف الى انتاج السلع التي تتطلب مهارات عالية فان ٥٠ ٪ من الـ ٨٠٠٠ عامل جديد هم من المهندسين والعلماء واصحاب الاختصاص الرفيع . ولا يزال القطاع الصناعي وخصوصا الصناعات التصديرية تستأثر باهتمام السلطات الاسرائيلية وبالتالي فانها تحتل الاولوية بالنسبة لتوزيع الاستثمارات الجديدة . على ان اكثر التقديرات تفاؤلا تشير الى ان الزيادة المرتقبة خلال هذا العام لن تكون بنسبة الزيادة التي تحققت في العام الماضي ، وان كانت هنالك زيادة مطلقة لا يستهان بها . فصادرات اسرائيل في خمسة الشهور الاولى من العام ١٩٧٢ بلغت ٤٨٣ مليون دولار موزعة على النحو التالي : الصادرات الصناعية ٢١٣ مليون دولار ، صادرات الماس ١٤٤ مليون دولار ، والصادرات الزراعية ١١٠ ملايين دولار و ١٦ مليونا سلع معاد تصديرها . وكما ذكرنا في مقال سابق عن صناعة الاسلحة في اسرائيل ينتظر ان تصل صادرات اسرائيل من الاسلحة والصواريخ والذخيرة والمعدات الاخرى الى ٨٥ مليون دولار .

السياحة : بعد الهدوء الذي خيم على الجبهات العربية وتقلص حجم العمل الفدائي نسبيا داخل الارض المحتلة تحت وطأة الظروف الحالية ، ركزت السلطات الاسرائيلية جهودها على تنشيط الحركة السياحية في اسرائيل . ولاعطاء فكرة موجزة عن أهمية السياحة المتزايدة بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي نذكر ان دخل اسرائيل بلغ خلال العام ١٩٧١ حوالي ١٨١ مليون دولار من العملات الصعبة وان القيمة المضافة بلغت ٧٩ ٪ وهي أعلى نسبة على الاطلاق اذا قورنت بأي صناعة تصديرية أخرى في اسرائيل . وسجلت الحركة السياحية زيادة في عدد القادمين بمقدارها ٤٩ ٪ بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧١ اذ ارتفع عدد السياح الوافدين من ٤٤١،٠٠٠ الى ٦٥٧،٠٠٠ موزعين على النحو التالي : الولايات المتحدة ٢٥٦،٠٠٠ ، فرنسا ٦٨،٠٠٠ ، بريطانيا ٦٤،٠٠٠ ، المانيا ٣٤،٠٠٠ ، اسكندنافية ٣٠،٠٠٠ ، اسيا ٤٢،٠٠٠ ، افريقيا ٢٢،٠٠٠ ، بلدان اخرى ١٤٧،٠٠٠ . وبهذا يبلغ المجموع ٦٥٧،٠٠٠ .

ومن اجل استيعاب وتوفير وسائل السكن والراحة للسياح فقد ارتفع حجم الاستثمار في الفنادق الجديدة الى ١٠٠ مليون دولار موزعة بين مناطق تل أبيب والقدس والجليل الغربي خصوصا في « نهاريا » وهي مستعمرة قديمة تقع على شاطىء البحر الى الشمال من عكا . وتسعى السلطات الاسرائيلية الى اجتذاب المزيد من الرساميل الاجنبية عن طريق منحها اعفاءات ضريبية واعفاءات جمركية . كما تقوم بعد القطاع الخاص بقروض بفائدة منخفضة وشروط دفع سهلة لكي يزيد من حجم نشاطه في قطاع السياحة . والى جانب ذلك تقوم التعاونيات الزراعية « الكيبوتز » بتأجير منازل أعدت خصيصا للسياح الذين يرغبون في مشاهدة هذه التعاونيات .

ان المتتبع للنشاط السياحي في اسرائيل في العامين الماضيين يلاحظ نشاطا متزايدا في هذا القطاع ومخططات لتوسع اكبر في المستقبل . ويبدو ان الحكومة الاسرائيلية مقتنعة بأن حالة اللاحرب واللاسلم ستستمر فترة طويلة وعلى هذا الاساس فان تشجيع السياحة يصبح هدفا ممكنا ومرغوبا من حيث انه يوفر مصدرا رئيسيا للعملات الصعبة .

التجارة الخارجية : تدل الاحصائيات التي نشرت مؤخرا عن حجم التجارة الخارجية ان حجم الصادرات الاسرائيلية خلال العام ١٩٧١ بلغ ٧٩٧ مليون دولار . وهذا الرقم اكبر من مثيله في السنة السابقة بـ ٢٣،٥ ٪ . اما اهم الصادرات فهي البوتاس والمصنوعات النسيجية وعصير البرتقال وآلات التسجيل واطارات السيارات والالبسة المطرزة . اما الصادرات التي سجلت هبوطا فهي النحاس والفوسفات والانابيب والبلاستيك . ويلاحظ من استقراء توزع التجارة الخارجية ان حجم التبادل التجاري مع اليابان في ازدياد مستمر . وتتألف الصادرات الرئيسية من الاحجار الكريمة والفوسفات والنحاس . وتحاول

السلطات اليابانية التوفيق بين زيادة حجم تبادلها التجاري مع اسرائيل وبين محاولاتها لزيادة صادراتها الى الاسواق العربية . وقد نسبت مجلة «اسرائيل ايكونوميست» الى رئيس شركة «سوني» الاليكترونية قوله انه « لا يجد اي تعارض بين ازدياد صادراتنا الى الاسواق العربية والسوق الاسرائيلي ذلك ان السلعة الرفيعة الجودة تتمتع بحصانة ضد اي ضغط سياسي » .

وتدل آخر الاحصائيات ان اسرائيل تعتبر الان المنتج الاول للماس في العالم كما انها تحتل المرتبة الثانية بعد بلجيكا كمركز لبيع الماس . فقد ارتفع حجم المبيعات من ٧٧ مليون جنيه استرليني في العام ١٩٧٠ الى ١٠٠ مليون جنيه في نهاية العام ١٩٧١ . ولم يطرأ أي تغيير أساسي على نمط توزع التجارة الخارجية . فلا زالت السوق الاوروبية المشتركة خصوصا بعد انضمام بريطانيا تشكل المجال الحيوي والاكثر اهمية للسلع الاسرائيلية حيث تمتص حوالي ٥١ ٪ من مجموع الصادرات الاسرائيلية . وتحاول السلطات الاسرائيلية تعويض الخسارة التي منيت بها بسبب اغلاق سوق اوغنده في وجهها. ويلاحظ ان العلاقات التجارية مع المانيا الغربية ازدادت توثقا ، فقد ارتفعت بنسبة ٣٩ ٪ عما كانت عليه في العام ١٩٧٠ .

الدين العام : لا يزال حجم الدين العام المطلق والنسبي يشكل مصدر ازعاج مستمر للسلطات المالية في اسرائيل . فقد ارتفع مجمل الدين العام الداخلي والخارجي من ١١٤٣ بليون ليرة اسرائيلية في أوائل العام ١٩٦٨ الى ٢٦٤٦ بليون ليرة في ديسمبر من العام ١٩٧١ ، غير ان الملاحظ بالنسبة لتركيب الدين العام ان معظم الزيادة اتت نتيجة للقروض الداخلية التي حصلت عليها الحكومة الاسرائيلية عن طريق طرح سندات الخزينة .

اسرائيليات متفرقة : — أجلت الحكومة الاسرائيلية تنفيذ الخطة الانمائية مدة ستة اشهر في محاولة لامتصاص جزء من السيولة في الاقتصاد الاسرائيلي خوفا من ارتفاع كبير في مستوى الاسعار والاجور . — بدأت اسرائيل في تنشيط السياحة في منطقة سيناء خصوصا في المنطقة المحاذية لخليج العقبة والبحر الاحمر عن طريق بناء فنادق جديدة ومنتزهات بحرية لاستقبال السياح .

الدكتور يوسف شبل

مقالات في الاقتصاد الاسرائيلي

تحرير

يوسف شبل

من منشورات مركز الابحاث في م. ت. ف.

ص.ب ١٦٩١ ، بيروت

٢٧٦ صفحة باللغة الانجليزية

٨ ل.ل. تضاف اليها أجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في أوروبا ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر الدول

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٩/١٣ — ١٩٧٢/١٠/٢

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: طائرات	خسائر المقاومة: دبابات	خسائر المقاومة: آليات	المصدر	تاريخه
١	ق.ع.ق.ث.	٩/١٣	—	حي هاتيكفا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	الحاق اضرار ببناء ليلي	—	—	—	وفا	٩/١٣
٢	ق.ع.ق.ث.	٩/١٣	—	بتاح تكفا	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد	حرق مستودع للخشب	—	—	—	ف.ث. عدد ١٣ ص٦	٩/٢٠
٣	ق.ع.ق.ث.	٩/١٤	—	قرب باتياس	كمين	غير محدد	قتل وجرح افراد دورية	—	—	—	—	ف.ث. عدد ١٣ ص٦	٩/٢٠
٤	ق.ع.ق.ث.	٩/١٥	٨٠٠	تل ابو السقي	نسف	مدفعية الهاون	غير محدد	تدمير عدد من المنشآت في مشروع انشائي(١)	—	—	—	وفا	٩/١٦
٥	ق.ع.ق.ث.	٩/١٥	١٧٠٠	ابو خيط	تفجير	شبكة الغام	افراد دورية	اعطاب آلية	—	—	—	وفا	٩/١٦
٦	ق.ع.ق.ث.	٩/١٥	٩٤٥	بين رويسة الحمراء وسحيتا	تفجير	الغام	غير محدد	ناقلة جنود نوع ني. تي. آر.	—	—	—	وفا	٩/١٧
٧	ق.ع.ق.ث.	٩/١٥	—	الخليل	هجوم	اسلحة مختلفة	افراد دورية	غير محدد	—	—	—	وفا	٩/١٦
٨	ق.ع.ق.ث.	٩/١٥	—	بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير عدة متاجر وبنايات في شارع شنايور	—	—	—	وفا	٩/١٦
٩	ق.ع.ق.ث.	١٦—١٧/(٢)		جنوب لبنان	اشتباك، كمين، هجوم	اسلحة مختلفة	٦٠—٧٠ اصابة	١٧ آلية وطائرة سكاي هوك	—	—	—	وفا	٩/١٧
١٠	ق.ع.ق.ث.	٩/١٦	٢٤٠٠	تل ابو الذهب	نسف	مدفعية الهاون	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٩/١٧
١١	ق.ع.ق.ث.	٩/١٦	٢٠١٥	منطقة القنيطرة	نسف	صواريخ	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٩/١٩
١٢	ق.ع.ق.ث.	٩/١٧	—	بين بتاح تكفا وتل ابيب	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد	حرق مستودعات كرتات هوليم	—	—	—	وفا	٩/١٨
١٣	ق.ع.ق.ث.	٩/١٧	—	منطقة القنيطرة	نسف	صواريخ	غير محدد	غير محدد	—	—	—	ف.ث. عدد ١٣ ص٦	٩/٢٠
١٤	ق.ع.ق.ث.	٩/١٧	١٣٠	جبين	نسف	صواريخ	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٩/١٧
١٥	ق.ع.ق.ث.	٩/١٨	٧٣٠	جبين	هجوم	اسلحة مختلفة	افراد دورية هندسة	غير محدد	—	—	—	وفا	٩/١٨
١٦	ق.ع.ق.ث.	٩/١٨	٢٤٠٠	بين القنيطرة والخشنية	تفجير	عبوات ناسفة	— —	نسف جسر	—	—	—	وفا	٩/١٨

١٧ — ق.ع.ق.ث.	٩/١٨	—	بين مجيدو وحيفا	تنجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير المصنع الحربي لرشاشات عوزي	—	—	وفا ٩/١٩
١٨ — ق.ع.ق.ث.	٩/١٨	٢٣٤٥	مسعدة/القنيطرة	قصف	صواريخ	غير محدد	اصابةعدد من المنشآت	—	—	ف.ث.عدد١٤ ص٤ ٩/٢٧
١٩ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٠	٨٣٠	تل ابو الذهب	تنجير	الغام	غير محدد	تدمير آلية	—	—	وفا ٩/٢٠١
٢٠ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٠	٢٤٠٠	الجولان	قصف	قذائف صاروخية	غير محدد	غير محدد	—	—	وفا ٩/٢١
٢١ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٢	٢٣٠	تل ابيب	تنجير	عبوات ناسفة	١	تدمير سيارة واصابة عدد من المباني باضرار	—	—	ف.ث.عدد١٤ ص٤ ٩/٢٧
٢٢ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٥	١٩٢٠	دير البلح/غزة	كمين	القنابل اليدوية والرشاشات	غير محدد	اعطاب سيارةعسكرية	—	—	وفا ٩/٢٩
٢٣ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٦	٢٠٣٠	معسكر البريج/غزة	كمين	اسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غير محدد	اعطاب سيارةعسكرية	—	—	وفا ٩/٢٧
٢٤ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٩	١١٢٠	القدس	تنجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير واصابة اقسام من السوبر ماركت	—	—	وفا ٩/٢٩
٢٥ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٩	١٣٣٠	تل ابيب	تنجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير احد مصانع(٣) مكتب الجديد	—	—	وفا ٩/٢٩
٢٦ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٩	—	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غير محدد	اعطاب سيارة	—	—	وفا ٩/٣٠
٢٧ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٩	٢١٠٠	طولكرم	هجوم	اسلحة رشاشة	غير محدد	اعطاب سيارة	—	—	وفا ٩/٣٠
٢٨ — ق.ع.ق.ث.	١٠/٢	١٨٠٠	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غير محدد	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	وفا ١٠/٣
٢٩ — ق.ع.ق.ث.	١٠/٢	٩٠٠	القدس	تنجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير مصنع الكرتون في حي موشتيم	—	—	وفا ١٠/٣

١ — كان هذا المشروع نفسه قد تعرض لقصف بتاريخ ٧٢/٩/٨ ادى الى تعطيل العمل فيه حتى ١٩٧٢/٩/١٣ .

٢ — حول تفاصيل المعارك يمكن مراجعة نشرة وفا بتاريخ ١٦ ، ١٧ ، و١٩٧٢/٩/١٨ .

٣ — اعترف العدو بالحادث بنشرته الاخبارية بتاريخ ٧٢/٩/٢٩ الساعة ١٧٤٠٠ . راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٥٣٠ ، ص ٤ .

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	خسائر العدو البشرية جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة قتيل	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
١	ق.ت.ف.(١)	٩/١٣	—	هاردوف/جبل الشيخ	قصف	قذائف واسلحة رشاشة	—	—	—	—	—	—	ن.(٢) عدد٣٩ ص٦	٩/١٤
٢	ق.ت.ف.	٩/١٥	—	هاردوف/جبل الشيخ	اشتباك	اسلحة مختلفة	—	٢	—	—	—	—	ن. عدد ٤٠ ص ٨	٩/١٥
٣	ق.ت.ف.	٩/١٥	٢١٣٠(٣)	ناحال جولان	قصف	قذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٤٠ ص ٨	٩/١٥
٤	ق.ت.ف.	٩/١٥	٧٣٠	حصفين/الجولان	قصف	قذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٤١ ص ٦	٩/١٦
٥	ق.ت.ف.	٩/١٥	١٦٣٠	رامات مجشيميم الجولان	تفجير	الغام	—	—	اصابة آلية عسكرية	—	—	—	ن. عدد ٤١ ص ٦	٩/١٦
٦	ق.ت.ف.	٩/١٥	—	الخليل	اطلاق رصاص	رشاشات خفيفة	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٤١ ص ٦	٩/١٦
٧	ق.ت.ف.	٩/١٦—٩/١٧		جنوب لبنان	اشتباك وكمين	اسلحة مختلفة	٣	٣(٤)	غير محدود	غير محدود			ن. عدد ٤٢ ص ٤	٩/١٧
٨	ق.ت.ف.	٩/١٧	—	القنيطرة وناحال جولان	قصف	قذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٤٢ ص ٧	٩/١٧
٩	ق.ت.ف.	٩/١٩	—	ناحال جولان	قصف	قذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٤٤ ص١٠	٩/٢٠
١٠	ق.ت.ف.	٩/٢٦	—	معسكر البريج/غزة	اطلاق رصاص	غير محدد	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٥٠ ص ٤	٩/٢٧
١١	ق.ت.ف.	٩/٢٩	١١٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	٣	اصابة مبنى «السوبر سول» في القدس	—	—	—	ن. عدد ٥٣ ص ٥	٩/٣٠
١٢	ق.ت.ف.	٩/٢٩	١٨٤٥	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٥٣ ص ٦	٩/٣٠
١٣	ق.ت.ف.	٩/٢٩	٢١٠٠	بنارية/طولكرم	اطلاق رصاص	اسلحة رشاشة	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٥٣ ص ٧	٩/٣٠
١٤	ق.ت.ف.	١٠/ ٢	١٩٠٠	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٥٥ ص ٣	١٠/ ٢

١ — ق.ت.ف. : قوات الثورة الفلسطينية .

٢ — ن. : نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** اليومية ، التي تصدر عن مركز الابحاث في م. ت. ف.

٣ — كما اعترف العدو في البيان نفسه بان دبابة قد دمرت بلغم قبل بضعة ايام في هذه المنطقة .

٤ — اسماء القتلى : الملازم ابني سعدون ، الجندي الاول ميليخ منستر ، الجندي دانيد ربلر .

تعريف بالمصطلحات والنشرات الوارد ذكرها

١ — ق.ع.ق.ت. : القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

٢ — وفا : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

٣ — ف.ث. : فلسطين الثورة ، مجلة اسبوعية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

تقرير خاص حول انتخابات مجلس الاتحاد الوطني الاردني

في غضون الفترة الممتدة من اخر اب وحتى منتصف ايلول الماضي جرت انتخابات الاتحاد الوطني الاردني ، حيث تم اختيار ثلثي اعضاء مجلس الاتحاد الجديد ، وفي ٢٧ ايلول عين الملك حسين الثلث الاخر من اعضاء المجلس ، وبذلك جرى تكوين مجلس الاتحاد الجديد وهو الهيئة التمثيلية لاعضاء الاتحاد الوطني ، ومن مهام هذا المجلس ، كما تحددها اللائحة الداخلية ، اقرار السياسة التفصيلية للاتحاد ، واقرار اللوائح والتنظيمات ، ومتابعة نشاطات الاتحاد ، والاعداد للمؤتمر العام . ومن حقوقه اجراء تعديلات على الميثاق وعلى النظام الاساسي للاتحاد . ومن مجلس الاتحاد يجري انتخاب ٢٤ عضوا للجنة التنفيذية ، فيما يعين الملك ١٢ عضوا آخر فيها من أعضاء المجلس نفسه . ويختار اعضاء اللجنة التنفيذية الستة والثلاثون « مكتب قيادة الاتحاد » وهي القيادة اليومية التي تصرف الامور المتصلة بالمالية وسياسة الاتحاد والشؤون الاقتصادية والاجتماعية ، والتوعية والعلاقات العامة ، والدراسات ... الخ ، وهي مهام تضطلع بها مكاتب خاصة فرعية يشرف عليها اعضاء « مكتب قيادة الاتحاد » . اما ادارة اعمال ورئاسة جلسات مكتب قيادة الاتحاد فتكون للامين العام الذي يعينه الملك بنفسه .

ووفقا للنظام الاساسي فان مجلس الاتحاد يتكون من ٣٦٠ عضوا ، يجري انتخاب ٢٤٠ عضوا منهم على اساس التوزيع الجغرافي ، ويراعى التوزيع بين المحافظات نسبة عدد الاعضاء المنتسبين فيها . وكما مر ، فان الملك يعين ١٢٠ عضوا آخر في المجلس الذي يتقاسمه ابناء الضفتين بالتساوي ويقول النظام الاساسي للاتحاد ان مبدأ التعيين يظل قائما الى ان تزول اثار العدوان . ويعيد طرح الملك حسين مشروعه حول « المملكة العربية المتحدة » ، طرأت على النظام الاساسي بعض التعديلات التي تتيح تمثيل عرب الاراضي المحتلة لعام ١٩٤٨ ، ويبدو فلسطين وابناء قطاع غزة المقيمين في الاردن بحصص متفاوتة من مقاعد مجلس الاتحاد ، حسب نسبة تواجدهم في الضفة الشرقية .

ومن الامور الملفتة للنظر ، الطريقة التي تمت بها الانتخابات لمجلس الاتحاد . ذلك ان اعضاء الاتحاد من الضفتين ينتخبون ممثليهم بالمشاركة ، اي ان ابناء الضفة الشرقية من اعضاء الاتحاد ينتخبون ، بالاضافة الى مرشحيهم شرق الاردنيين في المحافظة التي ينتمون اليها ، ١٠٠ مرشح يمثلون الضفة الغربية والقطاع وعرب الاراضي المحتلة لعام ١٩٤٨ ، (حيث هناك ٢٠ مرشحا عن رام الله وبيت لحم فازوا بالتزكية) ، كما ينتخب اعضاء الاتحاد الفلسطيني بالاضافة الى مرشحيهم عن الضفة الغربية والقطاع وعرب الاراضي المحتلة لعام ١٩٤٨ ، مرشحيهم شرق الاردنيين على مستوى المحافظة . وعلى الرغم من ان قادة الاتحاد الوطني يفسرون هذه الطريقة الانتخابية على انها تؤكد وحدة الضفتين ، فانها في الواقع ادت الى ان يتوجه اعضاء الاتحاد لانتخاب مرشحين لا يعرفونهم . والاهم من ذلك ادت هذه الطريقة الى حصول مقايضات بين المرشحين من الضفتين لتبادل الاصوات ، كانت تشبه الى حد كبير بيع وشراء الاصوات بصورة علنية كما سيمر معنا بعد قليل .

ان مجرى الانتخابات الاخيرة ، ونتائجها ، فيما تعيينات الملك لثلث اعضاء مجلس الاتحاد تقدم جملة من الملاحظات حول طبيعة الاتحاد وآية تعديلات جدت عليه ، ومن هذه الملاحظات :

١ ــ بات الاتحاد حقيقة سياسية في نهج النظام ، ولم يعد موضع جدل ما اذا كان الاتحاد سيقوم المؤسسة التي تفسح امام فئات النظام واطرافه ممارسة حياتها السياسية . الامر الذي يؤكده سعي رؤوس النظام لتوسيع اطار الاتحاد ليشمل فئات اجتماعية عليا يجري الان استقطابها ، وخاصة الرموز الوجاهية والاسرية التقليدية والبرجوازية الفلسطينية ، ممن لا زالت تحتفظ بنفوذها التقليدي في الضفة الغربية او عرفت بارتباطها التاريخي بالادارة الاردنية . ويرتبط هذا الاستقطاب الجاري الان بمشروع الملك حسين ، وبالمساعي الجارية للوصول مع اسرائيل الى اتفاقية سلام .

وبدون تناسي استمرار رهان النظام على البيروقراطية ، وبقاء الجسم الاساسي للاتحاد ممثلا للبرجوازية في الادارة والقطاعات المرتبطة بها ، فان عملية الاستقطاب الجارية تحدث تعديلا ملموسا ، بدخول رموز فئات لم تكن يوما مقتنعة بتوجهات الاتحاد الوطني وبرنامجه المعلن ، ان لم

تكن معادية له . ولذلك يلمس من وصول رموز اجتماعية مغايرة لتركيب الاتحاد الوطني القديم ، واقع التعديل الذي جد على جسم الاتحاد ، والذي يفقده تجانسه النسبي السابق ، ويحمل عليه التكهن بتنامي الصراعات بين البرجوازية في الدولة والبرجوازية التجارية والمتوسطة (المهنيين) ذات المنشأ الفلسطيني على السلطة وعلى برنامج النظام . ان ابتعاد رموز الاتحاد الاساسية مثل مصطفى دودين وابراهيم الحباشنة عن البروز في الفترة الاخيرة يعكس بداية الصراع حول بنية الاتحاد الوطني ، كما ان تعيينات الملك لـ ١٢٠ عضوا في مجلس الاتحاد ، بالاضافة الى الاعضاء المنتخبين تشير الى وصول رموز اجتماعيةوسياسية كانت موضع عداء وصفي التل ، بل كان قد تام بعزلها من اجهزة الدولة . وعلى صعيد الضفة الشرقية فقد جرى تمثيل اكبر للمهنيين والتجار والصناعيين ولرموز عشائرية . بيد ان التمثيل الاكبر بقي لرموز لها صلاتها التاريخية بالادارة : وزراء ووزراء سابقون، موظفون كبار وتكنوقراطيين ورؤساء بلديات وتربويون .. الخ .

٢ ــ ان رغبة النظام في توسيع اطار الاتحاد الوطني ، ورغبة الفئات والشرائح العليا المبعدة عن الحكم منذ زمن ، في العودة الى مواقعها السابقة ، عكست نفسها في المنافسة الشديدة التي شهدتها انتخابات مجلس الاتحاد الوطني .

وفيما عدا منطقتي رام الله وبيت لحم التي اوصلت مرشحيها العشرين بالتزكية ، وفيما عدا ٩ مقاعد متفرقة في محافظات الضفة الشرقية احتلها المرشحون بالتزكية ، فقد شهدت جميع المحافظات والمناطق في الضفتين منافسة شديدة وصراعات حادة حول مقاعد مجلس الاتحاد ، وهو ما تعكسه مقارنة اعداد المرشحين باعداد المقاعد المخصصة لكل منطقة : ففي محافظة عمان تنافس ١٦٤ مرشحا على ٣٤ مقعدا ، و ١٩ مرشحا من بدو الوسط على اربعة مقاعد ، و٢٨ مرشحا في محافظة البلقاء على ١١ مقعدا ، و ٦٧ مرشحا في محافظة الكرك على ٢٠ مقعدا ، و ٢٧ مرشحا من بدو الجنوب على اربعة مقاعد . اما المرشحون الفلسطينيون ، فقد بلغ عددهم ٢١٨ مرشحا تنافسوا لاحتلال ١٢٠ مقعدا .

٣ ــ سادت انتخابات الاتحاد الوطني الاجواء ذاتها المحيطة باية عملية تمثيلية في البلاد ، ولازمتها الظواهر ذاتها ، كالانتخابات البلدية او انتخابات مجلس النواب ، اذ جرى تسجيل المواطنين كاعضاء في الاتحاد الوطني وفقا لاعتبارات شكلية ، وغايتها الاساسية كسب المرشحين مزيدا من الاصوات ، وتعزيز مراكز النفوذ في الاتحاد . وبسبب هذه المنافسة ارتفع عدد الناخبين من اعضاء الاتحاد الوطني الى ارقام خيالية ، وذلك كما اوردتها الصحف الاردنية : محافظة اربد وبدو الشمال : ٣٣ الف ناخب ، محافظة عمان وبدو الوسط : ٥٧ الف ناخب ، محافظة البلقاء ١٧ الف ناخب ، محافظة الكرك : ٩٤٥٠٠ ناخب ، محافظة معان ٤٤٠٠٠ ناخب ، بدو الجنوب : ٥٤٠٠٠ ناخب . وبهذا يكون المجموع ١٢٥٤٥٠٠ ناخب . ان في الارقام المارة دلالة واضحة على الطابع التنظيمي الشكلي للاتحاد .

٤ ــ احيطت الانتخابات في المحافظات والمناطق باجراءات امنية واسعة وساد جو من التخوف والحذر ، حيث وقعت صدامات بين انصار المرشحين ، كتلك التي شهدتها الانتخابات البلدية مؤخرا . لذلك بادر الحكام العسكريون باصدار اوامر دفاع تقضي بمنع نقل الاسلحة النارية اثناء الانتخابات وحتى اشعار اخر . كما جرى الاجتماع الى الاعيان والوجهاء ونواب المحافظات لحثهم على ضبط سير الانتخابات . ومن جهة اخرى احيطت مراكز الاقتراع ومراكز الفرز باجراءات امنية وحراسة مشددة .

٥ ــ تحدثت بعض الصحف الاردنية عن الاجواء التي احاطت انتخابات الاتحاد الوطني والاساليب التي استخدمت للحصول على الاصوات . فتحدثت جريدة « الصباح » الاسبوعية (١٩٧٢/٩/٤) فقالت : « حدثت مفاجآت مذهلة في المعركة الانتخابية الدائرة حاليا في محافظة العاصمة لانتخاب اعضاء مجلس الاتحاد الوطني ، فقد خرج مرشحون عديدون من القوائم التي التزموا بها اصلا وخاضوا المعركة على اساس فردي او بكتل اخرى ... واسفرت هذه العملية ــ الخدعة ــ عن حدوث انشقاقات كثيرة في اكثر من قائمة ظهر يوم امس . وقد شجعت هذه الانشقاقات حدوث انقسامات اخرى في جميع القوائم وهيأت الجو لحدوث انقسامات في انتخابات المحافظات الاخرى . ويسود اوساط الناخبين شعور بالقرف والاشمئزاز لتصرفات بعض المرشحين الذين نكثوا بعهودهم

التي قطعوها على أنفسهم لزملائهم مما يوحي بأن وعودهم التي منوا بها المواطنين لن تكون بأفضل من عهودهم لزملائهم ... »

« ولوحظ ان كل مرشح كون لجنة تسمى لجنة المبادلات هدفها عقد صفقات تبادل بين اصوات ناخبي الضفة الغربية والضفة الشرقية (....) كان صوت الناخب فيها هو السلعة التي يجري التقايض على اساسها ، وقد اشتدت المعركة الانتخابية في المخيمات عامة ، لا سيما في مخيم مادبا حيث استقطب المخيم عشرات السيارات القادمة من جميع انحاء المحافظة لاجراء المبادلات بين اصوات الناخبين بالجملة (...) ويتوقع حدوث مفاجآت مذهلة في نتائج الانتخابات ما دام صوت المواطن اصبح سلعة تباع وتشترى علنا وبدون اي حرج قانوني » .

وعادت الصحيفة ذاتها للحديث عن الظواهر التي رافقت الانتخابات فقالت في عددها الصادر في ١٩٧٢/٩/١١ : « اكثر من ظاهرة برزت في انتخابات مجلس الاتحاد الوطني العربي في محافظة العاصمة استرعت انتباه المواطنين وكونت لديهم قناعات ترسخت في اذهانهم وتجذرت بصماتها واصبح من الصعب ازالة اثارها . من هذه الظواهر الاسلوب الذي تميزت بها المعركة الانتخابية والمساومات التي شهدتها وتبادل الاصوات التي انتشرت بها . اتضح للمواطن ان المرشحين للاتحاد قد سلكوا مسالك كثيرة في سبيل نجاحهم ، فمنهم من استغل سيارات الدولة للدعاية الشخصية ، ومنهم من استغل العاملين بالمؤسسة التي يديرها او يعمل فيها مما يوحي للمواطن بأن من لا يحرص على اموال الدولة ليس اهلا لتمثيله » .

٦ ــ قبل صدور تعيين الملك لعدنان ابو عودة وزيرا للاعلام السابق امينا عاما للاتحاد الوطني ، صدرت تكهنات صحفية عديدة شملته بالاضافة الى مرشحين آخرين مثل مضر بدران احد رجالات المخابرات الاردنية-البارزين سابقا ، وفضل الدلقموني نائب اربد والوزير السابق لاحتلال منصب الامين العام للاتحاد . ولم تشر هذه التكهنات الى مصطفى دودين الامين العام السابق ، او الى ابراهيم الحباشنة ، وزير الداخلية السابق ، واحد اقطاب الاتحاد الوطني البارزين ، الذي أعلن عن موته اثر نوبة قلبية وسط شائعات قوية عن صراعات بينه وبين رموز اخرى في السلطة يعززها التغطية الاعلامية الضعيفة لانباء تشييع جنازته في جنوب الاردن .

اسرائيليـــات

هل تكون المرأة نصف حبلى ؟!

● لا تزال الاوساط الصحفية والفكرية الاسرائيلية تشغل نفسها ، في مناقشة حادة وطويلة ، حـول تقييم الجانب « الاخلاقي » من الصهيونية . فمـا هي الدوافع التي قادت الاسرائيليين الى الانقسام حول هذا السؤال الـذي يعتبر مجرد طرحـه ، بالنسبة اليهم ، تشككا بتدنس اقداسهم ؟ وان اكثر ما هو ملفت للنظر في هذا الموضوع هو ان المناقشة يديرها اشخاص لا يدنو الشك من اخلاصهم العميق للصهيونية وحرصهم الشديد على توفير اكثر السبل ضمانة لتطبيقها الاسرائيلي . ولكن اختلافهم ينحصر في البحث عن هذه السبل .

لقد رأى بعض الصهيونيين الاسرائيليين ان بعض الممارسات الحكومية في السنـة الخامسة مـن الاحتلال الاسرائيلي الجديد تعتبر تجاوزا للقيـم الصهيونية و « طهارة » هذه القيم . لانهم يـرون في هذه الاجراءات « انحراف » اسرائيل عن الحلم الذي راود الصهيونية بأن تكون « دولة يهوديـة مثالية » الى ميل من التطور يحولها الى « دولـة كولونيالية » . ومن هنا نشأ السؤال : هل يتعارض الاستيطـان الاسرائيلي الاستعمـاري مع القيـم الصهيونية ؟ أم ان هذا الاستيطان هو تسلسـل منطقي وطبيعي لطبيعة نشوء الصهيونية ؟. عند هذا السؤال ، افترقت الاراء ، وانفجرت المناقشة بعدما اتضـح ان السياسة الاسرائيلية الرسمية تمارس عمليات الضم التدريجي للاراضي العربية المحتلة معتمدة على مرور الزمن وغياب عوامـل الضغط السياسي الدولي والمقاومة العـربيـة المسلحة . .

هذا من ناحية . . ومن الناحية الاخرى ، لعل بعض الاحـداث التي جرت داخـل الاراضي العربية المحتلة ، قديما وحديثا ، قـد اعطت الاسرائيلي شرعية طرح السؤال حول طبيعة الصهيونية ، وهل التطبيق الاسرائيلي البالغ الظلم والعنف هو امتداد للعقيدة الصهيونية التي كان يحرص ، امام الناس، على اظهارها بمظهر « الاخـلاقية » ؟ من هـذه العمليات : ما جرى عند مداخل رفح ، حيث قام الجيش الاسرائيلي بترحيل البدو القاطنين هنـاك بعملية بالغة الوحشية ، وبتدمير بيوتهم وتخريـب آبارهم ، كمقدمة لانشاء مدينة يهودية على أرض العرب وعلى انقاضهم .

وكانت العملية الثانية ــ مصادرة أراضي قريـة عقربة في منطقـة نابلس ، حيث قـام الجيش الاسرائيلي برش جثول القرية بالمواد السامة ، واقام مستوطنة يهودية على أرض العرب وعلـى أنقاضهم .

وكانت العملية الاخيرة ، الضجة التي ثارت حول قضية قريتي كفربرعم واقرت ، حيث منعت الحكومة الاسرائيلية عودة اهالي القريتين الى اراضيهم التي طردوا منها قبل ربع قرن ، بلا سبب !

ولقد اكتفى ، رد الفعل الاسرائيلي المعارض علـى العملية الاولى والثانية بالاعتراض الكلامي الخاضع لحسابات سياسية وحزبية . ولكن الاعتراض على العملية الاخـرى تجاوز الحدود المتوقعـة الى الاشتراك في تظاهرات احتجاج في قلب الشوارع اليهودية. وكان الكثيرون من المعترضين الاسرائيليين على الجريمة الصهيونية ــ الاسرائيلية المرتكبة ضد اهالي كفربرعم واقـرت يرون أن عـدم السماح لاهالي القريتين بالعودة يعتبر انتهاكا للقيم والتعاليم التي نادت بها الصهيونية ، ويعتبر وصمة عـار في جبين اسرائيـل وتشويها لسمعتهـا . ومضى بعضهم الى القول ان القوة الاسرائيلية ستكـون خالية من المعنى اذا ما انتهكت العدل وتخلت عن المضمون الانساني . ومن هنا ، فلا بد « للضمير اليهودي » من أن يصحو ويتهم .

وكان المدافعون عن موقف الحكومة يضمنون دفاعهم

دفاعا عن الصهيونية . ويرون ان الدفاع عن « الحق اليهودي على فلسطين » يقتضي الدفاع عن اجراءات طرد العرب ومصادرة اراضيهم . ومن هنا ، يكون موقف السلطة الاسرائيلية في عمليات رفح وعقربة وكفربرعم واقرت وغيرها من عمليات اجلاء العرب واقامة الاستيطان اليهودي موقفا منسجما مع الدعوة الصهيونية الى تحقيق الحق اليهودي المطلق على فلسطين . هكذا قامت اسرائيل التي كان من المستحيل ان تقوم لولا مثل هذه العمليات . وكتب كاتب سياسي في صحيفة « يديعوت احرونوت » (يهوشع بن نون ٧/١٤) : « ان تقدير الامن باللغة الاسرائيلية ليس فقط في وضع مدافع في مكان ما للدفاع عنه ، بل وفي فترات معينة — وقد يكون ذلك الجوهري فيها — خلق امتداد اقليمي يهودي ، او خلق واقع صهيوني واضح . وهذا يعني بلغة اخرى — تخليص البلاد عن طريق الاستيلاء على اراضيها بأساليب عسكرية وأمنية . وما جرى في مشارف رفح لا يختلف ، في ماهيته ، عما جرى في أماكن اخرى من أرض اسرائيل ودولة اسرائيل منذ بدأ تطبيق الصهيونية ، وذلك يشمل اجلاء مواطنين عرب من قراهم » . والخلاصة ، كما يراها الكاتب : « ليست هناك صهيونية ولا استيطان ، وليس هناك دولة يهودية بدون اخلاء العرب ومصادرة اراضيهم » .

وهكذا ، يعود المدافعون عن استمرار الظلم والسلب الاسرائيليين الى الطريقة التي قامت بها اسرائيل ، مما يجعل الاستمرار بها شرعية صهيونية ، والتوقف عن ممارستها تخليا عن اهم مقومات الوجود اليهودي في فلسطين .

وكتب اليعيزر ليبنه في (هآرتس) (٨/٦) عن معادلة الصهيونية والسلب « ان مواطنين عربا تقلوا من اماكنهم كي تتمكن المستوطنات اليهودية من الحلول مكانهم ، فاذا وصفت هذه العملية بالسلب ، فان مجرد عودة اليهود الى بلدهم ممزوجة بالسلب » .

وقد لاحظ اوري افنيري (هعولام هزه ٩/٦) ان السنة الاسرائيلية الاخيرة كانت سنة تحول في ميدان « الاستيطان الاستغلالي » ، اذ ادلى الجنرالات والسياسيون والمطلعون ، بأقوال ما كانت تصدر قبل الان الا عن اعداء اسرائيل والحكام العرب ، هذه الاقوال التي كانت توصف بأنها دعاية تحريضية عربية قد اتضح الان انها حقيقة اسرائيلية . واضاف افنيري : « يقولون ان هدف الصهيونية هو الاستيطان في كل انحاء البلاد ، باجلاء المواطنين العرب . ويقولون ان الثمن كان وسيكون دائما جزء لا يتجزأ من العملية الصهيونية ويقولون ان الكلام الاخلاقي الذي قاله الاجداد لم يكن الا تغطية ضرورية ايام الضعف ، ولا يمكن له ايام القوة . ولم تنحصر الامور في منطقة معينة ، ولا في مناطق ارض اسرائيل الغربية من ايام الانتداب . فكل الشعارات التي رفعت هذه الفترة لتبرير الاستيطان واجلاء المواطنين في الجولان والضفة الغربية وسيناء قد تنطبق غدا على جنوب لبنان ووسط سوريا والضفة الشرقية ، اذا ادت الصدفة السياسية — العسكرية الى احتلال الجيش الاسرائيلي لهذه المناطق » . وعلق افنيري على ذلك بقوله : « عمليا ، كانت هذه هي النظرية التي وجهت المستوطنين البيض في امريكا الشمالية حتى وصولهم الى شاطىء المحيط الهادىء . النظرية التي وجدت تعبيرها الفظيع في المطالبة الالمانية بمجال حيوي » .

ويقول محرر هعولام هزه ان كثيرين في اسرائيل وقفوا ضد هذه الاعمال وهذه النظريات لانهم رأوا فيها « تجاوزا وتشويها للقيم المقدسة » . ويرون ان هذا التجاوز جاء بالصدفة . فان احتلال المناطق هو الذي حرف الصهيونية عن الطريق المستقيم . ويحدد افنيري انه كان للصهيونية هدفان : الاول — دولة يهودية يسيطر فيها اليهود . والثاني — استيطان يهودي في كل انحاء البلاد . وعندما يتبلور هذان الهدفان ، لم يتبلور الى جانبهما حل للقضية الرئيسية التي ينطوي عليها تحقيق الهدفين : وجود مواطنين عرب طيلة ثمانية قرون . فكيف تحل هذه القضية مع المحافظة على التفرد اليهودي لدولة اسرائيل ؟ يقول افنيري : كان من الممكن حل القضية لو هرب سكان المناطق في حرب الايام الستة كما أجلوا عن المناطق التي احتلتها اسرائيل عام ٤٨ . وكان من الممكن حلها بطرد السكان بعد الحرب . لقد بذلت مثل هذه المحاولات ، ولكنها فشلت . وعلى الرغم من ان اسرائيل لم تتمكن لمئات الالوف من لاجئي حرب الايام الستة بالعودة الى المناطق المحتلة ، فقد بقي تحت الحكم الاسرائيلي ١،٤ مليون عربي يشكلون حوالي ٣٥٪ من السكان . الزيادة الطبيعية لهؤلاء السكان تزيد ضعفين عن زيادة اليهود ، والهجرة اليهودية تسد هذا الفارق ولكن بصعوبة . هذا الوضع يمكن

من ايجاد حلين عمليين فقط : اعادة المناطق للمحافظة على الطابع اليهودي والديمقراطي لاسرائيل ، او الاحتفاظ بالمناطق مع سلب السكان العرب حقوقهم القومية والمدنية . ان الحل الثاني يتطلب استيطانا يهوديا ينطوي على سلب العرب ، وانتهاج حكم لا ديمقراطي تجاههم ، وتحويلهم الى حطابين وسقاة ماء . وهذا هو الحل الكولونيالي . وفي هذا العام تم حسم المسألة — لصالح هذا الحل الكولونيالي » .

فهل تستطيع الصهيونية ان تقدم حلا غير الحل الكولونيالي ؟

ستكون المناقشة ، كما هي الان ، عقيمة ما دامت محصورة في اطار الحل الصهيوني . ويبدو بؤس المنطق جليا في دفاع بعض افراد الجيل الاسرائيلي الحالي عن التطبيق الصهيوني السابق لحرب الايام الستة كذريعة جوهرية للاعتراض على بعض التطبيقات الاسرائيلية التي تلت حرب الايام الستة. فالسلب الراهن لا يدحض بالسلب السابق . من هنا ، لا تكون وسائل البحث عن حل ذات نفع عملي ولا فكري اذا حصرت نفسها في النطاق الصهيوني، الا اذا كان السعي نحو الحل ضربا من ضروب تسجيل دقات ضمير أفاق في ساعة مزاج ليبرالي ، او اذا كان السعي نحو الحل محاولة لاحاطة السلب باسماء جميلة ، والحرص على ممارسة الظلم بأقصى درجات اخفاء معالم الظلم .

لنأخذ على سبيل المثال المناقشة التي دارت في ندوة صحيفة « يديعوت احرونوت » ٩/٨ . قال عاموس كينان وهو كاتب من المعترضين على دعوة « أرض اسرائيل الكاملة » ردا على سؤال : ما هي أرض اسرائيل ؟. أجاب : « انني اوافق على أن كل من يدعي ان دير البلح او الجولان ليست أرض اسرائيل — لا مكان له ايضا في تل ابيب »!! ومن هذا المبدأ الصهيوني الاولي ، اقترح ان تتم مناقشة اخلاقية الصهيونية على أساس الانقطاع التاريخي ووضع الفواصل بين الممارسة الصهيونية قبل حرب ٦٧ وبعدها . أي — أن الصهيونية لم تتحول الى حركة كولونيالية الا بعد حرب ٦٧ . وكانت ملاحظة الكاتب ابيميزر غولان ذكية حين قال : ان صهيونية عام ١٩٧٢ لم تبدأ في هذا العام ، ولكنها تطور لما كان .

واذا عدنا الى آباء الصهيونية في نظرتهم الى المسألة العربية نرى أن نقطة انطلاقهم تبدأ من ان فلسطين هي وطن الشعب اليهودي كله ، وان الحق اليهودي عليها لا يتزعزع على الرغم من الفاصل الزمني الذي يبلغ الالفي عام . واذا اصطدم « الحق » اليهودي ، بأي حق اخر ، فان الاولوية تكون « للحق » اليهودي لضرورة ايجاد اكثرية يهودية في فلسطين ، تستولي على الارض العربية اما بالمال واما بالسلاح ، وكلا الاسلوبين سلب . ولم يتورع زئيف جابوتنسكي عن مساواة الصهيونيين بالمستوطنين البيض في الولايات المتحدة ومساواة العرب في فلسطين بالهنود الحمر والزنوج . ونص دستور « هشومير » على الفقرة التالية : « بالدم والنار سقطت يهودا . وبالدم والنار تقوم يهودا » .

ومن هنا ، سيكون من السخرية والسذاجة ان يجتهد المرء كثيرا في البرهنة على ان العنف والسلب الصهيونيين لم يكونا عملا طارئا بعد حرب ٦٧- . كما سيكون من السذاجة ايضا أن يقول اريه اليعاف وغيره ، في ندوة يديعوت احرونوت ، ان الممارسة الصهيونية في فلسطين لم تكن بالعنف والسلب حتى عام ١٩٤٨ بل .. بشراء الارض . وانه بعد هذا التاريخ طرأ « التحول الكبير » : من شراء الارض بالمال الى شراء الارض بالدم . ويضع المسؤولية على العرب الذين حاولوا الحيلولة دون ضياع ارضهم !.. وقد اقترب عاموس كينان من الحقيقة حين تساءل : لا فارق بين الشراء والاستيلاء . فان تشتري ارض وادي الحوارث مثلا هو عملية سلب من الدرجة الاولى تماما كما تخلي السكان من مشارف رفح . ان شراء ارض قاطنة هو عملية سلب وان شراء ارض مهجورة هو عملية سلب ايضا .

ويخرج الكاتب من هذه المعادلة الصعبة بقوله : عندما تقولون اننا سلبنا وادي الحوارث ، فانكم تريدون ان تشرحوا لماذا نسلب غزة اليوم . وعندما تريدون الا نسلب غزة اليوم ، فانكم تدعون اننا لم نسلب وادي الحوارث . وانا اقول : نعم . سلبنا وادي الحوارث ، ومع ذلك يجب الا نسلب غزة . لانني اريد ان اضع حدا .

معنى هذا الكلام الصريح هو ان اسرائيل قامت على السلب والعنف . وان هذه البداية لا تبرر استمرار السلب والعنف في اتجاه المزيد من التوسع ، وذلك لكي يكون السلب السابق « شرعيا » . ان هذا الموقف هو الذي يميز ما

يتمسى بالاوساط المثقفة في الدائرة الصهيونية الاسرائيلية ، الاكتفاء بما سلبته اسرائيل في الماضي ، دون الخضوع لديالكتيك التطور الصهيوني كما ينادي به انصار التوسع الجشع الذي لا حدود له . من هنا ، يكون الاسرائيلي العامل صهيونيا على الرغم منه ، لان شرعية دعواه مهما اتسمت بالليبرالية قائمة في اساسها على سلب مر عليه الزمن فصار « شرعيا » يستحق الدفاع عنه امام أصحاب الحق السابقين — وهم العرب . وامام من يهددون هذا الحق بالضياع — وهم الصهيونيون المتطرفون . ومن هنا ، يكون هذا الاسرائيلي اسير تناقضه الذي لا تسهل النجاة منه في اطار الحل الصهيوني . انه يدعو الى كبح جماح الصهيونية والى وقف اندفاعها المتوسع عند نقطة ما من الانتصار ، لا الى الغائها . ومن هنا تسقط دعاوي المدافعين عن التوسع الجديد بذرائع التوسع القديم . وتسقط كذلك دعاوي الذين ينكرون وجود توسع قديم لكي يبرروا رفضهم لتوسع جديد .

وقال يشعياهو بن فورات ، في الندوة الصحفية ذاتها ، وهو يدحض النفاق الصهيوني الذي يضفي على الصهيونية اخلاقيات غريبة عنها : ان الحريات الصهيونية اللاعنيفة واللاعسكرية ، لم تتقنني على الصهيونية الاخلاقية التي تتحدثون عنها . فمنذ السابعة من عمري تربيت على العمل العسكري لاحتلال البلاد . لقد نموت في النمسا مع الاحساس بأنه سيجيء يوم نحتل فيه البلاد بقوة الذراع . وعلموني على الاستهتار بالمواطنين العرب . وعلموني على ان ارض اسرائيل لنا ، وان بوسع العرب المقيمين هناك ان يستمروا في العيش بشرط الا يزعجونا . واذا ازعجونا فسنطردهم . وعندما هاجرت الى البلاد وعشت في الكيبوتس لم يربوني على احترام العربي ، ولم يربوني على ان العرب واليهود سيعيشون معا . كان التفكير الخفي ، والواضح احيانا ، هو ان العرب سيذهبون ونحن نبقى . ومنذ عام ١٩٤٥ كان واضحا لنا جميعا أن حربنا ليست لطرد البريطانيين فقط وانما لطرد العرب . وكنا ، في الكيبوتسات ، ننظر الى القرى العربية المجاورة ونقسم اراضيها في ما بيننا » .

ومن المفارقات الغريبة ، في هذه المناقشات حول اخلاقية الصهيونية ، أن تجد الاكثر تطرفا في اتجاه المزيد من التوسع ينفون عن مرحلة التطبيق الصهيوني بعد حرب حزيران ١٩٦٧ صفة السلب والتهجير والمجازر ، كما فعلوا في المرحلة السابقة . فقد كتب اليعزر لينه في هارتس (٨/٦) :

« لقد حدث تغير في الاستيطان الصهيوني اليوم ، بالنسبة لاساليبها قبل حرب الايام الستة ، منذ عهد الانتداب تركز الاستيطان اليهودي بالاساس في المناطق الماهولة نسبيا . وتطلبت اقامة مستوطنة او مدينة يهودية او كيبوتس طرد قرية عربية سابقة . وليس المقصود فقط المدن والقرى والكيبوتسات التي قامت مكان القرى العربية المهجورة ، بل مستوطنات قامت على انقاض قرى عربية مهجورة . والان بعد حرب الايام الستة يختلف الامر من اساسه . فالمناطق في سيناء وفي غور الاردن ، وفي المناطق الشرقية من الضفة الغربية ، وفي هضبة الجولان وجبل الشيخ خالية من السكان . والغريب في الامر ظهور القلق الان من سلب العرب . السبب ليس في الارض ، بل في الشعور الذاتي : افكار كانت تميز العناصر المعادية كليا للصهيونية ، اخذت تتغلغل في المعسكر الصهيوني » .

ولكن محاولة هذا الكاتب لتبرئة الصهيونية من السلب ، بحجة ان مسرح السلب خال من السكان ، تتعثر عندما يفسر اهداف الصهيونية ، في حديثه بندوة يديعوت احرونوت ، بقوله : « اننا نعود الى هذه البلاد لنركز فيها الشعب اليهودي كله وحين يواجه بسؤال صعب : لمن هذه البلاد ؟ يجيب بسهولة شديدة : « ان ارض اسرائيل ، سواء كانت خالية ام ماهولة ، هي للشعب اليهودي » . وحين يجابه بسؤال صعب اخر : وما هي حقوق العرب ؟ يجيب بسهولة شديدة : « للعرب حقوق شخصية وطائفية ، ولكن البلاد لليهود . واذا كان من الممكن الاتفاق مع العرب ، فيجب ان يتم الاتفاق » . اي — يجب ان يتم الاتفاق مع العرب على اساس اعترافهم بانهم طارئون على فلسطين ، وان الحق اليهودي مطلق وغير قابل للمناقشة .

ويختتم النائب شموئيل تمير المناقشة حول الصهيونية عام ١٩٧٢ بقوله : « انها في احسن احوالها منذ ولدت . في أيدينا الان اكبر منطقة ، واقوى جيش يهودي . والهجرة تأتي من الغرب ومن الشرق . والولايات المتحدة الامريكية تنظر الينا كحليف ، والسياسيون الامريكيون يهتمون بما يقال في القدس أكثر من اهتمامهم بما يقال في باريس عشية انتخابات الرئاسة » .

في مثل هذا المناخ تجري المناقشة حول « اخلاق »

الصهيونية . ومن الواضح ، ان الصهيونية الاسرائيلية لم تعد ترى حاجة الى التظاهر بالديمقراطية تجاه اتهامها بالعنف والسلب واللاأخلاقية ، وان ما كانت تسميه دعاية عربية ضدها ، صارت تستخدمه ذرائع علمية لتواجه به بعض ابنائها الذين يتساءلون عن النهاية ، ويسعون بمشقة بالغة الى « تعميم » الظلم وحصره في نطاق الاحتلال السابق ، لئلا يؤدي جشع الاحتلال اللاحق الى اضاعة كل شيء .

انهم يخافون ...

● ما هو التأثير الحقيقي الذي يتركه النشاط الفلسطيني المسلح على معنوية الاسرائيلي ؟ وما هو الحجم الحقيقي للقلق الاسرائيلي ، العادي والرسمي ، الناتج عن هذا النشاط ؟ وكيف يقيم الخبراء العسكريون الاسرائيليون حجم وخطورة النشاط الفلسطيني المسلح على اسرائيل وعلى علاقاتها — باليهود في العالم ، وعلى الدول الاوروبية ؟ وكيف يقيم الاسرائيليون الانتصارات التي تحرزها القضية الفلسطينية نتيجة هذا النشاط المسلح ؟ واخيرا .. ما هي الخطة التي تعدها اسرائيل للرد على هذا النشاط على الصعيدين العربي والعالمي ، وهل تفكر اسرائيل بممارسة دور الرد ام المبادرة ؟ ..

لقد اجمع الاسرائيليون ، هذه المرة ، على عدم الاستهانة والاستهتار بتطور النشاط الفلسطيني المسلح وانتقاله خارج حدود المنطقة الى المجال الدولي . وما زالت اجهزة الاعلام الرسمية ، منذ حادث ميونيخ ، مشغولة بتجليل ابعاد هذا النشاط وخطره على الاسرائيلي ، جسديا ومعنويا ، وبمراقبة دوره في عرقلة حلول الامر الواقع وفي افساد حس الامان لدى الاسرائيلي رغم انتصاراته العسكرية الملاحقة . وفيما يلي ننشر ملخصا لندوة بالغة الاهمية عقدتها صحيفة « يديعوت احرونوت » (٩/٢٩) حول هذا الموضوع ، باشتراك مجموعة من كبار الخبراء العسكريين الاسرائيليين هم : الجنرال يشعياهو غبيش الذي كان قائد الجبهة الجنوبية في حرب الخامس من حزيران وبعدها ، والجنرال حاييم هرتسوغ الذي كان رئيس دائرة لمخابرات الجيش الاسرائيلي ، وايتان ليبني الذي كان ضابط العمليات في ايتسل ، ويتسحاق شمير الذي كان قائد ليحي .

سأل محرر « يديعوت احرونوت » عن الاتجاهات التي قد يتطور فيها « الارهاب » وماذا سيكون تأثيره على اسرائيل — على معنوياتها الداخلية وعلى هيبتها ، وعلاقاتها مع دول العالم من ناحية ، وعلى الدول العربية من ناحية اخرى .

يشعياهو غبيش : يجب ان نتذكر ان الارهاب كان دائما جزء لا يتجزأ من حرب العرب ضد اسرائيل . ولكنه وجد تعبيره ، في الاساس ، منذ هزيمة الجيوش العربية . فعندئذ بقي « المخربون » وحيدين في ساحة القتال . وقد تبلور التحول نحو اوروبا بعدما فشلوا في اشعال نار التمرد داخل اسرائيل ، وبعدما ابعدوا عن قواعدهم على الحدود . وكان هنالك دافعان لنقل الجبهة الى اوروبا ، فهناك يجدون انفسهم متحررين من الجيش الاسرائيلي ، ويملكون فرص نشاط غير محدودة . واعتقد ان لهم هدفين من وراء ذلك : ان يذكروا العالم بشكل مستمر بأن الحرب مستمرة ، وأن يلحقوا الاذى بدولة اسرائيل . وينبغي ان نتذكر انه من اجل تحقيق هذين الهدفين ، لا يجب ان يضربوا اهدافا اسرائيلية بالذات . فمن الممكن ان يصيبوا شركات اقتصادية غير اسرائيلية ، وحركة الطيران الدولي ، والحركة البحرية والسفارات . ومن الممكن ان يخطفوا متفراء اجانب ويقولوا لاسرائيل : « اطلقوا سراح « مخربين » والا ... ». انه مجال نشاط بالغ الاتساع . ومن شأن مثل هذه الحرب ان تؤثر على المعنويات في اسرائيل . لقد بدأ الارهاب في تشكيل خطر على الاسرائيليين خارج البلاد وعلى المصالح الاسرائيلية هناك . ومثل هذه الاصابة يؤثر على المعنويات في اسرائيل . ولكن كيان دولة اسرائيل نفسها لا يتربص به خطر من جراء الارهاب . بالعكس ، فان الارهاب يزيد من عطف العالم علينا .

سؤال : الا تخشى ان ينهت عطف العالم ، بمرور الوقت ، فيرى في اسرائيل مصدر قلق لا يتيح له العيش بهدوء بال ؟

جواب : لا ريب في ذلك . وها نحن نرى مثل هذا التوجه من جانب حكومة فرنسا التي تقول :

« القضية ليست فقط محاربة المخربين ، بل يجب حل النزاع الاسرائيلي العربي » . وفي اعقاب مثل هذا التوجه تاتي ضغوط سياسية .

ان الارهاب لا يهدد بالخطر كيان اسرائيل ، ولكن يشكل خطرا على الاسرائيليين ، ويجلب علينا ضغوطا سياسية ، ويمس المعنويات داخل الدولة. حتى اليوم كنا نتلقى الضربة لا نوجهها . وينبغي ان نوجه الحرب بشكل نكون فيه موجهي الضربة. يتسحاق شمير : الارهاب العربي هو ، عمليا ، التعبير المتطرف لما يسمى حركة المقاومة الفلسطينية . وعلينا ان نأخذ بالحسبان خاصتين جوهريتين لهذه الحركة . الاولى — من ناحية امكانية التسليم والتسوية ، فان المقاومة الفلسطينية هي الد أعدائنا . يمكن ان نفترض ، نظريا ، قيام علاقات سلام وجوار مع دول عربية في الشرق الاوسط ذات يوم . ولكن لا يمكن الافتراض، باي شكل من الاشكال ، ان نسلم بحركة المقاومة. لان تحقيق اهدافها يتطلب ابادة دولة اسرائيل . ان معركتنا معهم ليست على مواقع ولا على مناطق وحدود — بل على الوجود او العدم . انها حرب حياة او موت . نحن او هم . اذا كنا نريد العيش — فيجب ان نسحقهم .

والخاصة الثانية — ليست في نشاطهم اي منهج سياسي ، اعتدنا ان نجده في حركات تحرير في العالم . ماذا كان التفكير السياسي الذي استرشدنا به في عملياتنا ضد البريطانيين ؟ لقد اعتقدنا اننا بعمليات التخريب سندفع البريطانيين الى الاعتراف بأن ثمن سيطرتهم في فلسطين سيكون غاليا . ولكن كان للبريطانيين مكان ينسحبون اليه. ولكن ليست هنالك اية امكانية لان يترك الشعب اليهودي ارض اسرائيل تحت ضغط عملياته الارهاب ، سواء كانت داخل البلاد ام خارجها . من هنا ، فان حرب المخربين العرب ليس فيها تفكير سياسي ، ولانها كذلك فانها لا تنطوي على خطر ملموس على كياننا . ولانها كذلك ايضا فان هذه المنظمات خطرة ، ويتوقع منها اشد الاعمال تطرفا وقسوة . ان هدفها هو أن تذهل العالم ، وتلك احدى الصعوبات في مكافحتها .

ان نشاطهم في الخارج ، على الرغم من أنه لا ينطوي على خطر عسكري على كيان اسرائيل ، يمس الدولة بهيبتها ومواطنيها . انني لا اوافق على الرأي القائل بأن الارهاب يزيد العطف علينا ، وذلك لانطباع شديد السطحية . كنت في اوروبا وقت قضية ميونيخ ، في اليوم الاول كانت صدمة ولكن احتل مكان الصدمة بعد ايام قليلة نوع من التقدير للمخربين على استعدادهم للتضحية بحياتهم وفي المقابل قل التقدير لاسرائيل وتحطمت خرافة جهاز المخابرات الاسرائيلية القادرة على كل شيء. لم يكن من الضروري ان نسمع تصريح بومبيدو لكي نعرف الى اين تهب الريح . ان مثل هذه التصريحات انتصار ضخم للارهاب العربي . وبوسعك ان تسمع مثلها في شتى البلدان . يقول الناس « نحن لا نقر الارهاب — ولكن يتحتم ايجاد حل » والحل معناه التسوية . ولكن اية تسوية يمكن ان تتم مع الفلسطينيين ؟.

وأريد ان أتوقف عند نقطة اخرى : لقد مني الارهاب معنويات اليهود في الخارج بشكل بالغ الخطورة . لقد اهتز فيهم الايمان بأن اسرائيل لا تغلب . فالامن في اسرائيل كان اساس حسهم بالامن هناك ، وقد اهتز هذا الاساس . ان يهود كثيرين في الخارج يتحاشون الاتصال بالاسرائيليين خوفا ، وفي تلك الايام تحاشوا الذهاب الى الكنيس . والسبب واضح . انهم يخافون . فعندما اهتز الايمان بقوة اسرائيل صاروا يخافون على جلودهم.

سؤال : كيف نحارب الارهاب ؟

يشعياهو غبيش : ان ذلك يكلفنا مالا ، ويتطلب جهازا غير صغير وترتيبات — ولن يكون الامن مطلقا . ولكن ذلك لا يعفينا من وسائل الدفاع . وذلك يتضمن ايضا ارشاد الاسرائيليين لان يشعروا ويتصرفوا في الخارج كأنهم في جبهة ، واقناع دول العالم بأن هذه القضية قضيتها . ولكن لكي نحل القضية في يوم من الايام ، يجب علينا ان ننتقل الى الهجوم في اتجاهين — مهاجمة « المخربين » في قواعدهم ، لا ردا او انتقاما ، بل حربا مستمرة . لقد كانت العملية في لبنان مفيدة ولكن في اللحظة التي تتوقف فيها ولا يتبعها استمرار — فانها تخلق انطباعا بأنها عملية انتقامية، يجب الاستمرار في محاربة « المخربين » في لبنان وسوريا وكل مكان يتواجدون فيه . معنى ذلك — عمليات خاصة وعمليات نظامية وعمليات غير مباشرة .

الاتجاه الاخر للهجوم يجب ان يكون في البلدان التي يعملون فيها ضدنا . قد تكون هذه حربا اصعب ، ولكن من الممكن شنها بوحدات صغيرة وعدد غير كبير من الرجال . هدفها يجب ان يكون مزدوجا —

ضرب «المخربين» وايجاد وضع لا يمكنهم من حرية العمل والحركة هناك . وينبغي التعاون مع بلدان العالم ، ولكني اؤمن بالاعتماد على النفس . يجب ان تشكل هذه القوة بدون تأجيل .

ويجب ان يدخل في وعي « المخربين » حس المخاطرة . فاذا ادركوا ان الخليل ضمت الى دولة اسرائيل نتيجة عمل معين قاموا به ، سيكون للامر تبعات بعيدة المدى على ما قد يحدث للشعب الفلسطيني نتيجة استمرار الارهاب .

لا أقول ان ضم الضفة وقطاع غزة هو السيف الوحيد الذي نستطيع التهديد به فوق رؤوسهم ، فهنالك تهديدات سياسية اخرى . ولكن يجب ان نكون في وضع يمكننا من ان نقول لهم : « انكم بأعمالكم تعرضون الشرق الاوسط للخطر ، ومن يعرف كيف ستكون خارطة الشرق الاوسط بعد ٥ — ١٠ سنوات » . انهم يتكلمون اليوم عن تحرير المناطق وتحرير فلسطين . ويجب ان نوصلهم الى الحديث عن تحرير شيء لم يفقدوه حتى الان .

ايبان ليبني : يجب ان نضرب مراكز « المخربين » التي يتلقون منها الاوامر . لا اقصد بذلك جنوب لبنان ، فليس هناك مركز « ايلول الاسود » او فتح . يجب ان نضرب المراكز ، ولا يدهشني اذا اقتضى الامر عملية في القاهرة او طرابلس او بنغازي او دمشق .

حاييم هرتسوغ : كلنا نوافق على ضرورة عدم الاكتفاء بالدفاع في هذه الحرب . ومن واجبنا أن نبين لكل اسرائيلي انه يشكل حدود اسرائيل . وعلينا ان نعود الى ضرب « المخربين » عندما يعودون الى جنوب لبنان ، حتى عندما لا يقومون باستفزاز . يجب ان يكون العمل ضدهم عملا مستمرا ، والا نسمح لهم بالتنظيم ، ومن واجبنا ان نعود الى أخذ زمام المبادرة ، وان نحولهم من مطاردين الى مطاردين فورا على طول الحدود ، وفي مراكزهم بالبلدان العربية وفي مناطق نشاطهم في الغرب .

محمود درويش

اسرائيل الكبرى

دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني

بقلم

الدكتور اسعد رزوق

بالعربية (نافد)

بالانجليزية ٣٢٦ صفحة

من الحجم الكبير

ترسل الطلبات الى : مركز الابحاث ، قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ ، بيروت

سعر النسخة : ١٠ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد : ١٥٠ ق.ل. في العالم العربي

٣٠٠ ق.ل. في اوروبه ، ٦٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم

وائل زعيتر
قديس آخر يموت في روما

داود تلحمي

كان وائل — على حد تعبير مناضلة في عقدها الثامن من أصدقائه — احدى شخصيات روما . الا أن هذا التعبير الكبير لا يفي وائل حقه ، لان وائل لم يكن يطمح لحمل أوصاف كهذه : كان متقشفا حتى الزهد ، نكاد نعرفه من بعيد من لون سترته التي لم تتغير منذ سنوات ، ويكاد لا يجد أحيانا في جيبه ثمن وجبة . وكان متواضعا حتى الانسحاق ، فكانت حياته البوهيمية موضوع تندره المفضل الذي يخلق حوله جوا من المرح الدائم . وكأنه في تعففه هذا ، كان يريد ان يبقى قريبا — حتى في حياته الشخصية — من حياة غالبية شعبه ، الذي كرس في خدمته كل أوقاته ، منذ ان استعاد الشعب مرة اخرى سلاح التمرد . وكانت صداقات وائل متعددة وواسعة : من البرتو مورافيا الى بائع الخضار في حارته وسائقي التكسي في روما مرورا بمسؤولي ومناضلي مختلف الاحزاب والقوى التقدمية الايطالية . وأوصل وائل من خلالها صوت شعبه الثائر ، بلهجته النابلسية التي دخلها ايقاع ايطالي .

مات وائل كما عاش قديسا (ثوريا) برصاصات الوحيدين الذين يمكن أن يكرهوه ويحقدوا عليه : أعداء شعبه . وكأني به وهو يواجه أعزل باسما في ليلة سوداء أخرى من ليالي « المدينة الابدية » ، قتلة لا يرون فيه الا انعكاس بشاعة جرائمهم المستمرة منذ عشرات السنين والتي يريدون أن يبيدوا كل شاهد عليها ، صورة مثالية أخرى لصراع الخير والشر .

• • •

سنحبس دموعنا يا وائل ، رغم ما يحتشد به قلبنا من حزن وغضب ...

سنحمل ، مثلما حملت ، ابتسامة التحدي والثقة بعدالة النضال ...

ولن يرهبونا ...

وسنستمر يا وائل ،

حتى ترتسم ابتسامات السعادة على وجوه اطفالنا فوق أرض فلسطين الحرة .

وائل زعيتر
مناضلا وانســـانا

منير شفيق

وائل المناضل :

فجأة انتقل اسم الشهيد وائل زعيتر ليتصدر الصحف ونشرات الاخبار ، وراح يتردد على الالسن . ولا شك في أن الكثيرين داخل الثورة الفلسطينية وخارجها ، جعلوا يتساءلون من هو وائل زعيتر ؟ ولماذا اختارته أجهزة العدو الصهيوني الارهابية ليكون أول أهدافها في أوروبا ؟ وبدأت الاجوبة تنهال متفرقة من الذين عرفوا وائل . لقد انهالت الاجوبة متفرقة لان ما من فرد يعرف كل شيء عنه . وهذا ما يحدث عادة بالنسبة للكوادر الثورية التي تعمل بصمت حتى تكاد يدها اليمنى لا تعرف ما تفعله يدها اليسرى ، فهي ان قامت بعمل ، ومهما يكن مثمرا وهاما ، تنساه فورا ، فلا تتخذ منه اعلانا عن النفس ، وتباهيا أمام الاخرين ، او وسيلة للارتقاء والانتفاع . انها تنساه فورا لتبدأ رحلة جديدة مع عمل ثوري جديد . وهكذا تتصل الحلقات فيكون الاعداء اول من يشعر بهذا الكادر وخطورته . لانهم يلمسون اثر جهوده عليهم وعلى مخططاتهم . فالصهاينة الذين قرروا اغتيال وائل كانوا يعلمون انه لم يمارس عملا مسلحا ضدهم لا مباشرة ، ولا بصورة غير مباشرة ، لا تنفيذا ولا تخطيطا . حقا انه لم يمارس النضال المسلح المباشر عن هروب منه نجـــاة بجلده ، بل على العكس فقد كان وائل دائم الاصرار على قيادة حركة فتح ان تعفيه من مهامه الاعلامية والسياسية داخل ايطاليا ، وتأذن له بالعودة الى ارض الصراع المباشر ، في الاردن او تحت الاحتلال . ولكن الجواب كان يأتيه دائما ان يبقـــى حيث هو ، ولعل السبب الرئيسي في ذلك ان نتائج عمله الاعلامي ، وما حققه من نجاحات في اقامة اوثق العلاقات بين الثورة الفلسطينية وبين القوى الثورية والتقدمية والانسانية في ايطاليـــا كانت فوق ما يمكن ان ينجزه انسان بمفرده . لقد كان قبول انخراطه في الكفاح المسلح هنا يعني نشوء حاجة تتطلب ان يحل محله عشرة من الكوادر الجيدة والقديرة جدا ، حتى يكون بالامكان الاستمرار بالعمل الذي كان يقوم به وائل ، دون ان يطلب تطويره . ان هذه الاسباب نفسها هي التي دفعت الارهابيين الصهاينة لاغتيال هذا المناضل الثوري الرائع . فقد شعر الصهاينة في ايطاليا منذ اول يوم بدأ فيه بالعمل في حقـــل الاعلام والعلاقات الخارجية في الثورة الفلسطينية ، ان الارض في ايطاليا بدأت تهتز من تحتهم ، وكان باستطاعتهم ان يحصوا مخاسرهم بدقة متناهية ، وهم يرون مواقع لهـــم اخذوا يفقدونها الواحد بعد الآخر . ثم يرون جبهة عريضة تتألف في ايطاليا لمناصرة الثـــورة الفلسطينية وبأهدافها الخاصة بتحرير فلسطين كلها واقامة دولة ديمقراطية ، وبقبول استراتيجيتها الثورية في حل التناقض العدائي بين جماهيرنا وبين العدو الصهيوني عن طريق حرب الشعب طويلة الامد . لقد اتسعت تلك الجبهة لتشمل الحزب الشيوعي الايطالي ، وحركة المانيفستو (حركة ثورية ماويـــة) ، وحزب البسوب (الحـــزب

البروليتاري الاشتراكي الموحد) ، واتحاد العمال وعشرات من الحركات الطالبية والثورية ، فضلا عن اجنحة يسارية في الاحزاب الاشتراكية والحزب الديمقراطي المسيحي ، الى جانب شخصيات أدبية وفنية وسياسية وصحفية مرموقة على نطاق عالمي مثلا البيرتو مورافيا وجوليانا وغيرهما .

لقد استطاع وائل أن يبني في فترة قصيرة من الزمان علاقات حميمة بين الثورة الفلسطينية وبين القوى السياسية والعمالية والتقدمية في ايطاليا وكان السر في ذلك ، رغم انه ابتدأ في جو معاد ، يعود الى مثابرته وصبره وثقافته ، وقدرته على معرفة الناس والتأثير عليهم دون ان يشعروا ، فهو لم يكن من ذلك الطراز من الناس الذي يحاول فرض آرائه على الآخرين ، او تقديم أهداف الثورة بأسلوب تبشيري خطابي ، كان اسلوبه بسيطا متواضعا يعكس حقيقته البسيطة المتواضعة ، فهو يحاول ان يفهم الآخرين قبل أن يطلب منهم ان يفهموه ، ويعمد الى تقديم ما يمكن ان يقدمه لهم قبل ان يسألهم تقديم شيء للثورة الفلسطينية . انه أسلوب اعتمد على المعرفة السياسية الواسعة ، والثقافة الرحبة ، والعطاء الثوري وبعد ذلك كان يقدم الوثائق والحقائق بعد ان يلح الآخرون على طلبها ، ثم يترك لهم طلب التعاون مع الثورة الفلسطينية ، وعرض طاقاتهم لمساندتها . وهنا كان يتجلى وائل بتلك الموهبة التي امتلكها ، وهي ايجاد عمل لكل انسان حسب امكاناته وفي المكان الذي يناسبه ، يمكن اعطاء صورة صغيرة على ديناميكيته مقتبسة من رسالة مؤرخة في ٧١/٥/١٠ كان قد بعثها الى مكتب اعلام حركة فتح في بيروت جاء فيها:

« ... سبق وارسلت لك العدد الاول من الطبعة الايطالية لمجلة فتح الانجليزية لقد طبعناها مرة أخرى اذ نفدت الطبعة الاولى وكانت حوالي ٦٠٠٠ نسخة والثانية كانت اربعة آلاف نسخة . المجلة نبيعها ١٠٠ ليرة (ايطالية) للنسخة الواحدة، وتباع بواسطة الطلاب الايطاليين والنقابات والاولاد وطلاب المدارس المتوسطة وغيره ... الخ . لقد كلفنا عمل الكليشهات كثيرا ، كما ولقينا صعوبات أخرى . لذا فآمل ان تساعدنا بالنقاط التالية :

١) ارسال ما تختارونه من مقالات بالانجليزية اولا بأول حتى عندما تطلع الانجليزية (يقصد مجلة فتح بالانجليزية) تكون الترجمة عندنا حاضرة ، ولا نضيع وقتا عليها فتصبح out of date بعض الشيء .

٢) اذا أمكن أن ترسلوا لنا الكليشهات او الافلام أولا بأول ـــ كما وعدتم ابو .... ـــ فهذا يجعل الطبع افضل ويوفر علينا فلوس . اما بالنسبة للعدد الثاني ـــ اي عدد ١٢ ابريل ـــ فلقد ترجمناه ، وسنرسله غدا للمطبعة . واعتقد اننا سنطبع منه عشرة آلاف نسخة ، فاذا ما أرسلت لنا الافلام بالاكسبرس والبريد الجوي فستوفر علينا كثيرا بالاضافة الى وضوح الصور . فهل لك ان تفعل ذلك فسنكون لك من الشاكرين ؟

ـــ هذا ولقد حكم على عدد نيسان بأنه اغنى من عدد ١٢ ابريل بما فيه من document ، على كل فسأخبركم بالتعليقات التي تصدر عندما تنظم انفسنا . ولقد اخذنا مكتبا مؤقتا وسننظم أمور الطبعة الايطالية ونعلمكم بذلك . »

وفي فقرة وردت في الرسالة الثانية المؤرخة في ٧١/٥/٢٥ يقول وائل :

« ما هي أخبار العدد القادم ؟ أرجو افادتنا بخصوصه .

« كنتم ترسلون لي بالسابق كمية وافية من الاعداد وهذا ما احتاجه لاجل توزيعه على المترجمين وعددهم حوالي ٢٠ ... »

تدل هذه الفقرات على الديناميكية التي كان يعمل بها المناضل الثوري وائل . واذا اخذنا

بعين الاعتبار ان كل الذين تعاون معهم كانوا من الايطاليين (مثلا ٢٠ مناضلا عملوا بالترجمة فقط) ، الذين يعملون تبرعا وعن قناعة ، يمكن ان ندرك قيمة هذه الطاقة الاستثنائية التي كانت تستطيع اعطاء عمل ثوري للعشرات ، وتستطيع ان تعمل بكفاءة وسرعة ، وتحقق نجاحات في ظروف كانت قاسية وصعبة (الشهر الخامس من عام ١٩٧١) .

وائل الانسان :

ولد وائل عام ١٩٣٤ في مدينة نابلس وتوجه الى العراق بعد اتمام دراسته الثانوية لدراسة الهندسة في جامعة بغداد . ولكنه سرعان ما اكتشف ان طريقه الى الحياة ليست طريق مهندس ، يوقف عمره سعيا وراء المال ، وفي خدمة الشركات واصحاب الاستثمارات . فترك مقاعد الدراسة ليعمل عاملا في مد طريق جنوبي العراق في منطقة صحراوية ، وكان هدفه ان يتعرف على ريف وطنه العربي ، وان يعيش مع عماله ويكدح معهم ... وهناك قضى سنتين يعيش في خيمة وتحت أقسى الظروف ... ولكنه عوض ذلك بمشاركته خلية من عمال الحزب الشيوعي العراقي نضالاتهم الطبقية والوطنية ضد حكم نوري السعيد . وكان معه الى جانب ذلك اصراره الذي رافقه منذ مطلع شبابه ، على دراسة التراث العربي مع اهتمام خاص بدراسة اللغة الايطالية ليتفهم الاوبرا من احدى منابعها ، وهو بهذا وحد في نفسه وحياته صفة المناضل البروليتاري الثوري ، والمثقف العربي الاصيل والذواقة للموسيقى الكلاسيكية ، وبشكل خاص للاوبرا .

ثم راحت الاسفار تتقاذفه مشردا سياسيا ، بعد أن فر من العراق حوالي العام ١٩٥٦ لينتقل الى الكويت ثم الى المانيا ، واخيرا لينتهي به المطاف في ايطاليا حيث كان يطمح في تطوير ثقافته الموسيقية ، والكلاسيكية الادبية ، ما دام لا يستطيع ان يعود الى ارض الوطن بسبب أفكاره السياسية . الكثيرون لا يستطيعون أن يتصوروا ان وائل كان يحفظ آلاف ابيات الشعر العالمي — مثلا كان يتلو غيبا مقاطع برمتها من « الكوميديا الالهية » لدانتي ، واكثر منها لابي العلاء وابن الفارض .

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وجدت حركة فتح ان وائل اخذ يفرض نفسه ممثلا لها ، دون ان يدفع باسمه الى الشهرة ، او ان يطلب مساعدة ، فقد اعتبر ان الثورة ثورته وله الحق في ان يعطيها كل شيء . وراح يعمل ليل نهار بصمت ودون ضجة ويصرف كل ما في جيبه من أجل القضية ، ومنذ ذلك التاريخ اصبح وائل كادرا مسؤولا في حركة فتح بعد ان تأكدت الحركة بأنها عثرت على كادر قيادي يشكل ثروة بحد ذاته .

وهنا يمكن ان نقف على جانب آخر من جوانب شخصيته الفذة ، وهو حياته البسيطة المتقشفة ، فقد كان يعمل مترجما في السفارة الليبية في روما ، ولا يصرف على نفسه من راتبه غير النزر اليسير اليسير ، في حين كان يدفع بالباقي كله للصرف على حاجات العمل النضالي . ولعل الكثيرين لا يصدقون انه كثيرا ما كان يقضي يومين او ثلاثة في الشهر جائعا دون أن يكون في جيبه ما يشتري به رغيف خبز ، وما كان ليأكل في تلك الظروف الا اذا ساقته الصدف الى بيت صديق بسط مائدة طعام . اما لباسه فكان مزريا وكذلك غرفته التي ينام فيها . انه لم يفكر قط في ان يفيد من مدخوله المادي في تحسين احواله ، ولو في الحدود الدنيا ، لقد كان هذا ديدنه حتى قبل الثورة . فمثلا كان يذهب بمثل هذا اللباس الى اوبرا روما حيث كان مشتركا مداوما لعدة سنوات — وهنالك تعرف على الكاتب الايطالي الشهير البيرتو مورافيا اذ صدف ان كان جاره في المقعد المخصص له في قاعة اوبرا روما ، وقد لفت نظر الكاتب ثم حاز على اعجابه الشديد وصداقته الحميمة بعد ان تعرف على مزاياه النضالية الاخرى — عدا الموسيقى ، والثقافة .

كان وائل قبل الثورة متقشفا متصوفا يذهب براتبه في شراء الكتب والاسطوانات

الموسيقية وارتياد المسارح الثقافية ودور الاوبرا ، فضلا عن مقاسمة رغيفه مع كل مشرد سياسي ثوري يلتقيه ويتعرف عليه . اما عندما انضم للثورة الفلسطينية ، فقد تخلى عن كل شيء عدا بساطة حياته وتقشفه وتحويل معظم راتبه لخدمة القضية الثورية .

طلبت حركة فتح منه في أوائل ١٩٧٠ الاستقالة من عمله والتفرغ كليا لنشاطه الاعلامي ــ السياسي ، وظل كذلك حتى ما بعد ١٩٧١ ، عندما قرر ان يعود للعمل كمترجم بسيط في السفارة الليبية في روما ، اعتقادا منه أن من الضروري الاعتماد على نفسه ماديا واعفاء الثورة من اعبائه المادية رغم انها كانت ادنى من الحدود التي يعيشها طالب متقشف .

وائل المفكر والاديب :

لم يكن وائل كادرا عمليا ينفذ المهام النضالية فحسب ، ولم يكن انسانا حقيقيا فحسب ، ولم يكن مثقفا واسع الثقافة فحسب ، وانما كان ايضا مفكرا واديبا شاعرا (لم ينشر قصائده وهذا ما يحتم على الثورة الفلسطينية ، وعلى فتح بشكل خاص ، انقاذ كل الاوراق التي استولى عليها البوليس الايطالي في غرفته) .

لقد اهتم في الاونة الاخيرة بتأسيس مكتبة للثقافة العربية في روما ، وراح يسعى لتشكيل جمعية صداقة عربية ــ ايطالية تجمع عددا من الفنانين والادباء والشعراء والمثقفين الايطاليين والعرب . وعندما توجهت رصاصات الاجرام الصهيوني لتوقف قلبه الكبير عن الخفقان كان المشروع لا يحتاج الا للمسات اخيرة ليخرج الى النور بكل قوة ، وكان هذا هو السبب الذي حال دونه ودون حضوره مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الاخير الذي هو عضو فيه . عندما جاء الى لبنان قبل سبعة اشهر تقريبا صرفت له مخصصاته المتأخرة ، فما كان منه الا ان اشترى بها كلها كتبا عربية بعضها ذو طابع معاصر واغلبها من الكتب العربية الكلاسيكية مثل « مسالك العرب » والطبري . وعاد الى ايطاليا بجيوب خاوية الا من الكتب والتصميم على النضال .

اما مشروعه الاخر الذي لم يتمه فكان اشتراكه مع المستشرق الايطالي الكبير فرانسيسكو غابريلي في ترجمة « الف ليلة وليلة » الى الايطالية وكان هذا المشروع باكورة مشاريع مماثلة ، كان يخطط لها ، وكلها تهدف الى تمزيق ستار التعتيم الفكري الذي يفرضه الغرب على الثقافة العربية التي يعتبرها واحدة من اعظم الثقافات العالمية الحضارية وقد يعجب البعض حين يعلمون انه كان يتساءل دائما ماذا سيتمخض عن الثورة الفلسطينية من مساهمة في الثقافة العالمية ؟ لم يكن وائل يطرح هذا السؤال واشباهه الكثير من الاسئلة التي تتكشف عن مفكر متأمل فيلسوف ، انطلاقا من مواقع المثقف الاستعراضي ، وانما كان يفعل ذلك تاركا فيمن يستمع اليه الشعور بصدقه ، بل ان المرء ليستطيع ان يلمس عذابه الداخلي وهو يفكر بمثل هذه الاسئلة . لقد كان متحرقا فعلا لكي يرى الثورة الفلسطينية والثورة العربية تتمخضان عن عطاء كبير للثقافة الانسانية والحضارة العالمية ، تواصلان به عطاء الماضي .

لقد كان فكر وائل بوتقة انصهرت فيها مجموعة من الثقافات توجت بما اخذ يبديه في السنين الاخيرة من اهتمام بالتجربة الصينية ، خاصة ، الثورة الثقافية . وربما كانت آخر احلامه رؤية ثورة ثقافية عميقة تحمل اصالة عربية بكل ما تحمل الكلمة من معنى تنتشر بين الجماهير الفلسطينية والعربية ضاربة الجذور بالتراث ، صاعدة من اعماق الشعب ، محررة نفسها من تقليد الغرب ، وضياع الشخصية .

وبكلمة ،

كان وائل كادرا ثوريا قياديا موهوبا ، ولكنه كان يتصرف كعنصر عادي .

وكان متقشفا متفانيا منكرا لذاته ، ولكنه كان يملأ نفسه بغنى داخلي لا حدود له .
وكان فنانا وشاعرا ومفكرا ، ولكنه ظل تلميذا في بحثه عن المعرفة .
وكان انسانا عاملا بسيطا ، ولكنه كان يعاني عذابا داخليا وقلقا عميقا .
وكان فتحاويا وماركسيا ، ولكنه كان في الوقت نفسه ناسكا صوفيا ،
والاهم من هذا كله انه اعطى الثورة الفلسطينية كل هذا دفعة واحدة .

CRIMES AND NO PUNISHMENT

Zionist - Israeli Terrorism 1939 - 1972

By

Sami Hadawi

Will be Published Soon by the Palestine Research Center

(P. O. Box 1691, Beirut)

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

أصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشان ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الإبحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة العبرية يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او بأية وسائل أسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة أو أكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر أن تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل. ل. ، في اوروبه ١٥٠ ل. ل. ، في الامريكتين ٤٠٠ ل. ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك بأكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي ان نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الإذاعية الاسرائيلية التي تبث باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والتي سيكون لها قيمة كبيرة لدراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب ، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعبرية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب وما تذيعه بالانكليزية والفرنسية للراي العام العالمي وما لذلك من فائدة كبيرة لاجهزة الاعلام العربية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .

صدر عن

قسم الثقافة الفنية - دائرة الاعلام والتوجيه القومي
منظمة التحرير الفلسطينية
بيروت - كورنيش المزرعة - ص.ب ٥٣٨٣

موجز تاريخ فلسطين المصور

اعداد وتصميم : إسماعيل شموط

كتاب مصور بالألوان يعرض تاريخ فلسطين منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا

متوفر بأربع لغات : العربية ، الانكليزية ، الفرنسية ، الإسبانية

ثمن النسخة مع أجرة البريد الجوي :

	ليرة لبنانية	دولار
للبلاد العربية	٤,٥٠	١,٢٥
للبلاد الأوروبية	٤,٥٠	١,٥٠
لباقي بلدان العالم	٦,-	٢,-

يطلب من قسم الثقافة الفنية ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ

بيروت ـ ص.ب ٥٣٨٣

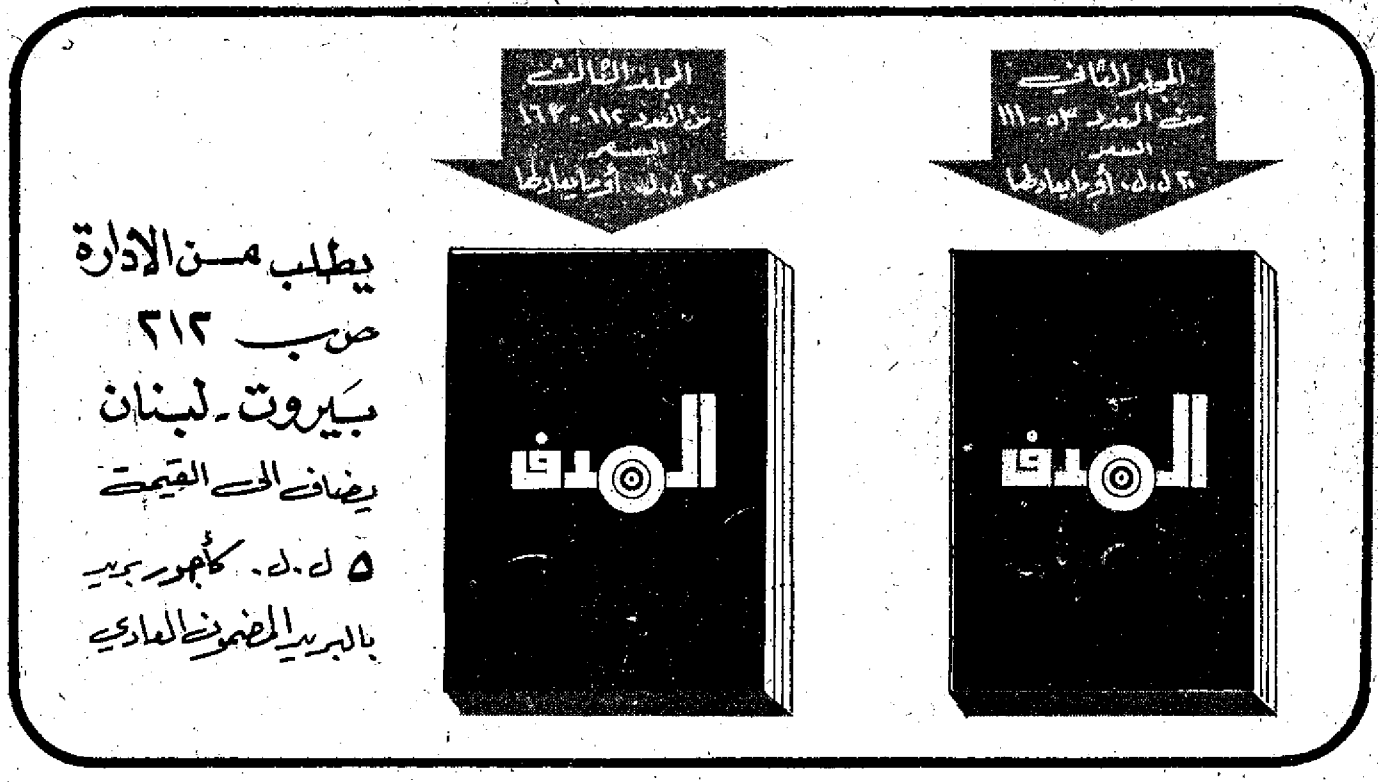

(ملاحظة : المجلد الاول من العدد ١ ــ ٥٢ نافد)

إستيراد وتصدير
لجميع أنواع الورق والكرتون
للمجلات والكتب

محمد خليل الداعوق

شارع المعرض — بيروت — لبنان
مكتب تلفون : ٢٣٤٦٤٥ — ٢٢٨٠٤٢
مستودع تلفون : ٢٩٣٩٣٢

الخطوط الجوية الكويتية

شبكة خطوط عالمية تغطي مختلف بقاع العالم العربي وأوروبا والشرق الأوسط بطائرات بوينج ٧٠٧ النفاثة

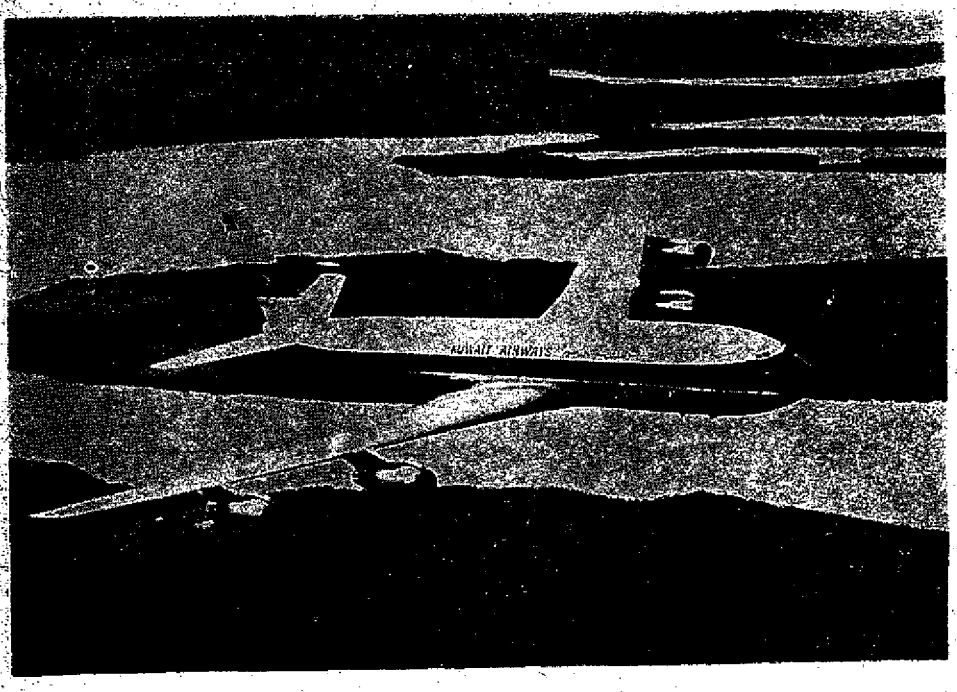

مكاتب رئيسية في كل من :

الكويت — البحرين — الدوحة — دبي — الظهران — عدن — عمان — دمشق — بيروت — القاهرة
طهران — عبدان — أثينا — جنيف — فرانكفورت — باريس — روما — لندن — نيويورك — هيوستون
شيكاغو — ديترويت — تورونتو .

صدر المجلد السنوى السابع من

السياسة الدولية

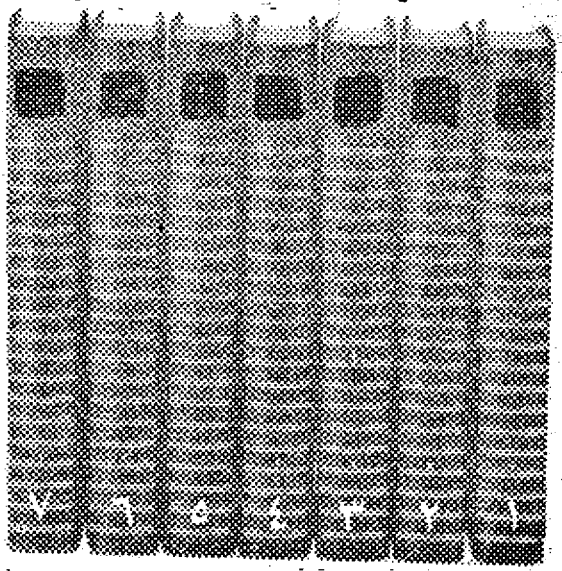

- مرجع عالمى للعاملين فى الحقل السياسى والدبلوماسى والإعلامى .
- المجلد مزود بفهرس تحليلى وفهرس للمعاهدات والاتفاقات الدولية .
- ١٠٠٠ صفحة ... الثمن ١٠٠ قرش
- يطلب من قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ومكتبة الأهرام بشارع محمد فريد والمكتبات الكبرى فى الوطن العربى
- يضم الأعداد ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ الصادرة خلال عام ١٩٧١

رئيس التحرير
د. بطرس بطرس غالى

مدير التحرير
د. عبد الملك عودة

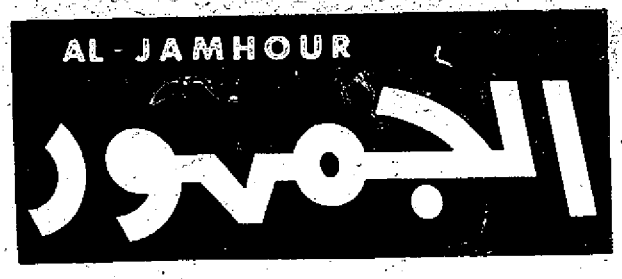

اطلالة اسبوعيـــة

علـــى

قضايـــا المقـــاومة الفلسطينية

وشؤون الوطن العربي

ومشاكل العـــالم وشعوبه

معالجـــة موضوعية تعتمد الدقة

والوضوح والمصادر الصحيحة

صبـــاح كل يوم اربعـــاء

تطـــل

الجمهـــور

على قرائهـــا الموزعين

فـــي

١٦ دولة عربية وافريقية واوروبية